
Bibliotheca Alexandrina
0106355

الخوارج في المغرب الاسلامي

الدكتور محمود اسماعيل

الخوارج في المغرب الإسلامي

ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب - موريتانيا

دار العودة — بيروت
مكتبة مدبولي — القاهرة

المقدمة

لعب الخوارج دورا بارزا في تاريخ بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، واثروا في احوالها السياسية والاقتصادية والاجتماعية • كما كانت بلاد المغرب اكثر بقاع العالم الاسلامي تقبلا لعقائد الخوارج واكثرها حماسا لنصرتهم ، فباعتناق المغاربة مذهب الخوارج ، رفعوا علم الثورة على الامويين والعباسيين ، وانتهى بهم الامر الى اقامة امارتين مستقلتين هما امارة بني مدرار وامارة بني رستم •

وبقيام هذه الامارات المستقلة شهدت بلاد المغرب عصرا من الاستقلال السياسي والازدهار الاقتصادي والثقافي كان لها عوضا عن فترة القلاقل والاضطرابات السياسية والازمات الاقتصادية التي صحبت عصر الثورات •

ثم قامت الدولة الفاطمية وقضت على دول المغرب المستقلة ، فهب الخوارج من جديد ضد الفاطميين وسياستهم الدينية القائمة على التعصب للمذهب الشيعي ، وهددوا بزوال النفوذ الفاطمي من بلاد المغرب • حقيقة لم يقدر لثوراتهم النجاح ، الا انها ارغمت الفاطميين على التحول من سياسة العنف والتعصب الى اللين والاعتدال •

قصارى القول ان تاريخ المغرب الاسلامي حتى منتصف القرن الرابع الهجري تأثر بحركات الخوارج تأثرا كبيرا • وعلى الرغم من ذلك ، نفتقر الى

دراسة متكاملة عن الخوارج في المغرب واثرهم في تطوره السياسي ودورهم في تاريخه من بدء الثورة الى تحقيق الاستقلال ثم العودة الى الثورة مرة اخرى. لا ننكر انه قد ظهرت بعض الدراسات الخاصة بثورات الخوارج لكنها عولجت من خلال دراسة التاريخ العام للمغرب الاسلامي ، او في ثنايا الحديث عن سياسة عمال الخلافة في البلاد . كما ظهرت كتب تعرض لدول الخوارج في المغرب لكنها لم تتناول اكثر من ظروف قيامها فقط . هذا هو ما قرره ثقـاة الدراسين امثال جوتييه (١) وفورنل (٢) وجوليان (٣) وبيكيه (٤) وجورج مارسيه (٥) .

والواقع ان عديدا من المصاعب تعترض سبيل من يتصدى للتاريخ لهذا الموضوع ففي بعض الاحيان تندر المادة التاريخية كما هو الحال بالنسبة لظهور الخوارج في المغرب وكذلك دولة بني مدرار بسجلماسة .

فعلى الرغم من كثرة ما دون عن تواريخ الخوارج لم يصل الينا منها الى القليل النادر (٦) .

وما وصلنا من معلومات كان أغلبها من مصادر معادية للخوارج دأب أصحابها على تشويه سيرهم والطعن في مبادئهم وأفكارهم . وليس ادل على ذلك من افتعال الاحاديث النبوية واصطناعها لخدمة اغراضهم في تسفيـــة الخوارج وتحقير شأنهم (٧) .

ومن ناحية اخرى فان ما وصلنا من تواريخ الخوارج يقتصر فقط على الاباضية منهم دون الصفرية . وتنطوي على التعصب الشديد للمذهب الاباضي وأمته ، وتتحامل على الفرق الاخرى من الخوارج ، ناهيك عن عدائها المقيت للمذاهب والفرق الاسلامية من غير الخوارج . وفضلا عـن ذلك تمتـــلىء بالاساطير التي لا تستقيم مع منطق التاريخ .

ولا مناص للباحث من دراسة مصادر هذا التأريخ وتقييمها والكشف عن ميولها واتجاهاتها تحاشيا للوقوع في مزالق الخطأ والتردي في مسالـــك التعصب .

ولما كان تاريخ الخوارج في المغرب قاسما مشتركا بين الخلافة السنية والشيعية ، فمن المفيد ان ندرس مصادر هذا التاريخ ونصنفها الى مصادر سنية وشيعية وخارجية ٠

اولا : المصادر السنية :

المادة التاريخية المتعلقة بالخوارج في المصادر السنية متفرقة ومبعثرة في الحوليات العامة او التواريخ الاقليمية ٠ واقدم التصانيف في تاريخ المغرب عبثت بها يد الدهر ، فلم يصلنا منها سوى شذرات متفرقات نقلها المتأخرون٠ ولعل من اهمها كتاب مسالك افريقية وممالكها والمؤلفات الخاصة بأخبار بنهرت وسجلماسة وغيرها من المدن المغربية ، تلك التي نسبت الى محمد بن يوسف الوراق (٢٩١ ـ ٣٦٢ هـ) «الحافظ لاخبار المغرب» كما ذكر ابن حيان (٨) ٠ والوراق مؤرخ اندلسي نشأ بالقيروان وتوفي بقرطبة (٩) ٠ وقد فقد تاريخه كله ٠ وان وجدنا فقرات منه عند البكري ٠

وينسحب نفس الشيء علي ابن القطان (ت ٦٢٨ هـ) صاحب كتاب نظم الجمان ، وان كان بروفنسال قد عثر على جزء منه خاص بنهاية عصر المرابطين واوليات سني الموحدين ٠ وكذلك الحال بالنسبة لكتاب «العبر» لابن ابي الفياض (ت ٤٥٩ هـ) (١٠) ٠ والى عهد قريب كان تاريخ الرقيق القيرواني « أوائل القرن الخامس الهجري » في حكم المفقود ، لكن لحسن الحظ قدر لنا الوقوف على جزء منه عثر عليه الاستاذ محمد المنوني المكناسي سنة ١٩٦٥م بالخزانة العامة بالرباط استفدنا منه أيما فائدة في دراسة ثورات الخوارج في بلاد المغرب ٠

وهذا الجزء يقع في مائة وخمسين صحيفة وحققه الاستاذ المنجي الكعبي التونسي ونشره سنة ١٩٦٨ م بعنوان تاريخ افريقية والمغرب ٠ ومؤلفه هو أبو اسحق عمر بن القاسم المعروف بالرقيق القيرواني ٠ ولا نعلم كثيرا عن نشأته ، انما نعرف انه تولى رئاسة ديوان الرسائل في البلاط الصنهاجي ٠ ومن ثم فقد اتيح له الاطلاع على الكثير من الوثائق والتواليف في تاريخ

المغرب قل ان توافرت لغيره • وبفضلها كتب تاريخه المشهور ابتداء بالفتح الاسلامي للمغرب حتى اوائل القرن الخامس في عدة مجلدات لا نعلم عنهـ شيئا قط •

ولا شك في ان الرقيق كان سني المذهب بدليل اشتغاله في بلاط بني زيري ، لكن اتجاهاته المذهبية ـ والحق يقال ـ لم تنعكس على كتاباته بشكل يسترعي النظر • وقد نقل عنه معظم من صنف بعده في تاريخ المغرب الاسلامي كابن عذارى والنويري وابن خلدون وغيرهم • وعلى الرغم من ذلك فقد حفل الجزء الذي نشر بتفصيلات كثيرة لم توجد عند من نقلوا عنه ، كتلك التي تتعلق بمعركتي القرن والاصنام ، وثورة ابن عطاف الاسدي على عبد الرحمن ابن حبيب ، وامامة الحارث وعبد الجبار الاباضيين ، وحصار عمر بن حفص بطبنة سنة ١٥٢ هـ وقدر لنا اعتمادا على هذه المادة الجديدة ان نكون من اول من استفاد بها في التأريخ لثورات الخوارج ببلاد المغرب •

والراجح ان جزء آخر من تاريخ الرقيق وصل الينا عن طريق ابن حماد في كتابه المعروف بأخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، اذ ذكر فاندرهيدن(١١) الذي نشره ـ ان ابن حماد نقل النص برمته عن الرقيق • وجدير بالذكر ان هذا النص يتعلق بحركة ابي يزيد مخلد بن كيداد اســاســا وليس تأريخا للخلافة الفاطمية في المغرب كما يوحي به العنوان • وعلى كل حال ، فلو صح قول فاندرهيدن نكون قد استفدنا من دراستنا للخوارج في المغرب بمعلومات مستقاة من تاريخ الرقيق لم تتوفر للدراسين من قبل •

وثمة مصدر سني آخر غاية في الاهمية ، وهو سيرة الائمة الرستميين لابن الصغير المالكي (١٢) • والواقع انه ليس لدينا ثمة ما يشير الى اصل ابن الصغير او نشأته ، وكل ما نعرفه انه أقام بتاهرت في العصر الرستمي الاخير، كشيخ من شيوخ المالكية ، وكان له نشاط بارز في المساجلات والمحاورات التي شهدتها تاهرت بين مشايخ الطوائف المذهبية المختلفة ، اذ يصور فــي تاريخه جدله في المسائل الفقهية والدينية مع رؤساء الاباضيــة والمعتزلة ، كما نعلم من تاريخه انه كان يعمل تاجرا ويملك «دكانا في الرهادنة» (١٣) .

على ان اهميته كمؤرخ دقيق نابه امر لا يرقى اليه الشك · والراجح انـــه صنف تواليف اخرى لم تصل الينا ، فأسلوبه ومنهجه كما يتضح في تأريخه للدولة الرستمية تنم عن طول باع في ميدان التأريخ ·

وعلى كل حال فقد وقف المستشرق Motylinski على كتابه عن سيرة الائمة الرستميين ونشره سنة ١٩٠٥م تحت عنوان :

Chronique d'Ibn Saghir sur les Imam Rostimides de tahert. (١٤)

ويخيل الينا ان تاريخ ابن الصغير يعد أهم مصادرنـا عن دولـة بني رستم ، فهو معاصر لاحداث العصر الرستمي الاخير وشاهد عيان لها ، كما استمد معلوماته عن بني رستم الاوائل من معاصريه من شيوخ الاباضية وغير الاباضية · ولكونه سنيا مالكيا فقد كشف لنا عن كثير من أسرار عصره ، مما تغاضى عنه مؤرخو الاباضية · كما قدم لنا وجهة النظر المقابلة لتلك التي تتعصب للامامة الرستمية·ومن الانصاف أن نذكر ان ابن الصغير كان موضوعيا في تأريخه ، اذ كثيرا ما ابدى اعجابه بسيرة الراشدين من الائمة الرستمين ، ولم يثنه خلافه المذهبي عن الاشادة بسياساتهم ·

ولم يقدر لابن الصغير أن يشهد نهاية دولة بني رستم مما يرجح انـه مات في التسعينات من القرن الثالث الهجري اذا يقف تاريخه عند امامة ابي حاتم يوسف بن محمد (ت ٢٩٤ هـ) ·

اما ابن عذارى وتاريخه المعروف بالبيان المغرب ، فيجمع الدراسون (١٥) على اهميته كتاريخ عام للمغرب الاسلامي اقرب ما يكون الى التكامل ، على الرغم من تأخره النسبي ، فقد الفه ابن عذارى سنة ٧١٢ هـ · وهو لذلك اكثر مراجع تاريخ المغرب الاسلامي تفصيلا ، وأثراها مادة · وذلك راجع بطبيعـة الحال الى استفادته من تواريخ السابقين كالرقيق وابن عبد البر وابن القطان والوراق وغيرهم ممن اشار اليهم ابن عذارى فيما نقله عنهم · ونعتقد اننا في غنى عن التعريف بابن عذارى وتاريخه على وجه العموم ، فقد تناول ذلك كثير من الدارسين · انما نكتفي بتقييم ما اورده متعلقا بالخوارج في المغرب· فالملاحظ انه أفاض في حديثه عن ثورات الخوارج؛لكنه عرف عن التأريخ لدولهم في المغرب واكتفى باشارات متناثرة عن أمرائهم وسني حكمهم ·ومع ذلك ، فقد

اسدى خدمة طيبة باثباته للتواريخ في دقة تامة ، وذاك امر اغفلته تماما كل تواريخ الخوارج تقريبا ٠

ومعلوماتنا المستقاة عن ابن عذارى بخصوص الخوارج والفاطمين لا تختلف كثيرا عن نظائرها في سائر المصادر العامة التقليدية كابن الاثير وابن خلدون والنويري اذ انها جميعا تنقل اساسا عن الرقيق فيما يرجح ٠

ولا مشاعة في ان جغرافيا مثل البكري (ت ٤٨٧ هـ) في كتابه المغرب ، فضلا عن قيمته الكبرى في دراسة البلدان ومواقعها والمسالك اليها ٠٠ الخ من المعلومات الجغرافية فقد زودنا بمادة تاريخية هامة ان لم تكن فريدة في بعض الاحيان ـ عن خوارج المغرب وحسبنا ان كثيرا مما كتبه الوراق عن صفرية سجلماسة ما كان ليصل الينا لولا البكري ٠ وتلك المعلومات ـ على ندرتها ـ عظيمة القيمة بالنسبة لدولة بني مدرار ، فلولاها لظلت تلك الدولة في طي الابهام ٠ على انه يؤخذ على البكري افراطه في ذكر روايات ذات طابع اسطوري ، بالاضافة الى عدم دقة معلوماته الخاصة بتاريخ الرستميين ٠

ومن الاهمية بمكان ان نشير الى كتاب ابن عبد الحكم «فتوح مصر والمغرب والاندلس» ٠ وعلى الرغم من انه مؤرخ مصري الف اساسا في المغازي فان كتابه حافل بفيض من المعلومات الخاصة بخوارج المغرب ٠ وابن عبد الحكم المؤرخ في غنى عن التعريف فهو من خيرة مؤرخي الاسلام دقة وموضوعية ، ومن انضجهم اسلوبا ومنهجا ٠ وتبدو اهميته بالنسبة لموضوع البحث كمعاصر للاحداث من ناحية (توفي سنة ٢٥٧ هـ) ، وكموثق يهتم باسناد رواياته الى من سمع منهم او اخذ عنهم ٠ ولا غرو فقد اتيح له الاتصال عن كثب بكثير من مشاهير المغاربة الذين كانوا يفدون الى مصر لدراسة مذهب مالك واستفاد من معلوماتهم فيما يتعلق بأخبار بلاد المغرب ٠ وحسبنا ما اورده من معلومات ـ فريدة ـ حول ثورات الاباضية ، فضلا عن تقديمه صورة واضحة لاحوال بلاد المغرب قبيل ظهور دعوة الخوارج ٠

اما الجزء الثالث من كتاب اعمال الاعلام لابن الخطيب الذي حققه الدكتور احمد مختار العبادي ونشره بعنوان « تاريخ المغرب العربي في العصر

الوسيط» فيحوي معلومات عن ثورات الخوارج استمدها ـ فيما يرجح ـ من ابن عذارى ، كما أمدنا بمعلومات هامة ـ على ضآلتها ـ عن بني مدرار ٠ وعلى الرغم من اخطائه الكثيرة في اسماء الاعلام والتواريخ ، وبرغم اسرافه في ذكر روايات اسطورية ، فقد زودنا بكثير من الاشارات عن بني مدرار لا نجد لها نظيرا عند البكري او من نقل عنه كابن خلدون والقلقشندي ٠ ممـا يرجح اعتماد ابن الخطيب في هذا الصدد على كتابات محمد بن يوسف الوراق مباشرة وعدم نقله عن البكري كما فعل غيره من المؤرخين المتأخرين ٠

ويحوي ابن الاثير في تاريخه ـ الكامل ـ مادة طيبة مأخوذة عن الطبري فيما يتعلق بخوارج المشرق ٠ اما ما يخص منها خوارج المغرب فهي منقولة ـ في تحقيق وتمحيص وتنسيق ـ عن تواليف المغاربة كالرقيق والوراق وغيرهما شأنه في ذلك شأن النويري في الجزأين الثاني والعشرين والسادس والعشرين من موسوعته المعروفة بنهاية الارب ٠

ولايفوتنا ان نعرض بايجاز لما ورد من اشارات الى خوارج المغرب عند البلاذري والمؤرخ الاندلسي المجهول صاحب كتاب «اخبار مجموعة في فتح الاندلس» وكذلك عند ابن حيان وابن سعيد وابن بطوطة ٠ فالبـلاذري في أنساب الاشراف يفيض بمادة وفيرة ويقدم وجهة نظر مغايرة لرواية ابي مخنف المتحيزة ٠ التي نقل عنها الطبري وغيره فيما يتعلق بالخوارج في الشرق ٠ اما كتابه فتوح البلدان فلا يخلو من اشارات عابرة عن بلاد المغرب قبيل ظهور الخوارج فضلا عن ثورات الخوارج في بلاد المغرب ٠

اما صاحب الاخبار المجموعة ، فهو متشيع لبنى امية ومتعصب ضـــد الخوارج ، لكنه اورد تفصيلات فريدة بخصوص ثورات الخوارج الصفرية في بلاد المغرب ٠

وفي النصوص التي وصلتنا عن ابن حيان ـ شيخ مؤرخي الاندلس ـ سواء تلك التي نشرها ملشور انطونية أو نشرها الحجي ببيروت سنة ١٩٦٥ ، نجد اشارات عابرة لكنها مفيدة في ـ توضيح علاقات بني مدرار وبني رستم

بأموي الاندلس • ونفس الشيء يقال عن كتاب المغرب في حلى المغرب لابن سعيد •

أما رحلة ابن بطوطة ، فتحفل بمعلومات وفيرة عن علاقات دول الخوارج ببلاد السودان •

ثانيا : المصادر الشيعية :

كان سقوط دولتي الخوارج في بلاد المغرب مرتبط بقيام الدولة الفاطمية لذلك عرض مؤرخو الشيعة لاخبار الخوارج ـ بطريقة عارضة ـ في ثنايا تأريخهم للدولة الفاطمية في المغرب • ومع قلة المعلومات الخاصة بالخوارج عند مؤرخي الشيعة ، وبرغم تحاملهم على الخوارج لما بينهم من عداء مذهبي ، فقد خلفوا معلومات طيبة عن الخوارج والفاطميين •

ويعد أبو حنيفة النعمان المعروف بابن حيون المغربي (ت ٣٦٣ هـ) من اهم من تناول هذا الموضوع • ففضلا عن معاصرته الاحداث، كان على قرب منها او معاين لها في اغلب الاحيان لعمله كقاضي قضاة للمعز الفاطمي • ولابن حيون مؤلفات كثيرة عن الفاطميين وعقائدهم وتواريخهم ، أطلعنا على ثلاثة منها هي : اساس التأويل الباطني وهو مخطوط بدار الكتب المصرية ولا يفيد كثيرا في دراسة الخوارج • اما شرح الاخبار وهو مخطوط ايضا بدارالكتب المصرية نشر منه المستشرق الروسي ايفانوفا مقتطفات جعلها ملاحق كتابه
Ismaili tradition concerning the rise of the fatimids.

ويلقى من الاضواء عن حياة المهدي في سجلماسة حتى الغزو الشيعي ما بفيد في معرفة احوال دولة بني مدرار في عهد اميرها اليسع بن مدرار ، فضلا عن اهميته في توضيح سقوط دولة بني مدرار سنة ٢٩٧ هـ على يد ابي عبد الله الشيعي •

واهم ما خلفه ابن حيون كتابه المسمى بالمجالس والمسايرات وهومخطوط من جزأين بمكتبة جامعة القاهرة • عرض فيه ابن حيون لاحاديث المعز في مجالسه مع معاصريه من الحكام وكبار الشخصيات • وقد اتيح لابن حيون

حضور هذه المجالس واستطاع تدوين وتسجيل ما كان يدور فيها ٠ وبرغم تحيزه الظاهر للفاطميين ومع ان الكتاب لا يعد تأريخا بقدر ما هو مذكرات خاصة Memmores تقريبا فقيمته عظيمة في التاريخ للمدراريين الاواخر وعلاقتهم بالفاطميين ، ونعتقد انه اهم مصدر في هذا الصدد ٠ اذ يعرض ابن حيون لاعداد المعز حملته ـ على المغرب الاقصى سنة ٣٤٧ هـ التي كان من بين اهدافها تأديب الامير المدراري الشاكر لله الثائر على الحكم الفاطمي، كما يتناول تفاصيل وقائعها ونتائجها ٠ ومن خلال عرضه لمجالس المعز مع الشاكر لله بعد اسره ـ تلك التي قصد المعز منها معرفة اخبار سجلماسة واهلها وسيرته فيهم وما يقال عنه من قبوله (١٦) ـ امكن الوقوف على كثير من اخبار تلك الدولة التي تفتقر الى معلومات عنها ٠ وجدير بالتنويه ان احدا ممن درسوا تاريخ المغرب الاسلامي لم يقدر له بعد الاستفادة من تلك المادة التاريخية في التأريخ لدولة بني مدرار ٠

وثمة مصدرين شيعيين اخرينعظيما الفائدة في تصوير مجتمع سجلماسة في اواخر العصر المدراري ـ من خلال تناول حياة المهدي في سجلماسة ـ وهما: كتاب استتار الامام لابراهيم بن احمد النيسابوري (ت اواخر القرن الرابع الهجري) وهو مخطوط بدار الكتب المصرية نشر ايفانوفا اجزاء منه بمجلة كلية الاداب جامعة فؤاد الاول (مجلد ٤ ٠ ج ٢) تحت عنوان مذكرات في حركة المهدي الفاطمي ٠ وكتاب سيرة جعفر الحاجب التي رواها محمد بن محمد اليماني ، وقد نشرها ايفانوفا ايضا في نفس العدد من مجلة كلية الاداب ٠ وسيرة جعفر تعد من قبيل المذكرات الخاصة (اذ كان صاحبها حاجبا للمهدي ومرافقا له في رحلته الى المغرب ، وسجن معه في سجلماسة) ٠ ومن هنا تبدو اهمية سيرته كشاهد عيان للاحداث ٠

أما أبو عبيد الله محمد بن علي بن حماد (ت ٦٢٨هـ) ، فكتابه المعروف بأخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم غاية في الاهمية بخصوص ثورة ابي يزيد مخلد بن كيداد برغم تحامله الشديد على الخوارج والتعصب للفاطميين ، ولا غرو فابن حماد شيعي اسماعيلي اذ يذكر المهدي مسبوقا بعبارة « سيدنا الخليفة الاول امير المؤمنين» وقد ذكر فاندر هيدن الذي نشر الكتاب وقدم

له ان ابن حماد نقل مباشرة عن الرقيق نصه من ثورة ابي يزيد • ومن هنا تبرز قيمة تلك المعلومات برغم نسبتها الى ابن حماد الذي عاش عصرا متأخرا عن الاحداث •

وفي كتاب المسالك والممالك للجغرافي المعروف ابن حوقل ـ وهو شيعي المذهب ـ نجد معلومات طيبة عن تاهرت وسجلماسة عاصمتي دولتي الخوارج، اغلب الظن انه نقل كثيرا منها عن البكري بدليل وقوعه في نفس الاخطاء التي سبقه البكري اليها • ومع ذلك فما اورده ابن حوقل عن الخوارج وصلاتهم ببلاد السوادان يعد عظيم الاهمية لمعاصرته الاحداث اذا توفى في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري •

وابن خلدون سواء في مقدمته اوفي تاريخه يبدي تعاطفا واضحا مع الشيعة العلويين (الادارسة) والاسماعيلية (الفاطميين) • وما كتبه عن المغرب الاسلامي لا غنى عنه لاي دارس لذلك التاريخ ، ففضلا عن استفادة ابن خلدون من مؤرخي المغرب السابقين ، كان لاشتغاله بالسياسة وتقلبه في خدمةالدول المعاصرة له ما اتاح له القدرة على الكشف عن القوى المحركة للتاريخ والاسباب والعلل الكامنة وراء احداثه • ولا غرو فقد تفرد عن جمهرة مؤرخي الاسلام بفلسفته للتأريخ وله نظرية اقرب ما تكون الى نظرية « البيولوجية التطورية» في تفسير أحداثه وتعليل وقائعه • ولا حاجة بنا للخوض في تقييم ابن خلدون المؤرخ ، ويعنينا ما اورده عن الخوارج في المغرب • والذي لا شك فيه ان ابن خلدون امدنا بمعلومات فريدة عن القبائل وانسابها ومذاهبها ومقالاتها افادت كثيرا في دراسة انتشار مذهب الخوارج في بلاد المغرب • وفي تأريخهلثورات الخوارج ودولهم وموقفهم من الفاطميين لا يختلف كثيرا عن غيره من المؤرخين الذين تناولوا تاريخ المغرب العام كابن عذارى وابن الاثير والنويري • لكن ابن خلدون ، فضلا عن عدم دقة تواريخه ، كثيرا ما تختلط معلوماته ، كخلطه بين الاباضية والصفرية في احيان كثيرة حتى ان مؤرخا مثل ماسكراي نبه الى ضرورة الحذر في تناول كتابات ابن الخلدون في هذا الصدد • ويخيل الينا ان اهتمامه بالتفسير والتحليل اوقعه في مزالق التناقض ، اذ كثيرا ما نجد تناقضا واضحا حين يتناول موضوعا عاما في تاريخه العام وبين ذات الموضوع

حين يعرض له من خلال دراسته لتواريخ القبائل • ومع ذلك فحسبه ان فصلا من فصول البحث لا يخل من كتاباته سواء في مقدمته أو تاريخه •

ثالثا : مصادر الخوارج :

خلف الخوارج الكثير عن عقائدهم وسيرهم وتاريخهم وطبقاتهم، لكن لم يصلنا منها سوى النذر اليسير • وقد اورد البرادي في رسالته عن كتب الاباضية عديدا من هذه التصانيف للمشارقة والمغاربة على السواء • كما اورد ابن النديم في الفهرست مزيدا منها وذكر انها (مستورة محفوظة) فلم نقف لها على اثر • ومن هذه الكتب ما دونه اليمان بن الرباب ويحيى بن كامل والصيرفي وعبد الله بن زيد وابراهيم بن اسحق الاباضي والهيثم بن الهيثم والربيع ابن حبيب وغيرهم من المشارقة • كذلك نعلم من سير الشماخي ان مؤرخا اباضيا مغربيا شهيرا يدعى ابن سلام عاش حوالي منتصف القرن الثالث الهجري وصنف كتابا في السير لم يصلنا بعد • وقد اعتمد عليه الشماخي فيما يتعلق بثورات الاباضية وطبقات مشايخ المذهب حتى عصر ابن سلام • ومن المغاربة الاباضية كذلك ابي الربيع سليمان بن يخلف الذي نقل عنه ابو زكريا ومعبد بن افلح ممن نقل عنهم الوسياني •

ومن المحقق ان كثيرا من هذه الكتب ابيدت واحرقت نظرا لما تعرض له الخوارج في الشرق والغرب من اضطهاد • وقد اخبرنا الدرجيني (١٩) ان مكتبة الائمة الرستميين المعروفة «بالمعصومة» احرقها ابو عبد الله الشيعي سنة ٢٩٧ هـ ، ومن المحقق ان كتب الصفرية بسجلماسة لاقت نفس المصير •

وجدير بالذكر ان شيئا من كتب الصفرية لم نقف له على اثر ، بينما وصلنا بعض كتب الاباضية • وتفسير ذلك ان الشيعي الذي اقام بسجلماسة اربعين يوما قد اجهز على ما بها من تواليف وتصانيف ، بينما لم تطل اقامته بتاهرت ، اذ غادرها على التو لتحرير المهدي من سجنه بسجلماسة ، فتسربت بعض كتب الاباضية مع بعض افراد البيت الرستمي الذين هربوا الى وارجلان التي استعصت على الغزو الشيعي • كذلك سلم جبل نفوسة من عبث

الفاطميين بديوان الاباضية الحافل بتصانيف المذهب · ويخبرنا البرادي(٢٠) ان ديوان نفوسة كان مشتملا على اكداس هائلة من الكتب بلغ ما ورد منها من الشرق فقط نحو ثلاثمائة وثلاثين الف جزء ·

وبعد ان فتح المرابطون وارجلان رحل اباضيتها بكتبهم .واقاموا بوادي ميزاب ــ جنوبي الجزائر ــ حيث لا تزال محفوظة لدى مشايخ المذهب الى الان وقد ذكر ماسكراي ان ثروة جبل نفوسة من كتب الاباضية ــ اكثر وفرة منها في وادي الميزاب ·

وقد حاول لفيف من المستشرقين المهتمين بتاريخ المغرب زيارة مشايخ الاباضية بوادي الميزاب وجبل نفوسة والاطلاع على خزائن الكتب هناك، ومن هؤلاء ماسكراي وموتايلنسكي ولويسكي وباسيه وغيرهم · ونجحوا بالفعل في الوقوف على قدر ضئيل من تراث الاباضية ، اذ ان مشايخ المذهب يرفضون اظهار ما لديهم من الكتب المتعلقة بأسرار المذهب ولا يتيحون للغربــاء سوى الاطلاع على الكتب المتوافرة الخاصة بالعموميات كما ذكر برسي سميث (٢١) وماسكراي (٢٢) ومع ذلك فقد حصلنا على بعض تلك التصانيف الخاصــة بالعقائد والنوازل والفتاوي وكذلك بعض التواريخ والسير وكتب الطبقات ·

ومن اهم مصادرنا في كتب الفتيا رسالة في احكام الزكاة لابي عبيــدة مسلم بن ابي كريمة (ت أواخر القرن الثاني الهجري)· وهي مخطوطة بدار الكتب غاية في الاهمية لان صاحبها كان شيخــا لاباضيــة البصرة ورئيســا لتنظيمهم الديني السياسي بعد جابر بن زيد · واليه يعزى الفضل في بث دعاة المذهب الى اطراف الدولة الاسلامية ومن بينها بلاد المغرب · كما كــان رؤساء المذهب في المغرب يلتحقون بحضرته للتفقه في المذهب والاعداد لاقامة الدولة الاباضية · وتكشف لنا الرسالة عن حقيقة تطور افكار الخـــوارج السياسية في الشرق اواخر العصر الاموي ولجوئهم الى اساليب التنظيم والدعوة كبديل لاسلوب الثورات الهوجاء الذي اثبت فشلا ذريعا · وتمدنا بمعلومات هامة ــ على ضآلتها ــ عن صلة التنظيم الام في البصرة بمشايخ المذهب في المغرب بعد قيام امامة ابي الخطاب عبد الاعلى بن السمح بطرابلس سنة ١٤٠هـ

ومن كتب العقائد والفقه نشر المستشرق موتايلنسكي (٢٣) Motylinski نصا للشيخ الاباضي عمرو بن جميع بعنوان «متن عقيدة التوحيد» يلقي بعض الضوء على الفكر السياسي عند الخوارج فضلا عن آراء الاباضية في كثير من المسائل الفقهية • ونفس المعلومات نجدها في مقدمة أصول الفقه للشماخي ومدونة ابي غانم الصفري ، وشرح السؤالات للسوفي ، وهي جميعا مخطوطات بدار الكتب المصرية •

اما عن كتب التاريخ والسير فأهمها على الاطلاق كتاب السيرة واخبار الائمة لابي زكريا يحي بن ابي بكر (ت النصف الثاني من القرن الرابع الهجري) • ولا يزال الكتاب مخطوطا بدار الكتب المصرية ، وقد ترجمه ماسكراي الى الفرنسية وقدم له وعلق عليه ونشره تحت عنوان Chronique d'Abu Zakaria. • وابو زكريا من اهل وارجلان ولا نعلم شيئا عن نشأته ، بينما ندرك انه اعتمد في تاريخه عن ثورات الاباضية والرستميين الاوائل على مؤرخ اباضي يدعى ابو الربيع سليمان بن يخلف • ويبدو انه عاصر العهد الرستمي الاخير او استمد معلوماته عنه من الجيل السابق له ، بينما نقل عنه كل من لحقه من مؤرخي الاباضية ، وصدق فيه قول ابي الربيع الوسياني (٢٤) «ان ابا زكريا له الفضل في السبق الى كتابة اخبار اهل الدعوة » • وقد أرخ أبو زكريا أساسا للدولة الرستمية ، لذلك يسرف في تصوير فضل الفرس على الاسلام حتى أنه انتحل كثيرا من الاحاديث والمأثورات عن الصحابة والتابعين تمجيدا لنسب أئمة بني رستم • وفي تأريخه لهم اتبع منهجا طيبا ، فمع حرصه على التسلسل الزمني للاحداث خلال عهود الائمة ، تصور خمسة مراحل للامامة تعرضت الجماعة الاباضية في كل منها لانشقاق مذهبي • وبعد ذلك يعرض لاخبار الاباضية بعد سقوط دولة بني رستم ، أي علاقتهم بالفاطميين الذين أطلق عليهم « المسودة » • ومن خلال كتابات أبي زكريا عن اباضية المغرب نقف على معلومات خاصة بالخوارج الصفرية كتلك التي تتعلق بانتشار مذهبهم ببلاد المغرب ، وعلاقة بني رستم ببني مدرار •• الخ •• وقد أمدنا بتاريخ شبه متكامل لدولة بني رستم يعاب عليه فيه تعصبه التام للائمة وتحامله على الحركات المناوئة لهم واغفاله ذكر

أحداث كثيرة لان فيها ما يشين سياسة الائمة • وقد دفعه هـذا التعصب أحيانا أخرى الى تزييف الوقائع والاخبار • كما يؤخذ على تاريخ أبي زكريا اسرافه في ايراد روايات خرافية وأسطورية ، وافاضته في نسبة أعمال خارقة ومعجزات الى من ترجم لهم من مشايخ المذهب • وفيما يختص بمعلوماته عن الخوارج والفاطميين : ففضلا عن الشذرات المتفرقة ـ التي تلقي ضوءا على ثورات الاباضية ، أمدنا بمادة طيبة تفيد في توضيح موقف الاباضية الوهبية من حركة أبي يزيد النكاري • هذا بالاضافة الى معلومات عن سقوط دولة بني مدرار الصفرية على الرغم مما تتسم به من طابع روائي •

وغير سيرة أبي زكريا وقفنا بدار الكتب المصرية على مخطوطة عن سير أبي الربيع الوسياني تلك التي اعتبرها لويسكي (٢٥) في حكم المفقودة، وعلق على النصوص التي أوردها الشماخي عن أبي الربيع بأنها غاية في الاهمية • ونعتقد أن أهمية سير أبي الربيع تكمن في كونه قريبا من الاحداث اذ توفي سنة ٤١٨ هـ فضلا عن اقامته بوارجلان من أهم معاقل الاباضية بعـد سقوط الدولة الرستمية • كذلك أثبت أبو الربيع مصادره ، فسمع من شيخه أبي محمد عبد الله بن محمد العاصمي ، كما أخذ أيضا عن المؤرخ الاباضي معبد بن أفلح وغيرهما ممن لم نقف على كتبهم الاصلية ، فخلف لنا قبسا مما دونوه • وجدير بالذكر ان سير أبي الربيع تلقي أضواء باهرة على أخبار الاباضية في العصر الفاطمي ، فضلا عما ورد بها من معلومات عارضة عن العصور السابقة ، بالاضافة الى مسائل وأجوبتها في الفقه الاباضي جد مفيدة في معرفـة فكر الاباضية وفلسفتهم في الحكم والادارة •

وثمة مؤرخ اباضي شهير هو أبـو العباس أحمد بن سعيـد الشماخي (ت ٩٢٨ هـ) الذي ينتمي الى أسرة معروفة بجبل نفوسة أخرجت كثيرين من أعلام الاباضية • وله فضلا عن كتابه « شرح مقدمة أصول الفقه » ـ وهو مخطوط بدار الكتب المصرية ـ كتابه المعروف بالسير • وسير الشماخي تعد تأريخا شبه متكامل لاباضية المغرب ، فلكونه عاش في عصر متأخر ، قدر له الاطلاع على تواليف سابقيه كابن سـلام وأبي زكريـا والربيع بن حبيـب والسوفي ومقرين بن محمد البغطوري الذي ألف عن سير مشايخ نفوسة سنة

٥٩٩ هـ . وامتازت سير الشماخي عن غيرها من سير الاباضية بأخذ مؤلفها عن مؤرخين غير اباضية كالرقيق وابن الصغير . كما يلحظ الدارس حرص الشماخي على مناقشة وتحليل الروايات المختلفة والمفاضلة بينها واثبات ما يراه صحيحا ومقنعا . ولا غرو فكثيرا ما خالف سابقيه من مؤرخي الاباضية ورجح روايات السنة الامر الذي يجعله أكثر مؤرخي الاباضية حيادا وموضوعية في نظرنا .

أما كتب الطبقات فقد وقفنا على اثنين منها ، أولهما لابي العباس أحمد الدرجيني (ت حوالي منتصف القرن السابع الهجري) ويسمى طبقات الاباضية . وهو مخطوط في ثلاثة أجزاء بدار الكتب المصرية ، يعرض فيه الدرجيني تراجم لمشايخ المذهب الاباضي جيلا بعد جيل في الشرق والغرب على السواء . وفيما يتعلق بالمشارقة اعتمد الدرجيني على كتاب الكامل لابي العباس المبرد ، بينما نقل كثيرا عن أبي زكريا في أخبار المغاربة . ومن ثم فما تضمنه كتابه من معلومات في هذا الصدد مكررة ولا تقدم جديدا . أكثر من ذلك فان الدرجيني ورث نفس مثالب سابقيه ولم يبذل ثمة محاولة لتحقيق معلوماته ، وان كان من الانصاف أن نثبت له أمانته في اسناد هذه المعلومات الى من نقلها عنهم . كما وقع في كثير من الاخطاء ، وأغفل كثيرا من مشايخ المذهب ولم يترجم لهم وهذا هو ما حدا بأبي القاسم البرادي الى تدارك ذلك الاغفال وتصحيح تلك الاخطاء التي فاتت على الدرجيني .

فأبو القاسم البرادي (ت ٦٩٧ هـ) سمى طبقاته لذلك « الجواهر المنتقاة » في اتمام ما أخل به كتاب الطبقات لابي العباس الدرجيني ، وهذا الكتاب مخطوط بدار الكتب عالج فيه صاحبه كثيرا من الموضوعات وعرض لعديد من عيون المذهب وأعلامه ممن أهملهم الدرجيني ، كما حلل وناقش كثيرا من روايات سابقيه بطريقة نقدية من مؤرخي الاباضية وغير الاباضية على السواء . ومن الملاحظ أنه نقل كثيرا عن ابن الصغير فيما يتعلق بالعهد الرستمي الاخير . ومع ذلك فكتب الطبقات تزخر بمعلومات هامة عن أثر الخوارج في المجتمع المغربي .

وعلى تلك المصادر الاباضية الاصلية اعتمد جمهرة المحدثين من مؤرخي الاباضية فيما كتبوه عن تواريخ الاباضية في المغرب ۰ ومن هؤلاء الباروني والورجلاني وأطفيش والجربي والطاهر الزاوي ۰ على أن كتاباتهم جميعا تتسم الى جانب التعصب للمذهب الاباضي بطابع الاسفاف والسطحية ۰

والى جانب تلك المصادر لم ندخر وسعا في البحث عن المادة التاريخية التي تخدم موضوع الدراسة والتي تمسه من قريب أو بعيد في المراجع التاريخية ، وكتب الجغرافيا والرحلات ، وكتب الطبقات والتراجم والتصانيف الادبية ، وكتب الفرق المختلفة ۰ كما استفدنا بكتب السكة في تحقيق كثير من الالقاب وتحديد العديد من التواريخ التي كان يشوبها الخلط ويكتنفها الابهام ۰

كذلك لم نغفل دراسات المحدثين من العرب والمستشرقين مما ألفوه من مراجع أو نشروه بالموسوعات والدوريات العلمية ، فاطلعنا على كتابات الدكاترة حسن محمود وجمال سرور وحسين مؤنس ومحمود مكي وأحمد مختار العبادي وسعد زغلول عبد الحميد وغيرهم من المتخصصين في تاريخ المغرب والاندلس ۰ كما استفدنا كثيرا من دراسات جوتييه وبل وبروفنسال ودوزي وبرنشويج ولويسكي ومارسيه وباسيه وسميث وغيرهم سواء ما تضمنته كتبهم أو ما نشروه بالدوريات والموسوعات مثل :

Actes du congres inter nationales des orientalistes, Andalus, Islamic review, Moslem World, Journal Asiatique, Revue des etudes Islamiques, Studia Islamca.

وغيرها ۰

وبفضل تلك المادة التاريخية التي توافرت للبحث أمكن دراسة الموضوع ولم شتاته في أبواب خمسة وخاتمة ۰

تناول الباب الاول دعوة الخوارج في بلاد المغرب ۰ وتضمن ظروف الخوارج في الشرق الاسلامي التي دفعت بهم الى الهجرة والانتشار في بلاد المغرب ۰ وعرض لاحوال بلاد المغرب قبيل ظهور الخوارج وملاءمتها لدعوتهم ۰ ثم عالجت كيفية انتشار مباديء الخوارج الصفرية والاباضية في بلاد المغرب

واقبال البربر على اعتناق هذه المباديء ٠

وخصص الباب الثاني لثورات الخوارج في بلاد المغرب ، حيث تضمن دراسة لاسباب ثورات الخوارج ـ صفرية وأباضية ـ ووقائع تلك الثورات وتبيان نتائجها وآثارها ٠

أما الباب الثالث فقد تضمن تأريخا لدول الخوارج في بلاد المغرب ، تناولت فيه دولتي بني مدرار الصفرية وبني رستم الاباضية من حيث ظروف قيامهما ، وعرض سياستهما الداخلية ، وتحديد علاقتهما الخارجية ٠

وأفرد الباب الرابع لدراسة الخوارج والفاطميون ، حيث عرضت فيه لدور الفاطميين في اسقاط دولتي بني مدرار وبني رستم ـ ثم ثورات الصفرية والاباضية على الحكم الفاطمي ٠

ونظرا لما أحدثه الخوارج من آثار اقتصادية واجتماعية وثقافية فضلا عن آثارهم السياسية في بلاد المغرب ، ولما كانت تلك الجوانب تحتاج لدراسة مستفيضة مستقلة فقد آثرنا أن نفرد لها الباب الخامس من الرسالة ٠

وفي الخاتمة أوجزنا ما انتهينا اليه من نتائج تمخضت عنها هذه الدراسة ٠

٠٠ ولا يسعني في هذا المقام الا أن أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان لاستاذنا الدكتور حسن أحمد محمود الذي تولى الاشراف على هذا البحث وتعهده برعايته وتوجيهه منذ كان فكرة حتى صار حقيقة ٠

ويعلم الله ـ كم تكبدت من عناء ، وكم من جهد بذلت ٠٠٠ وأسأله التوفيق ٠

الباب الأول

دعوة الخوارج في بلاد المغرب

أولا : أحوال الخوارج في المشرق الاسلامي حتى أوائل القرن الثاني الهجري :

ارتبط ظهور مذهب الخوارج وانتشاره في بلاد المغرب بعاملين أساسيين، أولهما التطور السياسي الذي حدث للخوارج في المشرق الاسلامي في أواخر القرن الاول الهجري بعد فشل ثوراتهم واضطرارهم الى اتباع اسلوب الدعوة والتنظيم السياسي ، واختيار أطراف العالم الاسلامي ميدانا لنشاطهم بعد أن تعرضوا للمطاردة والاضطهاد ٠

وثانيهما ــ ملاءمة الاحوال السياسية والاجتماعية في بلاد المغرب في أواخر القرن الاول الهجري وأوائل القرن الثاني لتقبل هذا المذهب وانتشاره ٠

وليس من شك في أن ما لحق بالخوارج من فشل في المشرق يعزى الى أسباب عدة : منها تطرف عقائدهم وقصور فكرهم السياسي الظاهر من الثورات التي قاموا بها طوال العصر الاموي ، ثم يقظة الخلافة ورجالها في مناهضة هذه الثورات ومواجهتها في سرعة وحزم ٠

فعلى الرغم من كثرة الثورات التي قام بها الخوارج في المشرق الاسلامي وما أبدوه فيها من ضروب الشجاعة (١) ، وبرغم ما انطوت عليه مبادئهم من دعوة الى العدل والحرية (٢) ، فقد عجزوا عن تحقيق أهدافهم ، وأصبحوا هدفا للبطش والاضطهاد • ومن أمثلة تطرفهم ، اجماع كافة فرقهم على تكفير علي وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين وكل من رضي بالتحكيم (٣) ، واتفاقهم في الخروج على الامام الجائر وتكفير مرتكبي الكبائر باستثناء النجدات (٤) ، وكذلك الاجماع على جواز الامامة لكل مسلم عالم بالكتاب والسنة (٥) •

واتفاقهم على تكفير علي وعثمان وأصحاب الجمل وضعهم في موقف العداء للجماعة الاسلامية برمتها (٦) ، فتعرضوا لسخط كافة الحكومات الاسلامية ، اذ حاربهم علي بن أبي طالب وفل شوكتهم في موقعتي النهروان والنخيلة (٧) ، ولم يستمر تحالفهم مع الزبيريين ضد الامويين طويلا ، فقد انقلب ابن الزبير عليهم حين أنس من نفسه القوة على مواجهة بني أمية (٨) • ولم يتوان الامويون في تعقب حركاتهم وقمعها بعد حروب طويلة وقف الشيعة في معظمها الى جانب بني أمية على ما بينهما من عداء متأصل (٩) •

وبسبب تكفيرهم مرتكبي الكبائر ، انقسموا على أنفسهم أشد الانقسام في كثير من المسائل الفقهية • واعتبرت كل فرقة ما عداها مارقة ، وعاملت انصارها معاملة الكفار في استباحة الدماء واستحلال الاموال والذراري (١٠) •

وكان من المتوقع أن يقبل الموالي على مذهب الخوارج لسماحة رأيهم في الامامة ، فقد اعتبرت حقا متاحا لكل مسلم بغض النظر عن أصله وجنسه ـ وهو مبدأ تفرد به الخوارج دون سائر الفرق الاسلامية الاخرى ـ لكن أعداد الموالي في صفوف الخوارج كانت قليلة ، ولم يقبل بعضهم على مذهبهم الا في أواخر العصر الاموي (١١) حين أسرف بنو أمية في اضطهاد الموالي واذلالهم • ويعزى هذا الاعراض عن مذهب الخوارج الى افراطه في التطرف (١٢) واسراف أنصاره في استخدام العنف ، وتشدد زعمائهم في قبول المهاجرة ـ وهم الاتباع الجدد ـ وذلك باجراء اختبارات قاسية للتأكد من صدقهم وحسن نواياهم • كما رفض الخوارج مبدأ التقية ـ باستثناء الصفرية (١٣) ولم يعمدوا الى

التنظيم والدعوة وما يرتبط بها من وسائل الترغيب وكسب الانصار ، ولم يفطنوا الى ذلك الا في وقت متأخر ٠

ولعل افتقار المذهب الى زعامة قرشية أو شخصية مرموقة يلتف حولها الانصار ويدعون لها دعوة منظمة كان سببا في تفرق كلمتهم وانقسامهم الى طوائف تلتف حول قيادات محلية او قبلية لا يجمعها رابط في العمل اوتشملها وحدة في الخطط والاهداف ، فما ان تجتمع جماعة منهم حتى يتواعدوا على اللقاء ، فاذا التقوا أظهروا العصيان (١٤) الامر الذي سهل على الحكام ملاحقتهم واستئصال شأفتهم جماعة في اثر اخرى ٠ ولعل هذا هو ما يعنيه فلهوزن (١٥) بقوله « ان سياسة الخوارج كانت غير سياسية » ٠ "

على أن من أهم أسباب اخفاق حركات الخوارج وفشل ثوراتهم ، تفشي الخلافات داخل جماعتهم وهي خلافات كان الباعث عليها في الغالب الاختلاف في المبدأ والرأي (١٦) ٠ فقد تباينت آراؤهم في مسائل جوهرية كمسألة القعدة والاستعراض (١٧) ، وأدى ذلك الى انقسامهم الى فرق الازارقةوالاباضية والصفرية والنجدات ٠ وتشعبت هذه الخلافات لتشتت شمل المذهب في أكثر من عشرين فرقة (١٨) ٠

ومما زاد من خطورة هذا الانقسام انه كان يحدث في الاوقات العصيبة ابان حروبهم فكان يحرمهم من جني ثمار النصر ويؤدي بهم الى الهزائم ٠ ومن أمثلة ذلك خروج عبد ربه الكبير على قطري بن الفجاءة وهو يقاتل المهلب بن أبي صفرة سنة ٧٧ هـ (٦٩٦ م) لان قطري «تأول فأخطأ» (١٩) ، فانفصل عنه عبد ربه بمعظم الجيش بعد ان كان النصر وشيكا ، وأتيح للمهلب سحقهما واحدا بعد الآخر (٢٠) ٠

وقد انقسم النجدات على أنفسهم كما انقسم الازارقة ، فخالف عطية ابن الاسود نجدة بن عامر الحنفي (٢١) وانفصل عنه وغادر البحرين الى المشرق وازداد الامر سوءا بخروج ابي فديك عبد الله بن ثور على نجدة وقتله ، وتفرق النجدات لذلك الى ثلاثة شيع متناحرة ، مما ادى في النهاية الى اضمحلالهم وزوال دولتهم في البحرين وحضرموت والطائف واليمن سنة ٧٢ هـ (٢٢) (٦٩١م) ٠

ولم يسلم الصفرية كذلك من آفة الانقسام ، فقد خالف مصقلة بن مهلهل الضبي شبيب بن يزيد الشيباني سنة ٧٧ هـ (٦٩٦م) وفوت عليه انتصاراته الحافلة على جيوش الحجاج الثقفي لانسحابه بمعظم الجيش احتجاجا على ما أعلنه شبيب من البراءة من سلفه صالح بن مسرح (٢٣) ٠

وقد استغل خصومهم هذا الانقسام في ملاحقتهم والقضاء عليهم ، فلم يدخر الخلفاء والولاة وسعا في مناهضتهم ، واتبعوا في ذلك شتى الوسائل من عنف وخداع واستنفار للجماعة الاسلامية لمواجهة ثوراتهم والتربص بأية حركة أو نشاط لهم ٠ كما استخدموا اسلوب اللين والاقناع والمحاجاة ، واتبعوا سياسة الترغيب واغراء زعمائهم بالمراكز المرموقة والمناصب الرسمية ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ٠ فمعاوية بن أبي سفيان كثيرا ما استنفر أهل الكوفة للمشاركة في قتال الازارقة (٢٤) كما ان عامليه على الكوفة والبصرة ـ المغيرة ابن شعبة وابن عامر ـ جندا كتائب من الشيعة من أهل المصرين لقتالهم (٢٥) ٠ وكان هذا العمل من البراعة بمكان ، اذ كفل ضرب الشيعة بالخوارج ـ وكلاهما عدو لبني أمية ـ ليضعف بعضهما بعضا فيسهل بعد ذلك استئصال شأفتهما كل على حدة ٠ والى المغيرة بن شعبة خاصة يعزى الفضل في تطبيق تلك السياسة بنجاح فكان يستخدم اسلوب التهديد والترغيب ويلزم القبائل نفسها بالقضاء على أي نشاط للخوارج داخلها (٢٦) ليكفي نفسه مؤنة قتالهم ٠

وأثمرت تلك السياسة في عهد زياد بن أبيه « فكانت القبائل اذا أحست بخارجي فيهم أوثقوه وأتوا به زيادا ، فمنهم من يحبسه ومنهم من يقتله (٢٧) » كما أفلحت سياسته في الترغيب والترضية ، فكان يستميل من يقبل عليه من زعماء الخوارج ويتخذهم صنائع وعمالا ، ويغدق عليهم الهبات والعطايا (٢٨) ٠ لكنه لم يتورع عن البطش والتنكيل بمن يعرض عنه ويناويء حكمه ، حتى النساء لم يسلمن من أذاه فكان يقتلهن ويمثل بهن (٢٩) ٠

وقد أسرف ابنه عبيد الله في سياسة العنف هذه وبالغ فيها (٣٠) فكان القتل جزاء من يشتبه في ميله لمذهب الخوارج ٠ ويذكر الدينوري (٣١) انه قتل تسعمائة رجل « بالتهمة والظنة » عدا ما لاقاه الآلاف في السجون من صنوف

الارهاب والتعذيب (٣٢) واستمرأ عبيد الله هذه السياسة وتفنن فيها،حتى انه كان يرغم المسجونين من الخوارج على قتل بعضهم بعضا امعانا في التنكيل والتشفي (٣٣) ٠

ولما آل الامر لعبد الله بن الزبير في العراق عول على القضاء على الخوارج واستئصال شأفتهم (٣٤) ٠ فرماهم بالمهلب بن أبي صفرة الذي كان يسير في طلبهم من بلد الى بلد ويواقعهم وقعة بوقعة (٣٥) ٠

على ان محنة الخوارج الشديدة كانت في عهد عبد الملك بن مروان ، فقد رماهم بالحجاج والمهلب في آن واحد ٠ وتفيض المصادر بأمثلة من قسوة الحجاج وعسفه ، فكان يأمر بقتلهم جماعات « بالتهمة لا بالخطيئة » (٣٦) ، وكان سيافه يضرب أعناقهم في حضرته وبين يديه (٣٧) ، ثم تصلب أجسادهم بعد التمثيل بها ، أما المهلب فقد اعتمد في حروبه مع الخوارج على الخداع والدهاء أكثر من اعتماده على السيف ، وحقق بذلك انتصارات لم يستطع احرازها في ميادين القتال فاستطاع أن يحدث تصدعا في جيوشهم عن طريق بث الخلاف والشقاق بين زعمائهم بما كان يثيره من مسائل فقهية يشغل بها الخوارج عن قتاله بقتال بعضهم البعض ، فاذا ما وهنت شوكتهم تمكن من هزيمتهم طائفة في اثر اخرى ٠ وحسبه انه استطاع بذلك أن يضع حدا لحركات الازارقة في المشرق الاسلامي (٣٨) ٠

وانحسرت موجة العنف ابان خلافة عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك فقد نجح عمر بن عبد العزيز في تجميد نشاط الخوارج في عصره بسياسة المحاجاة والحسنى والاقناع (٣٩) ٠ بينما عمد هشام الى اسلوب الاغراء بالاموال والمناصب أو شراء زعمائهم بالمال ايثارا للعافية (٤٠) ٠ وذلك كان دليلا على فتور همة الخوارج واضمحلال شأنهم حتى ان مروان بن محمد لم يجد صعوبة في القضاء على حركاتهم في بلاد العراق والجزيرة ثم في مدن الحجاز واليمن « فركدت ريح الخوارج من يومئذ الى أن ظهرت الدولة العباسية » (٤١) ٠

هكذا وصلت أحوال الخوارج في المشرق الاسلامي في أواخر القرن الاول

الهجري وأوائل القرن الثاني الى مثل هذا الضعف والانحلال ، بحيث لم يعد في وسعهم مواصلة نشاطهم في قلب العالم الاسلامي • وكان عليهم أن يغيروا في اسلوبهم بنبذ طريق الثورات السافرة واتباع اسلوب الدعـوة والتنظيـم السياسي ، والانتقال الى أطراف العالم الاسلامي بعيدا عن حاضرة الخلافة • فاتجهوا الى بلاد المغرب •

ثانيا : بلاد المغرب قبيل ظهور الخوارج :

نجم عن سياسة الامويين الاواخر موجة من السخط عمت كافة الامصار الاسلامية وقد استغل الهاشميون والخوارج حالة السخط هذه في تأليـب الجماعة الاسلامية ضد الحكم الاموي فبينما اتجه الهاشميون بدعوتهم نحـو المشرق في فارس وخراسان ، عمد الخوارج الى بث دعاتهم في بلاد المغرب التي كانت اذ ذاك ميدانا خصبا لتقبل مبادئهم •

فقد عانت بلاد المغرب كغيرها من الامصار الاسلامية ـ من الفتن السياسية الناجمة عن الخصومات القبلية بين القيسية واليمنيـة حتـى ليذهب بعض الدارسين (٤٢) الى اعتبارها دافعا أساسيا لثورات البربر على الحكم الاموي • فالثابت ان غالبية عرب الفتح الذين استقروا بالمغرب كانوا من اليمنية (٤٣) ، وهم الذين آزروا موسى بن نصير خلال ولايته التي استمرت حتى عام ٩٦هـ • ولما عزل موسى واستبدله الخليفة سليمان بن عبد الملك بمحمد بن يزيد ـ وكان قيسيا (٤٤) ـ كان هم الوالي الجديد وشغله الشاغل تصفية نفوذ آل موسى ، فأخذ يتتبعهم ويبطش بهم ويستولي على أموالهم بتحريض من الخليفة لنقمته على موسى بن نصير (٤٥) ، فأودع محمد بن يزيد عبد الله بن موسى السجن وفرض عليه من المغارم ما هو فوق طاقته (٤٦) ، وما فتيء يعذبه حتى مات (٤٧) •

وفي ولاية يزيد بن أبي مسلم (١٠١ ـ ١٠٣ هـ) (٧٢٠ ـ ٧٢٣م) عاد نفوذ اليمنية من جديد (٤٨) وانتقم يزيد بن أبي مسلم من سلفه محمد بن يزيد ، فرمى به في السجن وأشبعه جلدا وتعذيبا انتقاما لما حل باليمنية على يديه من عسف واضطهاد •

وآلت ولاية المغرب الى بشر بن صفوان بعد مقتل يزيد بن ابي مسلم ، وكان بشر من غلاة اليمنية (٤٩) فأمعن في اضطهاد القيسية ، وبلغ به التعصب لعشيرته انه استخلف على البلاد قبل موته نفاش بن قرط الكلبي (٥٠)،فعاث فيها (٥١) واسرف في اذلال القيسية ٠

وعاود القيسيةالظهور حين ولى هشامبن عبد الملك عبيده بن عبد الرحمن القيسي، فبيت النية على البطش بعمال بشر بن صفوان (٥٢) ، وأمعن في اقتفاء اثر آل موسى بن نصير حتى استأصل شأفهتم (٥٣) ٠ واستمرت محنة اليمنية في المغرب في عهد عبيد الله بن الحبحاب الذي تقلد الولاية سنة ١١٦ هـ (٧٣٥ م) ، ولاقى اشياعهم على يديه عنتا شديدا (٥٤) ٠

والى جانب انشغال الولاة بالخصومات القبلية ، كانوا يتنافسون في جمع الاموال ارضاء للخلافة من ناحية ، وكسبا للانصار واشباعا لنهمهم من ناحية اخرى ٠ فعكفوا على ارسال الحملات والجيوش تضرب في اطرافالمغرب او تهاجم الجزر البحرية في البحر المتوسط بغية السلب والنهب ٠ فيزيد بن ابي مسلم غزا صقلية سنة ١٠١ هـ (٥٥) (٧١٩م) في وقت كان الموقفبالمغرب عصيبا٠ وفي سنة ١٠٩ هـ (٧٢٧م) غزا بشر بن صفوان نفس الجزيرة «واصاب منها سبيا كثيرا» (٥٦) بعد ان «هلك من جيشه خلق كثير» (٥٧) ٠ وغرق الاسطول الذي بعثه عبيدة بن عبد الرحمن الى صقلية في العام التالي بقيادة المستنير بن الحبحاب (٥٨) ٠ وغزا عبيد الله بن الحبحاب في بلاد السوس وأرض السودان ، لكنه لم يجن من وراء غزواته سوى مغانم الذهب والفضه وسبايا البربر (٥٩) ٠ كما بعث بجنده الى جزيرة سودينية سنة ١١٧ هـ (٧٣٦م) «فنهبوا وغنموا وعادوا» (٦٠) ، ثم غزا صقلية وعادت حملته بالاموال والسبايا (٦١) وفي كل تلك الجيوش كان البربر يشكلون غالبية رجالها ، فكانوا اداة لخدمة اطماع الولاة ٠

ويجمع كثيرون من المؤرخين (٦٢) على سوء معاملة عمال العصر الاموي الاخير للبربر وارهاقهم بالمغارم والجبايات ٠ واعتبر بعضهم بلاد البربر دار حرب حتى بعد اعتناقهم الاسلام جريا على سياسة الخلافة الاموية في سائر الامصار الاسلامية (٦٣) وحاول الخليفة عمر بن عبد العزيز وضع حد لتسلط

الولاة واستعادة ثقة البربر في الحكومة الاسلامية ، فعين على المغرب واليا تقيا هو اسماعيل بن عبيد الله (٦٤) ، وأمره باسقاط الجزية على من أسلم من البربر وتحرير من استرق من نسائهم ، كما امره « باقرار القرى في يد غنامها بعد أخذ الخمس » (٦٥) لتؤول الارض الى اصحابها فيجنون ثمارها ويدفعون عنها خراجها المعلوم (٦٦) ٠ وقد حرص عمر بن عبد العزيز على أن يجمع اسماعيل بن عبيد الله بين أعباء الادارة والحرب الى جانب جمع الخراج والصدقات (٦٧) ليحول دون جور الجباة واستبدادهم ٠

لكن هذه السياسة انتهت بوفاته ، وعادت الخلافة الاموية الى سيرتها الاولى فقد استبدل الخليفة يزيد بن عبد الملك اسماعيل بن عبيد الله بيزيد بن أبي مسلم سنة ١٠٢ هـ (٧٢٠م) فاستبد بالبربر ، وقضى على الاصلاحات التي أنجزها سلفه ٠ وكان يزيد بن أبي مسلم ينفذ مشيئة الخلافة الاموية التي أعادت فرض الجزية على من أسلم من الموالي (٦٨) ليتسنى لها الحصول على مزيد من الاموال والتنصل من دفع مزيد من الاعطيات للجند المسلمين من الموالي ٠ ومهما كان الامر فقد اشتط يزيد في معاملة البربر ، ونسب اليه انه اهدر كبرياءهم بوشم حرسه من البربر ، فكان يشم الرجل في يده اليمنى باسمه وفي اليسرى بكلمة « حرسي » وأدى ذلك الى شعور البربر بالمهانة فأنفوا منه وأنكروه (٦٩) ٠

وجرى عبيدة بن عبد الرحمن على سياسة العسف هذه حتى « جمع من الاماء والجواري والعبيد والخصيان والدواب والذهب (٧٠) » الشيء الكثير٠ وتفاقمت الاحوال وازدادت سوء ابان ولاية عبيد الله بن الحبحاب الذياسرف في سياسته فجند الجيوش لسلب البربر وسبيهم في أقاصي المغرب (٧١) ، ونشر الهلع والرعب في تلك الاصقاع ٠ وعين ابنه اسماعيل عاملا علىطنجة وجعل معه عمر بن عبد الله المرادي فأساءا السيرة واعتبرا البربر فيئا ، اسلموا أم لم يسلموا ـ وعاملوهم معاملة الرقيق (٧٢) وهكذا تسبب الولاة الامويون في المغرب في أثارة مشاعر الحقد والكراهية عند البربر على الولاة والخلفاء على السواء مما اوجد مناخا ملائما لانتشار مذهب الخوارج ٠

ويحاول بعض الدراسين الدفاع عن الخلافة الاموية وتبرئتها من تبعات

ما حدث في المغرب من مساوىء بالقاء اللوم على الولاة وحدهم • فيذكر دبوز (٧٣) ان «سليمان بن عبد الملك أنكر على موسى بن نصير سلوكه في المغرب ، وأنه كان حانقا عليه لمبالغته في السبي وعدم عدله في البربر » • ويمضي الدكتور السيد عبد العزيز سالم في نفس الاتجاه (٧٤) فيقول « •• وكان سليمان بن عبد الملك يستهجن سياسة عبد الله بن موسى القائمة على العنف والتسلط في معاملة البربر » ويستشهد بعبارة أوردها الرقيق (٧٥) مدللا بها على نزاهة الخليفة وعدله أذ أوصى واليه الجديد على المغرب بقوله « يامحمد بن يزيد ، اتق الله وحده لا شريك له ، وقم فيما وليتك بالحق والعدل» ويظهر نفس هذا الاتجاه عند الدكتور مؤنس (٧٦) اذ يقول : « •• وليس الى الشك سبيل في ان خلفاء بني أمية لم يكونوا ليرضوا عن سياسة يزيد بن أبي مسلم وبشر بن صفوان في افريقية ، اذ أنهم لم يكونوا يعلمون شيئا عن الوسائل التي كانا يلجآن اليها في عسف البربر والاستبداد بهم• ومن دلائل ذلك أن يزيد بن عبد الملك لم يغضب حين علم بقتل البربر يزيد بن أبي مسلم ••» (٧٧) ونعتقد أن المحدثين قد تأثروا في هذا الصدد برواية لصاحب كتاب أخبار مجموعة في فتح الاندلس تقول « •• وقد يقول من يطعن على الائمة أنهم انما خرجوا ضيقا من سير عمالهم ، وأن الخليفة وولده كانوا يكتبون الى عمال طنجة في جلود الخرفان العسلية ••• وهو قول أهل البغض للائمة (يقصد الخوارج) • « ومن المعروف ان هذا المؤرخ المجهول يعد الوحيد بين المؤرخين القدامى الذي تصدى للدفاع عن بني أمية • ولا غرابة في ذلك اذا علمنا أنه كان اندليسيا يعيش في كنف الدولة الاموية بالاندلس ، وبديهي ان يتعصب لبني أمية ضد أعدائهم •

اما ما ذكره دبوز من حنق سليمان بن عبد الملك على موسى بن نصير لعدم عدله في البربر ، فقول يؤخذ بحذر • فمن الثابت ان حقده هذا يرجع لاسباب شخصية اوردناها سلفا (٧٨) • ونفس الشيء يقال في تفسير حنق سليمان بن عبد الملك على عبد الله بن موسى ، وليس كما يذكر الدكتور سالم استهجانا لتسلط عبد الله على البربر • فما أورده من دليل في هذا الصدد لا يؤيد ما ذكره ، اذ أن نصيحة الخليفة لواليه الجديد باتباع « الحق والعدل» أمر تقليدي اصطلح عليه في تعيين الولاة والعمال • وتؤكد الوقائع

هذا التفسير ، فقد أسرف الوالي الجديد في اضطهاد اليمنية وتعقب آل موسى بن نصير واتباعهم ومصادرة أموالهم وذراريهم مرضاة للخليفة (٧٩) ٠

ولا نشك في أن ولاة المغرب كانوا يمثلون مشيئة الخلافة وينفذون سياستها وأن الخلفاء درجوا على اختيار عمال يأتمرون بأمرهم ، والا فما تفسير سني الاصلاح والعدل التي شهدها المغرب ابان ولاية اسماعيل بن عبيد الله ؟؟ ، لقد حرص الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي عرف بالورع والتقي على اختيار عماله من العدول الاتقياء ، وكان اسماعيل أحدهم ٠ والظلم الذي حاق بالبربر على يد يزيد بن أبي مسلم انما تم تحت سمع الخلافة وبصرها ، فالخليفة يزيد بن عبد الملك عرف بالطمع والجشع وحب المال الذي جمع له عماله منه ما لم يجمع لاحد من قبل (٨٠) ٠ ولا غرو فقد كان ممتنا لسياسة عامله في المغرب الذي أشبع له أطماعه فقال فيه عبارته الشهيرة « ما مثلي ومثل الحجاج وابن أبي مسلم بعده الا كرجل ضاع منه درهم فوجد دينارا» (٨١) ٠ وفي تسليم الخليفة بما حدث من قتله سنة ١٠٢ هـ (٧٢١م) واختيار محمد بن يزيد بدلا منه لا يؤيد وجهة نظر الدكتور مؤنس ، فقد كان عليه ان يسلم بالامر الواقع ريثما تهدأ الخواطر من جراء الاثار السيئة لحكم يزيد في نفوس البربر ، ثم رماهم بعد شهور ببشر بن صفوان الذي انتقم من قتلة يزيد ٠ وبعد موت يزيد بن عبد الملك تولى أخوه هشام الخلافة فأقر بشرا على المغرب لانه« بعث اليه بأموال عظام وهدايا فاخرة» (٨٢) ولا يخامرنا شك في ان اشتطاط ابن الحبحاب في سياسته المالية بالمغرب كان مرضاة للخليفة ، فقد كان الخلفاء بالمشرق يستحبون طرائف المغرب ويبعثون في طلبها الى عمال افريقية٠ ويذكر ابن عذارى (٨٣) انه لما أفضى الامر الى ابن الحبحاب مناهم بالكثير ٠ ويخبرنا ابن خلدون (٨٤) ان الخلفاء كانوا يطالبون الولاة بالوصائف البربريات والاردية العسلية الالوان وأنواع طرف المغرب ، فكانوا يتغالون في جمعهم ذلك وانتحاله حتى كانت الصرمة من الغنم تهلك بالذبح لاتخاذ الجلود العسلية من سخالها ولا يوجد منها مع ذلك الا الواحد وما قرب منه » ٠

ولدينا من الروايات ما يؤكد ان الخليفة رفض السماح لوفد من البربر جاء اليه يشكو جور ابن الحبحاب وعسفه ، وعاد بعد أن تيقن رجاله من تواطؤ

الخليفة مع عماله (٨٥) ، وأن الخليفة بسبب جشعه للحصول على الاموال « هو الذي يكره العمال على امتصاص دم الرعايا» على حد قول فلهوزن (٨٦)٠ ولعل ما حدث فيما بعد من رفض عبد الرحمن بن حبيب الاذعان لمشيئة المنصور قائلا عبارته المتواترة « ان افريقية اليوم اسلامية كلها وقد انقطع السبي منها والمال » (٨٧) ما يشير الى ما كان سائدا في العصر الاموي الاخير من طمع الخلفاء في أموال البربر وسباياهم ويؤكد مسؤولية الخلافة الاموية فيما كان يقوم به عمالها في بلاد المغرب ٠

كان الظلم الاجتماعي الذي اشتشرى في بلاد المغرب اذن من صنع الخلافة وعمالها ، وهو أمر ساعد البربر الذين كانوا قد أسلموا على اعتناق مبادىء الخوارج التي تحض على الثورة على الجائرين من الحكام (٨٨) ٠

لقد بدأ انتشار الاسلام بين البربر منذ وطأت أقدام العرب بلاد المغرب، وكان لعقبة بن نافع دور بارز في هذا الصدد (٨٩) ، فقد بنى مدينة القيروان سنة ٥٥ هـ (٦٧٥م) فدخل كثيرون من البربر في الاسلام ٠٠ وثبت الاسلام بها (٩٠) « وواصل ابو المهاجر سياسة عقبة في نشر الاسلام وتعريب البربر، وحسبه اكتساب كسيلة وقومه الى الاسلام واتخاذه حليفا (٩١) ، كما صالح عجم افريقية وأدخلهم في حظيرة الاسلام والعروبة (٩٢) ٠

والى حسان بن النعمان يعزى الفضل في المؤاخاة بين البربر والعرب، فقد جند من البربر اجنادا وعهد الى ثلاثة عشر فقيها من كبار التابعين بتعليمهم القرآن وأصول الاسلام واللغة العربية ، وخدم هؤلاء في الجيش العربي جنبا الى جنب مع العرب المسلمين ٠ ومنذ ذلك الحين اطردت حركة بناء المساجد في سائر ارجاء المغرب وأصبحت بمثابة مراكز ثابتة لنشر الاسلام والحضارة العربية بين البربر (٩٣) ٠ أما موسى بن نصير فقد بث الاسلام في بلاد المصامدة (٩٤) وفقه البربر في تلك الانحاء في قواعد الاسلام وأصول الشريعة (٩٥) ٠ كما أشرك البربر المسلمين في فتح الاندلس وجعل لاحدهم قيادة الجيش الاسلامي وهو طارق بن زياد (٩٦) ، وفي ذلك دلالة على رسوخ

الاسلام عند البربر وقيامهم بحمل رسالته الى أوروبا في أواخر القرن الاول الهجري (٩٧) ٠

وفي خلافة عمر بن عبد العزيز تم اسلام البربر وتعريبهم ، اذ بعث الى المغرب واليه اسماعيل بن عبيد الله ، وجعل برفقته عشرة من كبار الفقهاء لتبصير المغاربة بأصول الاسلام وفروعه وتعليمهم اللغة العربية (٩٨) ٠ واستجاب البربر لتعاليم الفقهاء وأقبلوا جميعا على الاسلام حتى «غلب على المغرب» (٩٩) « ولم يبق يومئذ من البربر احد الا أسلم» (١٠٠) باستثناء جماعات طفيفة العدد متناثرة من المسيحيين ليست ذات بال (١٠١) ٠ وهكذا تم اسلام البربر وتعريبهم « في سرعة وعمق وشمول » (١٠٢) على عكس دعاوى بعض المستشرقين (١٠٣) الذين ذهبوا الى أن حركة التعريب لم تساير انتشار الاسلام في المغرب ، وأن البربر لم يتعلموا العربية الا في وقت متأخر٠

ووجد البربر المسلمون تناقضا صارخا بين تعاليم الاسلام ومبادئه بما تنطوي عليه من عدل ومساواة وبين سياسة الامويين الاواخر الجائرة،فأقبلوا على اعتناق مذهب الخوارج وهو في جوهره مذهب «ثوري ديمقراطي اشتراكي» ان صح تعبير ميور (١٠٤) وليس الى الشك سبيل في أن مبادىء الخوارج بما تنطوي عليه من تمسك بالشريعة في جانبها العقائدي (١٠٥) ، وثورية في قوامها السياسي وبساطة ووضوح في جوانبها الفكرية وجدت مناخا ملائما في ظروف المغرب الاسلامي وطبيعة سكانه ٠

فاذا كانت الديمقراطية هي محور مذهب الخوارج وقوامه باعتباره الامامة حقا متاحا لكل مسلم (١٠٦) ، فبديهي ان يلقى ذلك المذهب قبولا لدي البربر الذين طال حرمانهم من المساواة مع العنصر العربي الحاكم ٠ ومن الطبيعي ان تتولد لديهم نزعة قومية مغربية لازاحة نفوذ الاقلية العربية عن مكان الصدارة والحكم في أطار شرعي يكفله الدين ٠ ولما كان مذهب الخوارج يقول بالثورة على الجائرين من الحكام (١٠٧) فقد وجد البربر في اعتناقه مبررا لانتفاضهم على الحكم العربي ٠ وبمعنى آخر ، اكتسبت نزعة الاستقلال عند البربر ــ بفضل مذهب الخوارج ــ طابعا ثوريا دينيا (١٠٨) ، فالتقى البربر مع الخوارج في موقفهم من عدو مشترك ممثل في السلطة الاموية ٠ وفضلا عن

ذلك فان وضوح فكر الخوارج والتزامه بظاهر الدين وعدم ميله للفلسفة والتأويل (١٠٩) جعله يتلاءم مع عقلية البربر (١٠٩) وبعبارة اخرى كان فكر الخوارج متسقا مع طبيعة البربر المعروفين «باقامتهم لمراسم الشريعة وأخذهم باحكام الملة ونصرهم لدين الله » (١١٠) ٠

ومن مظاهر هذا الاتساق أيضا أن صفات الصلابة والقوة ممثلة في قول الخوارج بالاستعراض ورفض التقية والامر بالمعروف والنهي عن المنكر (١١١) يقابلها عند البربر شدة المراس وقوة البأس والميل للتطرف (١١٢) ٠

وهكذا كانت مبادىء الخوارج متوائمة مع طباع البربر الفطرية ومتمشية مع أهدافهم السياسية وروحهم القومية ٠ وهذا ما عبر عنه السلاوي (١١٣) في ايجاز رائع بقوله :

« ٠٠ وحسن موقعها (يعني مبادىء الخوارج) لديهم بسبب ما كانوا يعانون منه من وطأة الخلافة القرشية ، وجور بعض عمالها ، فلقنهم أهل البدع ان الخلافة لا يشترط فيها القرشية بل ولا العربية ٠٠ ودسوا اليهم مع بعض تشديدات الخوارج وتعمقاتهم ، وأروهم ما هم عليه من التصلب في دينهم ٠ فظهر للبربر ببادىء الرأي أن تعمقهم ذلك انما هو من آثار الخشية لله والخوف منه ، وأن ذلك هو عين التقوى المأمور بها شرعا ٠٠ » ٠

قصارى القول ــ ساعدت أحوال بلاد المغرب في أواخر القرن الاول الهجري وأوائل القرن الثاني على نزوح الخوارج المضطهدين في المشرق الى بلاد المغرب (١١٥) لنشر دعوتهم بين البربر وتحقيق مافشلوا فيه من قبل من أهداف ٠

ثالثا : انتشار مذهب الخوارج في بلاد المغرب

كان فشل الخوارج في الشرق في تحقيق أهدافهم سببه ان حركاتهم كانت تفتقر الى التنظيم السياسي (١١٦) ، وتعمد الى القيام بثورات دون تنظيم او اعداد سابق (١١٧) مما سهل على الخلافة الاموية وولاتها مهمة مناهضتها واستئصال شأفتها اولا بأول ٠ وبانتهاء القرن الاول الهجري

اختفت مؤقتا الازارقة والنجدات وهما من اهم فرق الخوارج . وكان من الطبيعي ان تلجأ فرقتا الصفرية والاباضية الى أسلوب مغاير قوامه تنظيم الدعوة السرية وبث الدعاة في اطراف العالم الاسلامي لنشر تعاليم المذهب ، فاذا ما ازداد الانصار عددا وأنسوا من أنفسهم قدرة على الثورة بادروا بالخروج .

كانت بلاد المغرب أهم أقاليم الاطراف التي اتجهت اليها جهود دعاة الخوارج العراقيين (١١٨) فمتى تم ذلك ؟ وأي فرق المذهب قدر لها ان تنتشر في البلاد ؟؟

لا نستطيع ان نحدد في وضوح تاريخ بدء دعوة الخوارج بالمغرب بسبب تضارب الروايات واختلاطها . فابن حوقل (١١٩) يرجع بداية الدعوة الى معركة النهراون سنة ٣٨ هـ (٦٥٨م) فيذكر ان « عبد الله بن وهب الراسبي وعبد الله بن اباض لجآ الى جبل نفوسة منذ وقت انصرافهم عن امير المؤمنين علي بن أبي طالب من سلم معهم من أهل النهروان وأقاموا هذا الجبل دار هجرة لكن الراسبي عرف انه قتل في النهروان (١٢٠) ، كما ان ابن اباض لم يرد له ذكر بين من نجوا من القتل في المعركة (١٢١) ، الامر الذي يشكك في صحة هذه الرواية . ليس ببعيدا أن يكون بعض من فروا بعد معركة النهروان قد اعتصموا بجبل نفوسة ، لكنهم لم يتركوا هناك آثرا يذكر لكن الانتشار الحقيقي لمذهب الخوارج في بلاد المغرب يعود الى أواخر الفرن الاول وأوائل القرن الثاني الهجريين (١٢٢) .

اما عن فرق مذهب الخوارج التي انتشرت ببلاد المغرب ، فانه قد اختلط أمر تحديدها على بعض المحدثين الذين أرخوا للخوارج في المغرب ، اذ زعم بعضهم (١٢٣) ان البلاد شهدت انتشار فرق الخوارج جميعها ، وشك البعض الاخر (١٢٤) في وجود فرقتي الاباضية والصفرية على أساس « ان مبادىء الفرقتين ليست مما يجذب البربر ، فهما اكثر فرق الخوارج ميلا للمسالمة والتسامح مع المخالفين» : علما بأن الصفرية من اكثر فرق الخوارج تطرفا ، لا ننكر انهم اتخذوا موقفا وسطا بين الازارقة المسرفين في التطرف والاباضية المعتدلين (١٢٥) ، لكن ثوراتهم اتسمت بالقسوة والعنف سواء في المشرق

أو المغرب ، فلم يكونوا يقلون عن الازارقة في هذه الناحية (١٢٦) ٠

ونعتقد أن من أشرت اليهم من المؤرخين المحدثين انما تأثروا بما ذكره صاحب كتاب أخبار مجموعة (١٢٧) ، فما بال التحكيم فشافيهم ورفع المصاحف وحلق الرؤوس اقتداء بالازارقة وأهل النهروان » ٠ لكن الذي نؤكده أن الازارقة قضي عليهم نهائيا بعد قتل قائديهما قطري بن الفجاءة وعبيد بن هلال سنة ٧٧هـ (٦٩٦م) على يد المهلب بن أبي صفرة واختفوا نهائيا بعدئذ من مسرح السياسة (١٢٨) ٠ أما النجدات فقد قتل عمر بن عبيد الله بن معمر قائد عبد الملك بن مروان زعيمهم أبا فديك سنة ٧٢ هـ (٦٩١م) وقتل معه ستة آلاف من اصحابه بالبحرين ، فتضاءل شأنهم بعد ذلك (١٢٩) ٠

معنى هذا أن فرقتين فقط من فرق الخوارج قد ظهرتا ظهورا واضحا في أحداث بلاد المغرب وهما فرقة الصفرية وفرقة الاباضية ٠ فما تاريخ ظهور الفرقتين ؟؟

ينتسب الخوارج الصفرية الى عبد الله بن الصفار (١٣٠) ، وان كانت كتب (١٣١) الفرق ترجع بهذا النسب الى شخص يقال له زياد بن الاصفر٠ وأيا ما كان الامر فلا محل لتصديق روايات أخرى ترجع تسميتهم لصفرة وجوهم من كثرة العبادة (١٣٢) « او لانهم خرجوا من الدين صفرا » (١٣٣)، فكثرة العبادة من صفات الخوارج عموما وليست حكرا على الصفرية ، كما أن التفسير الثاني من نسج فقيه أباضي معاد للصفرية ٠ ولا صحة للقول الذي ينسبهم الى المهلب بن أبي صفرة (١٣٤) أعدى أعداء الخوارج ٠ ولا يمكن أن نقبل الروايات التي تنسبهم الى عبد الله بن وهب الراسبي وحرقوص بن زهير أو أبي بلال مرداس (١٣٥) ، فلم يكن الخوارج قد افترقوا بعد الى فرقهم المعروفة ، بل أطلق عليهم اذ ذاك « المحكمة الاولى» (١٣٦) ٠ انما ظهر الصفرية حين خالف عبد الله الصفار نافعا بن الازرق حول مسألة العقدة سنة ٦٥ هـ (٦٨٤م) ، وهو خلاف فقهي بالدرجة الاولى (١٣٧) اتخذوا فيه موقفا وسطا بين الازارقة المتطرفين والاباضية المعتدلين «فلم يكفروا القعدة عن القتال اذا كانوا موافقين في الدين والاعتقاد» (١٣٨) ٠

والواقع أن عقائد الصفرية تمثل تطورا عمليا ملحوظا في فكر الخوارج

وعقائدهم ، اذ تجنح الى التخفيف من غلواء التطرف الذي أفضى بحركاتهم الى الفشل من قبل · فهم لم يسقطوا الرحم ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم كالازارقة · كما نادوا بجواز التقية في القول دون العمل (١٣٩) ، واجاز بعض زعمائهم تزويج المسلمات من كفار قومهم في دار التقية (١٤٠) · وقد كفل لهم ذلك معايشة الجماعة الاسلامية بدلا من اشهار عدائهم لها ، الامر الذي اتاح لهم القدرة على الدعوة السرية المنظمة ، وحقق لمذهبهم الانتشار · لكنهم كانوا أكثر تطرفا من الاباضية في موقفهم من مرتكبي الكبائر ومن ثم من مسألة الكفر والايمان ، فبينما رأى الاباضية أنهم موحدون قال الصفرية بتكفيرهم (١٤١) · وفي ذلك تفسير لنزعة القسوة والعنف التي لازمت سياسة الصفرية في معاملة اعدائهم ·

وعلى كل حال ـ استفاد الصفرية من أخطاء الازارقة والنجدات ومن كان قبلهم من المحكمة الاولى ، فتريثوا قبل دخولهم معترك الحياة السياسية · فلم نسمع عن حركات لهم قبل ثورة صالح بن مسرح ضد الامويين سنة ٧٦هـ (٦٩٥م) (١٤٢) · كما امتازت ثوراتهم بالتركيز على منطقة الموصل والجزيرة وديار بكر ، واتخذوها مقرا تتجمع فيها قواتهم لتتجه في اعداد كبيرة نحو البصرة والكوفة ، وقد سقطت الكوفة نفسها في ايديهم مرتين الاولى في ثورة شبيب سنة ٧٧ هـ (٦٩٦م) (١٤٣) والثانية في ثورة بسطام بن يشكر المعروف بشوذب سنة ١٠٠هـ (٧١٨م) (١٤٤) الامر الذي يؤكد ان حركاتهم كانت تهدف الى اقامة دولة للخوارج ·

ان التطور الجديد في فكر الخوارج الصفرية بتجويز مبدأ التقية، والاتجاه العملي في حركاتهم بالمشرق (١٤٥) يؤكد جنوحهم الى أسلوب الدعوة السرية المنظمة في المغرب · لا ننكر ان هذه الناحية اكثر وضوحا عند الاباضية بسبب وفرة المادة التاريخية المتعلقة بهم ، لكن تاريخ الصفرية لا يخلو من اشارات تؤكد الاتجاه الذي أشرت اليه ، هذا الاتجاه الذي يتجلى في جهود دعاتهم في نشر مذهبهم ببلاد المغرب ·

تذكر المصادر الاباضية (١٤٦) ان «أول من جاء يطلب مذهب الاباضية ونحن بقيروان افريقية سلمة بن سعيد · قال : قدم علينا من ارض البصرة

ومعه عكرمة مولي بن عباس على بعير ، سلمة يدعو الى مذهب الاباضيــــة وعكرمة يدعو الى مذهب الصفرية » ٠

معنى هذا أن القيروان كانت مركز الدعوة في المغرب (١٤٧) ، لكننا لا نعرف على وجه الدقة متى حضر عكرمة ــ رأس دعاة الصفرية ــ الى افريقية ٠ والراجحأنه وصلها خلال السنواتالخمس الاولىمن القرن الثانيالهجري(١٤٨)

كان عكرمة هذا من أصل مغربي (١٤٩) ، وكان من موالي ابن عباس الفقيه ذائع الصيت ٠ وقد أتاح له ذلك مخالطة كبار الفقهاء والمحدثين كأبي هريرة والسيدة عائشة ، فسمع منهم وأخذ عنهم حتى اضحى من الاعـــــلام الثقاة في الفقه والحديث (١٥٠) ٠ ثم دان بالمذهب الصفري وصار من فحول فقهائه ٠ ومن الغريب الا نجد له ذكرا في حركات الصفرية في شمال العراق٠ وقد يفهم من ذلك انه مال الى تعاليم الصفرية في وقت متأخر ٠ وقد عهد اليه نشر المذهب في بلاد المغرب بعد اتجاه الخوارج الصفرية الى اتباع اسلــوب التنظيم والدعوة ٠

ولا يستفاد من النص السابق ان الصفرية والاباضية التأما في نظام واحد او أن دعاتهما تلازما في نشر تعاليمهما ، فلم نقف على ما يشير الى مثل هذا العمل المشترك في الجهود التي قاما بها بين البربر ٠ بل أن كلتا الجماعتين اختطت لنفسها طريقا خاصا ٠ ولم تتورعا عن التنافس والصراع الذي انتهى باقتتالهما في بعض الاحيان كما أن دعاة الفرقة الاباضية اتجهوا الى الاقاليم الشرقية من بلاد المغرب ، بينما اتجهت الدعوة الصفرية الى قبائل المغــرب الاقصى (١٥١) ٠

على كل حال نزل عكرمة بالقيروان حيث أمكنه الاتصال برؤساءالقبائل من أمثال ميسرة المطغري ٠ زعيم مطغرة ــ الذي تلقى العلم على يديه مختفيا ، فقد اشتغل بالسقاية في سوق القيروان حتى لا يكتشف امره ٠ وعلى الرغم من كونه سيدا لعصبية لهــا خطرها ، لم يتورع عن الاشتغــال بتلك المهنــة امعانا في التستر والحيطة ٠ وقد تسنى له بذلك اخذ تعاليم المذهب عن عكرمة ثم عاد فنشرها بين قومه من بربر مطغرة (١٥٢) ٠

كما أتصل أبو القاسم سمكو بن واسول شيخ مكناسة بعكرمة فـــي القيروان (١٥٣) كذلك ، وليس بالمشرق كما اعتقد البعض (١٥٤) ولازمه حتى موته في سنة ١٠٥ هـ (٧٢٣م) او سنة ١٠٧ هـ (٧٢٥م) حسبما يرجح (١٥٥) وتبحر في أصول المذهب وفروعه حتىوصف بأنهمن مشاهير حملة العلم (١٥٦) وبأنه « مقدم الصفرية » (١٥٧) بعد وفاة عكرمة ٠ واستطاع أبو القاسم نشر المذهب بين قومه من مكناسة ، ثم اتجه نحو المناطق الصحراوية الجنوبية لبث الدعوة فيها ، وعمد ـ شأنه شأن ميسرة ـ الى اتباع اسلوب التستر والتخفي فرحل الى واحة تافيللت ـ وهي ملتقى القبائل الرعوية جنوبي المغرب الاقصى ـ وتظاهر بتربية قطعان الماشية ٠ وعكف على بث تعاليم المذهب بين الرعاة حتى تحولت خيمته الى مجمع للخوارج الصفرية في تلك النواحي (١٥٨) ٠

ولم يقتصر انتشار المذهب الصفري على بربر مطغرة ومكناسة ، ذلـك أن بربر برغواطة اعتنقوا هذا المذهب في وقت مبكر على يد طريف بن شمعون الذي لقي عكرمة بالقيروان كذلك (١٥٩) ٠

واذا كانوا قد تخلوا عنه بعد ذلك واتبعوا تعاليم صالح بن طريف (١٦٠) فلا يمكن اغفال دورهم البارز في ثورة الصفرية الكبرى بالمغرب الاقصى التي تزعمها ميسرة المطغري سنة ١٢١ هـ (٧٣٩م) ٠ والراجح ان ميسرة كان علـى صلة وطيدة بطريف بن شمعون « القائم بدعوة الصفرية » (١٦١) في برغواطة قبل تقلده زعامة الحركة (١٦٢) فلما قام بثورته آزروه ووقفوا الى جانبـه ، لكنهم ما لبثوا أن ارتدوا عن الصفرية حين نحي ميسرة عن زعامتها ، فانحازوا الى دعوة صالح بن طريف ٠

وانتشر المذهب الصفري أيضا في زناته « فقد ضرب بنو يفرن فيـــه بسهم وانتحلوه» (١٦٣) ، كما أقبلت بعض بطونها في المغرب الادنى علـــى اعتناقه وساهمت في حركات الصفرية بعد ذلك بصورة محدودة ٠

ولم يقتصر انتشاره على البربر وحدهم بل تعداهم الى العناصر الاخرى، فبعض العرب المقيمين بافريقية دانوا بالمذهب الصفري وقد تسرب هؤلاء الى المغرب بصحبة الجيوش القادمة من الشرق ، حتى ذاع عن بعض الولاةاعتناقهم لهذا المذهب او على الاقل تعاطفهم مع معتنقيه (١٦٤) فقد اتهم يزيد بن أبي

مسلم بأنه من الخوارج الصفرية (١٦٥) ، وان كان لم يستطع الجهر بذلـــك خوفا وتقية حتى قيل بأنه « يعلم الحق ويكتمه » (١٦٦) ٠

كما انتشر المذهب الصفري بين جماعات الافارقة ، وهم أصلا من البربر الذين اختلطوا بالروم ودخلوا في خدمتهم واعتنقوا ديانتهم او من الاجانب المستوطنين الذين طال وجودهم في بلاد المغرب حتى اصبحوا أفارقة (١٦٧)٠ وهؤلاء كان لهم نمط خاص في حياتهم باعتبارهم اكثر تحضرا من سكـــــان البلاد الاصليين ، وكانت لهم لهجتهم الخاصة التي لا يعرفها غيرهم (١٦٨) ٠ وقد أقبلوا على اعتناق الاسلام رغبة منهم في الاحتفاظ بمكانتهم الاجتماعية المرموقة ، لكن الولاة الامويين الاواخر عاملوهم معاملة البربر ٠ فلما انتشر المذهب الصفري بين بربر المغرب الاقصى لم يحجم الافارقة عن اعتناقه ، فقـد تلقاه زعيمهم عبد الاعلى بنجريج عن عكرمة بالقيروانثم نشره بين قومه(١٦٩) وحسبنا دليلا على ذلك اشتراك الافارقة في ثورة ميسرة سنة ١٢١ هـ (٧٣٩م) وتقليده عبد الاعلى واليا من قبله على طنجة بعد فتحها (١٧٠) ٠

وامتدت تعاليم الصفرية كذلك عن طريق ابي القاسم سمكو بن واسول الى جماعات السودان القاطنين جنوبي الصحراء ٠ فمن المعروف ان قوافـــل التجارة بين بلاد المغرب وبلاد السودان كانت تمر عبر واحة تافيللت حيـث أقام أبو القاسم وأخذ يعمل على نشر المذهب الصفري٠ وكانت جماعات منهم تقطن هذه الواحة وتعمل في التجارة عبر الصحراء ٠ وقد رحب هؤلاءبمبادىء الخوارج لما تنطوي عليه من مساواة دون اعتبار للعنصر او اللون ٠ ووجد أبو القاسم سمكو فيهم أتباعا مخلصين فالتفوا حوله واعتنقوا مذهبه ٠ واخذت جموعهم تفد وتستقر في اقليم تافيللت بصفة دائمة بعد اعتناقهم للمذهـب الصفري ، وليس أدل على ذلك من أن قوتهم فاقت في هذا الاقليم قوةالصفرية من البربر ، حتى اذا ما شرع الصفرية في اقامة دولتهم بسجلماسة سنـــة ١٤٠ هـ (٧٥٧م) اختاروا اول أئمتهم من الســودان وهو عيســـى بن يزيد الاسود (١٧١) ٠

وهكذا تغلغل المذهب الصفري في سائر أرجاء المغرب الاقصى وبعض نواحي أفريقية والمغرب الادنى بين البربر والعرب والافارقة والسودان على

السواء • ولعل هذا الانتشار السريع وشموله كافة الاجناس والعناصر الموجودة ببلاد المغرب وتسربه حتى جنوبي افريقية هو الذي دفع ابن خلدون (١٧٢) الى القول بأن « الصفرية قد فشت مقالتها في سائر القبائل بافريقية» « وصار لهم فيها عدد كثير وشوكة قوية » على حد قول النويري (١٧٣) •

اما المذهب الاباضي فينسب الى عبد الله بن اباض المري التميمي(١٧٤) وان كان بعض مؤرخي الاباضية ينكرون ذلك (١٧٥) • ويجمع المؤرخون (١٧٦) على ان المذهب الاباضي ظهر ـ شأنه شأن الصفرية والنجدات والازارقة ـ سنة ٦٤ هـ (٦٨٣م) عندما خالف عبد الله بن اباض نافع بن الازرق في تكفيره للقعدة عن القتال واتخذ بذلك موقفا معتدلا •

والواقع ان الاعتدال هو السمة الواضحة لعقائد الاباضية ، اذ انهم يحرمون دماء المسلمين وسبي ذراريهم وغنيمة أموالهم (١٧٧) • كما انهم اعتبروا دور مخالفيهم دار توحيد الا معسكر السلطان فانه دار بغي (١٧٨)• وأجازوا مناكحتهم وموارثتهم وغنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب، وحرموا قتلهم وسبيهم في السرغيلة الا بعد نصب القتال واقامة الحجة (١٧٩) وقالوا في مرتكبي الكبائر انهم موحدون ، وان كفروا كفر النعمة لا كفر الملة• وتوقفوا في أطفال المشركين وجوزوا تعذيبهم على سبيل الانتقام • ولعل طابع الاعتدال في عقائد الاباضية هذه هو ما جعلهم اقرب فرق الخوارج الى أهل السنة (١٨٠) •

والملاحظ ان الاباضية ـ كالصفرية ـ بدأوا حركاتهم السياسية في وقت متأخر فقد خرج عبد الله بن اباض على مروان بن محمد (١٨١) اخر خلفاء بني أمية، فوجه اليه عبد الله بن محمد بن عطية فقاتله بتبالة وهزمه وقتله (١٨٢) ، معنى هذا أن ابن اباض لم يقدم على الثورة على اثر انفصاله عن نافع بن الازرق سنة ٦٤ هـ (٦٨٣م) انما اثر التريث حيث وجد في عصر مروان بن محمد الحافل بالاضطرابات فرصة مواتية للخروج • لكن فشله وقتله دفع أتباعه الى اتباع اسلوب العمل في الكتمان ونشر الدعوة في الاطراف ، في خراسان (١٨٣) وجنوبي الجزيرة العربية (١٨٤) والمغرب •

وكانت البصرة مركزا للدعوة ، ومنها كان الدعاة ــ الذين عرفوا بحملة العلم ــ يتوجهون الى الامصار بعد تلقيهم اصول الدعوة على أيدي فقهاء المذهب وشيوخه والمعروف ان انصار المذهب بالبصرة كانوا يمارسون مهامهم في طي السرية والكتمان ، فكانت مجالسهم في سراديب تحت الارض ٠ وامعانا في التخفي « كان يجلس امام باب السرداب رجل يعمل القفاف وعلى فمه سلسلة يحركها اذا ما رأى شخصا مقبلا لينبه من في الداخل الى التزام الصمت ريثما يمر من يشتبه في أمره » (١٨٥) ٠ وغالبا ما كانت هذه المجالس تقام في بيوت النسوة العجائز منعا للشبهة (١٨٦) ، بل ان روادها كانوا يتنكرون في ملابس النساء (١٨٧) ٠

وتطلق المصادر الاباضية على هذه المجالس اسم « الحلقة» (١٨٨) وفيها يتلقى الاتباع الاصول والفروع والسير (١٨٩) والتوحيد والشريعة وآراء الفرق الى جانب علوم اللغة والفلك والرياضيات (١٩٠) ٠ هذا فضلا عن تبصيرهم بفنون الحكم وأساليب السياسة، واعدادهم لتقلد المناصب والاضطلاع بأعبائها في مرحلة الظهور (١٩١) ٠ وبعد ذلك يرحلون الى الامصار يدعون للمذهب ثم يشرعون في «المجاهرة بالعمل» ما توافر لهم « ما يوجب به التولية عليهم من العدة والعدد من الرجال» (١٩٣) ٠

ويرجع الفضل في تنظيم اسلوب الدعوة الاباضية الى جابر بن زيد الذي حظي بمنزلة عالية عند الاباضية حتى اعتبره بعضهم (١٩٤) اول الائمة ٠ لكن الاجل لم يمتد به ليشهد نجاح جهوده ، فقد توفي سنة ٩٦ هـ (٧١٥م) (١٩٥) ٠ وخلفه احد تلامذته ويدعى ابا عبيدة مسلم بن أبي كريمة (١٩٦) الذي قيل انه ظل يتلقى العلم اربعين عاما وبعدها نصب نفسه لتعليمه (١٩٧) ومن هنا كانت شهرته الواسعة بتعمقه في العلوم على اختلافها (١٩٨) فكان ندا لاعلام المعتزلة كواصل بن عطاء ، وكان يحاورهم ويجادلهم (١٩٩) ٠ وقد سجن زمن الحجاج وأفرج عنه بعد موته ليتصدى لتنظيم جماعة الاباضية في البصرة خلفا لجابر بن زيد وساعده في ذلك كبار أعوانه من أمثال ابي نوح وأبي مودود حاجب والربيع بن حبيب (٢٠٠) ٠ وفي عهده ارتفع شأن الدعوة واشتد ساعدها ، فقد تسنى له جمع الكثير من الاموال وتمكن من شراء الاسلحة

ليستعين بها دعاته في الامصار على «اقامة دين الله» (٢٠١) ٠

وليس من شك في ان بلاد المغرب ظفرت من أبي عبيدة باهتمام كبير(٢٠٢) فقد كانت ميدانا خصبا لنشر المذهب ٠ فبعث بداعيته سلمة بن سعيد في أوائل القرن الثاني الهجري لنشر الدعوة الاباضية بين المغاربة ٠ وتجمع مصادر الاباضية (٢٠٣) على حماس سلمة الشديد في نشر المذهب حتى انه « كان يتمنى ظهوره يوما واحدا ويموت في آخره» ٠ ويبدو انه اتخذ من بلاد المغرب الادنى ميدانا لنشاطه حيث استطاع أن يكسب انصارا في اقليم طرابلس وجبل نفوسة (٢٠٤) ٠ ولم يمتد به الاجل طويلا ، فحل محله أبو عبد الله محمد بن عبد الحميد بن مغيطر الذي تتلمذ على أبي عبيدة بالبصرة (٢٠٥)، واشتهر «بشدة الشكيمة وقوة العريكة» (٢٠٦) ، وفي أيامه تم انتشار المذهب بين بربر نفوسة في مستهل القرن الثاني الهجري (٢٠٧) ٠ ومنذ ذلك الحين أصبح جبل نفوسة « دار هجرة » للمذهب الاباضي في بلاد المغرب (٢٠٨) ٠

وكان رسوخ قدم المذهب الاباضي في جبل نفوسة سببا في انتشاره بين القبائل الاخرى مثل هوارة ولماية وزناتة وسدراتة وزواغة ولواتة (٢٠٩)٠ اما مطماطة ، فلم تعتنق المذهب ٠ الا في عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (٢١٠) ٠

على كل حال ـ فأن انتشار المذهب الاباضي على هذا النحو بين كثير من قبائل المغربيين الادنى والاوسط كان في حاجة الى تدعيمه بمزيد من العلم بتعاليم المذهب وأصوله الفقهية ، وحسب سلمة بن سعيد وابن مغيطر انهما كسبا الانصار وبثا الدعوة بين القبائل ٠ ولذلك تم اختيار ممثلين عن الجهات التي انتشر فيها المذهب للسفر الى البصرة لمزيد من الدرس ، فاختير عاصم السدراتي من غرب الاوراس ، وأبو داود القبلي النغزاوي من نغزاوة جنوبي افريقية ، واسماعيل بن درار الغدامسي من غدامس جنوبي طرابلس ، وانضم اليهم عبد الرحمن بن رستم من القيروان (٢١١)٠ وتوجه هؤلاء الذين عرفوا «بحملة العلم» الى البصرة حيث ظلوا في صحبة ابي عبيدة مسلم خمس سنوات (٢١٢) يتلقون العلم على يديه ويعدون العدة للظهور ويتعلمون أصول الحكم وفنونه ٠

وجدير بالذكر ان ابا عبيدة أشار عليهم بأحد اتباعه من العرب ويد ابو الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافري (٢١٣) ليتولى « امامة الظهــور اذا ما استطاعوا الى ذلك سبيلا • كما أعد اسماعيل بن درار الغدامسي لتولي القضاء ، فعلمه اصول الفقه والافتاء (٢١٤) • وأوصاهم بمداومة الاتصال به واستفتائه فيما يعن لهم من مسائل واخباره بنشاطهم اولا بأول (٢١٥) •

وعاد «حملة العلم» الى المغرب ، وواصلوا جهودهــم في تثبيــت دعائم المذهب • ولما اشتد ساعدهم عقدوا العزم على اعلان امامة الظهور سنة ١٤٠ هـ (٧٥٧م) •

هكذا أصبحت بلاد المغرب معقلا لنشاط الخوارج بعد انتشار المذهب الصفري (٢١٦) بين بربر المغرب الاقصى وبعض نواحي المغرب الاوسط ، والاباضي فيالمغربين الادنى والاوسط • وبدأ الخوارج حقبة جديدة فــي تاريخ البلاد حيث عمت الثورات كافة ربوعها ، وهو مـا سنفصله في البـاب الثاني •



الباب الثاني

ثورات الخوارج في بلاد المغرب
في عصر الولاة

أنتهينا الى ان مذهب الخوارج بشقيه الصفري والاباضي انتشرانتشارا واسعا في بلاد المغرب حتى صار للخوارج «عدد كثير وشوكة قوية» (١) وقد سبق ان اوضحنا ما أوصى به رؤساء المذهب في الشرق دعاتهم في المغرب «بالظهور» بعد اتمام الدعوة ان استطاعوا الى ذلك سبيلا • ومرحلة الظهور هذه تعني « الثورة على أئمة الجور » (٢) حسبما تعنيه مبادىء الخوارج وتحض عليه ، وان اعتبرت تمردا «وتطاولا» (٣) في نظر الخلافة وعمالها في بلاد المغرب •

والواقع أن ظروف المغرب كانت مواتية لاندلاع ثورات الخوارج سنة ١٢١ هـ (٧٣٩م) بعد تفاقم مشاكل البلاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية ابان ولاية عبيد الله بن الحبحاب • فعلى الرغم مما عرف به من درية ودراية بفنون الحكم والسياسة (٤) ، كانت سياسته في بلاد المغرب « سببا لانتفاض البلاد ووقوع الفتن العظيمة» كما ذكر ابن عذارى (٥) ، ففي عهده احتدت الخصومات القبلية بين القيسية واليمنية ولما كان قيسيا ، فقد لاقى العرب

اليمنية على يديه عنتا واضطهادا شديدا (٦) • وولى على طنجة وما والاها عمر بن عبيد الله المرادي ، فأساء السيرة وتعدى في الصدقات والقسم ، وأراد أن يخمس البربر ، وزعم انهم فيء المسلمين ، وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله » (٧) • كما عهد الى ابنه اسماعيل بولاية السوس الاقصى ، فاستبد بالبربر هناك ، وكثر عبثه بذراريهم ، وجوره على اموالهم (٨) • ولا شك ان ابي الحبحاب كان راضيا عن سيرة عماله ، فقد كان عليه ان يفي بوعوده للخليفة هشام بن عبد الملك بارسال المزيد من الاموال والسبايا (٩) مما يجلبه هؤلاء العمال • ولعل حرصه على ذلك يفسر عهده الى حبيب بن أبي عبيدة بقيادة حملة ضخمة جابت بلاد المغرب حتى أقصاها • وأصابت من السبي والذهب امرا عظيما ، وبثت الرعب والفزع في تلك الانحاء (١٠) •

وقد اتخذ ابن الحبحاب من البربر اداة لخدمة اطماعه خارج بلادالمغرب فرمى بهم في الحملات التي انفذها الى سردينية وصقلية (١١) ؛ الامر الذي زاد في كراهيتهم للحكم العربي وتصميمهم على الثورة • وقد ساعد على ذلك غياب معظم الجيش العربي الافريقي خارج البلاد في الحملة التي قادها حبيب بن أبي عبيدة على صقلية سنة ١٢١ هـ (٧٣٩م) (١٢) ، وانشغال الخلافة الاموية اذ ذاك بمشاكل الحكم (١٣) وبعد بلاد المغرب الاقصى عن مقر الولاية بالقيروان • لذلك كانت الظروف مواتية تماما لبربر المغرب الاقصى الذين اعتنقوا المذهب الصفري لاعلان الثورة «والظهور» وهو ما عبر عنه ابن خلدون (١٤) بقوله «••• ان الخارجية حين رسخت في البربر عروق من غرائسها تطاول البربر الى الفتك بأمر العرب» •

اولا : ثورات الخوارج الصفرية

أنتهينا الى أن المذهب الصفري انتشر بين قبائل المغرب الاقصى كمطغرة ومكناسة وزناتة وبرغواطة وعنصري الافارقة والسودان • كما امتد نفوذه الى بعض جهات المغربين الادنى والاوسط ـ وان كانت السيادة فيها للمذهب الاباضي ـ عن طريق القبائل البدوية دائمة الترحال مثل هوارة وزناتة ونظرا لمواتاة ظروف الخوارج في المغرب الاقصى لقيام الثورة ، ولغلبة المذهب الصفري

وسيادته بين قبائله ، كان الخوارج الصفرية سباقين الى تخطي مرحلةالدعوة الى «مرحلة الظهور» واعلان الثورة (١٥) بينما شغل الاباضية اذ ذاك باتمام نشر المذهب وتفقيه معتنقيه وارسال بعوثهم الى البصرة للاعداد لمرحلة الثورة. وعلى ذلك فلا محل لتصديق الرواية المتواترة (١٦) القائلة بانضواء خوارج المغرب أباضية وصفرية تحت لواء ميسرة المطغري في ثورة عام ١٢١هـ ، فتلك بلا شك كانت ثورة صفرية خالصة .

والروايات تختلف حول اصل ميسرة قائد الثورة ، فتذهب بعضها الى أنه من اصل (١٧) عربي وتنسبه الى قبيلة الازد ، بينما تؤكد الاخرى (١٨) . وهو الارجح ـ انتماءه الى قبيلة مطغرة من البربر . كما اختلفت ايضا حول لقبه ، فقيل ميسرة الحقير (١٩) او الخفير (٢٠) ، وقيل الفقير (٢١) .ويخيل الينا أن ذلك من نسج خصومه تحقيرا لشأنه ، او لما عرف عن اشتغاله بالسقاية في سوق القيروان (٢٢) . والذي لا شك فيه ان ميسرة كان سيد قومه وشيخ قبيلته ، فابن خلدون (٢٣) ـ العالم بأنساب البربر ـ يدعوه «رئيس مطغرة» والسلاوي (٢٤) يصفه بأنه «مقدم الصفرية» . وما اشتغاله بالسقاية الا بقصد التستر والتمويه على الخصوم حينما كان يتلقى أصول المذهب الصفري على عكرمة مولي ابن عباس في القيروان ، ولما تتيحه مهنة السقاية من سهولة الاتصال بالاتباع والانصار دون أثارة لشكوك الخصوم .

وقد سبق التعريف بدور ميسرة في نشر المذهب الصفري بين قبيلته مطغرة ، ويبدو ان دعاة المذهب في المغرب أجمعوا على زعامته بعد موت عكرمة مولي ابن عباس ، فتخبرنا المراجع ان مكناسة آزرته واشتركت في ثورته (٢٥)، كما انضوى الافارقة بزعامة عبد الاعلى بن جريج تحت لوائه (٢٦) ، وكذلك فعلت برغواطة وزعيمها طريف (٢٧) ، وقد اتخذ ميسرة من ابنه صالح ناصحا ومشيرا (٢٨) . وهكذا تسنى له توحيد القبائل الصفرية في كافة ربوع المغرب الاقصى تحت زعامته (٢٩) .

ويخبرنا (٣٠) الطبري ان ميسرة تزعم وفدا من البربر رحل به الى الشام ليشكو للخليفة هشام بن عبد الملك جور عماله ، وأن جوهر الشكوى يكمن في حرمانهم من غنائم الحروب التي خاضوها في حملات ابن الحبحاب رغم

حسن بلائهم ، وحيف عماله بهم بنهب أموالهم وسبي ذراريهم • ونعتقد ان الهدف الحقيقي هو الوقوف على مسؤولية الخلافة عن سياسة عمالها في المغرب وأخذ الحجة عليها تبريرا لقيامهم بالثورة حسبما ينص عليه مبدأ الخوارج في «الثورة على أئمة الجور» (٣١) وهو ما ذكره الطبري بأن الجماعة أرادت ان تعرف «أعن رأى أمير المؤمنين هذا أم لا» على كل حال ، فقد حيل بين الوفد وبين لقاء الخليفة ، وأدرك ميسرة وجماعته ان الخلافة متواطئة مع عمالها فيما حدث بالمغرب من ظلم وجور ، وعقدوا العزم على الثورة •

ثم بويع ميسرة بالامامة على اثر عودته (٣٢) وزحف بجموع الصفرية الى طنجة ففتحها وقتل عاملها عمر بن عبيد الله المرادي (٣٣) ، وعين عبد الاعلى بن جريج الافريقي واليا عليها (٣٤) • واتجه بعد ذلك الى السوس فدانت له بعد أن قتل اسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب(٣٥) • وتمت له السيطرة على المغرب الاقصى واقتطاعه عن نفوذ القيروان بعد وقائع صغيرة بلغت من الكثرة ما جعل المؤرخون يعزفون عن سردها ؟ وقد وصفها ابن عذارى (٣٦) بأنها «وقائع يطول ذكرها» • ومما سهل من مهمته ان القبائل الموالية له كفته مئونة افتتاح سائر اجزاء البلاد «فهب كل قوم من البربر على من يليهم، فقتلوا وطردوا (٣٧) » بينما اتجه بنفسه الى مقر الولاية في افريقية (٣٨) •

وقد بادر ابن الحبحاب بمواجهة خطر الصفرية ، فبعث ما لديه من جند بقيادة خالد بن أبي حبيب الفهري (٣٩) ليحول دون وصول ميسرة الى القيروان • كما أسرع في استدعاء حبيب بن أبي عبيدة وجيشه الذي كان قد انفذه الى صقلية (٤٠) ، وأمره بالتوجه في اثر خالد بن أبي حبيب • وعبر خالد بجيشه وادي شلف ــ وهو نهر بمقربة تاهرت ــ والتقى بميسرة على مقربة من طنجة • أما جيش صقلية الذي وصل على الاثر ، فقد رابط عند مجاز النهر (٤١) •

واقتتل خالد وميسرة قتالا شديدا ، انصرف بعده ميسرة الى طنجة(٤٢) والراجح انه هزم في تلك المعركة ، والا فما الداعي لانسحابه ولجوئه الى الدفاع بعد الهجوم (٤٣) لعل ذلك كان سببا في تنحيته عن القيادة واختيار الصفرية خالد بن حميد الزناتي ليحل محله (٤٤)

على كل حال ـ لجأ خالد الزناتي الى الحيلة ، فقسم جيشه قسمين واجه أحدهما جيش خالد الفهري بينما قام الاخر بحركة التفاف من خلفه ليعوق اتصاله بجيش حبيب بن أبي عبيدة المرابط عند مجاز وادي شلف(٤٥) وليحول بين جيش خالد الفهري وبين امكانية الهرب . وبذلك وقع جيش الفهري في «كمين البربر» كما ذكر ابن الاثير (٤٦) ، وكانت النتيجة ان قضي عليه برمته قضاء مبرما (٤٧) . وقتل في المعركة «حماة العرب وفرسانها وكماتها وأبطالها» فسميت من ثم «معركة الاشراف» (٤٨) .

أما حبيب بن أبي عبيدة فقد لاذ بتلمسان حيث علم بتواطؤ واليها موسى بن أبي خالد مع الصفرية ، فعاقبه بقطع أطرافه (٤٩) .

وأسفرت هزيمة الاشراف عن تمرد العرب بالقيروان على واليها عبيد الله بن الحبحاب وتنحيته عن الولاية (٥٠) . وصادف ذلك هوى في نفس الخليفة هشام بن عبد الملك فبعث في استدعائه ، فقفل اليه في جمادي الاول من عام ١٢٣هـ (٧٤١م) (٥١) .

وقد غضب (٥٢) الخليفة لما حل بالعرب في موقعة الاشراف ، فبعث جيشا ضخما بقيادة كلثوم بن عياض القشيري (٥٣) الى المغرب وجعله على ولاية افريقية (٥٤) . كما عهد الى بلج بن بشر بالامر من بعده ، فان قتل تولاه ثعلبة بن سلامة العاملي (٥٥) . وبلغ جيش كلثوم ثلاثين الفا من أهل الشام ومصر ـ عشرة آلاف من بني أمية وعشرون الفا من بيوتات العرب (٥٦) ـ فضلا عمن انضم اليه من المتطوعة وجند افريقية وعددهم اربعين الفا (٥٧) . وأمده بالادلاء والمرشدين من أمثال مغيث مولى الوليد بن عبد الملك وهرون القرني لخبرتهما بمسالك المغرب وطبائع البربر (٥٨) . كما أتاح له سلطات واسعة وحرية في العمل بما يتناسب وجسامة ما عهد اليه من مهمة استرداد نفوذ الخلافة «فأباح له الاباحات ووضع له الاطوياء» (٥٩) .

وبالرغم من ذلك كله ، كانت عوامل الضعف في جيش كلثوم تنذر بالفشل والهزيمة . فقد افتقر الى النظام والالفة بين عناصره من قيسية ويمنية ومتطوعة وأموية (٦٠) . وكانت قيادته للقيسية (٦١) ، كما كان قائده طاعنا

في السن قليل الهيبة، في حين كان بلج بن بشر مقدم الخيل صلفا (٦٢) ، فثارت الخصومات القبليةوتصدع الجيش العربيقبل التقائه بالثوار من البربر الصفرية • واحتدم الصراع بين كلثوم وحبيب بن أبي عبيدة شيخ اليمنية بالمغرب ، ولم يتصالحها الا على مضض حين توجها لقتال الصفرية (٦٣) بقيادة خالد بن حميد الزناتي (٦٤) عند وادي نهر سبسو (٦٥) في موضع يقال له بقدورة (٦٦) •

فلم يلبث الخلاف ان دب بينهما حول أسلوب القتال ، اذ أعرض كلثوم عن مشورة حبيب بن أبي عبيدة بمقاتلة الصفرية «الرجالة بالرجالة» ، والخيل بالخيل» (٦٧) كما أهمل بلج بن بشر نصيحة هرون القرني ومغيث باحتماء الرجالة وراء الخنادق والكراديس في الوقت الذي يلتف فيه الخيالة خلف صفوف الصفرية لمهاجمة قراهم وذراريهم ، وأصر على النزال وجها لوجه استهانة بهم لقلة ما لديهم من سلاح (٦٨) هذا في الوقت الذي بلغ فيهحماس الصفرية ذروته ، فبرزوا ، عراة متجردين ليس عليهم الا السراويلات (٦٩) واقتدوا بخوارج المشرق ، فحلقوا رؤوسهم وتعالت أصواتهم بالتحكيم ، اذكاء للحماس (٧٠)

وأمر كلثوم بلجا باقتحام صفوف الصفرية بخيله ايمانا بقدرتها على احراز النصر • لكن خاب ظنه حين رماها الصفرية «بالاوضاف» (٧١) وهي «الجلود اليابسة فيها الحجارة» (٧٢) • كذلك عمد الصفرية الى «الرمكالصعبة فعلقوا في أذنابها القرب والانطاع اليابسة ، ثم وجهوها نحو عسكر كلثوم»، فكانت خيله تنفر وتلوذ بالفرار (٧٣) • وهكذا شل الصفرية تفوق العرب بما لديهم من خيل وأحبطوا آمالهم في احراز النصر (٧٤) • وعبثا حاول كلثوم اقناع حبيب بن أبي عبيدة بتولي القيادة استنقاذا للموقف ، فقد ابى حبيب لتيقنه من حلول الهزيمة بالعرب (٧٥) • وحاول بلج بن بشر ان يكسر صفوف البربر بخيله مرة اخرى ، ونجح بالفعل ، لكن الصفرية تمكنوا من الالتفاف حوله وعزله عن الجيش العربي ثم فتكوا بغالب خيله وفرسانه (٧٦)•واختلط الجيشان في «معركة رجالة» (٧٧) كان الصفرية فيها اكثر عددا (٧٨) واشد مراسا واستبسالا وحلت الهزيمة بالجيش العربي بعد قتل كلثوم وحبيب بن

أبي عبيدة (٧٩) • اما بلج فقد تمكن من الفرار نحو طنجة على رأس عشرة الاف من جنده (٨٠) • وعادت فلول الجيش المهزوم الى افريقية في نحو عشرة آلاف كذلك • وهكذا أسفرت معركة بقدورة سنة ١٢٣هـ (٨١) (٧٤١م) عن انتصار الصفرية (٨٢) على جيش كلثوم الذي آل مصيره الى «ثلث مقتول ، وثلث منهزم ، وثلث مأسور » على حد قول صاحب قول الاخبار المجموعة (٨٣) •

تمت للصفرية بعد بقدورة السيطرة على بلاد المغرب الاقصى • وكان من الطبيعي ان يمتد نشاطهم الى المغربين الاوسط والادنى • ولما كان هدفهم الاستيلاء على القيروان مقر الولاية ، غدت بلاد افريقية واقليم الزاب بوجه خاص ميدانا لنشاطهم •

وتزعم هذه المرحلة عكاشة بن أيوب النغزاوي وعبد الواحد بن يزيد الهواري (٨٤) • وهذا يعني ان قبيلتي نغزة وهوارة بالمغربين الادنى والاوسط لعبتا دورا أساسيا في هذا الصدد مستعينتان بزناتة • لقد تخلت زناتة ــ التي كانت قد انتزعت زعامة الثورة من مطغرة ــ عن صدارتها لنشاط الصفرية في المغرب الاوسط ، ولم تسهم بطونها الضاربة بالمغرب الاقصى برئاسة خالد بن حميد في الثورة بافريقية بعد ان تمت له السيطرة على المغرب الاقصى • انما لعبت قبائلها بالمغرب الاوسط دورا قليل الاهمية في هذا الصدد الى جانب قبيلتي نغزة وهوارة ذات النفوذ والغلبة في أفريقية •

ومهما كان الامر فقد تولى قيادة ثورات الخوارج الصفرية إبتداء بميسرة شخصيات من البربر تبرا وبرانسا • فهوارة من بطون البرانس (٨٥) • بينما تنتمي زناتة الى البتر (٨٦) ، وفي تعاونهما معا رغم ما كان بين البتر والبرانس من عداء وصراع ما يدل على تغلب العامل الديني على النعرات العصبية والخلافات القبلية التقليدية ، وما يدل ايضا على التعاون والترابط بين حركات الصفرية في بلاد المغرب •

ففي الوقت الذي زحف فيه كلثوم بجيوشه لمواجهة صفرية المغرب الاقصى • قام عكاشة وعبد الواحد بالاستيلاء على قابس بعد ضربها بالمجانيق (٨٧) • كما استمد عكاشة العون من صفرية زناتة بالمغرب الاوسط

ونجح أخوه بفضلهم في حصار سوق سبرت واقصاء عامل كلثوم عنها (٨٨)٠
وكان من المتوقع ان يلتقي صفرية هوارة بقيادة عكاشة بصفرية زناتة تحت زعامة أخيه لمحاصرة القيروان ، لكن المحاولة احبطت حين تمكن صفوان بن مالك عامل طرابلس من تبديد الجيش الزناتي والحيلولة دون انضمامه الى صفرية هوارة (٨٩) ٠ وشجع ذلك مسلمة بن سوادة الذي أسند اليه كلثوم بن عياض قيادة جيش القيروان على الخروج لقتال عكاشة ، لكنه هزم وعاد من حيث أتى (٩٠) ٠ فثار عليه جنده وعقدوا اللواء لسعيد بن مجرة الغساني الذي اثر الاعتصام بالقيروان (٩١) ولم يغادرها الا لمهاجمة قابس بالاتفاق مع عامل طرابلس ٠ وفوت عكاشة الفرصة عليهما ، فترك قابس ويمم وجهه شطر القيروان بعد خروج سعيد بن بجرة منها ، لكنه مني بالهزيمة على يد أمير صلاتها عبد الرحمن بن عقبة الغفاري (٩٢) ، وقتل كثير من رجاله وتفرق من بقي منهم (٩٣) ، فهرب بنفسه لائذا بالصحراء سنة ١٢٤ هـ (٩٤) (٧٤٢م) ٠

وفي الوقت الذي حاول فيه عكاشة وعبد الواحد تنظيم الصفرية في اقليم الزاب والاستعانة بصفرية زناتة بزعامة أبي قرة (٩٥) ، وصل حنظلة بن صفوان الى القيروان على رأس ثلاثين الف مقاتل من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك (٩٦) سنة ١٢٤ هـ (٧٤٢م) ٠ وجدير بالذكر ان هشاما أبدى اهتماما فائقا بهذه الحملة لاحساسه بتحرج مركز الخلافة في المغرب وخشيته من اقتطاع الصفرية لافريقية بعد نجاحهم في سلخ المغرب الاقصى عن نفوذها، فأشرف بنفسه على تدبير الخطط ٠ولم يتوان عن ارسال الامداد (٩٧) ٠

حاول حنظلة افساد جهود عكاشة وعبد الواحد في لم شمل الصفرية، فبعث برسالة الى صفرية المغرب الاقصى والاوسط يخصهم على التزام الطاعة ويثني عزمهم عن مؤازرة عكاشة وعبد الواحد (٩٨) ٠ كما باغت عكاشة في اقليم الزاب ، وتمكن قائده عبد الرحمن بن عقبة من هزيمته٠ وحاول عبد الرحمن معاودة الكرة ، لكن عكاشة ظفر به وقتله في نفس العام (٩٩)٠ كذلك كان مصير عامله على طرابلس معاوية بن صفوان الذي بعث اليه يحرضه على البطش بصفرية نغزة (١٠٠) ، فتمكنوا من أسره وقتله ٠

ثم توجه عكاشة الى القيروان عن طريق مجانة ، واستقر على بعد سنة

أميال منها في مكان يعرف بالقرن (١٠١) • كما نجح عبد الواحـد الهواري في تعبئة صفرية تلمسان بقيادة أبي قرة ، وانضم اليه كذلك بعض قبائـل الصفرية في المغرب الاقصى (١٠٢) ، وزحف بجيشه البالغ ثلاثمائة الـف مقاتل الى القيروان وعسكر في مكان يقال له الاصنام (١٠٣) ، بعد انتصاره على جيش أنفذه حنظلة ليحول دون وصوله اليها (١٠٤) • وهكذا فشلت جهود حنظلة في تفتيت قوى الصفرية (١٠٥) ، واضحت القيروان في متناول أيديهم •

ولجأ حنظلة بعد ذلك الى حفر خندق حول القيروان ، عساه ان يحول دون سقوطها ، كما عمل على تثبيط همة عكاشة ، فكتب اليه «يرغبه ويمنيه» دون جدوى (١٠٦) فلم ينتظر حتى يستشير الخليفة في الامر (١٠٧) ، انما عول على مواجهة الخطر الصفري توا ، فبذل الاموال والعطايا (١٠٨) ، وعبأ جيشه وأحسن تنظيمه (١٠٩) ، ونجح في استمالة أهل القيروان على اختلاف طبقاتهم وعناصرهم (١١٠) • وتمكن من هزيمة عكاشة (١١١) • ويذكر ابن الاثير (١١٢) انه كان نصرا خاطفا أحرزه حنظلة قبل ان ينهض عبد الواحد لدخول القيروان • لكن الرقيق (١١٣) يؤكد ان القتال ظل سجالا حتى حلت الهزيمة بالصفرية « وقتل منهم خلق كثير» وأسر عكاشة وقتل سنة ١٢٥ هـ (٧٤٣م) (١١٤) •

ثم بادر حنظلة بلقاء عبد الواحد ، وانتصر الصفرية في البداية، لكنهم هزموا بعـد ذلك ، وقتـل عبـد الواحد ونكـل بجيشـه ، وفرت فلوله الى جلولاء (١١٥) • وابتهج حنظلة بانتصاره في معركتي القرن والاصنام، وطير خبره الى الخليفة مزهوا (١١٦) •

والحق ــ ان هاتين المعركتين كانتا نصرا عظيما للخلافة الاموية(١١٧) وردا لاعتبارها بعد هزيمتي الاشراف وبقدورة • وحال هذا النصر بين افريقية وبين السقوط في يد الصفرية ، واكد نفوذ الخلافة في المغرب الاوسط •

لكن النفوذ الاموي في بلاد المغرب ما لبث ان تداعى بضعف الخلافـة الاموية على اثر وفاة هشام بن عبد الملك سنة ١٢٥ هـ (٧٤٣م) • ولعل من

أبرز الاحداث دلالة على ضعف هيبة الخلافة بالمغرب تغلب عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة (١١٨) على افريقية سنة ١٢٧ هـ (٧٤٥م) ، وارغام حنظلة بن صفوان على مغادرتها ، وتسليم الخليفة مروان بن محمد مضطرا بشرعية ولايته (١١٩) .

والحق أن عبد الرحمن بن حبيب استطاع عن طريق الحيلة (١٢٠) والعنف معا قمع حركات الصفرية التي قامت في عهده ، فقضى على ثورة عروة بن الوليد الصدفي بتونس (١٢١) ، كما بدد الائتلاف الصفري الذي قام بين عبد الله بن سكرديد وثابت بن وريدون الصنهاجي في باجة (١٢٢) لكن أمر الصفرية لم ينقطع من المغرب كما ذهب ابن خلدون (١٢٣)ومن أخذ عنه (١٢٤) ، بل ازدادت ثوراتهم شدة بعد موت عبد الرحمن بن حبيب . ووجدوا في انشغال الخلافة العباسية بمشاكلها (١٢٥) ، وفي الصراع حول الامارة بين آل بيت عبد الرحمن بن حبيب فرصة مواتية لاستئناف حركاتهم.

ومرة أخرى تزعمت نفزاوة هذه الحركات ، فقد استطاع عاصم بن جميل زعيم ورفجومة (١٢٦) ـ وهي من بطون نفزاوة ـ (١٢٧) ان يوحد سائر بطون القبيلة ، فانضم اليه رؤساء البطون وأيدوه ، ومنهم عبد الملك بن أبي الجعد ويزيد بن سكوم (١٢٨) .

ويبدو ان عبد الوارث بن حبيب في صراعه مع ابن أخيه أظهر الولاء لابي يلجأ اليها لمناصرته ضد ابن أخيه حبيب بن عبد الرحمن (١٢٩) . ووجد عاصم بن جميل في ذلك الفرصة المواتية ، فرحب به ووقف معه في وجه خصومه ، ولم يعبأ بتهديدات حبيب عندما طلب اليه تسليم عمه والتخلي عن مناصرته . وألحق به الهزيمة عندما عمد الى محاربته (١٣٠) .

ويبدو ان عبد الوارث بن حبيب في صراعه مع ابن أخيه أظهر الولاء لابي جعفر المنصور (١٣١) . ولصلته بعاصم بن جميل ، اعتقد اهل القيروان ان عاصم ايضا من أنصار الخلافة العباسية .

وليس ببعيد ان يكون عاصما بدوره قد أظهر الولاء لبني العباس ليكسب أهل القيروان ، والا لما أقدم أهل القيروان على استدعائه ، بعد أن أخذوا عليه

العهود والمواثيق والدعاء للمنصور (١٣٢) . وبذلك جذب أعدادا غفيرة منهم ، فانضموا الى جيشه (١٣٣) .

أما حبيب بن عبد الرحمن فقد توجه لملاقاة الصفرية بعد ان استخلف على القيروان قاضيها (١٣٤) . لكن عاصم تمكن من هزيمته ففر الى قابس ، واتخذ عاصم طريقه نحو القيروان . وخرجت جماعة القيراونيين بزعامة القاضي أبى كريب للحيلولة دون دخوله المدينة ، لكن زملاءهم في جيشه أثنوهم عن عزمهم ودعوهم الى طاعته (١٣٥) ، فاستجابوا لهم وتركوا قاضيهم في جماعة قليلة من الفقهاء أجهز عليهم الصفرية (١٣٦) بظاهر القيروان سنة ١٣٩ هـ (١٣٧) (٧٥٦م) . ودخل الصفرية المدينة واستولوا عليها (١٣٨) .

ثم استخلف عاصم على القيروان عبد الملك بن أبي الجعد ليتفرغ لملاحقة حبيب بن عبد الرحمن ، وتمكن من هزيمته عند قابس ، ففر الى الاوراس لائذا بأهله (١٣٩) فاقتفى عاصما أثره ، والتحم معه في معركة هزم فيها الصفرية ولقى حاتم حتفه (١٤٠) .

وحاول حبيب بن عبد الرحمن استرداد القيروان فزحف اليها بأنصاره، لكنه هزم وقتله عبد الملك بن ابي الجعد سنة ١٤٠ هـ (١٤١) (٧٥٧م) .وبذلك قضى الصفرية على الفهريين في المغرب وأضحت لهم السيطرة الكاملة« على القيروان وسائر افريقية » (١٤٢) .

ويبدو ان الصفرية بعد ان اقتطعوا المغرب الاقصى والاوسط ودانت لهم افريقية والقيروان ، اصبحوا خطرا على بلاد المغرب الادنى التي كانت الغلبة فيها للمذهب الاباضي . ولعل ذلك يفسر ما حدث من صراع بين الاباضية والصفرية ، وقيام أبي الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافري بالاستيلاء على القيروان واقصاء الصفرية عنها . وتبدو وجاهة هذا القول اذا ما ادركنا حقيقة اهداف الاباضية في انشاء دولة لهم ببلاد المغرب بعد نجاح دعوتهم بين بربر المغرب الادنى . وقد سبق القول بأنهم شرعوا في ذلك على اثر عودة دعاتهم من البصرة سنة ١٤٠هـ (٧٥٧م) بعد اجماعهم الرأي مع فقهاء المذهب ومشايخه على ابتداء أمامة الظهور . ولما كان نجاح الصفرية

يشكل حجر عثرة أمام مشروعاتهم في قيام دولة أباضية ، اصبح الاحتكاك بين القوتين الخارجيتين أمرا مؤكدا .

وعلى ذلك فلا محل لتصديق ما تقدمه المصادر السنية والاباضية (١٤٣) على السواء من تعليلات غير مقنعة لتبرير خروج أبى الخطاب وحروبه مع الصفرية في القيروان ، اذ تذكر ان أبا الخطاب ما خرج «الا غضبا لله ولدينه» (١٤٤) استجابة لدعوة أهل القيروان لتخليصهم من عسف الصفرية .

قصارى القول — فان أبا الخطاب بعد ان بايعه انصاره بالامامة توجه بجيشه نحو قابس فحاصرها حتى سقطت ، فترك عليها عاملا من قبله وارتحل لمقاتلة الصفرية بالقيروان (١٤٥) . وبث عبد الملك بن أبي الجعد فصائل من جيشه لتحول دون وصول الاباضية ، لكنها منيت بالهزيمة . فخرج بنفسه على رأس الصفرية والتقى بأبي الخطاب خارج القيروان ، فهزم جيشه وقتل في المعركة (١٤٦) . ودخل أبو الخطاب المدينة سنة ١٤١ هـ (٧٥٨م) وولى عليها عبد الرحمن بن رستم (١٤٧) ، ثم غادرها على وجة السرعة لمواجهة جيوش الخلافة التي أنفذها المنصور . وعين عبد الرحمن بن رستم عماله على سائر أقاليم افريقية التي خلصوها من الصفرية (١٤٨) .

ويخيل الينا أن انهزام الصفرية في افريقية ادى الى ارتفاع نجمهم مرة احرى في بلاد المغرب الاوسط ، حيث نجح أبو قرة الصفري في تكوين امارة مستقلة بنواحي تلمسان كما تمكن ابو القاسم سمكو بن واسول من ارساء دعائم دولة بني مدرار في سجلماسة على اثر هزيمة الصفرية في القيروان سنة ١٤٠ هـ .

انتقل اذن مركز الثقل في نشاط الصفرية من افريقية الى المغرب الاوسط بعد تكوين أبو قرة الصفري امارته الصغيرة في تلمسان . والواقع ان الغموض يكتنف أصل أبي قرة ، فمن المؤرخين ما يرجع بنسبه الى قبيلة مغيلة ، ومنهم من ينسبه الى بني يغرن من زناتة (١٤٩) . ويرجع الخلاف الى العرف الشائع عند البربر من انخراط القبائل تحت زعامة أكثرها قوة ونفوذاً . حقيقة ان بني يغرن « كانوا أشد قوة وأكثر جمعا » : لكن مغيلة كانت « أشهر بالخارجية من بني يغرن » (١٥٠) .

ولما كانت القبيلتان متجاورتين (١٥١)، فقد حدث اللبس حول اصل أبي قرة ٠

ومهما كان الامر ، فان أبا قرة تزعم صفرية المغربين الاوسط والاقصى بعد خالد بن حميد الزناتي (١٥٢) ٠ واشترك في حصار القيروان الى جانب عبد الواحد الهواري سنة ١٢٤هـ ، ثم عاد أدراجه الى تلمسان على أثر هزيمة الاصنام ٠ ويضيف الرقيق (١٥٣) ان عبد الرحمن بن حبيب هزمــه هزمــة ساحقة سنة ١٣٥ هـ (٧٥٢م) فتت في عضده ، فلم يسهم في حركات صفرية نغراوة ضد حبيب بن عبد الرحمن ، وتركها تتلقى سوء المصير على يد أبي الخطاب الاباضي سنة ١٤٠ هـ ٠ ولعل ذلك يفسر مبايعته بالامامة في وقت متأخر سنة ١٤٨ هـ (٧٦٥م) ــ كما يذكر ابن خلدون ــ بعد ان انضوى صفرية المغرب الادنى تحت زعامته فضلا عن صفرية الاجزاء الساحلية والغربية من المغرب الاوسط (١٥٥) ٠

وفي تلك الاثناء كان محمد بن الاشعث الخزاعي (١٥٦) يوطد نفــوذ الخلافة العباسية في افريقية (١٥٧) ، فاستطاع اقصاء الاباضية عن القيروان، وألحق بهم عدة هزائم دانت بعدها بلاد المغرب الادنى وافريقيــة لسلطانــه « وأطفأ نار الفتنة فيها » (١٥٨) ٠ وبديهي أن يتجه بعد ذلك الى محاولــة استرجاع المغربين الاوسط والاقصى ، لذلك عول على انفاذ قائده الاغلب بن سالم التميمي على رأس جيش لمحاربة أبي قرة والصفرية في تلمسان (١٥٩) سنة ١٤٨ هـ (٧٦٥م) ٠ ويخيل الينا ان اضطراب الجند العربي وثورتهــم على ابن الاشعث (١٦٠) حالت دون قيام هذا الجيش بما أزمع القيام به ، اذ لا تطالعنا المراجع (١٦١) بأخبار عن الصراع مع أبي قرة الا ابان ولاية الاغلب ابن سالم في نفس العام ٠ فقد « بعث اليه المنصور عهده بولاية القيروان ٠٠ ثم اضطربت عليه الامور لخروج أبي قرة عليه واشتغاله بحربه » ٠

على كل حال وجد أبو قرة في ثورات الجند الخلافي في افريقية فرصة مواتية لاعداد قواته للقيام بالثورة واسقاط الحكم العباسي في القيروان (١٦٢) ٠ وأدرك الاغلب خطورة الموقف فعول على الخروج اليه قبل أن تدهمه جيوش الصفرية في مقر الولاية (١٦٣) والتقى الخصمان في اقليم الزاب ، فآثر أبو

قرة الانسحاب ، وقرر الاغلب اقتفاء أثره وضرب معقل قوته في تلمسان (١٦٤) وربما تجاوزت مطامحه تلمسان ذاتها ، فرنى ببصره الى تحرير بلاد المغرب الاقصى كلها حتى طنجة (١٦٥) ٠ وكان ذلك سببا في ثورة جنده عليه وانصرافهم عنه ، تلك الثورة التي انتهت بمقتله سنة ١٥٠ هـ (١٦٦) (٧٦٧م) ٠ وقبع أبو قرة في تلمسان (١٦٧) يعد العدة لجولة أخرى ٠

وفي هذا الوقت كان عمر بن حفص والي القيروان قد رحل الى اقليم الزاب (١٦٨) وحصن طبنة باقامة سور حولها (١٦٩) ليحول دون هجوم الصفرية على القيروان وليتخذ منها قاعدة للانطلاق الى معقلهم في تلمسان ٠ ويبدو ان الخلافة كانت قد عهدت الى عمر بن حفص بتصفية نشاط الخوارج في المغرب اباضية وصفرية (١٧٠) ٠ ولعل ذلك كان سببا في ائتلاف الصفرية والاباضية لاول مرة في بلاد المغرب ، فاجتمعوا على محاصرته بطبنة (١٧١) ٠ فمن الاباضية اشتركت جيوش أبي حاتم الملزوزي وعبد الرحمن بن رستم والمسور بن هانيء في الحصار (١٧٢) ٠ كما أسهم رؤساء الصفرية كذلك ، فكان جيش أبي قرة أربعين ألفا (١٧٣) ، ووصل عبد الملك بن سكرديد على رأس ألفين من صنهاجة (١٧٤) فضلا عن صفرية مديونة بزعامة جرير بن مسعود (١٧٥) ٠ وضرب الجميع الحصار حول طنبه وبها عمر بن حفص في خمسة عشر ألف من العرب سنة ١٥٣ هـ (١٧٦) (٧٧٠م) ٠

وتجمع المصادر على ان عمر ابن حفص أغرى أبا قرة بالمال لينسحب هو وأتباعه من الصفرية ٠ لكنها تختلف في ذكر التفاصيل ٠ فبعضها (١٧٧) يرجح انه رفض الرشوة وقبلها أخوه الذي ارتحل بالمعسكر ، فاضطر أبو قرة للانسحاب في حين يقرر البعض (١٧٨) الاخر ان عمرا استمال أبا قرة وليس أخاه ٠ بينما نجد رواية ثالثة مؤداها (١٧٩) ان أبا قرة قبل الرشوة هو وابنه وارتحل بقومه من الصفرية ٠ وأمام هذا الاختلاف نشكك في الرواية من أساسها ٠ والراجح أن يكون انسحاب الصفرية نتيجة اختلاف مع الاباضية، اذ ان تعاونهما في بلاد المغرب ليس مألوفا ، والمعروف ان الفرقتين الخارجيتين كانتا على خصومة وعداء كثيرا ما وصل الى درجة الصراع والتناحر ٠ وهذا يفسر قيام أبو حاتم بمحاصرة القيران (١٨٠) من دون الصفرية (١٨١) ٠ بينما عاود أبو قرة قتال الحامية التي تركها عمر بن حفص بطبنة (١٨٢) بعد أن

غادرها ليحول دون وقوع القيروان في يد الاباضيـــة • وفي عـودة أبي قرة لمحاربة أتباع عمر بن حفص ما ينفي ما قيل عن قبوله الرشوة •

على كل حال ــ تسبب الخلاف بين الصفرية والاباضية في فشل حصار طبنة ، ونجح عمر بن حفص في هزيمة عبد الرحمن بن رستم الاباضي ، كما تمكن قائده المهنأ بن المخارق بن غفار الطـائي مـن هزيمـة أبـي قرة وردع الصفرية (١٨٣) • وعاد أبو قرة الى مقره في تلمسان •

ولم تقم للصفرية قائمة بعد ذلك ، فضعف شأنهم ، حتى قضى عليهم يزيد بن حاتم الذي قدم الى المغرب سنة ١٥٥هـ (٧٧٢م) على رأس جيش كثيف أوغل به في نواحي المغربين الاوسط والادنى (١٨٤) • كما كان الصراع بين الادارسة والرستميين حول تلمسان وما حولها من عوامل اختفاء الصفرية من المغرب الاوسط وتحول الكثيرين منهم في تلك الجهات الى الولاء للادارسة وأتباعهم من آل سليمان : بينما هاجر جزء كبير ممن بقي على مذهبه منهم الى سجلماسة التي أضحت ملاذا للصفرية في بلاد المغرب •

أما عن صفرية أفريقية والمغرب الادنى فقد بطش بهم يزيد بن حاتم أيضا ، فقمعت حركة ورفجومة سنة ١٥٧هـ (٧٧٤م) على يد ابنه المهلب وقائده العلاء بن سعيد (١٨٥) • كما فشلت ثورة الصفرية في بلاد الزاب التي تزعمها أيوب الهواري سنة ١٦٤هـ (٧٨٠م) بعد أن رماهم يزيد بن حاتم بالمخارق ابن غفار الطائي (١٨٦) ، ومن بعده العلاء بن سعيد ، والى العلاء يعزى الفضل في قمع الثورة وقتل قائدها والتنكيل بالصفرية أينما وجدوا في افريقية (١٨٧) حتى ان بربر ورفجومة رأس صفرية افريقية انقرض أمرهم وصاروا أوزاع في القبائل » (١٨٨) •

هكذا قدر ليزيد بن حاتم أن يبدد شمل الخوارج الصفرية في افريقية والمغرب الاوسط ، وتمكن الادارسة من تأسيس دولتهم في المغرب الاقصى على حساب نفوذ الصفرية ، وظلت دولة بني مدرار بسجلماسة موئلا لصفرية بلاد المغرب ومركزا لتجمعهم ، فقد حققت هدفهم من قيام دولة صفرية خالصة في بلاد المغرب •

ثانيا : ثورات الخوارج الاباضية

سبق القول بأن المذهب الاباضي غلب على بلاد المغرب الادنى فانتشرت بين قبائله وخاصة نفوسة وهوارة · ويبدو ان الخوارج الاباضية لم يكونوا قد تهيئوا بعد لمرحلة الظهور حتى بداية العقد الرابع من القرن الثاني الهجري ، أي حتى قيام ثورة أبي الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافري سنة ١٤٠هـ (٧٥٧م) بينما سبق الخوارج الصفرية بزعامة ميسرة المطغري الى الظهور سنة ١٢١هـ (٧٣٩م) في المغرب الاقصى · ولعل السبب في تأخر ثورات الاباضية يكمن في قرب مواطنهم من القيروان مقر الامارة ومركز الجند العربي · يضاف الى ذلك قربها النسبي من عاصمة الخلافة الاموية وولاتها في مصر مما جعل مهمة الخلافة وولاتها في مصر والمغرب في قمع الحركات المعادية أمرا أكثر سهولة من قمع ثورات الصفرية في المغرب الاقصى ·

ويبدو أن نجاح حركات الصفرية في المغرب الاقصى أغرى أباضية المغرب الادنى بالتعجيل بالقيام بثورات مماثلة قبل أن يتهيئوا لها أو تتوافر الظروف المناسبة التي تساعد على انجاحها · وجدير بالذكر ان المصادر الاباضية تسقط من اعتبارها كل نشاط للاباضية في المغرب سابق على حركة أبي الخطاب عبد الاعلى سنة ١٤٠هـ (٧٥٧م) فتعتبره أول الائمة ، وتؤرخ لثورته باعتبارها « بداية لمرحلة الظهور (١٨٩) » · واذا كانت ثورة أبي الخطاب ـ حقيقة ـ تعد أول ثورة اباضية ذات طابع شامل وشكل منظم ، فقد سبقتها حركات أخرى لم تتمخض عن شيء سوى اضعاف الحركة الاباضية قبل أن يشتد عودها ، وتأجيل ظهور الاباضية على المسرح السياسي في بلاد المغرب ·

كانت هذه الثورات ثلاثا ، قامت أولاها سنة ١٢٦هـ (٧٤٤م) بزعامة عبد الله بن مسعود التجيبي الذي ترأس بربر هوارة في منطقة طرابلس متحديا حكم عبد الرحمن بن حبيب · وأخمدت هذه الحركة دون عناء بعد أن قبض أخو عبد الرحمن وعامله على طرابلس على التجيبي و « ضرب عنقه » (١٩٠) ·

ثم اجتمعت هوارة على اثنين من زعمائها هما عبد الجبار بن قيس المرادي والحارث بن تليد الحضرمي (١٩١) · وزحف الحارث وعبد الجبار الى

طرابلس وضربا عليها الحصار حتى استسلم عاملها (١٩٢) وأخذا بثأر التجيبي واقتصا من قاتله (١٩٣) • وأنفذ عبد الرحمن بن حبيب ثلاثة جيوش لاسترداد طرابلس هزمها الاباضية جميعا (١٩٤) • فلجأ الى الحيلة واستمال أحد شيوخ هوارة وبعثه « ليستألف النـاس ويقطـع عن عبـد الجبار هوارة » (١٩٥) دون جدوى • فعقد العزم على الخروج بنفسه وقاد جيشا لاسترداد طرابلس وصل به حتى قابس ، ثم عاد أدراجه الى القيروان لما علم بتآمر أهلها على خلعه (١٩٦) • لكن حادثا مفاجئا أفضى الى مقتل الحارث وعبد الجبار سنة ١٣١ هـ (٧٤٩م) كفى عبد الرحمن بن حبيب مئونة قتالهما •

وتختلف المصادر (١٩٧) حول دوافع هذا الحادث • والراجح انهما اختلفا حول مسائل فقهية أو تنازعا حول الحكم (١٩٨) ، فاحتكما الى السيف فقتل كل منهما صاحبه • ومهما كان الامر فقد تمخض هذا الحادث عن حدوث الشقاق (١٩٩) بين جماعة الاباضية بالمغرب على غرار ما كان يحدث بين الخوارج المشارقة • ولم تجد نفعا نصائح فقهاء المذهب بالبصرة بالكف عن ذكر هذه المسألة ، فظلت تشغل اباضية المغرب حتى تولى أبو الخطاب الامامة سنة ١٤٠هـ (٢٠٠) (٧٥٧م) •

أما ثالث تلك الثورات فكانت من نصيب قبيلة نفوسة ، اذ بادر زعيمها اسماعيل بن زياد النفوسي بعد أن « عظم شأنه وكبر بيعه » (٢٠١) بالاستيلاء على قابس سنة ١٣٢هـ (٧٥١م) (٢٠٢) • فخرج اليه عبد الرحمن بن حبيب وأنفذ طلائعه من الخيالة ليسبر غوره ، لكن شعيبا التحم بنفوسة الاباضية وقتل زعيمها وأسر كثيرا من رجالها (٢٠٣) واصطحب عبد الرحمن بن حبيب أسرى الاباضية الى طرابلس وذبحهم وامتحن الناس بهم « فكان يؤتى بالاسير من البربر فيأمر من يتهمه بتحريم دمه بقتله » (٢٠٤) • كما عهد الى عامله بطرابلس بتوزيع المغانم التي غنمها من الاباضية على جنده (٢٠٥) ، وأعاد بناء سور (٢٠٦) المدينة لتحصينها من خطر الاباضية ، ثم قفل عائدا الى القيروان في نفس العام •

ولا يخامرنا شك في أن جهود ابن حبيب وعماله على طرابلس في قمع

حركات الاباضية قد فتت في عضدهم ٠

ويخيل الينا أن هذا هو ما دفع زعماء الاباضية في المغرب الادنى للرحيل الى البصرة للاسترشاد بمشايخ المذهب في الاعداد للثورة المنظمة الشاملة ٠ وقد عادوا الى المغرب بعد أن مكثوا خمس سنوات بصحبة أبي عبيد مسلم بن أبي كريمة وجماعة شيوخ المذهب وقد تذرعوا بالاساليب والوسائل الكفيلة بانجاح حركتهم ٠ وحسبنا أن أبا عبيدة ، أشار عليهم باختيار احد رجال المذهب من عرب المشارقة لزعامتهم لما له من دراية بأحوال المغرب ولحصافته ودريته بأصول السياسة وفنون الحكم (٢٠٧) ٠ ويبدو أنه أوصى أفراد الوفد المغربي بتعبئة قبائل الاباضية جميعا للاشتراك في الثورة ، فاشترط ضرورة حشد القوى المادية والبشرية للقيام بالثورة (٢٠٨) ٠ كما تخصص بعض أفراد الوفد في مسائل الفقه والشريعة لمواجهة ما يعن لهم من مسائل تتعلق بالثورة ومعاملة الخصوم وادارة الاقاليم التي يتسنى لهم انتزاعها من الحكام العرب (٢٠٩) ٠٠ الخ ٠ وأخيرا أوصاهم بموافاته بتطورات حركاتهم وضرورة مشاورته فيما يعن لهم من أمور (٢١٠) ٠

وما ان عاد الوفد الى بلاد المغرب سنة ١٤٠هـ (٧٥٧م) ، حتى بادر أعضاؤه بالاتصال بالقبائل وتهيئتها للقيام بالثورة ٠ ويذكر أبو زكريا (٢١١) أن أبا الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافري ـ وهو الذي أشار أبو عبيدة بتقلده لزعامة الحركة ـ أبدى نشاطا ملحوظا « في الكتمان » ، فاتصل بمشايخ القبائل للتشاور في اعلان « امامة الظهور » ٠ وقد كللت مساعيه بالنجاح ، فانضم اليه جمهرة الاباضية و « كسب الكثير من الاتباع » (٢١٢) وأجمع رؤساء المذهب على مبايعته بالامامة(٢١٣)وانضوتقبائل نفوسة وهوارة وزناتة وغيرها تحت لوائه (٢١٤) ٠ واستطاع أبو الخطاب مداهمة طرابلس على حين غفلة (٢١٥) ، وأرغم عاملها عمرو بن عثمان القرشي (٢١٦) على مغادرتها ، واستولى على بيت مالها (٢١٧) ، وأمن أهلها (٢١٨) ٠

وباستيلاء الاباضية على طرابلس اشتد ساعدهم ، فاتخذوها قاعدة للمذهب ، وبعثوا الى أبي عبيدة مسلم بالبصرة يعلموه « بظهور الامامة » ، فاغتبط لذلك ونصحهم بالتضامن واقتفاء أثر السلف الصالح (٢١٩) ٠ وجنح

أبو الخطاب الى التوسع فاستولى على جزيرة جربة وجبل دمر سنة ١٤٠ هـ (٧٥٧م). (٢٢٠) ، كما ضم قابس في نفس العام (٢٢١) ، ودانت بلاد المغرب الادنى بطاعته ، فرنى ببصره صوب افريقية .

ثم كان استيلاء الصفرية على القيروان وخروج أبي الخطاب وصراع الصفرية وهزيمته لهم عند رقاده (٢٢٢) ، ودخول المدينة بعد مقتل عبد الملك ابن أبي الجعد مقدم الصفرية ، ونجاح عامله عليها ـ عبد الرحمن بن رستم ـ في بث نفوذ الاباضية في سائر جهات افريقية (٢٢٣) ، بعد مغادرة أبي الخطاب القيروان لمواجهة جيوش الخلافة التي بعثها المنصور لاستنقاذ افريقية (٢٢٤) .

وقد أنفذ المنصور محمد بن الاشعث الخزاعي على رأس جيش زاد عدده عن خمسين ألف مقاتل الى بلاد المغرب سنة ١٤٢هـ (٧٥٩م) . ومهما اختلف المؤرخون (٢٢٥) حول دوافع ارسال هذا الجيش الضخم ، فلا شك ان مهمته الاساسية كانت استرداد نفوذ الخلافة وهيبتها في بلاد المغرب (٢٢٦) بعد أن أضحت قسمة بين الصفرية والاباضية من الخوارج . ويبدو ان ابن الاشعث هاله أمر الاباضية الذين سيطروا على المغرب الادنى وافريقية ، فآثر البقاء بمصر ، وأنفذ طلائعه بقيادة أبي الاحوص عمرو بن الاحوص العجلي (٢٢٧) الى المغرب .

وهذا هو ما حدا بأبي الخطاب عبد الاعلى الى مغادرة القيروان على وجه السرعة للقاء أبي الاحوص ، فالتقى به في مغمداس (٢٢٨) بناحية سرت (٢٢٩) وهزمه واحتوى عسكره ، فعاد أبو الاحوص الى مصر مدحورا (٢٣٠) .

ويخيل الينا أن هذه الهزيمة فتت في عضد ابن الاشعث ، فبعث المنصور اليه يستصرخه التعجيل بالتوجه الى المغرب بنفسه (٢٣١) : وعول ابن الاشعث على الاستعداد الكامل قبل مغادرته مصر ، فحشد في جيشه من القواد العظام « ثمانية وعشرين قائدا » (٢٣٢) من بينهم الاغلب بن سالم التميمي والمحارب ابن هلال الفارسي والمخارق بن غفار الطائي (٢٣٣) .

واستعد أبو الخطاب للقاء ابن الاشعث ، فرابط بأرض سرت في سبعين

ألف (٢٣٤) من الاباضية · لكن خلافا وقع في معسكره تمخض عن انسحاب اباضية زناته لاعتقادهم بتحيزه ـ من دونهم ـ الى هوارة (٢٣٥) · وبادر ابن الاشعث بالنزول بجيشه على موارد الماء بمكان يقال له تاورغا (٢٣٦) · ومنع عسكر أبي الخطاب من ارتياده (٢٣٧) · فلما نشب القتال دارت الدائرة على الاباضية ، فقتل أبو الخطاب مع آلاف من رجاله (٢٣٨) ، ونجى منهم نفر قليل لاذوا بالحصون والقلاع في الجبال (٢٣٩) · وعول ابن الاشعث على استئصال شأفة الاباضية ، فأرسل قائده اسماعيل بن عكرمة الخزاعي الى زويلة وودان فقتل من بها من الاباضية (٢٤٠) · كما لقي اباضية طرابلس عنتا شديدا من عامله المخارق بن غفار ، فقد أسرف في تقتيلهم وسبي ذراريهم (٢٤١) · ولم يسلم اباضية زناتة من بطش ابن الاشعث على الرغم من خروجهم على أبي الخطاب وعدم اشتراكهم في معركة تاورغا ، فقتل زعيمهم أبو هريرة الزناتي مع ستة عشر ألف من أصحابه (٢٤٢) · وعلى الرغم من هزيمة أحد جيوشه أمام اباضية زهانة (٢٤٣) ، فقد ألقى الرعب في قلوب اباضية المغرب الادنى ، فهابوه ودانوا له بالطاعة (٢٤٤) ·

وهكذا وضعت معركة تاورغا ١٤٤هـ (٧٦١م) نهاية لامامة الظهور التي استمرت أربعة أعوام سيطر الاباضية ابانها على افريقية والمغرب الادنى فلم يقو الاباضية بعدها على الظهور واضطروا الى العمل في تستر وكتمان وهو ما يعرف في اصطلاحهم « بامامة الدفاع » ·

تولى مهمة امامة الدفاع بعد مقتل ابي الخطاب يعقوب بن حبيب المعروف بأبي حاتم الملزوزي سنة ١٤٥هـ (٢٤٥) (٧٦٢م) · ويختلف المؤرخون حول أصله ، فيذكر بعضهم (٢٤٦) انه من هوارة ، وقيل من سدراته (٢٤٧) ، وفي قول ثالث أنه من مغيلة (٢٤٨) · ونحن نرجح الرواية الاولى لان هوارة من أشد قبائل الاباضية قوة وأكثرها عددا ومشاركة في ثورات الاباضية · اما سدراته فكان دورها ضئيلا في الحركة الاباضية بالمغرب ، بينما كانت مغيلة تدين بالمذهب الصفري ، ومضاربها بنواحي تلمسان ، أي أنها بعيدة عن مسرح نشاط الاباضية في المغرب الادنى وأفريقية (٢٤٩) ·

على كل حال ـ بويع أبو حاتم بالامامة سنة ١٤٥هـ (٢٥٠) (٧٦٢م) ،

وظل مستترا طيلة أربع سنوات قضاها في جمع شمل جماعات الاباضية التي تفرقت على اثر حروب ابن الاشعث · وكان خلالها يرسل الصدقات الى عبد الرحمن بن رستم (٢٥١) الذي كان يعد العدة لقيام دولة بني رستم الاباضية في المغرب الاوسط ·

ويبدو أنه في سنة ١٥٠هـ (٢٥٢) (٧٦٧م) أنس من نفسه قوة « فأراد الخروج على جند طرابلس وعامل أبي جعفر » (٢٥٣) · ويبدو ان عامل طرابلس تنبه لذلك فخرج اليه على رأس جنده ، وطلب من الاباضية الاذعان لطاعته والدعوة للخليفة العباسي (٢٥٤) ، فرفضوا فاقتتلوا ، وانتصر الاباضية ودخلوا طرابلس ، ونعتقد ان الاباضية أمعنوا في البطش بأهل طرابلس من العرب ـ على غير عادتهم ـ تشفيا وانتقاما لما حل بهم من قبل (٢٥٥) · وظل أبو حاتم مقيما بطرابلس حتى وصل عمر بن حفص الى افريقية سنة ١٥١هـ (٧٦٨م) ·

حاول عمر بن حفص استرداد طرابلس واقصاء الاباضية عنها ، فأنفذ ثلاثة جيوش لهذا الغرض هزمها الاباضية جميعا (٢٥٦) · كان أولها بقيادة الجنيد بن بشار الازدي ، فدهمه أبو حاتم بقابس وضرب عليه الحصار · فبعث الجنيد يطلب العون من عمر بن حفص ، فأنفذ اليه خالدا بن يزيد المهلبي على رأس أربعمائة فارس عدا الرجالة لكن أبا حاتم هزمه أيضا وحال دون دخوله المدينة · فعززه عمر بجيش ثالث بقيادة سليمان بن عبادة المهلبي، طارده الاباضية فعاد من حيث أتى · وكان عمر قد غادر القيروان اذ ذاك الى طبنة في اقليم الزاب ، فلم يتوان أبو حاتم في اقتفاء اثر سليمان بن عبادة (٢٥٧) ، وضرب الحصار على القيروان سنة ١٥٣هـ (٢٥٨) (٧٧٠م)·

ثم غادر أبو حاتم القيروان ليسهم في محاصرة عمر بن حفص بطبنة سنة ١٥٣هـ (٧٧٠م) ، ذلك الحصار الذي اشترك فيه الاباضية مع الصفرية جنبا الى جنب لاول مرة · وقد اشترك في الحصار عبد الرحمن بن رستم ومعه خمسة عشر ألف فارس (٢٥٩) ، والمسور بن هانيء الزناني في عشرة آلاف فارس (٢٦٠) ، فضلا عن جموع الصفرية بقيادة أبي قرة لكن الحصار لم يستمر طويلا ، فقد حدث نزاع بين الاباضية والصفرية أسفر عن فشل الحصار

وآثر أبو حاتم العودة لحصار القيروان ، بينما انسحب عبد الرحمن بن رستم برجاله الى تهودة · وهناك لحق به عمر بن حفص وأنزل به هزيمة عاد بعدها الى تاهرت مدحورا (٢٦١) · اما المسور الزناني فالراجح أنه لحق بأبي حاتم وانضم اليه في حصار القيروان (٢٦٢) ·

شدد أبو حاتم الحصار ، وضيق على أهل القيروان بجيشه البالغ مائة وخمسين ألفا (٢٦٣) · فاشتد الكرب بالمحاصرين ونفذ ما لديهم من المؤن والاقوات (٢٦٤) · واضطر كثيرون منهم الى الخروج من المدينة والانضمام الى الاباضية (٢٦٥) ·

وترك عمر بن حفص طبنة على وجه السرعة لفك الحصار عن القيروان ، وخرج الاباضية بأجمعهم ليجهزوا عليه قبل قدومه ، لكنه سلك طريقا مغايرا ، فسلك طريق تونس بدلا من الاربس (٢٦٦) · وبادر بشحن القيروان بالمؤن والاقوات والميرة والرجال وأدوات الحصار (٢٦٧) · وحفر خندقا على باب أبي الربيع جعل عسكره من خلفه مؤثرا سياسة الدفاع (٢٦٨) ·

وقد عادت هذه السياسة على ابن حفص بأوخم العواقب ، فلم يتوان الاباضية عن قتاله ، واضطر للخروج لفك الحصار ــ الذي فرضه على نفسه ــ فهزم وارتد الى خندق أبي الربيع معتصما به (٢٦٩) · وتبعه أبو حاتم حتى جاوز مشارف الخندق ، كما وزع رجاله على سائر أبواب المدينة فمنع المحاصرين داخلها من الخروج ، وظلوا كذلك حتى نفذت أقواتهم (٢٧٠) · وزاد الامر سوءا اختلاف قواد عمر بن حفص عليه وتقاعسهم عن القيام بمحاولة يائسة لفك الحصار (٢٧١) · وحين وصله خبر قدوم يزيد بن حاتم لنجدته ، استنكف الانتظار وآثر الموت ، فظل يقاتل الاباضية حتى قتل (٢٧٢) في منتصف ذي الحجة من سنة ١٥٤هـ (٧٧١م) ·

عقد أبو حاتم صلحا (٢٧٣) مع جميل بن صخر ــ الذي تزعم الجند بعد مقتل أخيه لامه عمر بن حفص (٢٧٤) ثم دخل القيروان « فأحرق أبوابها وثلم سورها » (٢٧٥) واستخلف عليها عاملا من قبله · واتجه الى طرابلس حين علم بمقدم يزيد بن حاتم على رأس جيش من الشرق · لكنه اضطر للعودة الى

تونس لقيام ثورات الجند العربي على عماله في الزاب ، فنجح في تفريق بعضهم (٢٧٦) ، وعهد الى بعض قواده بمهمة القضاء على البعض الاخر (٢٧٧)، ومضى الى طرابلس لمواجهة يزيد بن حاتم (٢٧٨) ٠ والواقع ان أبا حاتم كان في موقف لا يحسد عليه ، ففضلا عن ضخامة حملة يزيد بن حاتم وحسن استعدادها (٢٧٩) ، دب الخلاف داخل معسكره ، فانحازت قبيلة مليلة الهوارية الى يزيد (٢٨٠) ، وكذلك بعض رجال نفوسة الذين استرشد بهم في الوقوف على عورات البلاد (٢٨١) ٠

على كل حال ــ تمكن أبو حاتم ــ بادىء ذي بدء ــ من هزيمة طلائع جيش يزيد التي قادها سالم بن سوادة التميمي (٢٨٢) عند مغمداس (٢٨٣) وقتل منها اعدادا غفيرة (٢٨٤) ٠ لكن حسن بلاء يزيد وقيادته الجيش بنفسه (٢٨٥) ٠ اضطر أبا حاتم الى الاعتصام بجبل نفوسة في موضع حصين خلف خندق حفره الاباضية على وجه السرعة (٢٨٦) ٠ غير ان يزيدا افسد خطته ، فتمكن من اجتياز الخندق ، والتحمت جيوشه بالاباضية فهزموهم «وقتل أبو حاتم ومن معه من أهل البصائر » (٢٨٧) في المعركة كما قتل جمهور عظيم من الاباضية (٢٨٨) بلغ ثلاثين ألفا (٢٨٩)٠واستبدت بيزيد شهوة الثأر لعمه عمر بن حفص (٢٩٠) ، فطلب الاباضية في كل سهل وجبل (٢٩١) وبطش بهم ٠ ثم استعمل أحد عماله على طرابلس ونهض الى القيروان سنة ١٥٥ هـ (٢٩٢) (٧٧٢م) ٠

والحق ان تلك الضربة الماحقة التي الحقها يزيد بن حاتم بالاباضية تعد نهاية لنشاط الخوارج الاباضية في صورته الشاملة المنظمة ٠ حقيقة ان حركاتهم لم تحبط بصورة نهائية في عهد يزيد ، لكنها كانت تفتقر الى التنظيم والشمول ، ومن ثم لم يجد امراء آل المهلب في افريقية عناء في قمعها وردعها٠ فثورة هوارة بزعامة أبي يحيى بن فوناس سنة ١٥٦ هـ (٧٧٣م) بنواحي طرابلس انتهت بكارثة لاباضية هوارة على يد عبد الله بن السمط الكندي الذي قتل أبا يحيى وعامة أصحابه (٢٩٣) ٠ وحسبنا اننا لم نسمع عن أي نشاط للاباضية طوال حكم يزيد بن حاتم الذي امتد حتى عام ١٧٠هـ (٧٨٦م) ، ولذلك حق لابن عذارى (٢٩٤) ان يقول « تهذنت افريقية ليزيد بن حاتم »٠

واذا كان يزيد بن حاتم قد قضى على ثورات الاباضية في شكلها الشامل المنظم ،فان خليفته داوود بن حاتم تمكن من « حصد شوكتهم » (٢٩٥)، ففي عهده ثارت قبيلة نغزة الاباضية بجبال باجة بزعامة صالح بن نصير (٢٩٦)، ونجح صالح في هزيمة قوات داود ، لكن سليمان بن الصمة احد رجال داود تمكن من هزيمته (٢٩٧) • كما حارب سليمان نغزة في معركة اخرى بشقنبارية (٢٩٨) لم يقم لها قائمة من بعدها (٢٩٩) • كما احبطت ثورة اباضية هوارة سنة ١٨٠ هـ (٧٩٦م) بزعامة عياض بن وهب الهواري (٣٠٠)• اما اباضية نفوسة ، فقد استكانوا وغلبوا على أمرهم بعد فشل حركة أبي حاتم • وقبل ذلك كان اباضية زناتة قد بطش بهم ابن الاشعث سنة ١٤٤ هـ (٧٦٠م) •

وهكذا تصدعت حركات الاباضية في المغرب الادنى وافريقية ، بينما نجح عبد الرحمن بن رستم بمؤازرة اباضية المغرب الاوسط في تأسيس دولة تباهرت سنة ١٦١هـ (٧٧٧م) . تلك الدولة التي امتد نفوذها فيما بعد لتضم اباضية المغرب جميعا بعد ان دانوا بالولاء والتبعية لائمتها ، وأقامت دليلا عمليا على نجاح ثورات الاباضية في تحقيق مراميها في تكوين دولة اباضية بالمغرب •

ثالثا ـ نتائج ثورات الخوارج في بلاد المغرب

نخلص من هذا العرض لثورات الخوارج ـ صفرية واباضية ـ في بلاد المغرب بعدة نتائج منها ان هذه الثورات كانت تتأثر ـ ان ضعفا وان قوة ـ بموقف الخلافة في الشرق أموية وعباسية ، واهتمامها بشؤون بلاد المغرب او انصرافها عنه • وحسبنا ان اندلاع ثورات الخوارج في المغرب واكب اضطراب الخلافة الاموية وانشغالها بالخصومات القبلية والصراعات حول السلطة بين أفراد البيت الاموي (٣٠١) • وازدادت هذه الثورات تأججا وغلبت على بلاد المغرب جميعا بعد موت هشام بن عبد الملك سنة ١٢٥ هـ (٧٤٣م) الذي كان يولى بلاد المغرب عناية خاصة (٣٠٢) • فوقع الاضطراب بافريقية (٣٠٣) «وطرق الخلل» لخفوت صوت الخلافة بالمشرق (٣٠٤)• ويكفي ان عبد الرحمن

بن حبيب اغتصب حكم افريقية له ولآله من بعده ، ففي غيبة الخلافة وعمالها آنذاك بلغت ثورات الخوارج أوجها حتى غدت القيروان ذاتها ميدانا للصراع بين الاباضية والصفرية ، وهو ما يعبر عنه ابن خلدون (٣٠٥) بقوله«وأعضل أمر الخارجية ورؤسها» • ولم يكن ذلك الا «لانشغال بني أمية عن قاصية الثغور» (٣٠٦) •

ومن الطبيعي ان تتفاقم ثورات الخوارج ويزداد خطرها بقيام الدولة العباسية التي اهتمت في عهد السفاح بأمور المشرق اكثر من اهتمامها بأمور المغرب (٣٠٧) ، فانتقال العاصمة من دمشق الى بغداد وسع الهوة بين بلاد المغرب ومقر الخلافة (٣٠٨) ، ومن ثم خرج عن طاعته « ما بين تاهرت وطبنة الى بلاد السودان وجميع مملكة الاندلس » (٣٠٩) •

وقد تغير الموقف تماما في خلافة المنصور ، فكانت سياسته قائمة على أساس الاحتفاظ بالمغرب وعدم التفريط فيه (٣١٠) • فاختار ولاته من خاصته الاكفاء « من ذوي الرأي الاصيل والخطر الجليل » (٣١١) كابن الاشعث وعمر ابن حفص ويزيد بن حاتم كما أنفق المال بسخاء في اعداد حملاته على المغرب مع ما عرف عنه من بخل وشح (٣١٢) • وتغلب على مشكلة طول المسافة وبعد الشقة بين بغداد والمغرب بأن عهد الى ولاته بمصر بمسئوليات اعداد الجيوش وقيادتها (٣١٣) • واقتفى الرشيد نفس السياسة من الاهتمام بأمور المغرب (٣١٤) ، فقد حرص على اختيار ولاته من ذوي « الخداع والدهاء والغدر» (٣١٥) • كما كان على صلة دائمة بهؤلاء الولاة ، وكثيرا ما ساهم في رسم سياساتهم ووضع خططهم في محاولة في محاربة الخوارج (٣١٦) فاستطاع ان يحتفظ بافريقية بعد أن كادت تسقط في يد الخوارج (٣١٧) •

هذا وقد تأثرت ثورات الخوارج بشخصية الولاة وسياساتهم وما هم عليه من قوة أو ضعف ، وما لسياساتهم من آثار في جمع شمل الجند العربي أو بعثرته • فقد أدى نشوب الصراع القبلي بين القيسية واليمنية (٣١٨) الى ما حل بجيش كلثوم بن عياض القشيري من كارثة على يد الصفرية في موقعة بقدورة سنة ١٢٣ هـ (٧٤٠م) • واثبتت تلك الموقعة ان الخوارج كانوا يفيدون من انقسام الجند العربي ، وهي حقيقة يؤكدها سقوط القيروان

واستيلاء الصفرية عليها ثم الاباضية بسبب الخلافات بين افراد الاسرة الفهرية (٣١٩) ٠

وكانت ثورات الخوارج تزداد تأججا ونجاحا حين كان الولاة يشغلون عنها بانفاذ حملاتهم خارج المغرب ، فكان الخوارج يجدون في غياب الجند العربي فرصة مواتية لتعبئة الجهود واعلان الثورة ٠ وحسبنا ان اولى ثورات الخوارج التي تزعمها ميسرة قامت في الوقت الذي كانت فيه جيوش ابن الحبحاب تغزو في صقلية (٣٢٠) ٠ كما اندلعت هذه الثورات بصورة شاملة حيث «استشرى داء البربر واعضل امر الخارجية » (٣٢١) في وقت انشغال جيوش ابن حبيب بغزو سردينية(٣٢٢) وصقلية ٠ وقد استطاع ابن الاشعث بفضل كفايته العسكرية(٣٢٣)ان يضعف الخوارج وان يضبط افريقية»(٣٢٤) ويحصن القيروان (٣٢٥) وطرابلس وطبنة (٣٢٦) ، غير انه لم يقدر له النجاح في القضاء نهائيا على ثوراتهم بسبب ثورة الجند العربي عليه وطرده من الولاية (٣٢٧) ٠ وكان القتل من نصيب الاغلب بن سالم لعقده العزم على استئصال شأفة الخوارج ومهاجمتهم في معاقلهم بتلمسان والمغرب الاقصى فقد ثار عليه جنده وقتلوه سنة ١٤٨ هـ (٧٦٥م) (٣٢٨) وأعطوا بذلك الفرصة لاستفحال خطر أبي قرة الصفري ٠

كما ارتبطت هزائم الخوارج بكفاءة الولاة واستقرار احوال الجند الافريقي ، ولا يخفي ما بلغه عمر بن حفص من شجاعة ودهاء وحسن بصيرة ، ولعل في رحيله عن القيروان وتحصينه طبنة ما ينم عن ادراك واع لمكمن الخطر في نشاط الخوارج ، وافلاته من حصار خوارج المغرب اباضية وصفرية أضاف الكثير الى قدراته الفذة ٠ وفي نهايته البطولية وموته وهو يقاتل الخوارج وحيدا ما جعل المؤرخين يطلقون عليه ــ بحق ــ لقب «هزار مرد» (٣٢٩) ٠ كما استطاع يزيد بن حاتم ان يتصدى لثورات الخوارج ، وبفضل كفايته ومقدرته « سكن الناس في افريقية» (٣٣٠) وأثمر هذا الهدوء في عهد خلفه روح بن حاتم (٣٣١) ٠ ثم قدم هرثمة بن أعين الى افريقية سنة ١٧٩ هـ (٧٩٥م) ليقضي على ما بقي للخوارج من رمق ، وأعاد الحياة الامنة الى بلاد المغرب (٣٣٢) ٠

من ناحية اخرى ـ استفاد الخوارج من أخطاء عمال الخلافة بالمغـــرب وكانوا يتخيرون الوقت للخروج اعتمادا على تلك الاخطاء • فقد خرج ميسرة في الوقت الذي كان فيه جيش ابن الحبحاب في صقلية• كما امتدت ثورات الخوارج وانتشرت ابان الازمات التي اصابت الخلافة في الشرق او اثنـاء الفتن القبلية بين الجند العربي قيسية ويمنية كالخصومة التي وقعت بيـن حبيب بن أبي عبيدة اليمني وبين كلثوم بن عياض القيسي ، او الصراع بين الجند العربي في افريقية وبين العناصر الفارسية والخراسانية في عهد ابي الاشعث والاغلب بن سالم • يضاف الى ذلك الصراع حول الولاية بين عبد الرحمن بن حبيب وبين حنظلة بن صفوان ، ثم الصراع الدموي داخل أسرة بني حبيب ، فسنحت للخوارج الفرصة لتحقيق انتصاراتهم التي اشرنا اليها•

كما تميزت حركات الخوارج في المغرب بالشمول وسعة الانتشار • وذلك بفضل الثورة الاولى التي قادها ميسرة المطغري سنة ١٢١ هـ (٧٣٩م)، فقد كانت نموذجا اقتفاه ثوار المغرب الاوسط والادنى من الصفرية والاباضية على السواء (٣٣٣) • وجدير بالذكر ان هذا الطابع المنظم لحركات الخوارج ساعد على انتشارها في سائر ربوع المغرب في وقت واحد • فما ان تظهر الثورة في ناحية حتى يمتد أثرها الى ما عداها مـن أقاليـم المغرب فتجتـاح البلاد من مشرقها الى مغربها (٣٣٤) •

كما اشتهر الخوارج في حروبهم بالشجاعة والاستبسال شأنهم في ذلك شأن الخوارج في الشرق «فكانوا يحلقون الرؤوس، وترتفع اصواتهم بالتحكيم» (٣٣٥) اذكاء للحماس الذي عوضهم عن نقص السلاح •

لقد كان العرب يعتمدون في خططهم وحروبهم على الفرسان بينما كانت جيوش الخوارج في الغالب من الرجالة ، ومع ذلك ابتكر الخوارج من الوسائل ما كانوا يرهبون به خيل العرب وفرسانهم • فكانوا يوقفون تقدمهم برميها «بالاوضاف (٣٣٦)» وهي «الجلود اليابسة فيها الحجارة» (٣٣٧) كما كانوا يعمدون الى «الرمك الصعبة فيعلقون في اذنابها القرب والانطاع اليابســـة ويوجهوها نحو الخيل فتنفر» (٣٣٨) •

والى جانب الحماس والشجاعة تميزت ثوراتهم في كثير من الاحيان بالتنظيم المحكم الدقيق . وحسبنا ان انتصارات ميسرة جاءت نتيجة اعداد وتخطيط ، فكانت جيوشه تهاجم معاقل العرب في وقت واحد (٣٣٩) كما نجح خليفته خالد بن حميد الزناتي في تطويق الجيش العربي رغم ضخامته وايقاعه في « كمين البربر» (٣٤٠) . وحصار القيروان من ناحيتين على يد عكاشة النغزاوي وعبد الواحد الهواري في محاولة للاطباق عليها (٣٤١) كان نتيجة تدبير محكم بين القائدين الصفريين ، ولم يحل دون نجاحهما الا فطنة حنظلة بن صفوان لخطتهما وافسادها . ومن أسباب نجاح عاصم بن جميل في الاستيلاء على القيروان براعته في ايهام أهلها بأنه يوالي الخليفة المنصور (٣٤٢) . وكان انسحاب ابو قرة الصفري امام جيوش الاغلب بن سالم تخطيطا ذكيا لجره الى اقاصي المغرب في بلاد كل سكانها من الخوارج الصفرية حتى يضمن القضاء عليها جميعا (٣٤٣) . وتفيض المصادر الاباضية بالكثير عن خطط الاباضية في اعداد الجيوش ومباغتة الخصوم اعتماداعلى وسائل التمويه والخداع . ومن أمثلة ذلك سياسة أبي الخطاب عبد الاعلى بن السمح في اعداد جيوشه خارج طرابلس ثم دخوله المدينة وجنوده مستترين في حواليق يحملها الجمال «والاستيلاء عليها في غفلة من اهلها (٣٤٤) على غرار ما هو مشهور عن حرب طروادة الا ان أبا الخطاب ذاته كان ضحية حيلة دبرها ابن الاشعث الذي تمكن بواسطتها من هزيمة الاباضية ، على الرغم مما تسوقه المصادر الاباضية من حجج تدلل بها على فطنة القائد الاباضي لحيلة ابن الاشعث (٣٤٥) .

وفضلا عن ذلك فقد اتسمت حركات الخوارج في المغرب بالاصرار المستميت على البقاء رغم ما حل بهم من نكبات وخاصة في عهد المنصور والرشيد . وحسبنا في هذا الصدد مذابح ابن الاشعث في الاباضية ، وما لاقاه الاباضية والصفرية على السواء في المجازر التي قام بها يزيد بن حاتم وعماله .

حقيقة أن هذه الضربات اوهنت حركات الخوارج وفتت في عضدها ، لكنها لم تقض عليها قضاء تاما . فكان الخوارج عقب تلك المحن يدأبون على

اعادة التنظيم ولم الشمل سرا بزعامة من سموه « بامام الدفاع (٣٤٦) » فاذا ما أنسوا من أنفسهم قوة عاودوا الخروج وأعلنوا الثورة على الولاة ٠ وهذا يفسر استمرار هذه الثورات قرابة نصف قرن ، فلم تخب نارها حتى حققت أهدافها وقامت للخوارج دول ببلاد المغرب ذات طابع قومي٠

ويتضح هذا الطابع القومي بشكل ظاهر في قيادة ثورات الخوارج ، فباستثناء أبي الخطاب المعافري الذي كان من أصل عربي ــ تصدرت ثورات الخوارج قيادات من البربر بترا وبرانس ٠ فميسرة من مطغرة ، وخالد بن حميد الزناتي من زناتة ، وعكاشة بن أيوب من نغزاوة ، وعبد الواحد الهواري من هوارة ، وعاصم بن جميل من ورفجومة ، وأبو قرة من مغيلة وكلهم من زعماء الصفرية ٠ أما زعماء الاباضية ، فقد كان عبد الله بن مسعود التجيبي من هوارة ، وكذلك كان الحارث وعبد الجبار ٠ ومن نفوسة تولى اسماعيل بن زياد ٠ وكان ابو حاتم الملزوزي من هوارة ٠ ولا شك ان تصدر هذه الزعامات لثورات الخوارج في بلاد المغرب تعبير حي عن شخصية المغرب الاسلامي ٠ المستقلة وتجسيد لدوره الاسلامي بعد اعتناق البربر مبادىء الخوارج ٠

هذا ، ولم تسلم حركات الخوارج من نقائص وسلبيات ، ولعل أهمها أنه لم يكن هناك ثمة تعاون بين فرقتي الصفرية والاباضية ، وهي آفة موروثة عن خوارج المشرق ٠ ولا نعتقد انها كانت في المغرب من جراء التجمعات القبلية التي اعتمد عليها كل فريق ٠ ذلك ان المذهبين الاباضي والصفري انتشرا بين البربر واعتنقت بعض بطون القبيلة الواحدة المذهب الصفري في حين اعتنق بعضها الاخر المذهب الاباضي كما هو الحال بالنسبة لزناتة وهوارة ٠ انما كان عدم التعاون مرده الى الخلاف الجوهري بين مبادىء كلتا الفرقتين وهو خلاف يحول دون التقائهما ٠ فلم يكن قدوم داعيتي الفرقتين الى المغرب على ظهر بعير واحد يعني تعاونا مشتركا او توحيدا للجهود كما توهم البعض ــ وخاصة ابن خلدون ــ ممن خلطوا بين نشاط الاباضية والصفرية في المغرب، بل اتخذت الفرقتان تجاها مغايرا ٠ اذ بينما اتجه الاباضية الى الاقاليم الشرقية من بلاد المغرب ، يمم الصفرية وجههم شطر الاجزاء الوسطى والقصوى منه ٠

واذا كانت بطون زناتة المنتشرة في سائر جهات المغرب قسمة بين الفرقتين ، فلم يقدر لها ان تكون همزة الوصل بينهما ، بل لا نبالغ اذا قلنا ان اباضية زناتة كانوا معول هدم في حركات الاباضية ، وحسبنا دورهم المخرب في ثورة أبي الخطاب المعافري (٣٤٧) • وليس من شك في ان ما حدث من صراع بين الاباضية والصفرية على القيروان سنة ١٤٠ هـ (٧٥٧م) كان من أهم أسباب اضعافهما ووقوعهما لقمة سائغة لجيوش ابن الاشعث فرقة بعد أخرى • وما يروي عن تعاون مشترك بينهما في حصار عمر بن حفص بطنبة سنة ١٥٣ هـ (٧٧٠م) أمر مشكوك في صحته •

ومن عيوب خوارج المغرب أيضا ما حدث من خلافات وانشقاقات داخل كان يسبب النزعة الزناتية (٣٤٨) • ومن المؤكد ان برغواطة اعتزلت النشاط التقليدية التي عرفها تاريخ المغرب • فمثلا نعتقد ان الخلاف على ميسرة واقصائه عن زعامة الصفرية وتوليه خالد بن حميد الزناتي بدلا منه ، كان محاولة من زناتة لتزعم الحركة واقصاء مطغرة عن مركز الصدارة فيها• ولعل انسحاب مكناسة ورئيسها أبو القاسم سمكو بن واسول من الحركة الصفرية كان بسبب تلك النزعة الزناتية(٣٤٨) •ومن المؤكد ان برغواطةاعتزلت النشاط الصفري وارتدت عن المذهب وعن الاسلام ايضا من جراء ما حل بحليفها ميسرة المطغري من أهمال ونكران (٣٤٩) • وكذلك كان شأن الاباضية ، دب فيهم الخلاف والشقاق • وقد سبقت الاشارة الى دور زناتة في تصدع حركة أبي الخطاب عبد الاعلى بن السمح وتخليها عنه في وقت عصيب لاسباب قبلية كامنة في التنافس بينها وبين هوارة • كما تخلى بعض رجال نفوسة (٣٥٠) ومليلة (٣٥١) عن أبي حاتم الملزوزي وانضموا الى يزيد بن حاتم ، فادى ذلك الى هزيمة الاباضية سنة ١٥٤ هـ (٧٧٠م) •

ويعاب على خوارج المغرب كذلك سوء فهمهم لمباديء المذهب ، واسرافهم في تطبيق تعاليمه • لقد خضت مبادىء الخوارج على الثورة على أئمة الجور (٣٥٢) ، لكن خوارج المغرب أعلنوا الثورة في كثير من الاحيان على الحكام العرب بغض النظر عن تعديهم وظلمهم أو عدلهم ونزاهتهم فلا شك ان بلاد المغرب حكمها ولاة مستنيرون دأبوا على الاصلاح من أمثال عمر بن حفص ويزيد

بن حاتم ، لكن ثورات الخوارج استهدفت الحكم العربي عموما ، فلم يسلم هؤلاء الولاة من خطر الخوارج ، كما أسرف الصفرية بوجه خاص في استخدام العنف والقسوة فكانوا يقتلون الاطفال ويسبون النساء والذراري اعتماداعلى تطرف المذهب الصفري في معاملة الخصوم ٠

وآفة ثورات الخوارج عموما في المغرب عدم اتصالها وتنسيقها مع حركاتهم في الشرق ، ولو أحكم مثل هذا الاتصال لكانت نتائجها اكثر نجاحا، ولما قدر للخلافة ان تصفي نشاط خوارج الشرق بمثل السهولة التي تمت بها (٣٥٣) ٠

ومع ذلك كانت لثورات الخوارج آثار واضحة في تاريخ المغرب، ذلك ان هذه الثورات احتوت سائرقبائل البربر بترا وبرانس ٠ ولم تكن حكرا على قبيلة زناتة كما يذهب جوتييه الذي نظر الى ثورات الخوارج على أنها ثورات زناتة دون سواها ٠ الامر الذي جعلنا نقف عند رأيه هذا محاولين ان نناقشه متبينين ما فيه من خطأ او أسرف ٠

يقول جوتييه « ما هي مراكز تلك الثورات ؟ وما هي القبيلة التي رفعت العلم الذي تركه كسيلة والكاهنة منكسا ؟ ٠ لقد اختلف المؤرخون العرب كعادتهم حول هذا الامر وأن أجمع معظمهم في اقتضاب على ذلك الشيء الواضح للعيان ، على زناتة ٠ لقد قامت الثورة بادىء الامر في طنجة ، وما لبثت ان وصلت الاندلس على التو ٠٠ ثم انتشرت على طول الطريق من طنجة الى القيروان ٠٠٠٠ انتهت الثورة الاولى بمعركة الاشراف على وادي شلف والثانية على وادي سبو ، والثالثة في القرن على مشارف القيروان ، اما الرابعة فقد وقعت في الشرق بنواحي طرابلس ٠٠٠ وهذا يعني ان الاحداث البارزة في الفترة ما بين عامي ٧٤٣ ، ٧٥٢م (١٢٥ ، ١٣٥ هـ) تركزت حول طرابلس وتونس وتلمسان ٠ أما تلك التي وقعت في عامي ٧٥٧ ، ٧٥٨ م (١٤٠،١٤١ هـ) فكانت القيروان ميدانها حين وقعت فريسة لورفجومة الصفرية وقد تمثل رد الفعل العربي في حملة أبن الاشعث الذي هزم الخوارج في سرت واسترد القيروان ٠ لكنه أخفق في اقصاء الخوارج عن تلمسان التي

كانت مركزا لحركة أبي قرة اليفرني سنة ٧٦٥م (١٤٨ هـ) ثم استرد الخوارج طرابلس مرة أخرى ، ونصبوا الحصار حول القيروان • ويجمع المؤرخون على حصارهم طنبة سنة ٧٧٠م (١٥٣هـ) ، ثم القيروان حيث صرع عمر بن حفص سنة ٧٧١م (١٥٤هـ) اثناء الحصار • وتمثل رد الفعل العربي في حملة يزيد بن حاتم وجهوده غربي القيروان في الاريس وطبنة والزاب • وبعد ذلك حلت فترة سلام امتدت بين عامي ٧٨٨،٧٧١م (١٧٠،١٥٤هـ) ••• وعلى ذلك فان ثورات الخوارج قد شغلت النصف الاخير من القرن الثامن الميلادي • فما هو اذن الميدان الذي دارت فيه تلك الاحداث التاريخية ؟ • لقد دارت في طنجة ووادي سبو وتلمسان ووادي شلف وهدنة وجنوب تونس وطرابلس ، وكلها تقع في سلسلة السهول والهضاب العالية التي تقطنها زناتة •• لقد كانت روح زناتة اذن هي الدافع وراء هذه الاحداث • وليكن معلوما ان هذا الزلزال العظيم الذي اجتاح بلاد المغرب كان يحركه ـ ضمن عوامل ، اخرى عامل مغربي خالص ظهر على الاقل في الثورات الاولى التي قامت في طنجة • ويجب الا يغيب عن البال ان حركات الخوارج انطوت على عناصر تنتمي الى عالم الليفانت (يقصد الفرس والخراسانيين والعرب) ••• وعلى الرغم من اسهام بعض القبائل كصنهاجة وكتامة في ثورات الخوارج ، فمما لا شك فيه أن الزعامة في هذه الحركات كانت دائما لزناتة •• وعلى ذلك نسلم بداهة بأن ثورات الخوارج في المغرب ما هي الا ثورة زناتة ، وان الدور الذي لعبتهفي هذا الصددهو اولىأدوارها على مسرح التاريخالمغربي(٣٥٤)

ويخيل الينا ان مكمن الخطأ في رأي جوتييه هو نظرته الى المناطق التي شهدت المعارك الكبرى بين الخوارج والعرب على انها مواطن قبيلة زناتة دون ان يفطن الى امرين : اولهما : أن مواطن القبائل البدوية لم تكن ثابتة ثبوتا قاطعا ، فهي دائمة الترحال والانتقال بقطعانها وراء المراعي ومواطن الكلاء • وثانيهما ، ان قبيلة زناتة كانت منتشرة في بلاد المغرب من أدناها الى اقصاها مختلطة بغيرها من القبائل ، فمواطنها كما يقول ابن خلدون (٣٥٥) « في سائر مواطن البربر بافريقية والمغرب ، فمنهم ببلاد النخيل مابين غدامس والسوس الاقصى ، ومنهم قوم بالتلول بجبال طرابلس وضواحي افريقية وبجبل اوراس ، والاكثر منهم بالمغرب الاوسط ، ومنهم بالمغرب الاقصى أمم

أخرى» • فالمعارك الكبرى اذن لم تقع في مواطن زناتة وحدها انما في«سائر مواطن البربر» •

ثم ان جوتييه بنى رأيه على أساس أن المؤرخين العرب القدامى ذكروا أن زناتة وحدها تزعمت ثورات الخوارج وساعدت على قيامها ، والحقيقة اننا لم نجد مؤرخا واحدا يشير الى مثل هذا الامر البتة • بل نجد عندهم من الاشارات ما يدلل على عكس ذلك ، فابن خلدون (٣٥٦) مثلا يقول عن ثورات الخوارج في عهد عبد الرحمن بن حبيب« ••• فاستشرى داء البربر ، وأعضل أمر الخارجية ورؤسها ، فانتفضوا من أطراف البقاع ، وتواثبوا على الامر بكل ما كان داعين الى بدعتهم ، وتولى كبر ذلك يومئذ طنهاجة » •

ويكفي ان نشير الى ثورات الخوارج لنتبين هذا الاسراف في القول • فأولى الثورات في بلاد المغرب سنة ١٢١ هـ (٧٣٩م) قامت بزعامة مطغرة أول الامر ثم تصدت زناتة بعد ذلك لقيادتها حين أقصى ميسرة وحل خالد بن حميد الزناتي محله في زعامة الثورة • واذا كانت زناتة قد برزت في هذه الحركة فذلك لا يعني انها كانت وقفا عليها بل ساهمت فيها قبائل المغرب الاقصى برمتها ، وهذا يفسر قول ابن الاثير بأنها (٣٥٧) شملت المسلمين والكفار» •

واذا كانت زناتة قد تزعمت هذه الثورة في مرحلتها الاخيرة ، فأن صوتها قد خفت بعد ذلك ، ثم عادت الى الظهور في حركة أبي قرة الصفري • اما الثورة الصفرية الثانية التي تزعمها عكاشة بن ايوب النغزاوي وعبدالواحد الهواري سنة ١٢٤ هـ (٧٤٢م) فقد لعبت هوارة ونغزة (٣٥٨) دور الصدارة فيها ، واشتركت فيها زناتة كحليف لعبد الواحد الهواري (٣٥٩) • أما ثالث ثورات الصفرية التي مكنت الصفرية من القيروان سنة ١٣٩ هـ (٧٥٦م) ، فقد قامت على أكتاف قبيلة نغزة بصفة عامة وورفجومة بوجه خاص (٣٦٠) ولم نسمع عن صوت لزناتة في ثورات الصفرية في اقليم الزاب فقد كانت مقصورة على قبيلتي نغزة وهوارة (٣٦١) •

ولم يكن لزناتة دور يذكر في ثورات الاباضية ، فقد كانت الزعامة فيها

لهوارة (٣٦٢) فحركة عبد الله بن مسعود التجيمي سنة ١٢٦ هـ (٧٤٤م)وثورة الحارث وعبد الجبار التي استمرت حتى عام ١٣١ هـ (٧٤٩م) كانتا حكرا على اباضية هوارة في أحواز طرابلس (٣٦٣) بينما تزعمت نفوسة الحركة التالية بزعامة اسماعيل بن زياد النفوسي سنة ١٣٢ هـ (٧٥٠م) (٣٦٤) ٠ ولا نجد لزناتة ذكرا الا في حركة أبي الخطاب المعافري سنة ١٤٠هـ (٧٥٧م)، وهي حركة كانت هوارة مركز ثقلها بينما لعبت زناتة فيها دورا غير مشرف (٣٦٥) ٠ وثورة الاباضية العظمى التي قام بها أبو حاتم الملزوزي كانت ثورة هوارة ايضا ، فكان ابو حاتم نفسه من مليلة وهي بطن من بطونها(٣٦٦)٠ وظلت هوارة وحدها قائدة للحركات الاباضية التي قامت في سنتي ١٥٦ هـ (٣٦٧) (٧٧٣م) ، ١٨٠هـ (٧٩٦م) (٣٦٨) في المغرب الادنى الى جانب ثورة نغزة بناجة التي قمعها داود بن حاتم (٣٦٩) ٠

قصارى القول ــ ان زناتة أسهمت في ثورات الخوارج الصفرية مع غيرها من القبائل ، وكانت القيادة في هذه الثورات متداولة بين مطغرة وزناتة ونفرة وهوارة ومغيلة على التوالي ٠ بينما يعتبر اسهامها في حركات الاباضية ضئيلا للغاية ، فقد تصدرت هوارة دون منازع هذه الحركات من البداية حتى النهاية ٠

ومهما يكن من أمر فقد أسفرت ثورات الخوارج عن قيام دولتين ببلاد المغرب احداهما للصفرية سنة ١٤٠هـ (٧٥٧م) ومركزها سجلماسة والاخرى للاباضية وعاصمتها تاهرت سنة ١٦١هـ (٧٧٨م) وكذلك كان قيام دولة الاغالبة في افريقية سنة ١٨٤هـ (٨٠٠م) بمثابة رد الفعل العربي لقيام دول من البربر ، فقد حرص الرشيد على ضمان استمرار نفوذ الخلافة في افريقية حتى ولو كان هذا النفوذ اسميا ، ومن ثم فقد أقر قيام الامارة الاغلبية لتحول دون زوال هذا النفوذ ولتقف حاجزا أمام خطر الدولة الادريسية العلوية والدولتين الخارجيتين المدرارية والرستمية ٠

الباب الثالث

دول الخوارج في بلاد المغرب

انتهينا الى ان ثورات الخوارج الصفرية كللت بالنجاح في المغرب الاقصى على يد ميسرة وخليفته خالد بن حميد الزناتي ، كما نجح الخوارج الاباضية في بسط نفوذهم على المغرب الادنى بعد قيام « امامة الظهور » على يد أبي الخطاب المعافري سنة ١٣٩هـ (٧٥٦م) . غير ان نشاط الخوارج لازمه الفشل حين رنوا بأبصارهم صوب افريقية لسببين رئيسيين ، أولهما : التنافس بين الصفرية والاباضية على امتلاك القيروان واندلاع الحرب بينهم سنة ١٤٠هـ (٧٥٧م) ، الامر الذي أضعفهم جميعا ، فوقعوا لقمة سائغة لجيوش ابن الاشعث سنة ١٤١هـ (٧٥٨م) . وتسبب هذا التنافس ايضا في فشلهم في حصار عمر بن حفص بطبنة سنة ١٥٣هـ (٧٧٠م) ، وأسفر اختلافهم عن تنكيل يزيد بن حاتم بهم جماعة في اثر أخرى سنة ١٥٥هـ (٧٧٢م) .

وثانيهما ، صحوة الخلافة العباسية وحرصها على دعم نفوذها في افريقية بانفاذ الحملات المتتابعة التى عهد بقيادتها الى قواد أكفاء من أمثال ابن الاشعث والاغلب بن سالم وعمر بن حفص ويزيد بن حاتم .

ولذلك استحال استمرار نشاط الخوارج في افريقية وخاصة بعد قيام حكم آل المهلب الاقوياء في القيروان وعدم توانيهم عن ملاحقة حركاتهم

ومناهضتها • عندئذ اتخذت حركات الخوارج طابعا عمليا (١) ، فعزفوا عن مناطق النفوذ العربي نهائيا واتجهوا الى المناطق الصحراوية النائية بالمغربين الاقصى والاوسط حيث عول الصفرية على اقامة دولة في جنوبي المغرب الاقصى معقل الخوارج الصفرية كانت سجلماسة عاصمة لها • بينما آثر الاباضية اقامة دولتهم بالمغرب الاوسط حيث تغرب كثير من القبائل التي تدين بالمذهب الاباضي مثل زناتة ولماية وهوارة ولواته وسدراته وغيرها (٢) • واتخذوا من مدينة تاهرت عاصمة لها •

والواقع ان ظهور دولتي الخوارج يمثل نقلة هامة في تاريخ الخوارج وتاريخ المغرب على السواء • فقد توجت دعوتهم في بلاد المغرب بتحقيق أهدافها في اقامة دول خارجية (٣) بعد ان فشلوا في تحقيق ذلك بالمشرق • وأتاح ذلك لهم أن ينعموا بالاستقرار السياسي بعد حروب استمرت ما يقرب من نصف قرن من الزمان • ومن ناحية أخرى فان قيام دولتي الخوارج كان بمثابة تعبير عن روح القومية والاستقلال عند المغاربة • فضلا عن الاثار الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي شهدتها بلاد المغرب وهو ما سندرسه فيما بعد مفصلا •

أولا : دولة بني مدرار الصفرية

أ ـ قيام دولة بني مدرار

كان الخوارج الصفرية سباقين الى انشاء دولتهم في سجلماسة سنة ١٤٠هـ (٧٥٧م) ؛ كما كانت لهم الاسبقية من قبل في المبادرة بالثورة سنة ١٢١هـ (٧٣٩م) • غير ان المؤرخين الغربيين (٤) درجوا على التقليل من شأن هذه الدولة فاعتبروها مجرد دويلة لا يعتد بدورها في تاريخ بلاد المغرب • ويخيل الينا أن الباعث على ذلك يكمن في أمرين أساسيين ، أولهما : ان دولة بني مدرار كانت دولة داخلية صحراوية لم تسهم بدور مباشر في التيارات السياسية العالمية ـ كدولة الاغالبة المعاصرة لها على سبيل المثال ـ واقتصر نشاطها على المشاركة في حركة التجارة عبر الصحراء شمالا وجنوبا •

وثانيهما ، ندرة المعلومات عن هذه الدولة بدرجة جعلت المؤرخين يحجمون عن التأريخ لها ، فظل تاريخها يلفه الغموض والابهام (٥) ٠

وعلى كل حال ـ استطاع الخوارج الصفرية في سنة ١٤٠هـ (٧٥٧م) أن يستفيدوا من اضطراب الاحوال في افريقية ويقيموا دولتهم في سجلماسة على وادي ملوية (٦) ، فعمال الخلافة في المغرب شغلوا آنذاك عن الاقاليم الغربية والجنوبية بتدعيم نفوذها في المغرب الادنى وافريقية (٧) ، فوجد الصفرية في ذلك فرصة مواتية لتأسيس دولتهم في مأمن من نقمة الخلافة وعمالها ٠

وينم اختيارهم لاقليم تافيللت بأقاصي الصحراء ، الكبرى عن حكمة وذكاء ، ذلك ان هذا الاقليم النائي من بلاد المغرب يمثل نهاية العمران من ناحية الجنوب والغرب (٨) والطريق اليه غاية في الوعورة اذ يمتد خلال متاهات من القفار والرمال ، ولذلك فهو في حماية طبيعية أتاحت لبربر مكناسة أن يتخذوا من قصبة سجلماسة (٩) عاصمة لهم ٠

ومكناسة هي العصبية التي ارتكزت عليها دولة بني مدرار (١٠) وليست زناتة أو نفوسة (١١) ومواطنها على وادي ملوية (١٢) ـ حيث تقع سجلماسة في أعلاه وهذا الوادي يصب في البحر المتوسط ، وكذلك تقطن بعض بطونها في نواحي تازا وتسول بالمغرب الاقصى (١٣) وبربر مكناسة من البتر وبطونهم كثيرة منها « صولات وبوحاب وبنو ورفلاس وقيصارة وورقطنة وورصطف » (١٤) وكلهم من سكان الصحراء (١٥) ٠

وأسهمت عناصر أخرى غير مكناسة في قيام الدولة ، ولعل من أبرزها بربر صنهاجة وزويلة وزناتة وزنوج السودان وأهل الربض الاندلسيين ، ويفهم هذا من قول اليعقوبي (١٦) بأن عناصر شتى استقرت في سجلماسة ٠ فقبائل صنهاجة اللثام من مسوفة ولمتونة كانت تضرب في أخواز سجلماسة على طول المغازة بينها وبين غانة السودانية (١٧) ٠ ويبدو أنهم كانوا من الكثرة بالمدينة حتى ان البكري وصف سكانها بأنهم كانوا يلتزمون

النقاب (١٨) · ونعلم ان السودان أسهموا في قيام دولة بني مدرار ، فكانت جماعات منهم تقيم باقليم تافيللت بعد اعتناقهم المذهب الصفري على يد أبي القاسم سمكو بن واسول (١٩) · وحسبنا ان أول من تولى الامامة في الدولة كان سودانيا يدعى عيسى بن يزيد الاسود ·

وكان اشتغال بربر زويلة ـ ومواطنهم جنوبي سجلماسة ـ بالوساطة التجارية ومرافقة القوافل عبر المغاوز ما بين سجلماسة وبلاد السودان ، سببا في اعتناقهم المذهب الصفري ومشاركتهم صفرية تافيللت في انشاء دولة بني مدرار (٢٠) ·

وعلى الرغم من استبعادنا للرواية القائلة بتأسيس ربط الاندلس لمدينة سجلماسة وان أول أئمة الدولة كان منهم (٢١) ، فلا شك في أنهم قاموا بدور واضح في تدعيم الدولة بعد نزول أعداد غفيرة منهم بسجلماسة واعتناقهم المذهب الصفري (٢٢) ، وخاصة فيما يتعلق بالنواحي المهنية والعمرانية ·

على ان الفضل يعزى الى مكناسة في جمع شمل هذه العناصر جميعا في تنظيم سياسي واحد بعد ان كانت تضرب في اقليم تافيللت دونما صلة أو رباط يجمعها (٢٣) ، فتمكن زعيمها أبو القاسم سمكو بن واسول من تجميعها حول المذهب الصفري وضمها في كيان واحد · ويعزى دور مكناسة القيادي هذا الى أسبقيتها في اعتناق المذهب الصفري ، فقد وصلها في وقت مبكر فقد تلقاه المكناسيون عن أئمتهم ورؤسهم من المغرب (٢٤) فكان زعيمهم أبو القاسم سمكو على صلة بعكرمة منذ وصوله الى القيروان ، وهو من أشهر دعاة الصفرية في بلاد المغرب على الاطلاق · وبعد نشره المذهب بين قومه من مكناسة عكف على بثه بين سكان اقليم تافيللت ، وهذا يخالف قول صاحب الازهار الرياضية (٢٥) بأن المذهب الصفري انتقل الى مكناسة عن طريق أهل تافيللت في وقت متأخر أثناء شروعهم في اقامة دولة بني مدرار · اذ الثابت ان بربر مكناسة وزعيمهم أبا القاسم سمكو اشتركوا في ثورة ميسرة المطغري سنة ١٢١هـ (٢٦) (٧٣٩م) ·

ولم نقف على دور لابي القاسم في ثورات الصفرية بعد ميسرة ، ويبدو

أن سيطرة زناتة على الحركة ، وتولي من هم أقل منه مكانة وسابقة في المذهب وزعامتها ، جعله يعزف عن المشاركة فيها ، أو لعله زهد في اسلوب الثورة وآثر الانقطاع لنشر المذهب في الاصقاع الجنوبية تمهيدا لانشاء دولة للصفرية هناك ، فتوجه الى تافيللت حيث تضرب جماعات من السودان وبعض بطون صنهاجة وهم غالبية سكانها (٢٧) ٠ وجدير بالذكر ان هذه الجماعات « كانوا أهل بادية وحواضر وحراثات » (٢٨) فكانوا يعملون بالرعي والزراعة » (٢٩) الى جانب التجارة (٣٠) ٠ كما عرفوا بالتدين وحب العلم والرغبة في طلبه الى جانب شدة البأس والنجدة وقوة العريكة ، « فهم أهل علم وسلاح » (٣١) ٠ لذلك وجد فيهم أبو القاسم سمكو — الملقب بمدرار (٣٢) — ضالته المنشودة ، فكانوا عونا له على انشاء الدولة التي نسبت اليه ٠

نزل أبو القاسم أرض تافيللت سنة ١٣٨هـ (٣٣) (٧٥٥م) ٠ واشتغل بالرعي ، وأخذ يتصل بغيره من الرعاة الذين كانوا ينتجعون بقطعانهم موضع سجلماسة ، ويعلمهم أصول المذهب الصفري (٣٤) ٠ وأصبحت خيمة أبي القاسم بمثابة مجمع يلتقي به أنصاره (٣٥) ٠ ولما اشتد ساعده وكثر أتباعه نصبوا خيامهم الى جواره (٣٦) ٠ ويذهب بعض المؤرخين (٣٧) الى ان أبا القاسم شرع في اعلان قيام دولته سنة ١٤٠هـ (٧٥٧م) لما بلغ عدد انصاره أربعين رجلا ، « فعندئذ بايع بالامامة عيسى بن يزيد الاسود وحمل قومه مكناسه على طاعته » ٠

على كل حال — كانت مبايعة عيسى بن يزيد الاسود بالامامة (٣٨) — وهو من موالي العرب (٣٩) — وانصياع صفرية مكناسة لبيعته بعد أن حملهم أبو القاسم على الاعتراف بامامته (٤٠) تطبيقا عمليا لرأي الخوارج في الامامة٠ ولما كان عيسى بن يزيد الاسود لا يرقى الى منزلة أبي القاسم سمكو من حيث السابقة في المذهب أو الافضلية في العلم ، فان اختياره للامامة يدل على ثقل وزن عنصر السودان ورجحانه على سائر العناصر الصفرية باقليم تافيللت ٠ ومما يؤكد ذلك ان غالبية بربر مكناسة لم يكونوا قد انتقلوا بعد من مواطنهم الاولى ليستقروا في اقليم تافيللت ، فلم يحدث هذا الا بعد اختطاط سجلماسة،

يؤيد ذلك قول ابن خلدون (٤١) « ... وبعد ان اختطوا سجلماسة سنة ١٤٠هـ دخل سائر مكناسة من أهل تلك الناحية في دينهم » .

أجمع الصفرية اذن على مبايعة عيسى بن يزيد بالامامة (٤٢) سنة ١٤٠هـ (٧٥٧م) وفي نفس السنة شرعوا في اختطاط سجلماسة (٤٣) لتكون حاضرة للدولة (٤٤) . وقد أصبحت سجلماسة مركزا للامارة (٤٥) ومقرا للمذهب الصفري .

وقد حرص الصفرية على انشاء هذه العاصمة في مكان حصين ، فأقاموها في « موسطة الصحراء » (٤٦) جنوب تلمسان بعشرة مراحل ، وفي موضع التقاء فرعي نهر ملوية (٤٧) وأسس الصفرية حصنا في وسط المدينة أسموه العسكر ، كما أسسوا المسجد الجامع ودار الامارة (٤٨) . ثم أقبل الناس على بناء دورهم حول الحصن (٤٩) . فاتسع العمران حتى جاوزت المدينة فرعي نهر ملوية (٥٠) وقد أسهم في بنائها معماريو الاندلس فضلا عن اليهود الذين استقروا بها لاستغلال التبر (٥١) . وقد أسس سورها سنة ٢٠٨هـ (٨٢٣م) في عهد أليسع بن أبي القاسم ، وبه من الابواب اثني عشر بابا (٥٢) منها الباب القبلي والباب الغربي وبابغدير الجزارين وبابموقف زناتة (٥٣). ويصف ابن حوقل (٥٤) الذي زارها في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ـ أبنيتها بأنها شاهقة كأبنية الكوفة . اذ أنها بنيت بالصخر فبقيت قائمة عدة قرون حتى وصفها ابن مقديش (٥٥) بأنها « مسنة » .

ولما كانت سجلماسة محصورة بين فرعي نهر ملوية ، فقد توفرت لها المياه . لهذا عمل عيسى بن يزيد على تنظيم الافادة منها ، فشق القنوات « وصرف الى كل ناحية قدرها من مائة » ، واستكثر من غرس النخيل (٥٦) . وهذا يعني ان تأسيس سجلماسة ارتبط به تحول في حياة السكان من الرعي والبداوة الى الزراعة والاستقرار (٥٧) ، ولا غرو فقد غدت سجلماسة مدينة النخيل والاعناب والفاكهة (٥٨) . وقد أفاض الجغرافيون (٥٩) والرحالة في وصف غروسها التي غطت مساحة قدرها أربعين ميلا .

والى جانب الفاكهة تنوعت المحاصيل « حسب زروع مصر في

الفلاحة » (٦٠) مما حدا بالادريسي (٦١) الى أن يصف المدينة بأنها « كثيرة الخضر والنبات » وبفضل هذه المنتجات المتعددة قدر لها أن تلعب دورا تجاريا هاما في بلاد المغرب (٦٢) والسودان حتى أضحى سكانها « سراة مياسير يباينون سائر أهل المغرب بالمخبر والمنظر » (٦٣) ٠

ولا شك في أن هذا الازدهار الاقتصادي الذي واكب انشاء سجلماسة ساعد على تدعيم دولة بني مدرار ، فقد غدت قبلة للخوارج الصفرية في بلاد المغرب بأسره ٠ وقصدها جموع الصفرية من كل صوب لائذين بها هربا من انتقام ولاة بني العباس من آل المهلب ٠ وكان لذلك أثره في تدعيم الكيان السياسي لدولة كانت تعاني من نقص في السكان (٦٤) ٠ وقد أدت هذه الهجرات بدورها الى نتائج سياسية غاية في الاهمية في التطور السياسي لدولة بني مدرار ، فقد هجرت بقية بطون مكناسة مواطنها الاصلية واستقرت بالمدينة الجديدة ، وغدت أكثر العصبيات وأقواها ، وأهلها ذلك للزعامة السياسية والتطلع لمنصب الامامة ٠

ثم انتقلت الامامة الى أبي القاسم سمكو ، فقد سخط صفرية مكناسة على الامام عيسى بن يزيد ونحوه ، وولوا زعيمهم أبا القاسم سمكو مكانه ٠ وما يسوقه المؤرخون من أسباب في هذا الصدد تتسم بالابهام وتفتقر الى التحديد ٠ اذ يذكر بعضهم (٦٥) « أنهم نقموا عليه كثيرا في أحواله » ويعزي البعض (٦٦) الاخر ما حدث الى أن صفرية مكناسة « أنكروا عليه أشياء » ، دون ايضاح شيء من ذلك ٠ وثمة رأي ثالث ساقه البكري (٦٧) اذ قال ان « أبا الخطاب قال يوما لاصحابه في مجلس عيسى ، السودان كلهم سراق حتى هذا ، وأشار على عيسى ٠ فأخذوه وشدوه وثاقا الى شجرة في رأس جبل وتركوه كذلك حتى قتله البعوض » ٠ كما يذهب ابن الخطيب (٦٨) الى أن الصفرية ــ بعد قتل عيسى بن يزيد ــ « ولوا على أنفسهم أبا الخطاب الصفري » ٠ ويرجح الدكتور سعد زغلول عبد الحميد (٦٩) ان يكون أبو حاتم الاباضي أو عبد الرحمن بن رستم هو الذي أمر صفرية سجلماسة بعزل امامهم وقتله ٠

والحق ـ ان البكري ومن أخذ عنه قد جانبهم التوفيق • وليس أدل على ذلك من أن مقتل عيسى بن يزيد حدث سنة ١٥٥هـ (٧٠) (٧٧٢م) أي بعد أن ظل اماما لمدة خمسة عشر عاما (٧١) ، بينما قتل أبو الخطاب المعافري سنة ١٤٤هـ (٧٦١م) في معركة تاورغا • كما ان المصادر الاباضية ـ على وفرتها ـ لم تشر الى مثل هذا الامر ، فلم يكن من المألوف تدخل الاباضية والصفرية بالمغرب في شئون بعضهما البعض (٧٢) ، الامر الذي يشكك في هذه الرواية من أساسها •

ومع ذلك يستفاد منها أن عيسى بن يزيد انحرف عن خط المذهب ، وأسرف في تطبيقه واشتط في أحكامه • كما ان نقمة الصفرية عليه وتعذيبه وقتله بطريقة قاسية تنم عن تطرف الخوارج الصفرية وميلهم الى العنف (٧٣) • لكن الذي نؤكده أن الدافع الاساسي للثورة عليه هو ازدياد قوة مكناسة بعد قدوم بطونها من مواطنها الاصلية الى سجلماسة ، وتطلعها الى الحكم والسلطة •

على كل حال ـ آلت الامامة الى أبي القاسم سمكو ، وظلت من بعده حكرا على صفرية مكناسة التي اختصت باختيار الائمة من آل بيت أبي القاسم وآخذ البيعة لهم من جمهور الصفرية في سجلماسة وتوابعها (٧٤) •

وعكف أبو القاسم طيلة امامته (١٥٥ ـ ١٦٨هـ) (٧٥) (٧٧٢ ـ ٧٨٤) على ارساء قواعد دولته ، عازفا عن المشاركة في ثورات الصفرية في العصر العباسي الاول • ولعل هذا يفسر قول ابن خلدون (٧٦) ومن أخذ عنه (٧٧) بأن أبا القاسم خطب في عمله للمنصور والمهدي من بني العباسي ، والواقع ان أبا القاسم لم يسهم في حركات الصفرية الاخيرة لا لكونه تابعا للخلافة العباسية ـ كما يذهب ابن خلدون ـ ولكن لاحساسه بعدم جدوى هذه الحركات التي اتخذت شكل ثورات غير منظمة ، ولانشغاله من ناحية اخرى بمشاكل دولته الجديدة • وليس ببعيد ان يكون قد اضطر امام هذه المشاكل الى مسالمة الولاة العباسيين في المغرب ، ومن المحتمل أن يكون قد وعدهم بتبعية اسمية ليضمن سلامة دولته التي لم تكن قد استقرت بعد ، وان كان من الراجح أن دولة بني مدرار تمتعت باستقلال سياسي تام عن سلطة الخلافة وعمالها •

وهكذا ـ استطاع أبو القـاسم سمكو بن واسول المكنـاسي « مقدم الصفرية (٧٨) » بالمغرب الاقصى تحقيق أهداف الخوارج الصفرية باقامة دولة لهم في بلاد المغرب توارثها بنوه من بعده ٠

ب ـ سياسة بني مدرار الداخلية

تأثرت سياسة بني مدرار الداخلية ـ بدرجة كبيرة ـ بعاملين أساسيين، العامل العنصري ، والديني ، فتعيين الامراء وعزلهم ، وقيام الثورات والفتن ، واحتدام المنازعات بين أفراد البيت المدراري ، واتساع الدولة وتقلصهـا ، وقوتها وضعفها ، كل ذلك كان مرتبطا أشد الارتبـاط بالصراع القبلـي أو الخلاف المذهبي ٠

وقد تمثل العامل العنصري القبلي في تبـاين الكيـان الاجتماعي فـي سجلماسة واختلاف عناصر سكانها ما بين بربر وسودان وأندلسيين ، فضلا عما هو معروف من انقسام البربر الى بتر وبرانس ٠ ولئن كان المذهب الصفري اطارا جمع هذه العناصر جميعا وخفف من حدة النعرات العنصرية والتنـاحر القبلي داخل الدولة المدرارية ، الا اننا لا نعدم وجود أقليات دينية لعبت دورا واضحا في احداث الدولة ٠ كان هنالك اليهود الذين هيمنوا على مصائر البلاد الاقتصادية باحتكارهم استغلال مناجم الذهب والفضة في درعة (٧٩) ٠والمعتزلة الذين كانوا يبعثون بزكـاة أموالهـم الى رئيسهم تبـاهرت يصرفهـا حيـث شاء » (٨٠) كما وجد بسجلماسة أقلية من الخوارج الاباضية كان لها دورها البارز في تطور الاحوال السياسية داخل دولة بني مدرار (٨١) ٠

والحق ـ ان المصادر لا تمدنا بمعلومات وفيرة عن السياسة الداخلية (٨٢). ومع ذلك يمكن القول بأن الصراع العنصري ظهر واضحا في الاحداث المتعلقة بقيام الدولة ٠ فنعلم أن تقليد عيسى بن يزيد الاسود امامة الصفرية كـان مرتبطا بتفوق عنصر السودان على سائر العناصر الاخرى القاطنـة باقليـم تافيللت ٠ كما كانت هجرة مكناسة الى هذا الاقليم سببا في سيطرتهـا على

مصائر الدولة واحتكارها الامامة وتفوقها على سائر العناصر والقبائل الاخرى التي اختفى صوتها تماما فيما حدث من صراع على الامامة بين أفراد بني مدرار المكناسيين ٠

أما العامل المذهبي فيظهر بوضوح في نشاط الاباضية بسجلماسة ، ومما يؤكد دورهم في تاريخها السياسي ما درج عليه بعض المؤرخين من الخلط بين أئمتهم وبين أمراء سجلماسة الصفريين،واعتبار بعضهم بعض أمراء آل مدرار من الاباضية ٠ فابن الخطيب (٨٣) يذهب الى أن الصفرية بعد قتلهم عيسى بن يزيد الاسود « ولوا عليهم أبا الخطاب الصفري » الذي احتضن أبا القاسم سمكو وعقد له الامر من بعده ٠ وقد سبق أن فندنا تلك الرواية وأثبتنا ان ابا القاسم سمكو المكناسي تولى الامامة على اثر مقتل عيسى بن يزيد سنة ١٥٥هـ (٧٧٢م) واحتفظ بها حتى وفاته في سنة ١٦٨هـ (٨٤) (٧٨٤م) ٠

ولم نقف على دور للاباضية في عهد الياس بن أبي القاسم الملقب بأبي الوزير (٨٥) ، ذلك لان المصادر لا تمدنا بأية أخبار عن أحوال الدولة في عهده الذي امتد حتى عام ١٧٤هـ (٨٦) (٧٩٠م) ٠ ويبدو انه كان خاملا فاتر الهمة مما جعل الصفرية ينقمون عليه حكمه « فانتفضوا عليه وخلعوه وولوا مكانه أخاه اليسع » كما يذهب ابن خلدون (٨٧) ، ولا يبعد أن يكون أخوه دبر أمر خلعه واقصائه ليظفر بالامارة لنفسه حسبما ذكره البكري (٨٨) ٠ ومع ذلك نعتقد ان فتن الاباضية قد تفاقمت في عهده ، وهذا يفهم من جهود خليفته اليسع بن أبي القاسم الملقب بأبي المنصور (٨٩) (١٧٤هـ ــ (٩٠) ٢٠٨هـ) (٧٩٠ ــ ٨٢٣م) في قمعها ٠ فقد طمعوا في تقلد الامارة بعد استقلالهم بنواحي درعة الشهيرة بمعاداتها (٩١) ٠ غير ان اليسع عمد الى تعبئة الجند والانصار (٩٢) الى أن تسنى له اعداد جيش قوي تمكن به من اخماد الفتنة « وظفر بمن عانده » (٩٣) ٠٠ ويبدو أنه أسرف في البطش بخصومه حتى وصف بأنه « كان جبارا عنيدا ، فظا غليظا » (٩٤) لقد قضى على الفتنة في مهدها « وأظهر مذهب الصفرية » (٩٥) بعد أن « قاتل عليه » (٩٦) في حروب انتصر فيها جميعا حتى قيل بأنه « دوخ المغرب » (٩٧) وأسفرت هذه الحروب

من مد نفوذ الدولة حتى درعة ، وفرض الخمس على ما يستخرج بهـا مـن معادن (٩٨) ٠

ويبدو ان هذه الحروب الطويلة التي خاضها احدثت اضرارا بسجلماسة وتخريبا لعمائرها وسورها ، ولعل جموع الاباضية بالمدينة لعبوا دورا فـي هذا الصدد ٠ وهذا ما يرجحه اقدام ابي المنصور اليسع على اخلاء المدينـة واعادة تخطيطها فتخبرنا المراجع (٩٩) انه أمر القبائل بمبارحة سجلماسـة وسكنى الصحراء ٠ ثم أعاد بناء مسجدها الجامع واختط فيها المصانع والقصور حتى استردت بهاءها وزينتها (١٠٠) ٠ وشرع في تحصينها ببناء سور جديد أنفق فيه أموالا طائلة بذلها من ماله الخاص (١٠١) ٠ وقد بنى اسفله بالحجارة وأعلاه بالطوب (١٠٢) وجعل به اثنى عشر بابا صنع معظمها من الحديد (١٠٣) ولما انتهى من اتمام تعمير سجلماسة ، اعاد تقسيم خططها بين القبائل بمـا يكفل له الهيمنة على سائر أجزائها والسيادة على كافة سكانها (١٠٤) ٠

بذلك استطاع أبو المنصور أليسع أن يحقق أهدافه وأصبح لا ينازعـه في الامامة منازع ومن هنا يمكن اعتبار حكمه عصر الازدهـار والاستقرار في تاريخ دولة بني مدرار ٠

يؤكد ذلك تطلع جيرانه من بني رستم الاباضية الى كسب وده ليأمنوا جانبه من ناحية ويضمنوا الاستقرار والامن لاخوانهم في المذهب بسجلماسة من ناحية اخرى ، يفسر ذلك تزويج عبد الرحمن بن رستم إحدى بناته لاحد أبناء أبي المنصور اليسع ويدعـى مدرار لربط الدولتين الخارجيتين بصلـة المصاهرة (١٠٥) ٠ وقد أثمرت تلك المصاهرة فاستكان الاباضية بسجلماسة لحكم أبي المنصور ودانوا بطاعته حتى وفاته سنة (٢٠٨هـ) و (٨٢٣م) ٠

لكن ثوراتهم اندلعت من جديد في عهد مدرار بن أبي المنصور اليسع الذي خلف أباه وتلقب بالمنتصر (١٠٦) ، اذ ما لبث الصراع بين الاباضيـة والصفرية في سجلماسة ان وجد طريقه الى البيت المدراري ٠

وتجمع المصادر (١٠٧) على أن المنتصر مدرار كان له ولدين يدعى كل

منهما ميمونا احدهما من زوجته الرستمية والاخر من زوجة اخرى تدعى بقية فعرف ابنها بميمون بن بقيـة (١٠٨) · وتضيف ان المنتصر كـان يؤثر ابن الرستمية على أخيه حتى انه عهد اليه بولاية عهده (١٠٩) · وكان ذلك بداية انتصار الاباضية بسجلماسة · فآزر صفريتها ميمون بن بقية ، ودخل الطرفان في صراع استمر ثلاثة أعوام (٢٢١ ـ (١١٠) ٢٢٤ هـ) (٨٣٥ ـ ٨٣٨ م)كان المنتصر ابانها سليب الارادة · ثم أقدم المنتصر على خرق تقاليد الامامة فخلع نفسه وولى ابن الرستمية مكانه بعد طرده لابن بقية من سجلماسة (١١١) · وأغضب هذا التصرف شيوخ الصفرية بالمدينة لانتهاكه تعاليم المذهب مـن ناحية ، ولخوفهم من وقوع البلاد تحت سيادة الاباضية (١١٢) من ناحية اخرى فصمموا على خلع ابن الرستمية وتم لهم ما أرادوا · ويذكر النفوسي (١١٣) ان ذلك تم بتحريض من ميمون بن بقية لرؤساء الصفرية ومقدميهم · غير أنهم حين عرضوا عليه الامامة أبى واكتفى بطرد أخيه ابن الرستمية الى درعة(١١٤) فاعادوا أباه مدرارا للامامة (١١٥) ·

لكن المنتصر ما لبث ان بعث في طلب ابنه ابن الرستمية من درعةليوليه الحكم مرة أخرى · وعندئذ أرغمه الصفرية على التنحي وبايعوا ميمون بن بقية سنة ٢٢٤ هـ (١١٦) (٨٣٨م) ولقبوه بالامير (١١٧) · وبادر ميمون الاميـر بطرد ابيه من سجلماسة الى بعض القرى (١١٨) · فظل بها حتى وفاته سنة ٢٥٣ هـ (٨٦٧م) (١١٩) · وبقي ميمون أميرا حتى توفي سنة ٢٦٣ هـ (١٢٠) (٨٧٧م) · ولا نعلم شيئا عن أخباره الا ما ذكره ابن خلدون (١٢١) من أنه كان مستبدا في حكمه وكان مضطرا الى ذلك ليواجه فتن الاباضية ومؤامراتهم · ويبدو ان جمهرتهم هجرت سجلماسة الى درعة لاستجماع قواهم ومناصرة ميمون بن الرستمية على الظفر بالامارة ، وهذا ما حدا بمحمد بن ميمـــون الامير أن يقتفي أثرهم ويناهض حركاتهم ، اذ يخبرنا ابن الخطيب (١٢٢)بأنه «غزا وطهر بلاد القبلة» · ويبدو انه استأصل شأفة الاباضية في هذه الاصقاع، فلم نسمع عن حركاتلهم طوال حكمه· وقد توفي سنة ٢٧٠هـ (١٢٣)(٨٨٤م)· ويخيل الينا أن الدولة المدرارية في ذلك الحين تخلصت من مشاكلها الداخلية وحققت الامن والهدوء في سائر ربوعهـا ، فانصرفت الى التوسـع خـارج

حدودها ٠ وقد اضطلع بتلك المهمة خليفة الامير محمد بن ميمون ويدعى اليسع بن ميمون بن مدرار بن اليسع بن أبي القاسم (١٢٤) الذي لقب بالمنتصر (١٢٥) ٠

وبديهي أن يتطلع اليسع الى ضم صفرية مطغرة لدولته ويوحد صفرية المغرب الاقصى تحت لوائه ٠ وجدير بالذكر ان مطغرة اذ ذاك كانت تحت حكم الادارسة الذين اسرفوا في اضطهاد الصفرية داخل دولتهم ٠ ومن المحتمل أن يكون شيوخها قد اتصلوا بالعاهل المدراري لتحريرهم باعتباره امام الصفرية ببلاد المغرب ٠ ويذكر ابن الخطيب (١٢٦) ان اليسع المنتصر عقد العزم على الاضطلاع بتلك المهمة ، فشرع في تجنيد الجيوش لهذا الغرض ، ولم يثنه عن عزمه سوى مداهمة الخطر الشيعي لسجلماسة نفسها ٠

ففي عهده وقعت حادثة الغزو الشيعي لسجلماسة التي انتهت بقتل اليسع وسقوط الدولة المدرارية سنة ٢٩٧ هـ (٩١١م) وهو ما سنفصله في الباب الرابع ٠

وهكذا ـ لعبت الخلافات العنصرية والقبلية والمذهبية دورا موجها في سياسة دولة بني مدرار الداخلية ٠

ج ـ علاقات بني مدرار الخارجية

كانت دولة بني مدرار دولة داخلية صحراوية ، فلم تسهم بدور كبير في احداث عصرها ، بل انصرف هم امرائها الى الحفاظ على استقلالها السياسي ، ومذهبها الديني ، ومصالحها الاقتصادية ٠ لكنها مع ذلك لم تكن بمنأى عن التيارات السياسية في العالم الاسلامي عموما وفي بلاد المغرب بوجه خاص ، فكان على أمرائها ان يتخذوا موقفا ـ ان وديا وان عدائيا ـ حيال القوى الاسلامية الكبرى أو ما يدور في فلكها من الدول الصغرى ببلاد المغرب٠ حقيقة أن دورهم كان سلبيا على وجه العموم ، ونادرا ما بادروا بالخروج عن دائرة العزلة السياسية التي فرضتها طبيعة بلادهم الجغرافية ومع ذلك يمكن أن نشير الى علاقاتهم السياسية بطابعها الودي او العدائي ، وبجوانبها السلبية

او الايجابية مع كافة القوى الاسلامية المعاصرة في بلاد المغرب ، فضلا عن الدولة العباسية والاندلس (١٢٧) ٠

على كل حال كانت سياسة بني مدرار الخارجية تتألف من خطين بارزين ، علاقات عدائية تجاه الخلافة العباسية ودولة الاغالبة ودولة الادارسة ثم علاقات ودية مع بني رستم والامويين بالاندلس ٠

أ ـ العلاقات العدائيـــة :

١) بنو مدرار والعباسيون :

اتخذت علاقات بني مدرار بالخلافة العباسية وعمالها في المغرب طابعا عدائيا ٠ حقيقة أن هذا العداء لم يصل الى درجة قيــام الحروب بيــن أئمــة سجلماسة وأمراء القيروان ، فقد شغل كل منهم بمشاكله الذاتية عن مناجزة خصومه ، وحالت الظروف السياسية والعوامل الجغرافية دون تناصرهم ، فانصرف هم الخلافة وعمالها الى الاحتفاظ بافريقية وأسقطوا اقاصي بـــلاد المغرب من حسابهم بعد أن انسلخت تماما عن نفوذهم ٠

كما أثر الامراء المدراريون حياة الهدوء والموادعة داخل بلادهم النائيــة بعدما تعرضت له حركات الخوارج على أيدي ولاة بني العباس منذ ولاية محمد بن الاشعث حتى عهد هرثمة بن أعين ٠ ومن ثم قنع العباسيون باستخلاص افريقية وحمايتها من أخطار الخوارج كما زهد امراء سجلماسة في مناجـزة ولاة القيروان ولم يكلفوا انفسهم مشقة اعداد الجيوش بسجلماسة في أقصى الجنوب لخوض حروب غير مأمونة العواقب في أقصى الشمال ، وانصرفوا لمواجهة المشاكل الداخلية في دولتهم ، فضلا عن الاهتمام بمصالحهم التجارية كوسطاء في حركة التجارة عبر الصحراء شرقا وغرباوشمالا وجنوبا ٠

وقد أدى هذا الى أن بعض المؤرخين اعتبروا امراء سجلماسة عمالا للعباسيين بسبب عزوف الطرفين عن محاربة بعضهمـا البعض ، فيذكر مرسييه (١٢٨) أن «بني مدرار كانوا يعترفون بالتبعية للعباسيين ، أما فورنل (١٢٩) فيقرر

«أن أمراء سجلماسة كانوا يدعون لبني العباس» • وكذلك بل (١٣٠) فانه يقول وليس غريبا أن يدخل أمراء سجلماسة في علاقات التبعية للعباسيين رويدا رويدا » • وربما كان بروفنسال (١٣١) اكثر انصافا في قوله « كان المدراريون في كثير من فترات حكمهم يتبعون بغداد اسميا» • ويخيل الينا أن هؤلاء المؤرخين قد اعتمدوا على نصين عند ابن خلدون ، يذكر في (١٣٢) أحدهما أن أبا القاسم سمكو بن واسول «خطب في عمله للمنصور والمهدي من بني العباس» ، وفي الاخر (١٣٣) أن الشاكر لله أعلن ولاءه لبني العباس عندما قام بحركته ضد الفاطميين كما اعتمدوا ايضا على رواية اخرى مشكوك فيها تفيد أن اليسع بن مدرار أمير سجلماسة أودع عبيد الله المهدي السجن على اثر رسالة من الخليفة العباسي يأمره فيها بالقبض عليه •

واذا صح ما ذكره ابن خلدون من خطبة أبي القاسم سمكو للمنصور والمهدي في سجلماسة ، فانه يكون قد فعل ذلك خوفا من عمال الخلافة في المغرب من أمثال يزيد بن حاتم وخلفائه ممن عرفوا بالقوة والبطش في ملاحقة حركات الخوارج • واقدام أبي القاسم على هذا العمل يدخل في اطار « مبدأ التقية» الذي تجيزه تعاليم المذهب الصفري(١٣٤) تحاشيا لاخطار محدقة بدولته وهي لم تزل في المهد •

أما مناداة الشاكر لله بالدعوة لبني العباس ، فمن المعتقد انها كانت لهدف سياسي هو تأليب أهل السنة ببلاد المغرب ضد الفاطميين الشيعة ، وهو ما فعله أبو يزيد مخلد بن كيداد في ثورته على الفاطميين • وحسبنا ان الشاكر لله ضرب العملة باسمه من دون الخليفة العباسي (١٣٥) ــ كما لقب نفسه «بأمير المؤمنين» (١٣٦) بما يؤكد صدق قول القلقشندي (١٣٧) «فدعا لنفسه مموها بالدعاء لبني العباس» •

أما عن الرواية المتواترة عن حبس اليسع بن مدرار للمهدي بسجلماسة وفقا لمشيئة الخليفة العباسي ، فالمعتقد انها مشوبة بالخطط والاضطراب الامر الذي يشكك في صحتها • يقول ابن خلدون (١٣٨) « ••• ولحق عبيد الله

الشيعي وابنه أبو القاسم ـ بسجلماسة لعهده ، وأوعز في مقدمته (١٣٩) ان «المعتضد أوعز الى الاغالبة أمراء افريقية بالقيروان وبنـي مدرار بسجلماسة بأخذ الافاق عليهما «المهدي وابنه » واذكاءا لعيون في طلبهما ، فعثر اليسع صاحب سجلماسة من آل مدرار على خفى مكانهما ببلده واعتقلهما مرضاة للخليفة» . وفي رواية ثالثة (١٤٠) . يقول ابن خلدون « وذهب عبيد اللـه الى سجلماسة وبها اليسع بن مدرار فأكرمه ، ثم جاء كتاب زيادة اليه ، ويقال كتاب المكتفي بأنه المهدي الذي داعيه في كتامة فحبسه» .

ولا يمكن أن تكون هذه الروايات المضطربة ذريعة للقول بأن العلاقات كانت ودية بين بني مدرار وبني العباس كما ذهب بل (١٤١) والاكثر غرابة أن يقال أن « امير سجلماسة كان سنيا » (١٤٢)

ومكمن الاضطراب في روايات ابن خلدون قولـه في أولى رواياتـه ان الخليفة المعتضد هو الذي أوصى الى ابن مدرار بالقبض على المهدي ، بينما يذكر في روايته الثالثة ان ابن مدرار استجاب لطلب الخليفة المكتفي وليس المعتضد . وفضلا عن ذلك فان هذه الروايات لا تحدد ما اذا كان الخليفة العباسي أم الامير الاغلبي ، هو الذي بعث بكتبه ليستحث اليسع بن مدرار القبض على المهدي .

ومهما كان الامر ، فان عبيد الله المهدي كان معروفا لدي أمير سجلماسة الذي كان يجله ويكرمه (١٤٣) . وكان المهدي يغدق الهدايا والصلات على حكام البلاد التي مر بها أو أقام فيها ، فمنهم من لم يعرفه وأكرمه لذلك ، ومنهم من عرفه وترك التعرض له لما كان منه اليه، ومنهم من عرفه وقدره»(١٤٤) ولم ينكر المهدي نسبه وأنه « يدعو الى الرضى من آل محمد » حين سأله ابن مدرار ، بل كتم عنه صلته بداعيته ابي عبد الله الشيعـي ونفى معرفته به (١٤٥) .

ويخيل الينا أن ابن مدرار حين قبض عليه وحبسه لم يقصد بذلـك «مرضاة الخليفة» أو لانه كان على طاعته «كما ذهب ابن خلدون . بل أقـدم

على ذلك حين علم ، «بأنه هو الذي يدعــو الى بيعته أبو عبــد الله الشيعــي بافريقية (١٥٦)» الذي كان خطرا على سائر دول المغرب هددها بالزوال (١٥٧) وقد نمى ذلك الى علمه «من جهات كثيرة (١٥٨)». وليس عن طريق الخلافــة العباسية وحدها ٠

قصارى القول أن واقعة حبس المهدي بسجلماسة لا تدل على تبعية آل مدرار لبني العباس بقدر ما تدل على خوف الامير المدراري على دولته من الخطر الشيعي الجديد فالقول بتبعية الاسرة المدرارية للخلافة العباسية أمر يتعارض والظروف السياسية التي قامت فيها دولة بني مدرار ، كما لا يستقيم مع طابعها الديني المذهبي المتطرف ، وواقع صلاتها السياسية بالقوى المعادية لبني العباس ٠

فقيام دولةبني مدرار بسجلماسة كان على حساب النفوذ العباسي فــي بلاد المغرب، فاقتطع هذا الجزء نهائيا عن سلطان الخلافة، واستقل به أمراء بني مدرار « عن ولاة القيروان والعرب (١٥٩) » « وخلعوا طاعة الخلفاء (١٦٠) ولما كانت دولة بني مدرار بمثابة مجمع للخوارج الصفرية أساسا ، فقد غلب عليهــا الطابع الديني المذهبي ٠ وجدير بالذكر ان مذهب الخوارج عموما لا يعترف بامامة بني العباس باعتبارهم مغتصبين للخلافة « وكلهم يجب الخروج عليهم ومقاتلتهم وعزلهم ان أمكن أو قتلهم ان أمكن » (١٦١) ٠ واذ لم يكن بمقدور صفرية المغرب الاقدام على ذلك ، فلا أقل من مناصبتهم العداء وانكــار شرعية امامتهم ٠ وليس من المقبول أن يدين صفرية سجلماسة لبني العباس فــي الوقت الذي كان اخوانهم في المذهب يعانون من سطوة الخلافة بالشرق ، ففي السنوات ١٦٢هـ ، ١٦٩هـ ، ١٧١هـ ، ١٧٨هـ ، (٧٧٩ ، ٧٨٦ ، ٧٨٨ ، ٨٩٥م) عمد العباسيون الى استئصال شأفة الخوارج الصفرية في قنسريــن وأرض الموصل والجزيرة وأرض السواد ، فأبادوا جموعهم وقتلوا زعماءهــم وبطشوا بجيوشهم (١٦٢) ٠ واستمرت تلك السياسة طوال القرن الثــالث الهجري حتى ضعفت شوكة الخوارج الصفرية في المشرق الاسلامي (١٦٣) ٠ ولا غرابة بعد ذلك اذا أضمر أمراء بني مدرار بسجلماســة العداء للخلافــة العباسية وعمالها في المغرب ٠

٢ ـ بنو مدرار والاغالبة :

من الطبيعي ان تكون علاقات الاغالبة ببني مدرار امتدادا لعلاقات بغداد بسجلماسة ٠ فدولة الاغالبة التي قامت بافريقية سنة ١٨٤هـ (٨٠٠م) كانت تدين بالولاء السياسي والتبعية الاسمية للخلافة العباسية على الرغم مما تمتعت به من استقلال ذاتي ٠ وحسبنا انها كانت تمثل البقية الباقية لنفوذ الخلافة في بلاد المغرب ٠ وقاعدتها لاسترداد سلطانها المفقود في هذه الجهات ٠ ولا غرو فقد سمح الرشيد بقيام هذه الدولة حرصا منه على استمرار نفوذه في افريقية من ناحية ، واسترداد هذا النفوذ في الاجزاء التي انسلخت عنه من ناحية أخرى لو استطاع الاغالبة الى ذلك سبيلا (١٦٤) ٠ ومن ثم عادى الاغالبة أعداء الخلافة في المغرب ومنهم بنو مدرار ٠

لكن الذي لا شك فيه ان هذا العداء لم يبلغ حد التناحر والتصارع بين الدولتين فانصرف الاغالبة عن مشاكل المغرب لتحقيق أهدافهم التوسعية في حوض البحر المتوسط ٠ وربما كان وجودهم وسط حشد من الاعداء (١٦٥) دافعا لهم على تولية الظهر للقارة والاتجاه الى البحر ٠ وبديهي أن يخفف هذا الاتجاه من حدة عدائهم لبني مدرار وخاصة ان الاخيرين كانوا بعيدين عن متناول خصومهم حيث قامت الدولة الرستمية حائلا بين الطرفين (١٦٦) وتعرضت بذلك للاحتكاك مع الاغالبة ٠

واذا كانت دولة بني مدرار قد سلمت من مناجزة أمراء القيروان وتطاولهم ، فذلك لا يعني انتفاء عداواتهم ، أو بمعنى اخر لم يكن عدم قيام الحروب بين سجلماسة والقيروان دليلا على الود المتبادل كما ذهب فورنل (١٦٧) ٠ والحقيقة ان كلا من الطرفين لم يعبأ بالاخر ، طالما لم يكن بوسعه ان يسير الجيوش لقتاله ٠ ومن ثم اتخذت عداوتهما طابع الاغفال وعدم الاكتراث ٠

ومن الخطأ أن يفسر ذلك على انه استكانة من جانب بني مدرار وقناعة منهم بالتبعية للاغالبة ، فقد ذهب ابن أبي دينار (١٦٨) الى أن « أليسع بن مدرار كان يحكم سجلماسة لبني الاغلب » ٠ ويخيل الينا أنه استنتج هذا

الفول من حادثة القبض على عبيد الله المهدي بسجلماسة على اثر رسالة بعثها الامير زيادة الله بن الاغلب وفقا لرواية بعض المصادر (١٦٩) ، أو أرفقها برسالة أخرى للخليفة العباسي في رواية أخرى (١٧٠) وقد سبق ان ذكرنا ان الامير المدراري أقدم على سجن المهدي اتقاء للخطر الشيعي الذي هدد دولته ٠

لقد كان قبض أليسع على المهدي وسجنه بسجلماسة من قبيل التوافق غير المقصود بين أهداف الخلافة والامارة الاغلبية وبين مصالح الاسرة المدرارية التي تهددها خطر الشيعة ، ولا يعني هذا الحادث وجود أدنى نفوذ للاغالبة على أمراء بني مدرار ٠

لقد كان الخلاف السياسي والمذهبي بين الامارتين الاغلبية والمدرارية يحول دون أدنى تقارب بينهما ، ولا غرو فقد هادن بنو مدرار جيرانهم الرستميين كيما يتفرغوا لمواجهة الاغالبة عدوهم المشترك ٠ كما التقوا بأموي الاندلس للوقوف أمام أطماع الاغالبة في المغرب والحيلولة دون تسربهم الى ما وراء حدود افريقية ٠

ولعل من أهم ما يبرز أسباب الجفوة والعداء بين المدراريين والاغالبة ما تعرض له الخوارج الصفرية من بطش واضطهاد في القيروان ، فقد كان اعتناق المذهب الصفري تهمة تصم صاحبها بالمروق والعصيان والزندقة (١٧١) وعلى الرغم مما يقال (١٧٢) عن تسامح الاغالبة مع أهل المذاهب الاخرى بالقيروان ، فقد تعرض الصفرية ــ بوجه خاص ــ لاضطهاد شديد ، بعد ولاية سحنون قضاء القيروان ــ فقد حظر عليهم الاجتماع والصلاة في المسجد الجامع (١٧٣) ، وبددت حلقاتهم فيه (١٧٤) ، كما منعوا من مزاولة مهنة تعليم الصبيان وتأديبهم (١٧٥) ، وتعرض من خالف ذلك منهم لمزيد من البطش والتعنيف (١٧٦) ٠

كل ذلك كفيل بأن يذكي العداء بين بني مدرار والاغالبة ، وينفي بشكل قاطع أي قول بوجود علاقات ودية بينهما ، كما يدحض الزعم القائل بتبعية أمراء سجلماسة لبني الاغلب ٠

٣ ـ بنو مدرار والادارسة :

تحفل المراجع بكثير من القرائن والشواهد (١٧٧) التي تؤكـد العداء الصارخ بين بني مدرار والادارسة · فقد قامت دولة الادارسة بالمغرب الاقصى سنة ١٧٢هـ (٧٨٩م) على حساب نفوذ الخوارج الصفرية ، اذ نعلـم انهم اقتطعوا هذه الجهات من الخلافة وولاتها بالقيروان منذ ثورة ميسرة سنة ١٢١هـ (٧٣٩م) فلما نجح ادريس الاول في اقامة دولته ذوي شأن الصفريـة فيها ، وتعرضوا للبطش والاضطهاد من جانب آل ادريس · وزاد هذا العداء (١٧٨) حدة بسبب الخلاف المذهبي ، فالادارسة من الشيعة الزيدية ، وبنو مدرار من الخوارج الصفرية ، ولا يخفى العداء التقليدي بين الشيعة والخوارج ·

لا نكر وجود حاجز جبلي يفصل بين الدولتين ، وان هذه الطبيعـة الجبلية في المغرب الاقصى شكلت نوعا من الحماية لكلتا الدولتين (١٧٩) الى حد كبير ، لكن ذلك لم يكن عائقا دون امكانية غزو احداها للاخرى · فثمـة طريق ممهد يبدأ من فاس الى صفروي فقلعة مهدي فتادلة فوادي شعب الصفا· تم يمر عبر الجبل الكبير الى الجنوب حيث توجد سجلماسة (١٨٠) · وكانت القوافل ترتاد هذا الطريق ، فتخرج ، « من باب الفوارة بفاس الـى مدينـة سجلماسة » (١٨١) حيث تتوافر الزروع والمياه في اقليم أغمات الموجود على يساره (١٨٢) · بل لا يخالجنا شك فيما ذهب اليه جورج مارسيه (١٨٣) بأن ادريس الاول وخلفائه كانوا عازمين على استئصال شأفة صفرية تافيللت »· ويخيل الينا انهم عزفوا عن تحقيق ذلك بسبب صراعهم الحاد مع الاغالبة الذين نجحوا في اثارة القلاقل وحيك المؤامرات في وجه أئمة فاس ، فاغتالوا ادريس الاول (١٨٤) والثاني (١٨٥) ومولاهما (١٨٦) راشد وألبوا وزراءهم وكبـار رجال دولتهم عليهم واستمالوا بعضهم الى جانبهم (١٨٧) · كذلك كان ضعف الدولة بعد مـوت ادريس الثـاني ونشـوب الخلافـات بيـن افـراد الاسرة الادريسية (١٨٨) من أسباب تقاعس الادارسة عن غزو سجلماسة ، واكتفائهم بتصفية نفوذ الصفرية داخل دولتهم ، فضلا عن استقطاع بعض أطراف الدولة المدرارية ·

أما عن بني مدرار ، فلم يكن بوسعهم ـ أمـام مشاكلهم الداخليـة ـ

الشروع في غزو بلاد الادارسة خاصة في عهدي ادريس الاول والثاني · وحين أتيح لهم القيام بهذا الدور في عهد أليسع بن مدرار ، دهمه الخطر الفاطمي الذي قضى على بني مدرار والادارسة معا · لكن بني مدرار لم يعدموا وسائل الكيد والدس لجيرانهم ، واثارة القلاقل في دولتهم عن طريق صنائعهم من الصفرية في الدولة الادريسية ·

وقد اتخذ هذا العداء السياسي بين فاس وسجلماسة مظاهر من الفعل ورد الفعل ، كان الادارسة يمسكون فيها بزمام المبادرة ، بينما لاذ بنو مدرار ازاءها بالصمت حينا وتصدوا لمواجهتها حينا اخر ·

وتجلت مظاهر العداء فيما قام به ادريس الاول من حملات لاستئصال شأفة صفرية تلمسان من بني يفرن الزناتيين (١٨٩) بعد ان بايعته القبائل الصفرية الاخرى قسرا ، ومن بينها بعض بطون مكناسة (١٩٠) ·

ففي منتصف رجب من عام ١٧٣هـ (٧٩٠م) توجه ادريس على رأس حملة الى تلمسان وأخضع أهلها دون عناء (١٩١) ، وظل مقيما بها حتى عام ١١٧٤هـ (٧٩١م) ليوطد نفوذه فيها · ثم أسند حكمها الى أخيه سليمان (١٩٢) وعاد الى وليلي · وهكذا قدر له الاستيلاء على كل معاقل الصفرية في بلاد المغرب الاقصى فيما عدا سجلماسة · غير ان اغتياله المفاجيء شجع صفرية تلمسان على الانتفاض ، وظلوا خارجين على الادارسة حتى عام ١٩٧ هـ (٨١٣م) حين عول ادريس الثاني على اعادتهم الى طاعته فأعد الحملة التي جهزها « لمحو آثار دعوة الخوارج الصفرية (١٩٣) » في تلك السنة واستمر يحاربهم طيلة ثلاث سنوات (١٩٤) ــ الى أن أذعنوا لطاعته (١٩٥) ·

ولم يستطع صفرية سجلماسة مد يد العون لاخوانهم بتلمسان واستنقاذهم من ضربات الادارسة ، ويعزى ذلك الى استحالة الاتصال بين سجلماسة وتلمسان الا عبر أراضي الدولة الادريسية ، فكان الطريق اليها يمر بدرعة وأغمات وتادلا وفاس ومنها الى تلمسان (١٩٦) ·

وعول خلفاء ادريس الثاني على اقتطاع الاجزاء المجاورة لدولتهم والتابعة

لبني مدرار ، فتمكن عبد الله بن ادريس ـ الذي تولى أغمات والسوس الاقصى وبلاد نفيس ـ من مد نفوذه على صنهاجة اللثام الضاربة حول سجلماسة واستولى على بعض الحصون التابعة لبني مدرار (١٩٧) • كما اقتطع يحيى ابن ادريس بلدة تامدلت ـ قرب درعة ـ وهدد بحرمان بني مدرار من مناجم درعة الغنية بالذهب والفضة (١٩٨) •

وتمثل رد الفعل من جانب بني مدرار في تحريض الصفرية في فاس على الثورة ضد الامير علي بن عمر بن ادريس • وبالفعل نجح أحد صنائعهم ويدعى عبد الرزاق الصفري في لم شمل صفرية مديونة وغياثة ومكناسة وغيرهم ، واستولى على مدينة صفروي ـ جنوبي فاس ـ وبايعه كافة الصفرية في نواحيها • ثم اتجه بجموعه الى فاس وهزم علي بن عمر بن ادريس الذي فر لائذا بقبيلة أوربة ، وتمكن عبد الرزاق من دخول العاصمة ، وخطب له على منابر عدوة الاندلسيين • لكن حركته لم تستمر طويلا ، فقد استدعى أهل عدوة القرويين يحيى بن القاسم بن ادريس المعروف بالعدام وبايعوه بالامامة • وتمكن العدام من طرد عبد الرزاق الصفري من عدوة الاندلسيين ، وظل يقاتل الصفرية في عدة وقائع حتى فل شوكتهم وقتل زعيمهم سنة ٢٩٣هـ (١٩٩) (٩٠٧م) • ونحن نرجح ما ذهب اليه جورج مارسيه (٢٠٠) من ان حركة عبد الرزاق الصفري هذه كانت من تدبير بني مدرار في سجلماسة ، ومما يرجح ذلك قيامها في المناطق المجاورة للامارة المدرارية وامتدادها الى الشمال حتى وصلت الى فاس قصبة دولة الادارسة •

ولعل ما أحدثته تلك الحركة من تصدع في دولة الادارسة ، وما وصلت اليه دولة بني مدرار من قوة واستقرار على عهد أليسع بن مدرار ، هو ما جعل الامير المدراري يعد العدة لبسط نفوذه على اخوانه في المذهب المقيمين داخل الدولة الادريسية فعول على تجهيز جيش يغزو به دولة الادارسة لتحقيق هذه الغاية ، لكن جهوده في هذا الصدد لم تتم بسبب تعرض بلاده للخطر الشيعي (٢٠١) •• وهكذا غلب طابع العداء على العلاقات السياسية بين سجلماسة وفاس •

ب ـ العلاقات الودية :

١ ـ بنو مدرار والرستميون :

اتخذت علاقات بني مدرار ببني رستم طابعا وديا ، تمثل في سياسة حسن الجوار التي حرص كل منهم على مراعاتها • ومن ثم انعدمت الحروب بينهما على الرغم مما كان بين الصفرية والاباضية من تنافر وصل الى درجة الصراع ابان ثورات الخوارج في بلاد المغرب •

وفي تقديري ان هذا التقارب مرتبط بالظروف السياسية القاسية التي واجهتها حركات الخوارج في المغرب على اثر الحملات الضخمة التي عكف بنو العباس على انفاذها لقمع ثورات الخوارج في المغرب ابتداء بحملة ابن الاشعث سنة ١٤١هـ (٧٥٨م) تلك الظروف الصعبة التي أحدثت تحولا عمليا في سياسة الخوارج في المغرب حيث لجأوا الى أقاصي الجنوب وأقاموا دولتين متجاورتين احداها للصفرية في سجلماسة سنة ١٤٠هـ (٧٥٧م) والاخرى في تاهرت للخوارج الاباضية سنة ١٦٢هـ (٧٧٩م) •

فوحدة الظروف السياسية المتمثلة في العداء لبني العباس وعمالهم بالقيروان وكذلك الادارسة ومصادقة أمويي الاندلس ، ووحدة الظروف الجغرافية والتشابه في نمط الحياة القائمة على البداوة واختلاط القبائل وانتقالها بين الدولتين المتجاورتين ، فضلا عن وحدة المصير ، كل ذلك حدا بني مدرار وبني رستم الى الموادعة وتحاشي الشقاق والخلاف وكل ما يوجب الخصومة والعداء (٢٠٢) • لكن الثابت ان العلاقة بينهما لم تتعد مجرد تجنب الخصومة والعداء ، فلم تتطور الى مرحلة التحالف أو حتى التعاون المشترك بسبب الخلاف المذهبي والعداء التقليدي بين الصفرية والاباضية في المغرب • وعمدت الدولتان الى تجنب الحروب ، وتحاشي التدخل في الخلافات التي كانت تنشب بين الاقليات الاباضية في سجلماسة وبين أمراء بني مدرار ، أو تلك التي حدثت بين صفرية تاهرت وبين أئمتها (٢٠٣) ، فقد صم حكام كل دولة آذانهم عما تعرض له اخوانهم في المذهب داخل الدولة الاخرى حرصا على السلام •

فالمعروف ان عدة آلاف من الاباضية أقاموا بدولة بني مدرار (٢٠٤) ، وقد سبقت الاشارة الى دورهم في مناهضة أمراء بني مدرار ، وطمعهم في السلطة ، وما قام به أمراء سجلماسة من قمع حركاتهم والبطش بهم ، وحسبنا أنهم كانوا موالين لرؤسائهم من مشايخ المذهب بتاهرت أكثر من ولائهم للدولة التي كانوا يعيشون في كنفها ، فقد درجوا على ارسال زكاة أموالهم الى مشايخهم بتاهرت ليصرفوها حيث شاءوا (٢٠٥) ولا مراء في ان مشكلة الاباضية في دولة بني مدرار كانت أهم المشاكل التي واجهها أمراء سجلماسة على الاطلاق ٠

كذلك لم تخل تاهرت من وجود أقلية من الخوارج الصفرية لها وزنها (٢٠٦) وقد استقرت غالبيتهم في حصن « تالغمست » المشرف على المدينة (٢٠٧) ٠ وبديهي ان يسهموا في أحداث الدولة الداخلية ويقفوا موقف المعارضة من أئمة تاهرت ٠ فيخبرنا ابن الصغير (٢٠٨) أنهم لعبوا دورا بارزا في الثورة على أبي حاتم يوسف بن محمد ، حيث انضموا لاهل تاهرت من غير الاباضية ضد الامامة الرستمية ٠

وقد حرص حكام سجلماسة وتاهرت على تحاشي التدخل في هذه الفتن ، فأحجموا عن اذكائها او تشجيعها ، ولولا تغاضيهم عنها « لكانت الحروب بينهم متوالية والفتن متتابعة » ، حيث يطلب كل فريق منهم الانضمام الى امام مذهبه ويظهر التظلم حقا أو باطلا من مخالفه في المذهب الحاكم عليه» (٢٠٩) بل بادر بعضهم الى توفيق أواصر الود بين الدولتين عن طريق المصاهرة ، فطلب اليسع بن أبي القاسم سمكو من عبد الرحمن بن رستم تزويج ابنه مدرار من أروى ابنة عبد الرحمن (٢١٠) مؤملا تصعيد حكمه في سجلماسة بجيرانه الرستميين وقبل الامام الرستمي «رغم اعتراض المعترضين والمنكرين» مستهدفا «توثيق علائق الوداد بين المملكتين فلا يطرقه منهم طارق سوء ، ولا يأتيه من قبلهم ما يكدر راحته أو يوجب له خلفا أو خللا في داخليته (٢١١) ٠

وعلى الرغم من قصور هذه المصاهرة عن تحقيق أهدافها في ايجاد حل لمشكلة الاقليات المذهبية داخل الدولتين ، الا انها أدت الى حرص المدراريين

والرستميين « على تحقيق التضامن والوئام بين دولتي الخوارج كما ذهب جوتييه » (٢١٢) واحجام كل منهما عن التدخل في الامور الداخلية للاخرى : فقد مارس حكام كل من الدولتين سيادة كاملة على سائر الاقليات المذهبية داخل دولتهم من الاباضية والصفرية والواصلية (٢١٣) جميعا ، ولم يستاءوا من وجود صلات بين هذه الاقليات وبين شيوخها سواء في تاهرت أو سجلماسة (٢١٤) ٠

٢ ـ بنو مدرار وأمويو الاندلس

لم يحل الاختلاف المذهبي بين بني مدرار وأمويي الاندلس ، ولا البعد الجغرافي بين سجلماسة وقرطبة دون وجود صلات ودية بينهما ، فقد جمعهما العداء المشترك للخلافة العباسية والاغالبة والادارسة ٠ وقد سبق ان وقفنا على أسباب الجفوة بين سجلماسة وبغداد والقيروان وفاس ٠ ولا يخفى العداء التقليدي بين قرطبة وبغداد ، فحسبنا ان قيام الدولة الاموية بالاندلس تم على حساب النفوذ العباسي هناك ٠ ولما كان الاغالبة على ولاء لبني العباس (٢١٥) ، فقد ورثوا عداوتهم لامراء الاندلس ، وازداد هذا العداء حدة بسبب التنافس البحري بينهما في وسط وغرب البحر المتوسط ٠ بل ان نجاح الاغالبة في هذا التنافس البحري وتهديدهم للنفوذ الاموي في جزر البليار كان من العوامل التي دفعت عبد الرحمن الثاني (٢٠٦ ـ ٢٣٨هـ) (٢١٦) (٨٢١ ـ ٨٥٣م) الى توثيق صلاته مع امارات المغرب ٠ واذا كانت الامارة الاموية في قرطبة قد أخفقت في توطيد صلتها بالادارسة (٢١٧) ، الا انها نجحت في اقامة علاقات طيبة مع بني رستم وبني مدرار الذين التقوا في مصالحهم السياسية مع أهداف الامارة الاندلسية ٠ ذلك ان المصالح السياسية سمت على الاختلاف المذهبي بين بني مدرار الصفرية وبني أمية السنة ، كما ان وحدة المصير تغلبت على الاحقاد القديمة بين الخوارج والامويين ، ولم تحل شقة البعد بينهما دون امكانية الاتصال حقيقة لم يكن لبني مدرار موانىء على ساحل البحر المتوسط (٢١٨) ، لكنهم لم يعدموا وجود منافذ على ساحل الاطلنطي كانت على صلة دائمة بموانىء الاندلس كاشبيلية وشاطبة (٢١٩) ٠

ومن ثم فليس من المستغرب ان تحفل مدن الاندلس في ذلك الحين بعناصر صفرية من سجلماسة ، كما غصت سجلماسة بالكثيرين من أهل الاندلس (٢٢٠) ٠

والواقع ان المؤرخين لا يقدمون معلومات وفيرة تساعد على تتبع هذه الصلات الودية قبل عهد الامير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم (٢٣٨ ـ ٢٧٣هـ) (٨٥٣ (٢٢١) ـ ٨٩٨م) ، لكنه من الراجح انها ترجع الى عهد عبد الرحمن الداخل (١٣٨ ـ ١٧٢هـ (٢٢٢)) (٧٥٥ ـ ٧٨٨م (٢٢٣)) المعاصر لامراء بني مدرار الاوائل والذي استقل بالاندلس في ظروف مماثلة لتلك التي أقام فيها بنو مدرار دولتهم بالمغرب ٠ ونعتقد أن نجاحه في ذلك شجع بني مدرار على الاقدام على اقامة حكمهم المستقل بسجلماسة ٠

ويبدو ان هذه العلاقات الودية قد تأثرت أواخر عهد الحكم بن هشام (١٨٠ ـ ٢٠٦هـ) (٧٩٧ ـ ٨٢١م) على اثر ثورة الربض بقرطبة ونزوح أعداد غفيرة منهم الى سجلماسة (٢٢٤) ٠ لكن تلك الجفوة لم تدم طويلا ، فسرعان ما استعادت العلاقات طابعها الودي في عهد خليفته عبد الرحمن الثاني الذي وثق صلاته ببني مدرار وخاصة بعد استفحال الخطر الاغلبي في البحر المتوسط ٠ ومن المحتمل ان يكون ميمون بن مدرار الملقب بالامير قد آزر صديقه الاموي عبد الرحمن الثاني في مواجهة القحط الذي حل ببلاد الاندلس سنة ٢٣٢هـ (٨٤٧م) ، فبعث اليه ما توافر لديه من الحنطة والسكر والتمر (٢٢٥) وازدادت صلات الود في عهد الامير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الذي اتسم عصره بالاستقرار السياسي (٢٢٦) في الوقت الذي نعم فيه أمراء سجلماسة بالامن والهدوء في عهدي ميمون الامير وأليسع المنتصر حتى أدى ذلك الى أن يعتبر المؤرخون الامير الاندلسي صاحب سيادة فعلية على أمراء سجلماسة ٠ يقول ابن عذارى (٢٢٧) « ٠٠٠ كان الامير محمد مأمولا محبوبا في جميع البلدان ، وكان محمد بن أفلح صاحب تاهرت لا يقدم ولا يؤخر في أموره ومعضلاته الا عن رأيه وأمره ، وكذلك بنو مدرار بسجلماسة » ، كما يضيف ابن الخطيب (٢٢٨) قوله « ٠٠٠ وخدمته ملوك البلاد المغربية وإعترفت بطاعته تباهرت وسجلماسة » ٠ ولا شك ان هذا القول ينطوي على مبالغة لا سند لها

من الواقع فليس ثمةً ما يشكك في الاستقلال التام التي تمتعت به دولتي بني مدرار وبني رستم ٠

كان من البديهي أن تتوطد صلات المودة والصداقة هذه وتزداد رسوخا بظهور الخطر الشيعي في بلاد المغرب وتطلعهم الى الاندلس اذ اهتم أمويو الاندلس بمتابعة أخبار الدعوة الفاطمية عن طريق أصدقائهم في سجلماسة وتاهرت وخاصة بعد الانتصارات المتوالية التي أحرزها داعيتهم أبو عبد الله الشيعي على دولة الاغالبة (٢٢٩) ٠ ولا شك ان بني مدرار قد ارتاعوا بدورهم لهذا الخطر ، ومن المحتمل أن يكونوا قد بذلوا جهودا للاشتراك مع أمويي الاندلس في مجابهته ٠ لكن هذه الجهود لم تسفر عن شيء ، فقد سقطت دولة بني مدرار سنة ٢٩٧هـ (٩٠٩م) في يد الشيعة دون أن يحرك أمير الاندلس ساكنا ، ولم تقم قرطبة بجهود لمناوءة الفاطميين في المغرب الا في عهد عبد الرحمن الناصر (٢٣٠) ٠ وهكذا لم تتمخض صلات الود والصداقة بين سجلماسة وقرطبة عن نتائج سياسية ذات بال ٠

والخلاصة أن علاقات بني مدرار الخارجية تأثرت بظروفها السياسية ومصالحها الاقتصادية وطبيعتها الجغرافية ومذهبها الديني ٠

ثانيا : دولة بني رستم الاباضية

أ ـ قيام دولة بني رستم

يرتبط قيام دولة بني رستم بمؤسسها عبد الرحمن بن رستم الفارسي الاباضي فاليه يعزى الفضل في تكوين دولة للخوارج الاباضية كان حكمها في أسرته من بعده ٠ وليس غريبا أن يرضخ بربر المغرب الاوسط لزعامة إمام من غير البربر ، فان كافة الدول التي قامت ببلاد المغرب حتى قيام الدولة الفاطمية اعتمدت على شخصيات من غير البربر تمتعت بمنزلة دينية خاصة (٢٣١) في معظم الاحيان ٠

وغني عن الذكر ان المصادر جميعا تتفق على انتماء عبد الرحمن بن رستم الى الفرس ، وتجمع على نسبته لطبقة الحكام الاكاسرة ، لكنها تختلف في

التفاصيل • فابن خلدون (٢٣٢) يذكر انه « من ولد رستم أمير الفرس بالقادسية » ، والبكري (٢٣٣) ينسبه الى « سابور ذي الاكتاف الملك الفارسي » بينما ترجع تواريخ الخوارج (٢٣٤) صلته « بكسرى أنو شروان ملك الفرس » •

وتضطرب تواريخ الاباضية حين تتحدث عن نشأة عبد الرحمن وتورد من الروايات ما يشير الى أن أمر المغرب سيؤول الى الفرس (٢٣٥) ، وتصور رستم والد عبد الرحمن على أنه كان يدرك هذه النبؤة التي سوف تتحقق على يد ذريته ، فانتقل الى العراق ومنها الى مكة على أمل الرحيل الى المغرب لتحقيق نبؤته • ورواية ابن عذارى (٢٣٦) عن نشأة رستم وابنه عبد الرحمن بالحجاز أكثر قبولا ، فهو يذكر أن بهراما والد رستم كان من موالي عثمان بن عفان • ولما مات رستم والد عبد الرحمن تزوجت أمه من أحد الحجاج المغاربة الذي اصطحبه معهما الى بلاد المغرب • والراجح ان وصول عبد الرحمن الى المغرب حدث في أواخر القرن الاول الهجري (٢٣٧) ، فنعلم انه كان شابا يافعا عندما قدم سلمة بن سعيد يدعو للمذهب الاباضي في بلاد المغرب ، ويخبرنا الشماخي (٢٣٨) عن لقاء عبد الرحمن بسلمة وشغفه بتعاليمه ، « وتعلق قوله بقلبه » •

ثم توجه عبد الرحمن بن رستم الى البصرة وانضم الى اخوانه المغاربة في حلقة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة سنة ١٣٥هـ (٧٥٢م) حيث قضى خمس سنوات في حضرته يتلقى أصول المذهب وفروعه ويعد مع اخوانه « حملة العلم المغاربة » مع مشايخ المذهب في البصرة لاقامة « امامة الظهور » عقب عودتهم الى بلاد المغرب •

ولما عادت بعثة المغاربة الى المغرب سنة ١٤٠هـ (٧٥٧م) وتولى أبو الخطاب المعافري الامامة ، اختار عبد الرحمن بن رستم قاضيا على طرابلس (٢٣٩) • وعندما أقصي أبو الخطاب الصفرية عن القيروان ودخلها سنة ١٤١هـ (٧٥٨م) تولى عبد الرحمن بن رستم حكمها نيابة عن أبي الخطاب (٢٤٠) الذي توجه لملاقاة جيوش ابن الاشعث ، فكان عبد الرحمن لذلك « خليفة على افريقية » (٢٤١) •

وقد خرج عبد الرحمن بجيش القيروان لنجدة امامه حين داهمته جيوش ابن الاشعث ، لكنه توقف عند قابس عندما وصلته أنباء قتله وهزيمة جيوشه. واضطر للعودة الى القيروان لثورة أهل قابس عليه ، لكنه أسرع بمبارحتها عندما علم بثورة أهلها على نائبه فيها (٢٤٢)٠وتخطيء تواريخ الاباضية (٢٤٣) حين تزعم ان عبد الرحمن بن حبيب استولى على القيروان اذ ذاك ، وانه ظفر بابن رستم وهم بقتله لولا شفاعة بعض القيروانيين فيه ، فأطلقه ابن حبيب على أن يغادر القيروان توا ، لان هذه الاحداث وقعت سنة ١٤٤هـ (٧٦١م) بينما قتل عبد الرحمن بن حبيب سنة ١٣٧هـ (٢٤٤) (٧٥٤م) ، وانتهى حكم أسرته بمقتل ابنه حبيب على أيدي الصفرية سنة ١٤٠هـ (٢٤٥) (٧٥٦م) والمعقول ان يكون عبد الرحمن قد نزل القيروان في محاولة لجمع شمل الاباضية فيها ، ثم أسرع بمغادرتها لثورة أهلها على الاباضية من ناحية ولوصول ابن الاشعث وجيوشه اليها من ناحية اخرى (٢٤٦) ٠

وبديهي أن يتجه عبد الرحمن الى المغرب الاوسط لائذا بالقبائل الاباضية هناك ٠ وكانت رحلته هذه شاقة وعسيرة ، اذ آثر المسير في الطريق الجنوبي المار بقسطبلية ــ وهو طريق وعر وطويل ــ الى ان وصل الى جبل سوفجج(٢٤٧) فاتخذ منه ملاذا لمناعته (٢٤٨) ٠ ثم أخذت جموع الاباضية تفد اليه ، فقصده شيوخ المذهب ورؤساؤه من طرابلس وما جاورها (٢٤٩) ، كما توجه اليه علماء الاباضية وأعلامهم من سائر أقاليم المغرب (٢٥٠) ٠ وعول عبد الرحمن على جمع شمل أتباع المذهب بهدف استرداد نفوذه ، ولعل هذا ما حدا بمحمد ابن الاشعث الى اقتفاء أثره بقصد القضاء عليه قبل استفحال خطره ٠ فتحصن عبد الرحمن بالجبل وخندق على نفسه (٢٥١) ٠ وضرب ابن الاشعث وجيشه الحصار على ابن رستم ورجاله دون طائل ، فاضطر للعودة من حيث أتى بعد ان حل الوباء بجيشه وأفنى كثيرين من رجاله (٢٥٢) ، فضلا عن خوفه من تمرد أهل القيروان عليه ولما يكن قد وطد فيها سلطانه بعد (٢٥٣) ٠

وبرحيل ابن الاشعث أتيح لابن رستم ومن معه من شيوخ المذهب وأعلامه الاتصال بأباضية المغرب الاوسط ، فغادر سوفجج الى تاهرت القديمة ، وكانت تنزل حولها قبائل من هوارة ولواتة ومكناسة ومزاتة ولماية وأغلبها

اباضية (٢٥٤) ۰ وقد أحسن ابن رستم الاختيار لنزوله في اقليم عامر بالخوارج الاباضية (٢٥٥) ۰ وبديهي ان ترحب هذه القبائل بمقدمه وخاصة اباضية لماية « لقديم حلف بينه وبينهم » (٢٥٦) أيام كان نائبا لابي الخطاب على افريقية ۰ لم يعتمد ابن رستم اذن ـ كما زعم جوتييه (٢٥٧) على قبيلة زناتة ۰

على كل حال ـ أثمرت اتصالات ابن رستم بأباضية المغرب الاوسط ، فآزروه في حصار عمر بن حفص بطبنة سنة ١٥١هـ (٧٦٨م) ، وكانت هزيمتهم في تهودة في نفس العام سببا في اقتناعهم بضرورة تأسيس دولة تلم شمل اباضية المغرب وانشاء مدينة تكون قصبة للدولة ومركزا للمذهب ۰

وقد تريث الاباضية في اختيار موضع مدينتهم ، وحرصوا على اقامتها « في مكان جيد الهواء ، كثير المياه ۰ خصب الارض ، قابل للعمارة ، مأمون من العدو » (٢٥٨) وطفق الرواد يجوبون أطراف الاقليم بحثا عن الموضع المختار ، وأجمعت آراؤهم على استحسان موضع تاهرت (٢٥٩) ۰ وكان هذا الموضع في مكان مسطح مرتفع (٢٦٠) ، فهو ملائم ليكون مكانا لعاصمة « أمثال هؤلاء السكان الجبليين » (٢٦١) ، فضلا عن ملاءمته للرعي ، فهو بمثابة «منتجع صيفي للقبائل الرعوية في شمالي الصحراء» (٢٦٢)، هذا بالاضافة لوقوعه في «قلب ديار الاباضية ومنازلهم » (٢٦٣) ، ووقوعه بين نهر يأتي من الجنوب يسمى مينة واخر ينبع من عيون ويشق مجراه الى أن يصب في وادي شلف (٢٦٤) ۰ فهذا المكان اذن غيضة بين ثلاثة أنهار (٢٦٥) ، توجه انظارها نحو الداخل وتولي ظهرها للبحر الذي تبعد عنه بمسيرة ثلاث مراحل (٢٦٦) ۰

ولهذه الميزات الفريدة ساوم الاباضية سكان موضع تاهرت من بربر صنهاجة (٢٦٧) على بيعه فأبوا لكنهم سلموه اليهم على ان يستصلحوه ويكون لهم نصيب من خراجه ۰ ثم شرع الاباضية في تأسيس المدينة ، فشرعوا في ازالة الاجام وحرق الاشجار تمهيدا لاختطاطها (٢٦٨) وقد استعانوا بالاموال التي كانت ترد اليهم من اباضية طرابلس في اختطاط المدينة وتعميرها (٢٦٩) ثم بادروا باختطاط تاهرت سنة ١٦١هـ (٢٧٠) (٧٧٧م) ، فبدأوا ببناء المسجد

الجامع ، فاقاموه على اربعة بلاطات (٢٧١) في المكان الذي خصصوه لصلاتهم عندما كانوا يزيلون الاشجار ويمهدون الارض (٢٧٢) • وتلــي ذلك. بنـاء القصور والبيوت (٢٧٣) والاسواق والحمامات والفنادق (٢٧٤) • ويبدو أن نزاعا نشب بين الاباضية وبين بربر صنهاجة آنذاك ، فيخبرنا البكري (٢٧٥) « انهم كانوا يبنون النهار ، فاذا جن الليل وأصبحوا ، وجـدوا بنيانهـم قد تهدم» • والراجح ان الاباضية ردعوهم بالقوة وأجلوهم عن المكان برمته حتى قال ابن رستم « هذا بلد لا يفارقه سفك دم ولا حرب أبدا (٢٧٦) » • وبديهي ان يهتموا بتحصين المدينة وحمايتها ، فأقاموا سورا حولها (٢٧٧) جعلوا له أبوابا أربعة (٢٧٨) • واصبحت المدينة الجديدة في مأمن من اعدائها ، ولا غرو فقد اطلق عليها « معسكر عبد الرحمن بن رستم» (٢٧٩) وقيل « المعسكـر المبارك (٢٨٠)» ، وأضحت تاهرت على اثر ذلك حاضرة للدولة ، وقصبـة لعديد من المدن والقرى والقلاع والحصون التابعة لها (٢٨١) •

بادر رؤساء الاباضية ومشايخهم باختيار امام بعد اختطاط تاهرت حتى تستكمل دولتهم طابعها السياسي وتبلغ امامتهم « مرحلة الظهور» • والواقع أن ثمة خلاف بين المؤرخين حول توقيت مبايعة ابن رستم بالامامة ، وهـذا الخلاف يدور حول ما اذا كانت المبايعة قد تمت على اثر مقتـل أبي الخطـاب ونزول عبد الرحمن بن رستم على اباضية المغرب الاوسط ، او أن ذلك لم يحدث الا بعد اختطاط تاهرت • يقول البكري (٢٨٢) « بعد ان هرب عبد الرحمن باهله وما خف من ماله وترك القيروان اجتمعت اليه الاباضية واتفقوا علـى تقديمه» ويقول ابن خلدون (٢٨٣) « لحق عبد الرحمن بن رستم باباضيـة المغرب الاوسط من البرابرة ونزل على لماية •• فاجتمعوا اليه وبايعوه بالخلافة» أما النفوسي (٢٨٤) فيذهب الى « ان علماء المذهب بعد انشاء المدينة تداولوا وقالوا : قد علم ما حل بنا من الشتات والافتراق بعد وفاة امامينا (يقصد ابا الخطاب وأبا حاتم) • ومبارحتنا طرابلس ، وقد أجمعنا على اختيار ومكـان غيرها يليق بمنصب الامامة ويكون ملجأ للاسلام • واذا رزقنا بهذا المكان وتم تحصينه على حسب المرام وجب نصب أمام» (٢٨٥) •

وفي تقديري ان عبد الرحمن بن رستم بويع بالامامة مرتين : الاولى على اثر موت ابي الخطاب سنة ١٤٤ هـ (٧٦١م) ونزوله على اباضية المغرب الاوسط والثانية سنة ١٦٢ هـ (٧٧٩م) بعد تأسيس تاهرت ٠ كانت مبايعته الاولى على انه « أمام دفاع » نظرا لما تعرض له الاباضية من بطش على يد جيوش ابن الاشعث ، ولا ينفي هذا ما حدث من مبايعة اباضية طرابلس لابي حاتم الملزوزي في ذات الوقت بامامة الدفاع (٢٨٦) ، ففقه الاباضية يجوز وجود امامين في وقت واحد « اذا وجد بينهما عدو يخشى بأسه ، او لبعد المسافة (٢٨٧)» ، فلا غرابة في وجود امامين للاباضية احدهما في المغرب الادنى والاخر في المغرب الاوسط ٠ وفي ضوء ذلك يمكن تفسير ارسال أبي حاتم الاموال لابن رستم لتكون له عونا على بدء « امامة الظهور» (٢٨٨) فلما استتب الامر لاباضية المغرب الاوسط بعد انشاء تاهرت وتحصينها سنة ١٦١ هـ (٧٧٨م) لم يكن هناك ما يحول دون تجديدهم مبايعة عبد الرحمن بن رستم « لامامة الظهور» سنة ١٦٢ هـ (٧٧٩م) وخاصة بعد نزوح كثير من اباضية المغرب الادنى الى تاهرت ليعيشوا في كنف الامامة الجديدة بعد مقتل أبي حاتم الملزوزي « امام الدفاع في طرابلس» (٢٨٩) ٠

أجمع مشايخ الاباضية اذن على اختيار عبد الرحمن (٢٩٠) « لدينه وسابقته ومكانه وغير ذلك من حميد الصفات (٢٩١)» وحسبه انه كان « احد حملة العلم الخمسة» الى المغرب ، وعامل ابي الخطاب على افريقية (٢٩٢) فضلا عن انه « ليس له من قبيلة تمنعه اذا تغير او تبدل (٢٩٣)» ، ومن ثم ارتضته القبائل لتتحاشى تسلط احداها عليها اذا ماظفر رئيسها بالامامة (٢٩٤)٠

وقبل عبد الرحمن بن رستم الامامة سنة ١٦٢ هـ (٢٩٥) (٧٧٩م) ٠ «على سنة الله ورسوله وآثار الخلفاء الراشدين (٢٩٦)» بعد أن عاهده رؤساء المذهب «على الطاعة فيما وافق الحق وطابقه (٢٩٧)» واصبح أول أئمة الدولة الرستمية التي اشتقت اسمها من اسمه ٠

وشرع عبد الرحمن بعد بيعته في العمل على توطيد حكمه وارساءدعائم دولته ومواجهة المشاكل المصاحبة لقيام الدول سواء فيما يتعلق بسياستها

الخارجية او الداخلية • وجدير بالذكر انه كرس جهوده لمواجهة الاعباء الداخلية ملتزما سياسة المهادنة في الخارج ، فقد حرص على موادعة عمال بني العباس في افريقية (٢٩٨) ـ كما اصهر الى اليسع بن أبي القاسم رغبة في مسالمة بني مدرار (٢٩٩) •

ولما اطمأن الى سلامة دولته من الاخطار الخارجية شرع في ارساءدعائمها• وكان عليه ان يبسط نفوذه على سائر القبائل داخل حدودها ويستكمل انشاء عاصمتها ، ويرسي نظمها في الحكم والادارة ،•والواقع انه كان بحاجة الى الاموال ليستعين بها على مواجهة تلك المهام فضلا عن تعبئة الجند وشراء الاسلحة واسترضاء الاتباع (٣٠٠) • ويخيل الينا انه استعان باباضية المشرق في هذا الصدد ، وبديهي ان يخفوا لمعونة وشد آزره لتحقيق امالهم في اقامة دولة اباضية كبرى (٣٠١) • فبادروا بانفاذ بعثة محملة بالاموال الى تاهرت (٣٠٢) •

وتفيض مصادر الاباضية (٣٠٣) بمزيد من التفصيلات حول بعثة المشاركة في تاهرت واعجابهم بحكم الامام عبد الرحمن وما هو عليه من زهد وعدل وورع ، وتسليمهم الاموال له ، وحرصه على استشارة أهل الرأي في كيفية توزيعها وانفاقها ،•وتلبيته مشورتهم بأن تتفق في ثلاثة أوجه «ثلثا في الكراع وثلثا في السلاح وثلثا توزع في فقراء المسلمين وضعفائهم» •

واستطاع عبد الرحمن بهذه الاموال تسليح رجاله من الاباضية ، وتمكن بفضلهم من بسط سيادة الدولة على سائر قبائل البربر الضاربة داخل حدودها وانضوت كافة الجماعات داخل تاهرت وخارجها تحت لواء المذهب الاباضي في شكل ائتلاف شمل البربر وما عداهم من العناصر الاخرى (٣٠٤) •

وفضلا عن ذلك فقد أولى عبد الرحمن النواحي الاقتصادية والعمرانية اهتماما كبيرا وتذكر المصادر جهوده في غرس البساتين وشق القنوات واقامة المطاحن عليها (٣٠٥) • كما زاد في تعمير تاهرت واقام الفنادق والمباني الخاصة للتجار ورتب الاسواق ونسقها ، ونظم الاحتساب عليها ، فقصدها التجار من سائر أرجاء العالم الاسلامي وخاصة من فارس والعراق والقيروان

وسجلماسة (٣٠٦) فضلا عن بلاد السودان (٣٠٧) • وقد أسهم هذا الازدهار الاقتصادي في تدعيم الدولة الرستمية ، وليس أدل على انتعاش احوال الامامة في ذلك الحين من رفض عبد الرحمن معونة اخرى بعثهـا اليه اباضيـة المشرق (٣٠٨) ، الذين ابتهجوا لاستقرار الامامة واشتداد ساعدها فاعترفوا بها « ووصلوا الامام بكتبهم ووصاياهم» (٣٠٩) •

وعكف عبد الرحمن على تنظيم دولته وتوطيد سلطانـه ، ولا شك انه استفاد من عبقرية الفرس في الحكم والادارة ، ومع ذلك فقد غلب الطابـع الديني المذهبي على ما اتخذه من اجراءات في هذا الصدد ، فكانت نظم الادارة والقضاء والشرطة والاحتساب وادارة بيت المال ونظم الجباية والصدقـات كلها تسير وفقا لتعاليم المذهب الاباضي (٣١٠) ، مع مراعاة ظروف السكان باعتبار غالبيتهم من البدو الرحل (٣١١) •

وبذلك استطاع ابن رستم ان يرسي قواعد الدولة ويضع نظمهاالادارية (٣١٢) والمالية (٣١٣) ويكسبها «رونق الملك(٣١٤)» وحسبه نجاحا قدرتـه على التصدي للمشاكل الداخلية والخارجية الكثيرة التـي واجهتـه فبفضل سياسته في مهادنة القيروان وسجلماسة ، وبفضل قدرته على ايلافالعناصر والعصبيات المختلفةداخلالدولة«لم ينقم عليه أحد فيخصومه ولا حكومة(٣١٥)» « ولم يكن على يديه افتراق (٣١٦) » •

وكي يضمن استمرار الاستقرار لدولته أوصى قبل وفاته (٣١٧) بتعيين مجلس شوري يختار أمام الدولة من بين اعضائه •

وهكذا ــ نجح عبد الرحمن بن رستم في اقامة دولة اباضية في تاهرت، وتتويج ثورات الخوارج الاباضية في بلاد المغرب بتأسيس اسرة حاكمة ضمت معظم أقاليم المغربين الادنى والاوسط ، ظل أئتمتها يتناوبون حكمها قرابة قرن وربع قرن من الزمان •

ب ـ سياسة بني رستم الداخلية

اضطربت أحوال الدولة الرستمية بعد عبد الرحمن بن رستم ، فامتلأت

بالفتن السياسية والانشقاقات المذهبية والصراع العنصري ممـا حدا بالمؤرخ جوليان (٣١٩) الى القول بأن تاريخ تاهرت لم يكن سوى سلسلة من القلاقل والخلافات الداخلية • والواقع ان تلك الظاهرة كانت أكثر بروزا ووضوحا في الدولة الرستمية اكثر منها في أي دولة أخرى من دول المغرب المعاصرة لها • حقيقة ان هذه الاضطرابات رغم كثرتها لم تؤد الى سقوط الاسرة الحاكمة في تاهرت ، لكنها على كل حال فتت في عضدها وأوهنت من نفوذها في كثير من أقاليمها وخاصة الاجزاء الشرقية منها بحيث لم تمارس عليها سوى مجـرد تبعية اسمية ، بل كثيرا ما انسلخ عن نفوذ تاهرت بعض هذه الجهات مثل جبل نفوسة ونفزاوة وجربة وطرابلس وسرت •

ونعتقد ان هذه الاضطرابات يرجع بعضها الى أسباب فقهية مذهبيـة ، بينما يعزى بعضها الاخر الى عوامل عنصرية أو قبلية أو طائفية • ويلاحظ ان معظم القلاقل الداخلية في عهد الائمة الثلاثة الاول اتخذت في الغالب الاعم طابع الانشقاق المذهبي ، في حين وضح الطابع العنصري القبلي في سائـر الحركات التي قامت في عهد الامامين الرابع والخامس ، بينما حفل عهـدي الامامين الاخيرين بالصراع على الحكم بين أفراد البيت الرستمي ، فضلا عن ظهور الطوائف المذهبية غير الاباضية كعامل جديد في هذه الصراعات • ولم تخل هذه الاضطرابات السياسية ـ في كثير من الاحيان ـ من وجود مؤثرات خارجية • وعلى ذلك يمكن التمييز بين أدوار ثلاثة واضحة في مسار التطور السياسي الداخلي لدولة بني رستم ، كان الدور الاول فيها ـ ويشمل عهدي عبد الوهاب بن رستم وابنه أفلح ـ يمثل سطوة الامامة وقوتها وقدرتها على احباط كافة الحركات المناوئة ذات الطابع المذهبي سواء بالقوة كما فعل الامام عبد الوهاب أو عن طريق السياسة كما فعل أفلح بن عبد الوهاب •

اما الدور الثاني ، فيشمل عهدي أبي بكر بن أفلح وأخيه أبي اليقظان محمد ، وهو يمثل الصراع العنصري والقبلي ، وفيه خفت صوت الامامة ووهنت قوتها ، ونجحت بعض العناصر في اغتصاب السلطة في تاهرت ، ولم يستردها البيت الرستمي الا بتعضيد عناصر اخرى • ولم يحل دون سقوط الامامة سوى ضعف العصبيات من جراء الصراع بينها ، واسلوب اللانية والموازنة الـذي

اتبعه أبو اليقظان محمد في موقفه من هذه العصبيات ٠

ويتسم الدور الاخير من الحكم الرستمي ـ ويشمل امامتي أبي حاتم يوسف بن محمد واليقظان بن أبي اليقظان ـ بتداعي الامامة واضمحلالها ، وتحكم عامة تاهرت في تعيين الائمة وعزلهم ، وطمع الطوائف والفرق غير الاباضية في تقلدها انهاء للحكم الرستمي الاباضي ، وانفصام الصلة بين عاصمة الدولة وأقاليمها الشرقية ٠ كما زادت الحالة سوءا بتفاقم الخلافات داخل البيت الرستمي وتدبيرهم المؤامرات والاغتيالات ضد بعضهم البعض لتسلم الحكم ٠ وقد تضافرت هذه العوامل جميعا على سقوط دولة بني رستم سنة ٢٩٧هـ (٩٠٩م) ٠

وفيما يلي تفصيل دراسة هذه الاطوار الثلاثة في سياسة بني رستم الداخلية :

الدور الاول (١٧١هـ ـ ٢٥٨هـ) (٧٨٨ ـ ٨٧٣م) : الانشقاقات المذهبية :

تم اختيار عبد الرحمن بن رستم للامامة سنة ١٦٢هـ (٧٧٩م) وفقا لمبايعة أهل الحل والعقد واجماع كافة مشايخ القبائل ، كما كانت سياسته الادارية والمالية تقوم على المساواة وعدم التعصب لعصبية دون سواها ، وبالاجمال كانت امامته متمشية مع تعاليم المذهب الاباضي ، الامر الذي هيأ لحكمه الثبات والاستقرار ٠

على ان الخروج عن هذه السياسة في عهد ابنه عبد الوهاب (١٧١هـ ـ ٢٠٨هـ) (٧٨٨ ـ ٨٢٤م) وحفيده أفلح (٢٠٨ ـ ٢٥٨هـ) (٧٨٨ ـ ٨٧٣م) سبب الاضطرابات والقلاقل التي حفل بها حكميهما ٠ فقد تحولت الامامة عن مبدأ الاختيار الى فكرة التنصيب بالتوريث (٣٢٠) ، كما ظهرت سياسة الميل لعناصر دون سواها وتمكينها من الاستئثار بمراكز الدولة ووظائفها ، مما شكل خروجا عن تعاليم المذهب الاباضي ، وتمزقا للوثاق الذي ربط بين عناصر وعصبيات شتى ٠ ونتج عن ذلك انفراط العقد الذي جمع هذه القوى جميعا

لتبرز حزازاتها في شكل حركات وثورات على الائمة اتخذت في أغلبها طابع الانشقاق المذهبي (٣٢١) ٠

وكانت أولى هذه الثورات وأخطرها حركة يزيد بن فندين وجماعته التي عرفت « بالنكار ».(٣٢٢) وتكمن الدوافع الاساسية لثورة ابن فندين في رفض امامة عبد الوهاب لعدم اعترافه بجماعة المشورة ـ التي اقترح ابن فندين استرشاد الامام برأيها (٣٢٣) ـ ولان جماعة المذهب لم يجمعوا على امامته لذلك (٣٢٤) ، ولان في جماعة الاباضية من يبز عبد الوهاب علما (٣٢٥) ، ومن ثم يصبح مغتصبا للامامة ٠ يضاف الى ذلك نقمته على سياسة عبد الوهاب الادارية ومحاباته لبعض العناصر والقبائل واختصاصهم بمناصب الدولة دون غيرهم (٣٢٦) ، وبالذات نفوسة (٣٢٧) والعجم (٣٢٨) ٠

وقد نجح ابن فندين في استمالة العديد من الانصار (٣٢٩) ونحى بهم خارج المدينة حيث تأهبوا لقتال عبد الوهاب وجماعته (٣٣٠) ٠

ويبدو ان القتال نشب بين الجماعتين بالفعل ، وان الدائرة دارت على عبد الوهاب ، يفهم من رواية للنفوسي (٣٣١) يقول فيها « ان الامام اضطر الى طلب الهدنة ووضع أوزار الحرب حقنا للدماء الى أن يكتبوا لاخوانهم المشارقة بايضاح القضية »، وقبول ابن فندين مبدأ تحكيم فقهاء المذهب في الشرق في قضية الامامة (٣٣٢) ، مما يؤكد ايمانه بعدالة موقفه وشرعيته ، ومما يدحض دعوى المصادر الاباضية في أنه ثار لاسباب شخصية صرفة (٣٣٣) ٠

على كل حال ـ يذهب مؤرخو الاباضية الى ان شيوخ المذهب في مصر ـ وعلى رأسهم شعيب بن المعرف ـ أفتوا في صالح عبد الوهاب فقالوا « الامامة تامة والشرط باطل (٣٣٤) ». وكذلك جماعة فقهاء المذهب في مكة ورئيسهم الربيع بن حبيب (٣٣٥) الذين بعثوا جوابهم (٣٣٦) الى عبد الوهاب وابن فندين حيث أفتوا ، بأن الامامة صحيحة والشرط باطل « وانه يجوز تولية رجل من المسلمين اذا كان فيهم من هو أعلم منه (٣٣٧) » ٠

ويخيل الينا ان فتوى المشارقة كانت في صالح ابن فندين بدليل وصول فقهاء مصر ورئيسهم شعيب بن المعرف وانضمامهم الى ابن فندين في الثورة

على عبد الوهاب (٣٣٨) ، ثم ورود عبارة عند الشماخي (٣٣٩) توضح ان « المشارقة عابوا على عبد الوهاب أشياء وأمروه أن يرجع عنها » ، وكذلك صعف الرواية الاباضية الوهبية التي تصور تريث الربيع واخوانه في اصدار فتواهم ريثما يجتهدوا ويتباحثوا (٣٤٠) في مسألة تعد من بديهيات الفقه الاباضي ٠ ومهما كان الامر ، فان ما تذكره المصادر الاباضية (٣٤١) من ان شعيب بن المعرف « خرج من مصر في نفر من أصحابه بغير مشورة من مشايخ مصر طمعا في الامارة » مبالغ فيه ، والاقرب للتصديق انه توجه لنصح عبد الوهاب وانهاء الخلاف في تاهرت ، فلما لم يجبه انضم الى ابن فندين ، وخرجت جموع النكار الى الجبال المحيطة بتاهرت واستقروا في كدية عرفت « بكدية النكار » ٠ أما الرواية المتواترة (٣٤٢) التي توردها هذه المصادر عن تدبير النكار مؤامرة اغتيال عبد الوهاب فهي ذات طابع أسطوري بحت ، كما ان اسلوب الاغتيال كان مرفوضا عند الخوارج (٣٤٣) ٠

على كل حال ــ تأهب الطرفان للقتال ، فكان النكار « يدخلون المدينة ويخرجون منها بالسلاح (٣٤٤) » كما « أمر الامام رعيته وأصحابه بامساك السلاح (٣٤٥) » ٠ وانتهز النكار فرصة غياب عبد الوهاب عن تاهرت وبادروا بمهاجمتها والاستيلاء عليها ٠ ولما كانت المدينة محصنة ومسورة ، فقد أغلق الوهبية أبوابها ، ونجح أفلح بن عبد الوهاب (٣٤٦) بمن معه في صدهم ، ثم تتبعهم وهزمهم وقتل ابن فندين وكثير من النكار ــ ولاذت فلولهم بالجبال واستقروا في كديتهم ٠ أما شعيب بن المعرف فقد هرب الى طرابلس ، وأخذ يؤلب اباضيتها على الامامة في تاهرت (٣٤٧) ٠

ونشك أيضا فيما يروى من اغتيال النكار لميمون بن عبد الوهاب وتمثيلهم بجثته (٣٤٨) ، فهذا الاسلوب غير مألوف عند الخوارج عموما ــ كما سبق القول ــ ، ولو صح قول البكري (٣٤٩) أن ميمونا هذا كان ابنا لعبد الرحمن ابن رستم وليس لعبد الوهاب ، لبطلت تلك الرواية من أساسها وأغلب الظن أن مؤرخي الاباضية الوهبية اصطنعوها لتبرير حملة عبد الوهاب على النكار بقصد استئصال شأفتهم ٠ ومهما يكن من أمر ، فقد أفلح عبد الوهاب في هزيمتهم وقتل منهم أعدادا غفيرة (٣٥٠) ٠ لكنه لم يقض عليهم نهائيا ، فظلوا

معتصمين بكديتهم في جبال تاهرت ، ثم ظهروا على المسرح السياسي بعد ذلك في ثورة بربر سدراته ومزاته الذين أنكروا امامة عبد الوهاب ٠

وكان من الطبيعي ان تتصل الفلول الباقية من النكار ـ بعد ان وهنت شوكتهم (٣٥١) ـ بقبائلهم المقيمة خارج تاهرت ليعاونوهم على محاولة الخروج على الامام عبد الوهاب (٣٥٢) ، وكانت غالبيتهم تنتمي الى قبيلتي سدراتة ومزاتة الضاربتين على جانبي حدود الدولة الاغلبية في اقليم الزاب (٣٥٣) ٠ ولا يخامرنا شك في تحريض الاغالبة لهم على اثارة العراقيل في تاهرت ٠ وعلى كل حال ، فقد قدموا الى ذويهم بكدية النكار (٣٥٤) خارج تاهرت (٣٥٦) ٠ وأحس عبد الوهاب بخطرهم ، فدهمهم وأطبق عليهم بأنصاره وقتل منهم خلقا كثيرا « الا من شد وولى » (٣٥٧) لائذا بمواطنهم الاولى ويبدو ان هذه الهزيمة فتت في عضدهم وأوهنت شوكتهم ، فلم تقم لهم بعدها قومة طوال عهد الدولة الرستمية (٣٥٨) ٠ وتمكن عبد الوهاب بذلك من قمع حركة « الانشقاق الاباضي الاول » (٣٥٩) المعروف بثورة النكار ٠

ومما لا شك فيه ان حركات النكار رغم اخمادها ، شجعت على قيام ثورات أخرى على الحكم الرستمي ، وصدق النفوسي (٣٦٠) اذ قال بأن الامامة « أضحت مرمى لسهام الطاعنين والظاعنين » ٠ وجدير بالذكر ان هذه الثورات ظلت طوال عهدي عبد الوهاب وأفلح ذات طابع مذهبي في الغالب ، سواء ما قام به جمهور الاباضية وتمخض عن انشقاقات داخل المذهب ، أو ما قامت به الطوائف المذهبية الاخرى كالواصلية على وجه التحديد ٠

فقد تشجع الواصلية الضاربون في كنف الدولة الرستمية ، وهبوا لمناوءة الامامة الاباضية في تاهرت اعتقادا منهم بخروج عبد الوهاب على الشريعة واغتصابه الامامة قسرا ٠ ولو صح ذلك ، فالراجح انهم تذرعوا بهذه الدعوى اخفاء لمطامعهم في الانسلاخ عن الحكم الاباضي وانتهاز فرصة انشغال عبد الوهاب بثورات النكار (٣٦١) لتحقيق هذه المطامع ٠ وليس من المستبعد أن يكون « عزمهم في الخروج من حكم الامام » (٣٦٢) تمهيدا للانضمام لاخوانهم بدولة الادارسة ٠ فتذكر المصادر ان حركتهم لم تقتصر على واصلية الدولة الرستمية فحسب ، بل ضمت كافة عناصرهم « من كل أوب » (٣٦٣) ، حيث

تجمعوا خارج تاهرت لقتال الاباضية (٣٦٤) وهذا أمر طبيعي اذا ما أدركنا سياسة عبد الوهاب القائمة على التعصب والمحاباة . وقد أزكى هذا التنافر بين الواصلية والامامة الرستمية عوامل مذهبية وقبلية ، اذ لا يخفى العداء التقليدي بين الخوارج والمعتزلة - أو الواصلية - الناجم عن الخلاف الفكري بينهما (٣٦٥) ، وحسبنا ما كان يحدث من مساجلات ومعارك جدلية بين أقطاب الاباضية في الشرق وبين واصل بن غطاء رأس الواصلية (٣٦٦) . كما زاد التشاحن القبلي من غلواء هذا العداء ، فمن المعروف ان قبيلة لواته الاباضية كانت على عداء مرير لبعض بطون زناتة الواصلية ، بل يذهب مسكراي (٣٦٧) الى ان هذه البطون الزناتية لم تعتنق مذهب الواصلية الا نكاية في لواته التي دانت بالمذهب الاباضي .

ومهما كان الامر فقد كان الواصلية يشكلون أقلية لها وزنها عدتها ثلاثين ألفا يسكنون الخيام ويضربون خارج تاهرت (٣٦٨) . هذا فضلا ممن أقام منهم ببلدة أيزرج - قرب تاهرت - عاصمة الرستميين (٣٦٩) . ولكون غالبيتهم من زناتة فقد نجحوا في اثارة كثير من بطونها ضد عبد الوهاب (٣٧٠) .

واجتمع الثوار من الواصلية خارج تاهرت وهددوا بالقضاء على الامامة الرستمية حول عام ١٩٥هـ (٣٧١) (٨١١م) .

وقد جرت بين الطرفين مساجلات كلامية ، تلتها معارك حربية كان الظفر فيها للواصلية (٣٧٢) . واضطر عبد الوهاب لعقد هدنة مع خصومه ، في الوقت الذي بعث فيه الى أتباعه بجبل نفوسه طالبا المدد (٣٧٣) . وتسرف المصادر الاباضية (٣٧٤) في ذكر روايات مبالغ فيها عن القدرات الخارقة التي تميز بها النفوسيون سواء في فنون الحرب أو في أساليب الجدل والمناظرة . كما تبالغ في وصف اللقاء بين الاباضية والواصلية والانتصار الذي أحرزه الامام في القتال (٣٧٥) . والراجح ان عبد الوهاب استطاع بمساعدة نفوسة هزيمة الواصلية وتفريق جمعهم ، اذ لم نقف لهم بعد على حركات طوال عهد الدولة الرستمية ، وهو ما عناه الشماخي (٣٧٦) بقوله : « فوضعت الحرب أوزارها ، ودخل المعتزلة في طاعة الامام » .

على ان حركة تمرد أخرى أقل خطرا واجهت عبد الوهاب ، قامت بها بعض بطون قبيلة هوارة الضاربة جنوبي تاهرت (٣٧٧) • ونحن نخالف ابن الصغير (٣٧٨) رأيه في اعتبار هذه الحركة ثاني الانشقاقات الاباضية ، ذلك ان الانشقاق الثاني حدث عند ظهور فرقة الخلفية الى جانب الوهبية والنكار • وحسبنا ان تمرد هوارة كان خلوا من أي حافز مذهبي ، ولم يحدث نتيجة خلاف فقهي حول قضية عامة ، وانما وقع كرد فعل لتنافس بين الامام عبد الوهاب وبين زعيم الاوس — وهي بطن من بطون هوارة — حول الزواج من احدى بنات شيخ قبيلة لواته (٣٧٩) النازلة جنوبي تاهرت على وادي ميناس (٣٨٠) فقد أزمع زعيم الاوس مصاهرة شيخ لواته ، لكن عبد الوهاب حال دون ذلك بأن تزوج اللواتية • فارتحل زعيم الاوس (٣٨١) بمجموعة من هوارة عن مضاربهم ونزلوا بمكان يبعد عن تاهرت بعشرة أميال عرف « بوادي هوارة » ومن هناك طفقوا يغيرون على أتباع عبد الوهاب وأنصاره ، الامر الذي جعله يستعين بأحلافه من نفوسة وغيرها ويعد جيشا قوامه ألف فارس عدا حشود هائلة من الرجالة (٣٨٢) • وباغت عبد الوهاب خصومة على غره ، ودارت معركة طاحنة عند نهر أسلان قتل فيها الكثير من الجانبين وانتهت بهزيمة الثوار وفرار فلولهم الى جبل ينجان (٣٨٣) •

وكانت اخر الثورات التي واجهت حكم عبد الوهاب حركة خلف بن السمح في شرقي الدولة الرستمية ، وهي التي أسفرت عن ثاني الانشقاقات الاباضية • اذ ما كاد عبد الوهاب يفرغ من مواجهة الحركات والثورات التي اندلعت في تاهرت وما حولها حتى داهمته في اخر عهده حركة انفصالية في منطقة طرابلس وجبل نفوسة (٣٨٤) التابعة للامامة في تاهرت (٣٨٥) — اتخذت طابعا دينيا • واستفحل خطر الحركة واقتطعت غالبية أجزاء الدولة الرستمية الشرقية خلال السنوات الاخيرة من حكم عبد الوهاب وردحا طويلا من عهد ابنه أفلح •

وكان خلف بن السمح زعيم الانشقاق الاباضي الثاني سليل بيت عريق في خدمة المذهب الاباضي في بلاد المغرب ، فهو حفيد أبي الخطاب عبد الاعلى ابن السمح « أول أئمة الظهور » وأبوه السمح بن أبي الخطاب وزير

الامام (٣٨٦) عبد الوهاب وساعده الايمن ، وعامله على جبل نفوسه لذلك اكتسب آل أبي الخطاب منزلة كبيرة بين اباضية المغرب الادنى ، يفسر هذا اقدامهم على مبايعة خلف بن السمح بالولاية على اثر وفاة والده السمح بن أبي الخطاب (٣٨٧) • ويخيل الينا ان الامام عبد الوهاب خشي على نفوذه في هذه النواحي من جراء قيام حكم وراثي فيها ، فأنكر على آل أبي الخطاب ما استباحه هو وأسرته من الخروج على مبدأ الاختيار الى مبدأ الوراثة في الحكم ، ومن ثم لم يقر شرعية ولاية خلف بن السمح (٣٨٨) ، كما ضرب صفحا عن توسلات اباضية الجبل لابقائه واليا عليهم من قبله (٣٨٩) •

على ان غالبية الاباضية في هذه النواحي أصروا على موقفهم ، وأعلنوا خروجهم على امامة عبد الوهاب ، وبايعوا خلف بن السمح بالامامة (٣٩٠) محتجين بجواز ازدواج الامامة ما وجد عدو يفصل بين أتباع المذهب ، أو لصعوبة الاتصال وطول المسافة بينهم وبين تاهرت (٣٩١) • لكن وجد بين اباضية الجبل من تمسك بامامة عبد الوهاب ، وتذهب مصادر الاباضية (٣٩٢) الى أن غالبيتهم كانوا من جماعة المشايخ والفقهاء ، فبعث اليهم عبد الوهاب رسالة أمتدح فيها موقفهم (٣٩٣) وولى عليهم أحدهم ويدعى أبا عبيدة عبد الحميد الجناوني (٣٩٤) • ومن ثم حدث انشقاق سياسي اتخذ صيغة فقهية مذهبية وجوهر الخلاف كمن في أمرين : أولهما : مدى حقوق الرعية في تعيين عمالها ، والاخر شرعية وجود امامين في وقت واحد • وفي تقديرنا ان تعاليم المذهب الاباضي ترجح رأي خلف وأصحابه (٣٩٥) ، ولعل ذلك يفسر انضمام غالبية أهل الجبل اليه ومهما كان الامر ، فقد احتد الخلاف بين الحزبين وطرحت القضية برمتها على فقهاء المذهب بالشرق للافتاء فيها (٣٩٦) • وتذكر المصادر الاباضية (٣٩٧) ـ كعادتها ـ أنهم أفتوا في صالح الامام وخطأوا موقف خلف وأتباعه •

وأيا ما كانت الفتوى ، فقد نجح خلف في الاستحواذ على معظم أنحاء الجبل دون أن يحرك عامل عبد الوهاب ساكنا أو ان يخف الامام لمواجهته بنفسه • ويخيل الينا ان عبد الوهاب وعامله حين أعوزتهما القدرة على ردع الثوار لجأ الى الحيل ، فاتبع عبد الوهاب اسلوب التجسس (٣٩٨) للايقاع

بن خلف وأتباعه ، كما بعث الى المبرزين من أنصار خلف يستمليهم ويمنيهم بالاموال والضياع (٣٩٩) . لكن ذلك لم يجد فتيلا .

ومات الامام عبد الوهاب (٤٠٠) ومعظم أجزاء الدولة الشرقية في حوزة خلف بن السمح (٤٠١) . واستمرت حركة خلف وتفاقم خطرها خلال نحو عشرين عاما من حكم أفلح بن عبد الوهاب ، فيخبرنا أبو زكريا (٤٠٢) انه حتى عام ٢٢١ هـ (٨٣٦م) كان خلف لا يزال يعمل على اقصاء أبي عبيدة عبد الحميد . الذي أقره أفلح على ولايته ـ عن المناطقالتي في حوزته . ويعتقد لويسكي (٤٠٣) ان خلفا كان يسعى لضم كافة الاقاليم التي كانت في نطاق حكم جده أبي الخطاب وقد تمكن بالفعل من مد نفوذه حتى بلدة تيمتي وما وراءها شرقا (٤٠٤) منتهزا تقاعس أفلح عن مساعدة عامله الكهل الذي آثر العافية (٤٠٥) . وضمن خلف بذلك السيطرة على الاراضي الخصبة والمراعي الغنية فضلا عمن يقيم بها من الاباضية ، فقد دخلوا في « رأيه وبدعته » على حد قول أبي زكريا (٤٠٦) . وتصور المصادر الاباضية (٤٠٧) قيام خلف بالاغارات المتواصلة على أملاك أبي عبيدة بقصد السلب والنهب وأن الاخير نجح في ردعها . لكننا نشك في ذلك اذا علمنا من هذه المصادر ذاتها ان أبا عبيدة كان يستجدي مسالمة خلف وموادعته (٤٠٨) وأن خلفا خيره بين انكار امامة عبد الوهاب والدعوة له وبين قتاله (٤٠٩) . ومن المؤكد ان أبا عبيدة لم يستجب لدعوته ، فقد اجتاح خلف مجموعة (٤١٠) أراضي خصمه سنة ٢٢١هـ (٤١١) (٨٣٦م) ، والتقى بأبي عبيدة ورجاله (٤١٢) عند سفح الجبل في معركة يذكر مؤرخو الاباضية (٤١٣) انها انتهت بهزيمة خلف وانسحابه الى تمتي ، فلم تقم له قائمة بعدها الى « أن مات بزيفة» . لكننا نعلم ان حروبا وقعت بين خلف وبين أيوب بن العباس خليفة أبي عبيدة ـ هزم فيها خلف عند فاغيس ـ قرب تمتي (٤١٤) ـ الامر الذي يشكك في رواياتهم .

ويخيل الينا أن خلفا ظل يتمتع بنفوذ في معظم جهات طرابلس وجبل نفوسة حتى وفاته ، وأن انصاره من نفوسة وزواغة الذين عرفوا « بالخلفية » ظلوا موالين لابنه المعروف بالطيب حتى اواخر عهد الدولة الرستمية .

وكانت هذه الاقاليم الشرقية ايضا مرتعا لحركة أخرى مناوئة للامامة في تاهرت تزعمها فرج بن نصرالمعروف بنفاث ، وأسفرت عن ثالث الانشقاقات في الجماعة الاباضية (٤١٥) .

كان الانشقاق الاول نتيجة خلافات فقهية حول مسألة الامامة وسياسة عبد الوهاب في تعيين عماله ، وكان الانشقاق الثاني بسبب قضية تعدد الائمة ، وحق الرعية في اختيار عمالها اما الخلاف الثالث فكان من جراءالاخلال بشرعية الامامة واهدار رسومها (٤١٦) على يد أفلح بن عبد الوهاب ، فضلا عن سياسته « فياستعمال العمال والسعاة لجباية الحقوق الشرعية ومطالب بيت المال من الرعية » (٤١٧) .

وعلى الرغم مما تورده المصادر الاباضية (٤١٨) من تفسير لحركة نفاث باعتباره مارقا على الامامة لاسباب ودوافع ذاتية ، فان ذلك لا ينفي قط كون نفاث ثائرا صاحب آراء واجتهادات في المذهب الاباضي (٤١٩) ، وداعية(٤٢٠) لانقاذ الامامة الاباضية مما تردت فيه من امتهان على عهد أئمة بني رستم . فقد آلت الامامة الى أفلح بن عبد الوهاب توا بعد وفاة أبيه سنة ٢٠٨ هـ(٨٢٣م) مما يؤكد استقرار مبدأ الوراثة واختفاء مبدأ الاختيار في الحكم الرستمي . وكان مثل هذا الانتهاك لتعاليم المذهب كفيلا بأثارة عالم فقيه مثل فرج بن نصر «الذي أعطى في العلم منزلة عظيمة ، والفقه والفهم(٤٢١)» . ومن ثم فقد عول على الخروج على أمامة أفلح ، واتخذ من قريته المجاورة لقنطرارة مركزا لدعوته وأنصاره . ولقيت دعوته اقبالا كبيرا بين اباضية نفوسة وزواغة(٤٢٢) وعبثا حاول عامل قنطرارة اقناعهم بالعدول عن آراء نفاث والالتزام بطاعة الامام (٤٢٣) .

فقد وجدوا في (النفاثية) مبررا لتنصلهم من دفع الاموال والجبايات والرسوم التي كان يحصلها عمال الامام (٤٢٤) وكذلك لم تفلح تحذيرات أفلح لعماله بأخذ رعاياهم بالشدة وتجنيبهم الدخول في طاعة نفاث (٤٢٥) . فيبدو أن هؤلاء الرعايا أعلنوا الثورة على عمالهم ، فبعث الامام اليهم متلطفا واعدا اياهم باجابة مطالبهم في تغيير من يشاؤون من هؤلاء العمال (٤٢٦) كما أرسل الى نفاث بالكف عن دعوته وحببه في العودة الى الطاعة (٤٢٧) .

ونعتقد ان سياسة التودد والملاينة هذه قد أثمرت في تثبيط عزيمة نفاث ، وتصدى الكثيرون من مشايخ نفوسة لمناهضته (٤٢٨) ، وانصراف معظم اتباعه عنه • فتخبرنا المصادر ان نفاثا اثر الرحيل الى الشرق حيث نزل بغداد وانكب على دراسة كتب المذهب ونسخ ما تسنى له نسخه منها ، فلما عاد وجد أنصاره قد وهنوا وتفرقوا (٤٢٩) • وان كنا نشك فيما زعمته من أنه « تاب ورجع عن مسائله التي خالف فيها (٤٣٠) » بدليل وجود كثيرين ممن اعتنقوا آراءه حتى أواخر القرن الخامس الهجري (٤٣١) •

واذا كانت الانشقاقات المذهبية قد تفشت في الاجزاء الشرقية من الدولة الرستمية ، فان خطرا جديدا ظهرفي آخر حكم أفلح هدد قلب الدولة ذاته ، ونعني به صراع العصبيات العنصرية والقبلية • لكن أفلح استطاع بذكائه وحذقه السياسي (٤٣٢) تجنيب الامامة في عهده شر هذا الخطر ، واتبع في ذلك وسائل شتى تدل على براعته في الحكم والسياسة الى جانب ما اتصف به من شجاعة نادرة (٤٣٣) •

ومن هذه الوسائل تخليه عن مبدأ المركزية في الحكم ـ وهو مبدأ تكرهه القبائل البدوية كثيرا ـ وعاد الى مبدأ الشورى ـ فكان يأخذ برأي مشايخ القبائل ورؤسائها في تعيين ولاته وعماله ضاربا صفحا عن اعتراضات آل بيته في هذا الصدد (٤٣٤) • وفضلا عن ذلك فقد فرض رقابة دائبة على هؤلاء العمال والولاة حتى لا يتمادوا في ارهاق الرعية بالمغارم والجبايات ، وألزمهم بمراعاة تعاليم المذهب في سياستهم المالية ، ثم أتاح لهم مزيدا من السلطات داخل عمالاتهم (٤٣٥) فضمن بذلك اقرارا لعدالة مع لامركزية الحكم وهو الاسلوب الامثل في دولة يشكل البدو غالب سكانها • كما عول أفلح على استمالة القبائل اليه (٤٣٦) ، وتخبرنا المراجع (٤٣٧) عن حرصه على اتخاذ تراجمة يجيدون لغة البربر • وأفلح في احداث نوع من التوازن بين هذه القبائل جنبه مشقة الدخول في صراع معها • واتبع في ذلك شتى ضروب الحيل ، فقد أخذ بالمبدأ المشهور « فرق تسد » (٤٣٨) ، فأرشى ما بين كل قبيلة وما جاورها (٤٣٩) ، « وألقى موجبات التخالف بين كل مقدم وأتباعه ،

وبث الجواسيس بين شعوب تلك القبائل بطرق سياسية وتدبيرات باطنية كفته مئونة القتال » (٤٤٠) ٠

لهذا اتسم عهد افلح بالهدوء والاستقرار السياسي (٤٤١) ، وحظى بحب الاباضية واعجابهم (٤٤٢) ٠ «فألقى بيده يمينا وشمالا ، وتمكن في امامتـه ، وأطردت له الامور » (٤٤٣) ، « ولم يبق في أيامه منازع ، ولا أجمع جهاته الا طائع (٤٤٤) » ٠ واعتبر مارسيه (٤٤٥) عهد أفلح العصر الذهبي للدولـة الرستمية ، اذ بعد موته في سنة ٢٥٨هـ (٤٤٦) (٨٧٣م) ضعفت هذه الدولة٠

وهكذا اتسمت هذه المرحلة من تاريخ بني رستم بكثرة الثورات والفتن التي تلونت في غالبها بالطابع المذهبي واتخذت شكل الانشقاقات المذهبية في كيان الجماعة الاباضية ٠ لكن هذه الثورات وان تمخضت عن انسلاخ بعض البقاع الشرقية عن سلطان الامامة في تاهرت ، الا انها لم تشكل خطرا على سلامة الدولة ذاتها ، وبفضل سياسة العنف والشدة التي اتبعها عبد الوهاب، وبفضل دهاء أفلح وحذقه السياسي تخطت الدولة الرستمية هذه الاخطار لتواجه مرحلة عصبية في تطورها السياسي ٠

الدور الثاني (٢٥٨ـ٢٨١هـ) (٨٧٣ـ٨٩٥م) ـ الصراع القبلي والعنصري :

قلنا ان الطابع الديني غلب على المرحلة السابقة ، فشكل احداثهاولونها بمسحة مذهبية واضحة وسبق القول ايضا ان قيام الدولة الرستمية كان على أساس مذهبي حيث اجتمع الاباضية من شتى العناصر والقبائـل في المغرب في كنف الامامة الرستمية وليس على أساس عصبية قائمة بذاتها ٠ ومن ثم كان المذهب الاباضي هو الرابطة الوحيدة التي جمعت بين هذه العصبيـات المختلفة ، وبالضرورة فان انتهاك تعاليم المذهب او تحول الامامة الى ملك ٠ ر قضي على هذا الرباط الوثيق الذي جمع هذه العصبيات ، وفجر ما بينها من حزازات عصبية قبلية ونعرات عنصرية ٠

وقد بدت بوادر التناحر القبلي العنصري داخل الدولة الرستمية في عهد عبد الوهاب الذي تمكن من فض ائتلاف قبيلتي هوارة ولواته ، ومحق تمـرد هوارة حين أزمعت العصيان ٠ كما ان أفلح بن عبد الوهاب أخر من اندلاع

هذا الصراع حينا بفضل حسن سياسته ، لكنه اسهم من ناحية اخرى بسياسته القائمة على التفرقة بين القبائل في اذكاء النزعات القبلية والعنصرية التي « بقيت في الصدور الى ان اختارته المنية » (٤٤٧) ثم تفجرت بعد وفاته في شكل حروب دامية انهكت هذه العصبيات من ناحية وضعضعت نفوذ الائمة وهيبة الامامة من ناحية أخرى ٠

فقد ضمت الدولة الرستمية قبائل متعددة من البربر كهوارة ونفوسة ومزاته ولواته وسدراته ولماية ، فضلا عن عناصر مختلفة من الفرس والعرب والجند الافريقي ٠ وقد ساعدت فترة السلام الطويلة التي نعمت بها تاهرت ابان حكم أفلح بن عبد الوهاب على احداث تحول خطير في أحوال هذه العناصر والقوى المختلفة ٠ فالقبائل البدوية ـ كلواته وهوارة ومزاته ـ جنح معظمها الى الاقامة حول تاهرت وآثرت حياة الاستقرار والاشتغال بالزراعة والتجارة حيث جنت منها أرباحا طائلة « فاتخذت العين والخيول ، ونالها من الكبر ما نال اهل المدينة (٤٤٨) » اما نفوسة التي أقامت بعض بطونها في العدوة فقد نالت حظوة الائمة وآثروها بالوظائف العامة «فكانت تلي عقد تقديم القضاة وبيوت الاموال وانكار المنكر في الاسواق والاحتساب على الفساق (٤٤٩)» ٠

..وبلغت العناصر الفارسية في الدولة الرستمية شأوا كبيرا لكون الائمة من أصل فارسي فأوكلوا اليهم قيادة الجيوش وأسمى المناصب ، فضلا عن سيطرتهم على النواحي التجارية والثقافية (٤٥٠) ، فاقاموا القصور والمنازل حول تاهرت «وشكلوا دولة داخل الدولة الرستمية» على حد قول فروخي (٤٥١) ٠

كما وفدت على تاهرت جموع من العرب والجند الافريقي بعد فشل ثوراتهم على الامراء الاغالبة (٤٥٢) ، فأقبلوا على سكنى تاهرت هربا من بطش هؤلاء الامراء من ناحية ، وطمعا في الثراء عن طريق الاشتغال بالتجارة التي ازدهرت في عاصمة الرستميين من ناحية اخرى ٠ ثم هناك قوة اخرى كانت ممثلة في أجناد الائمة من أفراد البيت الرستمي الذين عرفوا بالرستمية (٤٥٣) « فضلا عن أتباع السمح بن أبي الخطاب الذين انشقوا على خلف بن السمح وهربوا الى تاهرت ودخلوا في خدمة بني رستم ،وعرفوا لذلك «بالسمحية (٤٥٤) » ويكمن تقسيم هذه القوى جميعا الى قسم موالي

للامامة الرستمية ويشمل نفوسة والفرس والرستمية والسمحية والاخر مناوىء لها يضم العرب والجند الافريقي فضلا عن بعض القبائل الضاربة حول تاهرت ، وان تأرجحت بعض هذه القوى بين الولاء والعداء لبني رستم احيانا .

تأججت نار الصراع القبلي والعنصري على اثر وفاة أفلح بن عبد الوهاب فبادرت نفوسة بتنصيب ابنه أبي بكر اماما رغم اعتراض فقها المذهب (٤٥٥)، على خلاف ما أورده النفوسي (٤٥٦) بأن أهل الحل والعقد من سائر القبائل والعصبيات هم الذين قاموا ببيعته . ومما زاد الطين بلة ان أبا بكر بن أفلح لم يكن جريئا قويا كجده عبد الوهاب ولا داهية حصيفا كأبيه أفلح ، بل كان غرا لين العريكة شغوفا بالاداب والتواريخ (٤٥٧) ، ميالا الى الترف والملذات، زاهدا في الادارة والحكم (٤٥٨) . ويبدو انه حاول الاستعانة باحدى القوى الموجودة بتاهرت من دون نفوسة التي كانت تمقتها بقية العناصر الاخرى ، فوطد صلاته بالجند والعرب وصاهر زعيمهم محمد بن عرفة وسلم اليه مقاليد الدولة ، وركن الى الدعة والخمول ، واستبد ابن عرفة بتصريف شؤون الامامة من دون الامام «حتى كانت الامارة بالاسم لابي بكر وبالحقيقة لمحمد بن عرفة (٤٥٩)» .

ونظرا للعداء التقليدي بين كافة العناصر بتاهرت وبين العرب ، فقد خسر أبو بكر ولائها جميعا باستثناء بعض بطون هوارة التي آزرته في حين استاء بعضها الاخر من سياسته وغادروا المدينة واحوازها الى مواطنهم الاولى وبديهي ان ينقم الرستمية عليه سياسته وينضموا لنفوسة التي سائها خذلانه اياها بعد أن اوصلته للامامة ، كما ساءها ارتماؤه في احضان الجند والعرب (٤٦٠) أما الفرس فقد آثروا الحياد والتريث ، لكنهم كانوا على أهبة الاستعداد لاغتصاب الامامة كلما سنحت الفرص (٤٦١) . وفي تلك الظروف وصل أبو اليقظان محمد بن أفلح ــ أخوه الامام ــ الى تاهرت (٤٦٢)، وعهد اليه أبو بكر ببعض مسؤوليات الادارة والقضاء ، فسيرها على احسن ما يكون ، « حتى حمد له الشراة ذلك (٤٦٣) » .

وأضمر أبو اليقظان حقدا على ابن عرفة وحزبه ، وساءه استبداده وتسلطه ، وشاركه في ذلك نفوسة والرستمية ، فحرص أخاه على اغتيال ابن

عرفه سرا (٤٦٤) ، وتم له ما أراد (٤٦٥) ٠ ويحاول مؤرخو الاباضية انكار تدبير هذا الحادث ونفي قيام الامام بتنفيذه ، دفاعا عن آل البيت الرستمي ٠ فأبوا زكريا (٤٦٦) والدرجيني (٤٦٧) اكتفيا بالاشارة الى ان الناس فوجئوا بابن عرفة قتيلا دون أدنى اشارة الى ظروف مقتله ٠ امـــا النفوسي (٤٦٨) فيبريء أبا اليقظان من تهمة التحريض على قتل ابن عرفه ، وينسبها الى أحد نصحاء الامام ٠ لكن هذه الروايات جميعا تضعف أمام رواية ابن الصغير المالكي الذي يؤكد ان أبا اليقظان دبر الحادث ٠ وأن أبا بكر نفذه ٠ على كل حال ـ تمخض الحادث عن نوع من الفوضى السياسية عمت تاهرت ، وتحفزت سائر القوى للخروج من هذه الفوضى ظافرة بالامامة ، ودخل بعضها مـــع البعض الاخر في أئتلافات وتحالفات للافادة من الظروف ٠ فقد هب العرب والجند مطالبين بثأر زعيمهم ابن عرفة ، وانضموا تحت لواء احدهم ويدعى محمود بن الوليلي (٤٦٩) ٠ كما وقفت الرستمية والسمحية الى جانب الامام أبي بكر (٤٧٠) ٠ أما الفرس فقبعوا في قصورهم خارج المدينة يدبرون أمر الاستيلاء عليها (٤٧١)٠ بينما لاذتقبائل البربر خارج تاهرت بالصمت مترقبة نتائج الصراع ٠

ونشب القتال بين الجند والعرب من ناحية وبين الامام والرستمية من من ناحية اخرى ، وقتل من الطرفين خلق كثير (٤٧٢) ٠ فاغتنـم الفرس الفرصة وحاولوا الاستيلاء على تاهرت ٠ عندئذ تضامن الرستمية مع الجند والعرب وتصدوا لقتال الفرس وأسروا منهم اعدادا غفيرة (٤٧٣) ٠ ثم انسحب الامام والرستمية من حلبة الصراع ، وألحق الجند والعرب بالفرس عـــدة هزائم وأضرموا النيران في منازلهم ٠ وخشي أبو اليقظان ونفوسة من خطر الجند والعرب فانضموا للفرس ، « وصارت كلمتهم وكلمة العجم واحدة»(٤٧٤)

واحتدم القتال بين الفريقين،وتبادلا النصر والهزيمة الى أن أسفر الصراع عن انتصار الجند والعرب ٠

وأرغم ابو اليقظان وحلفاؤه على مغادرة المدينة ، فنزل الفرس بموضع يقال له تنابغيلت ـ على بعد مرحلتين من تاهرت ـ كما اعتصمت نفوســة بحصنها خارج المدينة ويعرف «بقلعة نفوسة» أما أبو اليقظان فلاذ بالرستمية

بمكان يسمى أسكيدال جنوبي تاهرت (٤٧٥) • وصفت المدينة للجند والعرب بعد ان اعتزل ابو بكر الامامة « وانسلخ منها (٤٧٦) » ، ولحق باتباعه من الرستمية والسمحية بأبي اليقظان سنة ٢٦٠هـ (٤٧٧) (٨٧٤م) •

لكن الجند والعرب لم ينعموا طويلا بالسيطرة على زمام الامور في تاهرت ، فقد أقصاهم عنها بربر هوارة ، وآلت اليهم السلطة فيها طوال ثمان سنوات • ونحن نعلم ان بربر هوارة كانوا قد تمردوا على حكم الامام عبد الوهاب (٤٧٨) ، وأنه بطش بهم فتفرقت جموعهم ورحل معظمهم الى جبل ينجان ، وعاد الباقون الى مضاربهم جنوبي تاهرت ، كما نعلم ان فريقا من هؤلاء آزر أبا بكر بن أفلح في بداية امامته بينما آثر فريق اخر اللحاق بجبل ينجان • ثم كان ما جرى من صراع بين سائر القوى في تاهرت ، وظفر الجند والعرب في النهاية بالسيطرة على زمام الموقف فيها • وأدى هذا الصراع الذي استمر عامين الى اضعاف اطرافه جميعا ، فوجدت هوارة الفرصة مواتية للسيطرة على تاهرت • وقد غادرت جموع هوارة مضاربها بجبل ينجان بزعامة شيخهم محمد بن مسالة (٤٧٩) واقتحموا تاهرت دون عناء ، ونصبوا ابن مسالة أميرا عليهم (٤٨٠) • وظل ابن مسالة « يدير شؤونها ويدير أحوالها على حسب ما يراه (٤٨١) » ، وتخبرنا المراجع (٤٨٢) ان حكمه اتسم بالهدوء والاستقرار •

لكن النعرات القبلية ما لبثت ان تجددت داخل تاهرت ، فوقع خلاف بين هوارة ولواته انتهى بطرد اللواتيين خارجها ونزولهم بحصنهم القريب من أسكيدال حيث أقام أبو اليقظان والرستمية (٤٨٣) • ثم حدث ائتلاف بين لواته وأبي اليقظان ، فأجمعت على بيعته بالامامة سنة ٢٦١ هـ (٨٧٥م) ، ثم بادرت غالبية القبائل ببيعته أيضا وأنكرت حكم ابن مسالة (٤٨٤) وحاول أبو اليقظان دخول تاهرت عنوة دون جدوى • وتكررت محاولاته طيلة سبع سنوات ، لم يفز فيها بطائل • فبعث يستمد العون من جبل نفوسة ، فأمدوه واستطاع دخول المدينة بدون قتال سنة ٢٦٨هـ (٨٨٢م) بعد ان أمن أهلها على أرواحهم وأموالهم (٤٨٥) •

وكان على الامام أبي اليقظان ان ينهج سياسة الاعتدال وتهدئة الخواطر

بعد ما عانته البلاد من حروب أهلية شاملة . وقد نجح في ذلك الى أبعد الحدود بفضل وعيه وتقواه وحرصه على مراعاة تعاليم المذهب في أحكامه ، ولا غرو فقد عرف بتفقهه في المذهب وبتواليفه في أصوله وفروعه والرد على مخالفيه (٤٨٧) .

وقد حرص ابو اليقظان على اجتناب سياسة التعصب وايثار بعض القبائل والعناصر بمناصب الدولة دون البعض الاخر . وعلى الرغم من مساعدة نفوسة ومعاونتها له على دخول تاهرت ، قلل مما كانت تتمتع به من امتيازات في عهود أسلافه ، فحرمها من تولي القضاء وأبقى لها ادارة بيت المال والحسبة (٤٨٨) .

واتخذ ابو اليقظان مجلسا للمشورة يضم شيوخ القبائل ووجهاء كافة العناصر المقيمة بتاهرت (٤٨٩) ، ولم يأنف من مخالطة رعاياه والجلوس اليهم لبحث شكواهم (٤٩٠) كما تسامح مع اتباع المذاهب والفرق الاخرى من الكوفيين والصفرية والمعتزلة والمالكية ، وأباح لهم الصلاة في المساجد جميعا فيما عدا المسجد الجامع (٤٩١) . ويحدثنا ابن الصغير (٤٩٢) ان شيوخ هذه الفرق كانوا يدخلون في محاورات ومناظرات مع فقهاء الاباضية في جو مفعم بالحرية والتسامح . واختار عماله ممن عرفوا بالورع والتقوى ، وزودهم بنصائحه وتوجيهاته وأمرهم بقراءة نداء وجهه الى رعاياه ، حضهم فيه على اجتناب الفرقة ، واتباع سنة السلف الصالح (٤٩٣) .

لذلك ، استقامت له الامور حتى شبهه النفوسي (٤٩٤) بجده عبد الرحمن بن رستم ، كما روى عنه ابن الصغير (٤٩٥) اقوالا وأفعالا جعلت حكمه يحوز رضى كافة العناصر على اختلافها « فلم ينقم عليه احد شيئا مما ولى من أفعاله،ما خلا أولاده فانهم ربما خرجوا عن الواجب من أفعالهم (٤٩٦)» .

والواقع أن ابن الصغير يكشف عن ظاهرة خطيرة بدأت بوادرها في آخر عهد أبي اليقظان وتفاقمت بعد موته (٤٩٧) لتودي بالدولة الرستمية ، وهي مفاسد البلاط الرستمي ، وتفشي الخلاف الاسري والتناحر على الحكم، وما صحب ذلك كله من سقوط هيبة الامامة واضمحلال المذهب الاباضي ،

وظهور الطوائف المذهبية المخالفة للاباضية وأثرها في توجيه احداث العصر الرستمي الاخير ٠

الدور الثالث (٢٨١ ـ ٢٩٧هـ) (٨٩٥ ـ ٩٠٩م) ٠٠ النزاع الاسري وفتن الطوائف غير الاباضية :

أفضى التناحر القبلي والصراع العنصري الى اضعاف شوكة سائر العصبيات ، كما ادى الى انهيار هيبة الائمة وانتهاك مكانة الامامة ، حيث أصبح تنصيب الائمة وعزلهم لعبة في أيدي عامة المدينة وغوغائها ٠ كما برز نفوذ البلاط ونساء الاسرة الرستمية كعامل موجه لاحداث هذه الحقبة ٠

ووجدت الطوائف الدينية والمذهبية في تلك الظروف فرصة سانحة «لتبييت خبر الاباضية (٤٩٨)» واغتصاب الحكم في تاهرت ، فعمدت الى التدخل في النزاع بين أفراد البيت الرستمي واذكاء الخصومة بين المتنازعين منهم على منصب الامامة تمهيدا للوثوب عليها ٠ والراجح ان هذه الطوائف تواطأت مع قوى خارجية كالعباسيين والاغالبة والادارسة والشيعة الفواطم لاسقاط الحكم الرستمي ٠

فقد كانت تاهرت وما حولها موطنا لكثير من معتنقي المذاهب والفرق غير الاباضية ٠ فكانت أقلية لها وزنها من الخوارج الصفرية تعيش في كنف الدولة الرستمية ولهم حصن خاص بهم يسمى « تالغمت» بضواحي تاهرت(٤٩٩) كما كانت جموع المعتزلة تضرب خارج تاهرت متوثبة للانتقام لما حل بها على يد عبد الوهاب بن رستم ٠ ويشير ابن الصغير (٥٠٠) الى وجود كثير من الكوفيين والمالكية في تاهرت ذاتها ، في حين ان أبا زكريا (٥٠١) يذكر ان المذهب الشيعي كان له أنصار في عاصمة الرستميين ٠

وقد ارتفع شأن هذه الطوائف والفرق في تاهرت في أواخر العصر الرستمي بسبب ضعف العصبيات القبلية والعنصرية من جراء الصراع بينها، وبسبب سياسة التسامح التي اتبعها أبو اليقظان محمد في أواخر سني حكمه مع اتباع هذه المذاهب والفرق ، وحسبنا على ذلك دليلا أن خطب علي بن أبي طالب كانت تتلى على منابر تاهرت (٥٠٢) ٠ فلا مشاحة بعد ذلك اذا ما

وجدنا هذه الطوائف والفرق غير الاباضية ـ فضلا عن الشيع الاباضية المعادية للبيت الرستمي ـ تتآمر على اسقاط حكم الرستميين بعد وفاة أبي اليقظان محمد وتولية ابنه أبي حاتم يوسف سنة ٢٨١هـ (٨٩٥م) ٠

والواقع ان تنصيب أبي حاتم ينم عما وصلت اليه الامامة الاباضية من تدهور ومهانة ٠ فقد اختصه ابوه قبل وفاته بولاية عهده تحت تأثير زوجته غزالة (٥٠٣) ٠ وبعد موت أبي اليقظان بادر العوام والفتيان دون القبائل «بمبايعته» فكبروا حوله وحملوه على الايدي والاعناق حتى اوصلوه الى داره، ثم أرسلوا الى القبائل فبايعته» (٥٠٤) ٠ وأثار ذلك استياء الرستمية فحاولوا ـ دون جدوى ـ الحفاظ على هيبة الامامة بحجب الامام ومنعه من مخالطة العوام « التي أرادت الدنو اليه في كل الاوقات على ما كانت تعرف قبل امارته»(٥٠٥) ولهذا رحل يعقوب بن أفلح ـ عم أبي حاتم ـ عن تاهرت ونزل عند زواغة الخلفية (٥٠٦) » ٠

وشجع ذلك على تداخل الكوفيين وغيرهم من الطوائف المذهبية في الامر ، وتوسيع شقة الخلاف بين الامام والرستمية وبين عوام المدينة (٥٠٧) حتى اندلعت الحرب في تاهرت من جديد (٥٠٨) ٠ والواقع ان مؤرخي الاباضية (٥٠٩) يتغاضون عن ذكر هذه المهازل التي تردت فيها امامة ابي حاتم ، فصوروه وقد « اطردت له الامور ، ولم ينقم عليه احد من رعيته في حكم ولا فعل» ٠ لكن ابن الصغير المالكي الذي عاصر تلك الفترة وعاين احداثها كشف لنا عما حاول هؤلاء المؤرخون اخفاءه ٠ فيذكر ان مشايخ الكوفيين ـ على وجه الخصوص نجحوا في تأليب العامة على أبي حاتم ، ودبروا مع زعمائهم امر اغتياله ٠ وتنبه أبو حاتم لما دبر له ، فطرد هؤلاء الزعماء خارج تاهرت ٠ لكن المشايخ انضموا للعامة وثاروا على أبي حاتم وطردوه ومن معه من الرستمية فضلا عن انصاره من نفوسة والعجم ، وأعادوا زعماءهم الى المدينة (٥١٠) ٠

وعول أبو حاتم على تأليب القبائل ضد اهل المدينة ، وبذل الاموال لهذا الغرض ولجأ الى قبائل صنهاجة من غير الاباضية ٠ وقدر له ان يحشد جموعا غفيرة من لواته وصنهاجة والعجم فضلا عن نفوسة والرستمية زحف

بهم الى المدينة وضرب عليها الحصار في ثلاثة مواضع (٥١١) ٠ وكاد المحاصرون ان يستسلموا لابي حاتم ويعترفوا بامامته لولا اصراره على تسليم زعماءالعامة وشيوخ الفرق ، فرفضوا واستأنفوا القتال ، وبعثوا في استدعاء يعقوب بن أفلح من زواغة ، فاقبل ، وبايعوه بالامامة سنة ٢٨٢هـ (٥١٢) (٨٩٦م) ٠

وفتت ذلكفي عضد أبي حاتم،وفارقته لواته وانضمت لعمه يعقوب (٥١٣) لكن ذلك لم يمنعه من معاودة الهجوم على تاهرت ، فهـزم وفارقه العجـم كذلك (٥١٤) ٠ ثم عقدت هدنة بين الطرفين بفضل مساعي شيخ مزاته (٥١٥) وتمكن ابو حاتم خلالها من استمالة كثيريـن من زعمـاء المدينة عن طريق الاموال والهبات ، فعقدوا العزم على بيعته ٠ ولما علم يعقوب بن أفلح بذلـك غادر المدينة بمن معه من شيوخ الطوائف وتوجه الى زواغة (٥١٦) بعد ان مكث في الحكم أربعة أعوام (٥١٧) ٠ ودخل ابو حاتم تاهرت سنة ٢٨٦هـ(٩٠٠م) في حماية زعماء عامتها (٥١٨) ٠

ونعتقد أن أبا حاتم لم يكن بوسعه استرداد نفوذه الحقيقي على المدينة بعد عودته اليها بفضل زعماء العامة فيها ٠ وبديهي ان ينعكس نفوذ أهل تاهرت على ما اتخذه من اجراءات عقب تقلده الامامة ، فلم يكن بمقدوره الا ان يصدر عفوا عاما على سائر أهلها (٥١٩) ، وقد كان الى عهد قريب يشترط تسليم زعمائهم والاقتصاص منهم حتى يفك الحصار الذي ضربه على تاهرت ٠ كما أعوزته القدرة على البت في سياسة الدولة بمفرده ، فقد شاركه فيها مشايخ المدينة « اباضية وغير اباضية (٥٢٠) » ٠ ولم تعد مناصب الدولة حكرا على نفوسة والعجم ، بل برزت عناصر جديدة لم تتول مثل ذلك من قبل (٥٢١) ٠ وتحولت السلطة الحقيقية في تاهرت الى هؤلاء العمال ، فكان صاحبا الشرطة « يأخذا بالتهمة ، ويضربا بالسوط على الظنة (٥٢٢) » ، أما الامـام فلم يكن له في السلطة سوى الاسم ٠

ويبدو ان يعقوب بن افلح ومن هرب معه من مشايخ الكوفيين كانوا من وراء حركة الطيب بن خلف بن السمح في شرقي الدولة الرستمية ، ذلك ان يعقوبا غادر تاهرت ونزل على زواغة بأحواز طرابلس سنة ٢٨٦هـ (٩٠٠م) كما أن زواغة كانت لا تزال على ولائها لتعاليم خلف بن السمح ، والتفتحول

ابنه الطيب بعد وفاته . ولما كانت مضاربها مجاورة لمنازل نفوسة الموالية للاسرة الرستمية ، فقد كان الاحتكاك بينهما أمرا لا محيد عنه . والواقع ان معلوماتنا في هذا الصدد مستمدة من المصادر الاباضية التي تصور حركة الطيب وزواغة على انها تمرد من جانب زواغة لخروجها على زعامة نفوسة(٥٢٣). ومع ذلك فالراجح ان يعقوب بن أفلح كان من وراء هذه الحركة مستهدفا اثارة القلاقل في وجه أبي حاتم ، فليس من محض الصدف أن يثور الزواغيون في هذا الوقت بعينه .

على كل حال ـ تحفل تواريخ الاباضية (٥٢٤) بذكر انتصارات الياس بن منصور على الطيب وانصاره من الخلفية الذين ولوا الادبار لائذين بجزيرة حربة وسيوف النفوسيين تجهز على فلولهم (٥٢٥) . وتشير هذه المصادر (٥٢٦) الى ان الطيب اعتصم بقصر احد شيوخها ممن كانوا على مذهب خلف ، وان الياس بن منصور رشاه بالمال ، فسلم اليه الطيب بدون قتال وعاد به الى الجبل حيث « عاد الى مذهب اهل الحق» وقضى على حركته.

ونعتقد ان السمحية من زواغة ويعقوب بن أفلح لم يركنوا للدعة بعض القبض على الطيب بن خلف وسجنه بجبل نفوسة على يد الياس بن منصور عامل الجبل من قبل أبي حاتم ، فقد كانوا على صلة بأفراد البيت الرستمي المناوئين لامامة أبي حاتم ، واشتركوا معهم في تدبير مؤامرة اغتياله ، وكان الشيخ الزواغي السمحي أبو الخطاب وسيل بن سنين همزة الوصل بين يعقوب بن أفلح والمتآمرين من البيت الرستمي (٥٢٧) حتى تمت المؤامرة بنجاح ، وقتل ابو حاتم يوسف على يد ابناء اخيه سنة ٢٩٤هـ(٥٢٨)(٩٠٦م).

وآلت الامامة الى احدهم ويدعى اليقظان بن أبي اليقظان محمد .ولا نعرف عن أخباره شيئا لعزوف مؤرخي الاباضية عن ذكر امامته باعتباره مغتصبا(٥٢٩) والراجح ان عهده اتسم بالقلاقل والفتن سواء من جانب الطوائف الدينية غير الاباضية التي كانت تطمع في الامامة دون أن تنالها ـ او من جانب ابناء أبي حاتم يوسف وأتباعهم للاخذ بثأر أبيهم .وهذا يفهم من رواية لابي زكريا (٥٣٠) تقول بأن بنت أبي حاتم وأخيها توجها الى أبي عبد الله الشيعي ودعوه لدخول

تاهرت والانتقام من قتلة أبيهما ، وان المالكية والواصلية والشيعة والصفرية «شكوا اليه امارة الفرس» .

مهما كان الامر فقد وضع الغزو الشيعي لتاهرت سنة ٢٩٧هـ (٩٠٩م) حدا لامامة اليقظان بن أبي اليقظان ونهاية للدولة الرستمية برمتها .

وهكذا ـ كان تاريخ بني رستم سلسلة من القلاقل والاضطرابات الداخلية ، اتخذت شكل الانشقاق المذهبي،والصراع القبلي والعنصري،والتناحر الاسري والطائفي .

ج ـ علاقات بني رستم الخارجية :

تأثرت سياسة بني رستم الخارجية بوضع دولتهم الجغرافي ومذهبها الديني وظروفها السياسية ومصالحها الاقتصادية . فقد كانت دولة صحراوية داخلية ، ولهذا لم نسمع عن نشاط بحري لبني رستم ولم يسهموا في حركة الفتوح التي احتكرها جيرانهم الاغالبة في الحوض الاوسط من البحرالمتوسط. وقد حتم الوضع الجغرافي للدولة الرستمية وتشابك حدودها مع دول الاغالبة والادارسة وبني مدرار ، ان تدخل في علاقات مع هذه الدول على الرغم من جنوح أئمتها الى العزلة والانصراف الى مواجهة مشاكلهم الداخلية . لقد فرضت رابطة الجوار على بني رستم ان يحددوا علاقاتهم بامراء القيروان العباسيين ومن بعدهم الاغالبة السنة ، والادارسة العلويين ، وبني مدرار الصفرية ، ان عداء وان ودا . وقد تأثرت هذه العلاقات بجانبيها الودي والعدائي ـ الى حد كبير ـ بمذهب الدولة الديني ، فلما كان بنو رستم من الخوارج الاباضية فقد عادوا الحكم السني بالقيروان والعلوي بفاس ، وهادنوا خوارج سجلماسة الصفرية . كما دعمت الظروف السياسية التي عاشتها الدولة الرستمية سياسة العداء للقيروان وفاس وسياسة المهادنة لسجلماسة، فقد قامت الدولة على أنقاض نفوذ الخلافة العباسية في المغرب الاوسط ، وعجز عمال الخلافة في القيروان عن الحيلولة دون قيامها ، لهذا كان على الاغالبة ـ عمال بني العباس ـ ان يضطلعوا بتنفيذ مشيئة الخلافة في مناهضتها . وإذا

كانت دولة الادارسة قد قامت في المغرب الاقصى على حساب نفوذ الخوارج، فلم يكن هناك مناص من عداء أئمة تاهرت لائمة فاس لاقتطاعهم بعض الاجزاء الشمالية الغربية من الدولة الرستمية • وقد اجتمعت الدولتين الرستمية والمدرارية على عداء القيروان وفاس ، ولهذا حرص حكامهما على الالتزام بسياسة حسن الجوار ازاء بعضهم البعض • ولما كان أمويو الاندلس يعادون العباسيين والاغالبة والادارسة فقد عقد بنو رستم معهم اواصر الصداقة والود، كما وثقوا صلاتهم باباضية الشرق لما جمعهم من وحدة المذهب الديني والمصير السياسي • والحقيقة ان الرستميين انصرفوا لتوطيد صلاتهم بالجنوب مدفوعين بمصالحهم التجارية ، وساعد على ذلك ما كفلته الظروف الجغرافية من حماية طبيعية لقلب دولتهم ، فلم يناجزوا أعداءهم الا بما تقتضيه ضرورة الدفاع ، بل أحيانا كانوا يغضون الطرف عن أطماع جيرانهم في اطراف الدولة ، فلم يحركوا ساكنا حين ضم الادارسة تلمسان وما حولها وسلخوها عن نفوذ تاهرت • وقد كانت كافة حروبهم مع جيرانهم للدفاع فقط باستثناء مرة واحدة اتخذوا فيها موقف الهجوم ، لما حاصر عبد الوهاب بن رستم طرابلس سنة ١٩٦هـ (٨١٢م) • كما لم تتعد صلاتهم الودية اكثر من تبادل السفارات والهدايا ، ولم تصل قط لدرجة التحالف او التعاون لمواجهة العدو المشترك • وعلى ذلك يمكن القول بان سياسة بني رستم الخارجية قامت في جوهرها على تحاشي الاخطار والتزام سياسة الدفاع ، وكانت أميل الى السلم منها الى العدوان • ومع ذلك ، يمكن تقسيم هذه العلاقات الى شقين ، عدائية وودية ، فعلاقات بني رستم بالعباسيين والاغالبة والادارسة كانت ذات طابع عدائي • أما علاقاتهم مع بني مدرار وبني أمية بالاندلس واباضية الشرق ، فقد اتسمت بالطابع الودي •

أ ـ العلاقات العدائية :

١ ـ بنو رستم والعباسيون :

لا يخفى ما كان بين بني رستم وبني العباس من خلاف مذهبي وعداء سياسي ، فقد تأصل هذا العداء مذ عمد العباسيون الى مناهضة حركات

الخوارج ـ ومنهم الاباضية ـ في الشرق والغرب على السواء • وحسبنا ان ما حل باباضية المغرب من كوارث انما تم على أيدي ولاة المنصور والرشيد بالقيروان منذ ولاية ابن الاشعث ومن تلاه من أمراء الاسرة المهلبية • وقد لجأ عبد الرحمن بن رستم الى جوف الصحراء حيث اسس دولته هربا من هؤلاء الولاة واتقاء لبطشهم •

والواقع ان اباضية المغرب وجدوا في دولة بني رستم ملاذا حصينا من خطر ولاة القيروان ، فلم يقدر لاي منهم اجتياح أراضي الدولة الرستمية بعد فشل محمد بن الاشعث في حصار عبد الرحمن بن رستم ومن معه من الاباضية بجبل سوفجج سنة ١٤٥ هـ (٧٦٢م) • بل حاول ابن رستم وجماعته الانتقام لما حل بالاباضية من بطش جيوش ابن الاشعث ، فخرج على رأس خمسة عشر ألفا من رجاله لحصار عمر بن حفص بطبنة سنة ١٥٤هـ (٧٧١م) مع سائر اباضية المغرب وصفريته ، لكنه عاد مدحورا بعد هزيمته عند تهودة أمام جيش عمر بن معمر بن عيسى السعدي قائد عمر بن حفص (٥٣١) •

وبسبب هذه الهزيمة • وما لحق اباضية المغرب الادنى من بطش يزيد ابن حاتم (٥٣٢) ، آثر عبد الرحمن بن رستم الانصراف الى تأسيس دولته دون ان يمضي في مناجزة ولاة القيروان • فبعث الى روح بن حاتم طالبا مهادنته حتى يتفرغ لمواجهة الاعباء التي واكبت قيام دولته • ويبدو ان الخلافة العباسية اذ ذاك تطلعت الى دعم نفوذها في افريقية ، وغضت الطرف ـ الى حين ـ عن بسط سلطانها على بلاد المغرب الاوسط والاقصى ، فقبل واليها علي القيروان موادعة عبد الرحمن بن رستم (٥٣٣) •

ومن الطبيعي ان تظل هذه السياسة قائمة في عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن لما حفل به حكمه من قلاقل وثورات في الوقت الذي جنح فيه روح بن حاتم الى السلم لتقدم العمر به • وقد اختلف المؤرخون في تحديد اي من الطرفين بادر بطلب الموادعة ، فمنهم (٥٣٤) من يشير الى ان عبد الوهاب بن رستم هو الذي طلب من روح تجديد الهدنة ، ومنهم من يذكر (٥٣٥) ان روحا طلب الموادعة • وان عبد الوهاب اجابه الى ما أراد • وقد خرج جوتييه من الرواية (٥٣٦) الاولى بأن أمراء القيروان اسقطوا من اعتبارهم استرداد نفوذهم

على المغرب الاوسط فتغاضوا عن مناوأة الدولة الرستمية • بينما استخلص فورنل (٥٣٧) من الرواية الثانية ان الدولة الرستمية اصبحت قادرة على الوقوف من ولاة القيروان موقف الند للند • ومهما كان الامر ، فالذي يعنينا ان الطرفين جنحا الى السلم • وآثرا العافية على الدخول في صراع لم يكونا على استعداد لخوض غماره وتحمل مغبته •

واستمرت سياسة تحاشي الصدام بين أئمة تاهرت وأمراء القيروان قائمة حتى سنة ١٨٤هـ (٨٠٠م) ، حين قامت دولة الاغالبة في افريقية لترث أسباب العداء مع بني رستم وتنوب عن بني العباس في الاضطلاع بمناهضة حكمهم •

ومن الجدير بالتنويه ان الموادعة بين أمراء القيروان وأئمة تاهرت لا تعني انتفاء العداء بينهما ، فالعداء بين تاهرت وبغداد ظل قائما ، ولم يتوان الخلفاء عن اغتنام ما سنح لهم من فرص في الكيد للدولة الرستمية واثارة المتاعب في وجه أئمتها • وأدرك الرستميون ما أضمره بنو العباس لهم من خصومة وعداء ، فأحجم عبد الوهاب بن رستم عن أداء الحج خشية الوقوع في يد «المسودة (٥٣٨)» وبرر له فقهاء المذهب الاباضي عزوفه هذا « بعدم أمان الطريق» • فامان الطريق ـ شرعا ـ من شروط الحج (٥٣٩) •

وليس ببعيد ان يكون العباسيون قد توجسوا خيفة من اتصال أئمة تاهرت باباضية الشرق لتدبير المؤامرات وتنظيم الثورات المناوئةلحكمهم(٥٤٠) ومن ثم درجوا على بث عيونهم لمراقبة وفود المغاربة في مواسم الحج • ولعل في حادث القبض على الامير الرستمي أبي اليقظان محمد بن أفلح بمكة وايداعه السجن ببغداد (٥٤١) ما ينهض دليلا على ذلك •

كذلك رحب العباسيون بالثوار الخارجين على بني رستم ، ووجد هؤلاء في بغداد سلاما آمنا بعد اخفاق حركاتهم • والراجح ان العباسيين تعاونوا معهم على اسقاط الحكم الرستمي في تاهرت ، فنفاث بن نصر الثائر على أفلح بن عبد الوهاب الرستمي بادر بالهرب الى بغداد حين ضيق عليه عمال الامام على جبل نفوسة حتى اوشكوا على الظفر به •وتشيد مصادر الاباضية (٥٤٢) بما لقيه نفاث من حظوة وحفاوة في بلاط الخلافة ، حتى ان الخليفة اطلعه

على المحظور من أمهات الكتب والدواوين في المذهب الاباضي . وليس ببعيد أن يكون نفاث قد تآمر مع الخلافة على بث الشقاق في الدولة الرستمية اثر عودته ، واذا كان لم يوفق في النيل من سلطان تاهرت في اقاليم الدولة الشرقية ، فان حسبة نجاحه في احداث انقسام مذهبي سياسي وتكوين فرقة عرفت « بالنفاثية » ظلت معادية للسلطة الحاكمة في تاهرت طوال عهد الدولة الرستمية .

وقد وضح تآمر بني العباس على اسقاط امامة تاهرت في العصر الرستمي الاخير ، فطائفة الكوفيين « بتاهرت لعبت دورا بارزا في مناوءة الامامة الرستمية في ذلك الحين ، وتواطأت مع زعماء العامة في العاصمة الرستمية لاقصاء أبي حاتم يوسف عن السلطة وطرده خارج المدينة (٥٤٣) . وفي وجود بكر بن حماد التاهرتي ــ أخو محمد بن حماد ــ زعيم عامة تاهرت ــ ببغداد (٥٤٤) قبيل وقوع تلك الاحداث ، وعودته الى تاهرت واشتراكه في تنحية أبي حاتم ثم اعتذاره اليه راجيا عفوه بعد عودته للسلطة (٥٤٥) ، ما يشير الى تواطؤ الخلافة العباسية مع المارقين على بني رستم وتدبيرهم المكايد ضد الدولة الرستمية . وهذا كله يؤكد ما ذهبنا اليه من تأصل العداء بين الطرفين .

٢) بنو رستم والاغالبة :

اتخذت العلاقات بين بني رستم والاغالبة طابعا عدائيا صرفا ، وكان لذلك أسبابه المذهبية والسياسية والجغرافية . فالاغالبة كانوا سنة ، ومذهب مالك ــ المعروف بعدائه لسائر النحل المتطرفة ــ ساد افريقية الاغلبية ، بينما تعصب بنو رستم للمذهب الاباضي ، وهو رغم اعتداله يذهب الى تكفير مخالفيه (٥٤٦) . وفضلا عن ذلك فالاغالبة كانوا عمال الخلافة العباسية وأداتها في افريقية ، ورمز نفوذها الوحيد في بلاد المغرب ، ولا غرو فقد قامت سياستهم الخارجية على مصادقة أصدقاء الخلافة ومعاداة أعدائها . ومن ثم كان على أمراء بني الاغلب أن يناهضوا أئمة تاهرت جريا على سنة الخلافة وتنفيذا لمشيئتها كما لم يتقاعس بنو رستم عن مناجزة جيرانهم الاغالبة ــ باعتبارهم

أعداء سياسيين ومذهبيين على الرغم مما عرفوا به من المسالمة والحرص على تحاشي .أسباب التطاول والصراع (٥٤٧) ٠

لقد فرضت الظروف الجغرافية على الدولتين أن تتخذ العلاقات بينهما شكلا عدوانيا ، فلم يكن ثمة محيد عن الصدام أمام تشابك الحدود وعدم وضوح معالمها ٠ لقد أحاطت الدولة الرستمية بافريقية الاغلبية من الشرق والغرب والجنوب (٥٤٨) ، ولم يكن هناك ما يمنع رعايا الدولتين من القبائل البدوية من الحركة والانتقال والاختلاط في مناطق الحدود (٥٤٩) ، ومن هنا اختلط الامر على بعض الجغرافيين (٥٥٠) فنسبوا بعض البلدان والكور الرستمية ــ كغدامس وتهودة وودان ــ الى دولة الاغالبة ٠ والذي يعنينا هو ان الصدام بين رعايا الدولتين في مناطق الحدود كان لا ينقطع ، فاقليم الزاب ونواحي بلزمة شهدت صراعا داميا بين فقهاء المالكية وأتباع المذهب الاباضي (٥٥١) ٠ وجدير بالتنويه ان جمهور الاباضية بتلك النواحي لم يكن برمته مواليا للرستميين ، فجماعة الخلفية من زواغة والنكار من هوارة ــ ومنازلهما جنوب تونس (٥٥٢) ــ كانتا على عداء مع بني رستم ، وليس من المستبعد ان يكون الاغالبة قد اصطنعوا بعض هذه العناصر لاثارة العراقيل والقلاقل في الدولة الرستمية ، يفسر هذا قول تورنو (٥٥٣) بأن جماعات الاباضية بنواحي قسطيلية ــ بلاد الجريد ــ لم يتعرضوا لاضطهاد الاغالبة لكن الذي لا شك فيه ان جمهور الاباضية الوهبية من لواته وهوارة في تلك الاصقاع لقوا عسفا وعنتا على أيدي بني الاغلب وعمالهم (٥٥٤) ٠

كما كانت حدود دولة الاغالبة الشرقية غير واضحة المعالم ، فقبائل نفوسة الاباضية كانت تضرب في قرب طرابلس التابعة لبني الاغلب ، وامتدت ديارها حتى مشارف القيروان ذاتها (٥٥٥) ٠ ومن ثم كانت هذه المناطق ميدانا حافلا بالصراع بين الدولتين الاغلبية والرستمية ٠

وليس صحيحا ما ذهب اليه مؤرخو الغرب (٥٥٦) من انتفاء طابع العداء بين الاغالبة وبني رستم وقولهم بأن كليهما نعم بحدود آمنة عازفا عن شهر السلاح في وجه جيرانه ٠ حقيقة لم يصل التشاحن بينهما الى حد يهدد وجودهما بسبب انشغال الاغالبة بمواجهة مشاكلهم الداخلية فضلا عن النشاط

البحري الذي ضربوا فيه بسهم وافر ، ونفس الشيء يقال عن بني رستم واهتمامهم بحركة التجارة مع الجنوب • هذا فضلا عن بعد المسافة ووعورة الطرق بين تاهرت وافريقية ، فقد كانت المسافة بينهما مسيرة شهر على ظهور الابل (٥٥٧) • لكن ذلك لا يعني قط احجام حكام الدولتين عن الاغارة على أملاك بعضهم البعض على امتداد الحدود ، وخاصة في الجهات الشرقية ، بل دأبوا على بث الفتن واثارة العراقيل وتحريض العناصر المعادية للحكم • واذا كان الرستميون الاوائل قد أحرزوا النصر في المرحلة الاولى ، فان الاغالبة ظفروا به بعد ذلك في أواخر العصر الرستمي •

بدأ النزاع الرستمي الاغلبي في منطقة طرابلس ، وسببه ان هذه المدينة كانت تابعة للاغالبة ، وقد امتد نفوذ عاملها على بعض بطون هوارة الاباضية الضاربة بجوارها ، وعدتها ثلاثمائة أسرة (٥٥٨) • وبديهي أن يطمع هؤلاء الاباضية في الاستقلال عن سلطان الاغالبة للدخول في طاعة بني رستم (٥٥٩)، فدأبوا على اثارة المتاعب في وجه العامل الاغلبي على طرابلس ، وعمدت جماعات منهم الى الاغارة على المدينة وبث الرعب بين سكانها (٥٦٠) ، فكان عاملها يسرف في الانتقام من الاباضية بها حتى لقد خرجت جموع غفيرة منهم ولجأوا الى الصحراء (٥٦١) ، ويبدو أنهم استمدوا العون من جيرانهم أباضية نفوسة ، فقد نجحوا عام ١٩٦هـ (٨١٢م) في اجتياح طرابلس ، وألحقوا بها الخراب والدمار • وهب ابراهيم بن الاغلب لاستنقاذ نفوذه ، فرمى الثوار بابنه عبد الله الذي أفلح في استرداد المدينة وأثخن في الاباضية تنكيلا ، ثم حصنها ببناء سور حولها (٥٦٢) • واستعان الاباضية بالامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن ـ وكان اذ ذاك بجبل نفوسة ـ فاستجاب لهم وخرج على رأس جيش من نفوسة وغيرها وضرب الحصار حول طرابلس (٥٦٣) • ولم يستطع عبد الوهاب اقتحام المدينة ، فقد أغلق عبد الله الاغلبي أبوابها وباشر القتال من باب واحد • وتمكن جنده من اغتيال بعض مشاهير الاباضية (٥٦٤) ، كما استطاع عن طريق جواسيسه افساد خطط المحاصرين (٥٦٥) •

وكاد عبد الوهاب أن يعود من حيث أتى ، لولا أن أسعفه الحظ بموت ابراهيم بن الاغلب واستدعاء ابنه عبد الله الى القيروان لتقلد الامارة (٥٦٦) •

فاضطر عبد الله الى التسليم بمطالب الرستميين في انضمام أباضية هوارة الى ذولتهم وانسلاخهم عن نفوذ عامل طرابلس الاغلبي ، ونص في الاتفاق على أن «يكون البلد والبحر لعبد الله وما كان خارجا عن ذلك لعبد الوهاب» (٥٦٧) . هكذا انتصر عبد الوهاب بسبب اضطرار عبد الله الى وقف الحرب وعودته الى القيروان ، بل شجعه ذلك على الاجتراء على الاراضي الاغلبية ذاتها ، فضرب صفحا عن الاتفاق واستولى على قابس - وهي ميناء على البحر كان تابعا للاغالبة (٥٦٨) - وكذلك آلت اليه بعض القرى والحصون الاخرى ثم عبرت جيوشه الى جزيرة جربة واستولى عليها ، وعاد عبد الوهاب الى جبل نفوسة ومنه الى تاهرت بعد ان ولى عمالا على هذه النواحي الجديدة (٥٦٩) .

وشغل الاغالبة الاول بمشاكلهم الداخلية عن تصحيح الوضع على حدودهم الشرقية ، كما قنع الرستميون بما أحرزوه من مكاسب ، ولم يتمادوا في سياسة التوسع مغتنمين فرصة ثورات الجند في افريقية على الامارة الاغلبية . وهذا ما حدا ببعض الاحزاب المعارضة لعبد الوهاب أن تستنكر فتوره « وقلة محاربته للمسودة » (٥٧٠) .

ودرج أفلح بن عبد الوهاب - الذي اشتهر بالدهاء والسياسة - على تحريض اتباعه من البدو الاباضية المقيمين ببلاد الجريد لاثارة القلاقل في دولة الاغالبة . ويذكر ابن خلدون (٥٧١) انهم تمردوا على العامل الاغلبي بقسطيلية وأردوه قتيلا ، وان الامير أبي عقال الاغلب سير اليهم الجيوش واستأصل شأفتهم . ومن المشكوك فيه أن يكون ابو عقال قد قضى نهائيا على ثورات الاباضية في افريقية الجنوبية ، ويبدو ان ذلك كان دافعا لخليفة الامير محمد الاغلبي على الاهتمام بتوطيد نفوذه في تلك النواحي . ففي سنة ٢٣٩هـ (٨٥٤م) أسس مدينة جديدة سماها العباسية في بلاد الجريد لمواجهة اخطار الاباضية ، ولتكون قاعدة أمامية للاغارة على تاهرت ذاتها ، فضلا عن منافستها للعاصمة الرستمية في تجارة العبور (٥٧٢) . غير ان افلح بن عبد الوهاب بادر بمواجهة الخطر الاغلبي ، وأفلح في تدمير العباسية ، وأضرم فيها النيران (٥٧٣) .

كما حاول اباضية نفوسة وهوارة الاستيلاء على طرابلس في عهد أحمد

ابن محمد الاغلبي (٢٤٢ ـ ٢٤٩هـ) (٨٥٧ ـ ٨٦٤م) ولم ينقذها سوى جلب واليها الامدادات من القيروان فحال دون سقوطها سنة ٢٤٥هـ (٨٦٠م) (٥٧٤)٠ وهكذا اتسمت سياسة بني رستم في عهدي عبد الوهاب وأفلح بالقوة، فأمسكا بزمام المبادرة في صراعهما مع الاغالبة ، ونجحا في مواجهة أخطارهم بل واقتطاع أجزاء من دولتهم ٠ على ان الاغالبة سرعان ما رجحت كفتهم بعد موت أفلح بن عبد الوهاب ، اذ منيت الدولة الرستمية باخطار الصراع العنصري والطائفي في الداخل ٠ فلم يعدم الاغالبة وجود صنائع وأتباع عملوا لحسابهم في مناهضة أئمة بني رستم في ذلك الحين (٥٧٥) ٠ ولا يخفي دور شخص يدعى خلف الخادم ـ من موالي الاغالبة ـ في تأليب الثوار على أبي بكر بن أفلح حتى أقصوه عن الامامة وطردوه خارج تاهرت ويحدثنا ابن الصغير (٥٧٦) أنه كان يبذل الاموال للثوار بسخاء ، الامر الذي يدل على تواطؤ بني الاغلب وتآمرهم على اسقاط الحكم الرستمي ٠

وفي سنة ٢٦٧ هـ (٨٨١م) اشتركت جيوش الاغالبة جنبا الى جنب مع اباضية نفوسة في قتال جيش العباس بن أحمد بن طولون ـ الذي خرج من مصر غازيا افريقية ـ ، وهذا لايعني عودة الوئام بين بني رستم والاغالبة ، فقد قاتلت نفوسة العباس لا « انقاذا لطرابلس وبني الاغلب من ظلمه » كما ذهب النفوسي (٥٧٧) ، ولا تلبية لطلب ابن قرهب عامل الاغالبة على طرابلس كما قال سعيد بن مقديش (٥٧٨) ، وانما لان خطره هدد بني الاغلب وبني رستم على السواء (٥٧٩) ٠ فبعد استيلاء العباس على لبدة ، بطش بجمهور الاباضية هناك «وتعدى سودانه على بعض حرم البوادي وهتكوا الحجب (٥٨٠)» ٠ ولما كان هؤلاء من رعايا بني رستم ، فقد استنجدوا بعاملهم على جبل نفوسة ويدعى الياس بن منصور في الوقت الذي بعث فيه العباس اليه يدعوه للدخول في طاعته (٥٨١) ٠ فهب العامل الرستمي لدرء خطر العباس دون سابق اتفاق مع الاغالبة (٥٨٢) ٠ مصداق ذلك خروج عامل طرابلس الاغلبي على رأس جيش أنفذ اليه من القيروان والتحامه مع ابن طولون قبل قدوم الاباضية من نفوسة (٥٨٣) فقد وصلوا في اليوم التالي (٥٨٤) ، واشتركوا مع الاغالبة في قتال العباس (٥٨٥) ٠ وحين هزم العباس واستأثر الاغالبة بالمغانم

والاموال الطائلة (٥٨٦) دون الاباضية الذين رفضوها « زهدا وتعففا» على حد قول المصادر الاباضية (٥٨٧) ٠

وعمد ابراهيم بن أحمد الاغلبي الى اتباع طرق شتى في صراعه مع الرستميين الذين وقفوا موقف الدفاع ٠ففي سنة ٢٦٩هـ(٨٨٣م)أوغلت جيوشه في مضارب القبائل الاباضية ببلاد الجريد، وتمكن من وضع حد لشغبهم(٥٨٨) وبث الفرقة بين اباضية نفوسة باصطناع مسائل فقهية اختلف شيوخهم حول تأويلها (٥٨٩) ٠

ويبدو أنه فعل ذلك توطئة للاطاحة بمعقل القوة في الدولة الرستمية، بغزو جبل نفوسة ٠وهذا هو ما حدث فعلا سنة ٢٨٣هـ (٨٩٧م) ٠ واختلفت الروايات في تفسير دوافع هذا الغزو ، فبعضها (٥٩٠) تعزوه الى اعتراض نفوسة للجيش الاغلبي الزاحف نحو مصر الطولونية ، وبعضها (٥٩١) الاخر يزعم ان الامير الاغلبي كان قادما على رأس جيش من بغداد لغزو تاهرت ، فاعترضته نفوسة دفاعا عن عاصمة الرستميين ، بينما يذهب ابن عذارى(٥٩٢) الى ان جيش ابن الاغلب كان متوجها الى طرابلس لتأديب عاملها ، فاعترضته نفوسة ومنعته من المرور ، في حين يقول الشماخي (٥٩٣) باجتماع نفوسة على قتال الامير الاغلبي لانه «أفسد» وتعدى ٠ وعلى الرغم من اختلاف هذه الروايات ، فهي تجمع على اعتراض اباضية نفوسة للجيش الاغلبي عند مكان يقال له قصر مانو ـ بين قابس وطرابلس (٥٩٤) ـ ٢٨٣هـ (٨٩٧م) فقامت معركة بين الطرفين قضي فيها على غالبية النفوسيين (٥٩٥) ٠ وعلى اثر الاجهاز على نفوسة نزل الجيش الاغلبي على اباضية قنطرارة ونغزاوة فبطش بهم وأسر جندهم (٥٩٦) ، وسيق الاسرى الى القيروان حيث عذبوا ثم قتلوا (٥٩٧) ٠ وفي العام التالي بعث الامير الاغلبي جيشا الى نفوسة أثخن فيها ، وعاد بثلاثمائة أسير قتلوا ومثل بهم « فنظمت قلوبهم في حبال علقت على باب تونس (٥٩٨) » ٠

وهكذا ـ شغلت الامامة في تاهرت بمشاكل الصراع حول السلطة عن تقديم العون لاباضية المغرب الادنى (٥٩٩) ، فتركوا وشأنهم يتلقون ضربات الاغالبة حتى وهنوا وضعفوا ، وبضعفهم تداعت الدولة الرستمية (٦٠٠) ٠

ولولا ما حل بدولة الاغالبة من اضطراب سياسي في عهدها الاخير ـ وانصراف أمرائها لمجابهة الخطر الشيعي ، لامكنهم غزو تاهرت نفسها واسقاط الاسرة الرستمية • لكن الدولتين المتعاديتين جمعتهما في النهاية وحدة المصير • فقد وقعتا فريسة للغزو الشيعي سنة ٢٩٧هـ (٩٠٩م) •

٣ ـ بنو رستم والادارسة :

رغم ما ساد علاقات بني رستم بالادارسة من عداء نتيجة خلافاتهم المذهبية والاجتماعية والسياسية ، فان المصادر الاباضية تلوذ بالصمت التام فلا تذكر شيئا البتة عن هذه العلاقات • وقد فسر كثير من الدارسين (٦٠١) هذا الصمت على انه دليل على ما ساد هذه العلاقات من طابع الود وحسن الجوار • لكن كتابا آخرين (٦٠٢) ذكروا حقيقة هذه العلاقات وانطوائها على الخصومة والعداء • وسبب هذا العداء ان الادارسة كانوا من الشيعة الزيدية بينما كان بنو رستم من الخوارج الاباضية ، كذلك كانت دولة الادارسة دولة حضر ، بينما غلب الطابع البدوي على الدولة الرستمية • هذا فضلا عما كان بينهما من تنافر سياسي ـ بسبب صداقة بني رستم لبني مدرار والامويين في الاندلس اعداء الادارسة ـ على الرغم من اشتراكهما في معاداة الخلافة العباسية •

وجدير بالذكر ان الادارسة ـ مدفوعين بهذه الخصومة المذهبية والتباين الاجتماعي والعداء السياسي ـ عولوا على الاغارة على املاك الرستميين واقتطاع بعض اجزائها بينما ركن الرستميون الى المسالمة لقصور في قوتهم• فلم يكن بوسعهم مناجزة جيرانهم الاقوياء • واذا كانت غزوات الادارسة لم تشكل خطرا على حكومة تاهرت ـ حسبما اعتقد ماسكراي (٦٠٣) ـ فحسبهم اقتطاع اقليم تلمسان ـ وسكانه من مغراوة وبني يفرن الزناتيين ـ من بني رستم وضمه الى دولتهم •

ولم يكن ثمة ما يحول دون احتكاك الادارسة بجيرانهم الرستميين ، خاصة وان دولتهم ارتبطت في قيامها وتوسعها بخوارج المغربين الاقصى

والاوسط • فغالبية القبائل التي بايعت ادريس الاول كانت علـــى مذهب الخوارج ، فزناتة وزواغة ولماية ولواته وسدراته ونفزه وهي اباضية المذهب رحبت بادريس الاول ودخلت في طاعته (٦٠٤) ، وان ظلت بعض بطونهـا على مذهبها وولائها لبني رستم • وكان على ادريس وخلفائه ن يدخلوا فـي صراع مع بني رستم اذا ما أرادوا التوسع شرقا لضم هذه البطون واستئصال شأفة الخوارج في منطقة تلمسان وأسافل شلف ، وقد تحقق لهم ذلك بالفعل فيما يتعلق باباضية زناتة بالذات (٦٠٥) •

ففي سنة ١٧٣هـ (٧٨٩م) توجه ادريس الاول على رأس جيش للاستيلاء على تلمسان واخضاع مغراوة وبني يفرن وغيرهـم من الخوارج الصفريـة والاباضية (٦٠٦) ، وتمكن من دخولها دون جهد كبير (٦٠٧) • ونجح فـي توحيد جموع زناته في غربي بلاد المغرب تحت لوائه ، واستولى على مدينـة ذات أهمية استراتيجية خاصة ـ « فتلمسان قفل بلاد المغرب (٦٠٨) » وشهرة تجارية عريضة (٦٠٩) ، فضلا عن قوة بشرية كبيرة (٦١٠) سلخها عن نفوذ دولتي الخوارج •

ويبدو ان الامام عبد الوهاب الرستمي حاول استعادة نفوذه في هـذه النواحي ، لكنه لم يجرؤ على غزو تلمسان (٦١١) • ولم يكن بوسعه سـوى تأليب أصهاره من بني يفرن ، فقاموا بالثورة على الادارسة ، وظلـوا بمنأى عن نفوذهم الى أن أخضعهم ادريس الثاني سنة ١٩٧ هـ (٨١٣م) • فدانوا له بالطاعة من جديد وتخلوا نهائيا عن مذهب الخوارج (٦١٢) • بل حاول زعماء مغراوة وبني يفرن اغراء بني رستم للدخول في طاعة الادارسة ، فلم يستجيبوا، وناصبوهم العداء ودخلوا معهم في حروب فتت في عضد بني رستم على عكس ما يذكره مارسيه من(٦١٣) « خروج تاهرت ظافرة من هذا الصراع» • فالثابت أن الامامة الرستمية لم تقم بمحاولة جدية في هذا الصدد ، انما اقتصر الامر على مجرد اغارات محدودة قامت بها جماعات من نفوسة ردا على اعتداءات بني يفرن على رعايا الدولة الرستمية (٦١٤) •

وفضلا عن اغارات بني يفرن ومغراوة على الاطراف الشمالية للدولـة الرستمية ، حرص الادارسة على اثارة العراقيل في تاهرت نفسها ، ولايخامرنا

شك في أن أدريس الثاني كان من وراء تمرد الواصلية على عبد الوهـــاب الرستمي سنة ١٩٥هـ (٦١٥) (٨١١م) ، فمن المعروف ان طنجه كانت معقلا لواصلية المغرب (٦١٦) ، وأن أوروبة دانت بمذهب الواصلية ، كما أقبلـت بعض بطون زناتة على اعتناقه كذلك (٦١٧) ، ومعلوم ان أوروبة كانت عصب دولة الادارسة ، وان ولاء زناتة الغرب تحول الى بني ادريس ٠ وبديهي الاتقطع الصلة بين الواصلية الضاربين خارج تاهرت وبين معاقلهم في دولة الادارسة. وليس غريبا اقدام الادارسة على استغلال هذه الصلة في اثارة العراقيل أمام خصومهم من بني رستم ، مصداق ذلك قـول ابي زكريـا « فتكاثفت كلمـــة الواصلية ، واجتمعوا من كل نقب ، وجاؤوا من كل اوب ٠٠ وأظهروا مخالفة الامام» ٠ وأغلب الظن ان ثورات هوارة على الائمة الرستميين لم تخل كذلك من تحريض الادارسة ، فمواطنها الاصلية كانت داخل دولة الادارسة (٦١٨) حيث اتخذت من جبل ينجان معقلا وملاذا حين تعرضت لبطش عبد الوهاب بن رستم ٠ ومن المرجح ان تكون حركتها التي انتهت باستيلاء زعيمها محمد بن مسالة على السلطة في تاهرت سنة ٢٦٠ هـ (٨٧٤م) قد قامت بمساعدة آل ادريس وتحريض منهم ٠

ومن المحقق ان تلك المؤامرات التي امعن الادارسة في نسج خيوطها لم تقابل بأدنى مبادرة من قبل بني رستم للرد عليها ، وذلك مما يشكك فـــي تصور جوتييه (٦١٩) للعلاقات الرستمية الاداريسية على أنها موجات مـــن «الافعال وردودها» ،ولا محل لتصديقه في تعليل انشاء مدينة فاس بخـوف ادريس الثاني من تآمر بني رستم على دولته بالتواطؤ مع العناصر الحانقــة على آل ادريس داخل بلادهم ٠

لم يكن بوسع الائمة الرستميين مجاراة الادارسة في تدبير المكائـــد واحداث الشقاق ، كما عزفوا نهائيا عن محاولة استرداد نفوذهم المفقود فـــي الاقاليم الشمالية والساحلية ، على الرغم مما حل بدولة الادارسة من ضعف وتفتت اثر وفاة ادريس الثاني سنـــة ٢١٣هـ (٦٢٠) (٨٢٨م) ٠ فقــد آلت تلمسان وما حولها الى آل سليمان (٦٢١) وأضحت ولاية حاجزة بين الدولتين ٠ وقد تعرضت ولاية تلمسان للتجزئة والتمزق السياسي أيضا ، فقسمت الى

ثلاثة أقسام بين أبناء محمد بن سليمان ، اذ استقل ابنه محمد بمدينة تلمسان وعيسى بأرشقول ، اما جراوة فكانت من نصيب ادريس ثم آلت الى ابنه عيسى المكنى بأبي العيش (٦٢٢) • هذه الفرقة السياسية (٦٢٣) أفضت الى اضعافهم جميعا الامر الذي حدا بفورنل (٦٢٤) الى الاعتقاد باستعادة زناتة لنفوذها القديم في هذه الجهات • ومع ذلك لم تسلم الدولة الرستمية من أخطارهم ومؤامراتهم •

لقد ضعفت الدولة الرستمية بعد أفلح بن عبد الوهاب ، وشغل أئمتها بأحداث تاهرت وما جاورها ، فاجترأ أمراء آل سليمان على اقتطاع بعض البلاد والقلاع التابعة لبني رستم (٦٢٥) ، كمدينة الخضراء وسوق ابراهيم وغيرها (٦٢٦) بعد البطش بسكانها من الاباضية (٦٢٧) دون ان يحرك أئمة تاهرت ساكنا (٦٢٨) • وفضلا عن ذلك فقد أسهموا في اثارة الفتن والثورات التي أضعفت الحكم الرستمي في سنيه الاخيرة ، فبكر بن حماد ـ أخوه محمد بن حماد زعيم الثوار على أبي حاتم يوسف ـ كان على صلة مريبة بأبي العيش عيسى بن ادريس العلوي حاكم جراوة (٦٢٩) ، وبأحمد بن القاسم بن ادريس حاكم مدينة كرت (٦٣٠) • ولما اخفقت الثورة واستعاد ابو حاتم الامامة هرب كثيرون من الثوار لائذين بآل سليمان والادارسة (٦٣١) •

هكذا ـ اتسمت علاقات بني رستم السياسية مع الادارسة بطابع العداء ، وأسفر الصراع بين الدولتين عن تغلب الادارسة واستكانة بني رستم •

ب ـ العلاقات الودية :

١ ـ بنو رستم واباضية الشرق :

سبق القول بأن اباضية الشرق عمدوا الى اساليب الدعوة السرية والتنظيم السياسي اثر فشل حركة عبد الله بن اباض التميمي في عهد مروان بن محمد الاموي ، فطفقوا يرسلون من مركزهم في البصرة دعاتهم الى الامصار المتطرفة كخراسان وجنوبي الجزيرة العربية والمغرب لنشر المذهب الاباضي واقامة دولة اباضية خالصة • وأسفرت هذه الجهود عن فشل الدعوة في خراسان ، ونجاحها في الجزيرة العربية والمغرب •

ففي جنوبي الجزيرة العربية ، قامت دولة اباضية ضمت عمان واليمن وبعض أقاليم الحجاز برئاسة أبي عبد الله بن يحي الكندي المعروف بطالب الحق ، والتي سقطت سنة ١٣٠ هـ (٧٤٨م) • غير ان فلول الاباضية تمركزوا في حضرموت بزعامة الجلندي الذي قتل سنة ١٣٤هـ على يد الجيوش العباسية (٦٣٢) • ولم يحل ذلك دون قيام دويلات للاباضية في عمان ، كان آخرها امامة الصلت بن مالك التي دالت سنة ٢٨٠هـ (٦٣٣) (٨٩٦م) • وكانت هذه الحكومات الاباضية في عمان على نسق الدولة الرستمية في المغرب ومعاصرة لها • وكانت وثيقة الصلة بجماعة الاباضية الام في البصرة ، فضلا عن مشايخ المذهب بمكة والمدينة (٦٣٤) ولم يكن هناك ثمة ما يحول دون التقاء اباضية عمان واباضية المغرب ـ وأغلبهم من نفوسة (٦٣٥) ـ في مواسم الحج (٦٣٦) ، وان كنا نشك في وجود صلات وثيقة بينهما ، فالمصادر خلو من ذلك تماما في الوقت الذي تزخر فيه بالكثير عن صلات اباضية البصرة بعمان وتاهرت وحرصهم على دعم الحكم الاباضي فيها (٦٣٧) •

لقد ظل التنظيم السياسي السري لاباضية البصرة قائما يتداول رئاسته فقهاء المذهب جيلا بعد جيل رغم عنف الضربات التي كالها بنو العباس للخوارج في المشرق • واستمرت صلاتهم باباضية المغرب ابان مرحلة الثورة وبعدها، لما جنحوا الى الاستقرار السياسي وأقاموا دولة بني رستم •

وفي كلتا المرحلتين دأبوا على دعم اباضية المغرب ماديا وروحيا ،فارسلوا اليهم الاموال ، وأفتوهم في مشاكلهم السياسية والمذهبية ، وتدخلوا لتسوية خلافاتهم بابداء النصائح وارسال البعوث • كما حرص زعماء اباضية المغرب على الاستنارة بخبرة شيوخهم المشارقة في السياسة والحكم والاستزادة من تبحرهم في العلم وتفقهم في المذهب ، فدأبوا على انفاذ بعوثهم للدراسة على مشايخ البصرة ، وحكموهم فيما عن لهم من مشاكل وخلافات ، واستمدوا منهم الكتب والتآليف وخاصة ما تعلق منها بالمذهب الاباضي •

وقد سبقت الاشارة الى دور ابي عبيدة مسلم بن أبي كريمة في التنظيم والاعداد لامامة ابي الخطاب عبد الاعلى بن السمح ، ومتابعته لاحوالها ،وحرصه

على تجنيب أباضية المغرب الخلاف والشقاق الذي سببته مسألة الحارث وعبد الجبار (٦٣٨) ٠

وبديهي ان تتوطد هذه الصلات بقيام دولة بني رستم ، وحسبنـــا ان مؤسسها عبد الرحمن بن رستم تتلمذ في حلقة أبي عبيدة بالبصرة ، ونجاحه في تأسيس دولة اباضية بالمغرب اعتبر نصرا لاباضية المشرق أيضا ، فقـــد نظروا اليه باعتباره «أمام الظهور» لسائر اتباع المذهب في كافة ارجاء العالم الاسلامي (٦٣٩) ويبدو ان جماعة هائلة من اباضية الشرق التجأوا الى تاهرت بعد انشائها هروبا من بطش بني العباس ورغبة في العيش في كنف الدولة الرستمية (٦٤٠) ٠ فقد تطلع اباضية الشرق الى قيام دولة لهم تضم المشرق والمغرب معا (٦٤١) ، فانبروا يعضدون الدولة الرستمية ، وبادروا بانفـاذ المساعدات المالية ليستعين بها عبد الرحمن بن رستم على مواجهة مشاكـــل دولته آملين ان تكون نواة للدولة الكبرى المنشودة ٠ وليس أدل على تعاطف ابن رستم مع اباضية الشرق من رفضه لمزيد من هذه الاموال حين تدعمـت دولته واشتد ساعدها (٦٤٢) ٠

كذلك جزعت جماعة المذهب في الشرق لما ظهرت الاضطرابات والانشقاقات في الدولة الرستمية في عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن وخاصة مـا مـس الجانب المذهبي منها كانشقاقات النكار والخلفية وما انتهت اليه من افتراق الاباضية في المغرب ٠ وجدير بالتنويه ان المتخاصمين كانوا يحتكمون فـــي خلافاتهم الى مشايخ المذهب في الشرق ، فقد هادن يزيد بن فندين ــ زعيـم النكار ــ الامام عبد الوهاب ريثما ترد فتاوى المشارقة حول الامامة المشروطة، وسياسة الامام في تنصيب عماله (٦٤٣) ٠ كما احتكم الامام عبد الوهاب وخلف بن السمح ايضا الى فقهاء المشارقة في مسألتي تعدد الائمة وحق الرعيـــة في اختيار عمالها (٦٤٤) ٠ ولم يتوان أعلام المذهب وفقهائه عن البت في تلـك المسائل والقضايا ٠ وعلى الرغم مما تصوره المصادر الاباضية من أن فتاوى المشارقة كانت في صالح الامامة ، فلا نعدم وجود ما يشير الى استيائهم من سياسة عبد الوهاب وانتهاكه لتعاليم المذهب وخروجه على أحكامه (٦٤٥) ٠ وعلى أية حال ، فان حرصهم على تحاشي الشقاق ورأب الخلاف أفضى بهم

الى تهدئة الخواطر باسداء النصح لاطراف النزاع جميعا (٦٤٦) ٠

كان حرص رؤساء التنظيم الام في البصرة على استمرار الامامة في تاهرت ودعمها شغلهم الشاغل ، فقد افتوا بجواز تقاعد الامام عن الحج حرصا على سلامته (٦٤٧) ، كما كلفوا انفسهم مشقة نسخ آلاف التآليف والتصانيف لتزويد المكتبة «المعصومة» بتاهرت بها (٦٤٨) ٠ ولا غرو فقد وجدت هذه الكتب اقبالا لدي اباضية المغرب ، فاقبلوا على دراستها ، وتصدوا للانحرافات المذهبية وخروج الائمة في سياساتهم عن تعاليم المذهب (٦٤٩) على هدى ما ورد فيها ٠

كما حرص المشارقة على انفاذ بعوثهم لتفقد أحوال الدولة الرستمية (٦٥٠) والتدريس في مساجدها (٦٥١) والافتاء في مشاكلها وقضاياها (٦٥٢) ٠ فضلا عن ذلك فقد نقلوا معهم الى المغرب تقاليد الحضارة والفن الشرقي (٦٥٣) ٠

ومن المعروف أن المتاجر والسلع الشرقية كانت ترد الى تاهرت عن طريق الاباضية المشارقة ، فيخبرنا الشماخي (٦٥٤) أن الربيع بن حبيب ـ خليفة أبي عبيدة مسلم بن ابي كريمة ـ كان يبعث أخاه بصحبة ما يحتاجه الامام عبد الوهاب من صنوف البضائع والسلع الشرقية ٠

والمصادر خلو من اية اشارة الى استمرار هذه العلاقات بعد امامة عبد الوهاب ، باستثناء اشارة عابرة اوردها بعض مؤرخي الاباضية (٦٥٥) عن اهتمام أفلح بن عبد الوهاب بتواليف اعلام المذهب من المشارقة ـ وخاصة ما كتبه ابو سفيان محبوب بن الرحيل ـ وحضه رعيته على اتباع سننهم ٠ ولو صح ذلك ، لكان أفلح آخر أئمة بني رستم الذين اعترف جمهور الاباضية بامامتهم كما يذهب الورجلاني (٦٥٦) ٠ ونعتقد ان استياء أعلام المذهب في الشرق من خروج عبد الوهاب على تعاليم المذهب تطور الى رفض وانكار لامامة خلفائه ، فقد تحولت الامامة الى ملك وراثي ، وضاعت هيبتها ، وامتهنت رسومها ،فكان ذلك قمينا بعزوف اباضية الشرق عن مناصرة الدولة الرستمية والاتصال بحكامها ٠٠

٢ ـ بنو رستم وأمويو الاندلس :

اتخذت علاقات بني رستم بأموي الاندلس طابعا وديا رغم اختلافهما مذهبيا . فقد أوجبت الضرورة السياسية عقد أواصر الصداقة بين تاهرت وقرطبة ، اذ اشترك الطرفان في عداء بني العباس والاغالبة والادارسة (٦٥٧)، وكان الاغالبة على وجه الخصوص خطرا عليهما معا ، فلم يكن ثمة بد من اتصال بني رستم باحدى القوى الكبرى ، المعاصرة كما كان أمويو الاندلس ينشدون عقد صلات مع القوى المناوئة لبني الاغلب في المغرب ، ومن ثم التقى الطرفان حول مصالحهما السياسية المشتركة رغم خلافاتهما المذهبية والتاريخية ٠

وقد بالغ فورنل (٦٥٨) وماسكراي في تقدير مدى ما وصلت اليه هذه العلاقات ، فقالا بوجود « تحالف سياسي رسمي» بين تاهرت وقرطبة ضد عدوهما المشترك ، وبرر فورنل ومارسيه (٦٥٩) ذلك بما «كان من تحالف تقليدي بين أموي الاندلس وبين بربر زناتة الذين كانوا عصب الدولة الرستمية» والثابت ان دولة بني رستم قامت على أكتاف قبائل نفوسة وهوارة ولواته ولماية وغيرها (٦٦٠) ، بينما تحولت قبائل زناتة من مغراوة وبني يفرن ـ الضاربة في شمالي الدولة الرستمية ـ عن ولائها لبني رستم ودانت بالطاعة للادارسة (٦٦١) ٠ ومن ناحية أخرى لم تتعد علاقات بني رستم ببني أمية بالاندلس صلات الود وتبادل السفارات والهدايا ـ ولم تصل قط الى درجة التحالف أو القيام بعمل سياسي أو عسكري مشترك ضد اعدائهما ، رغم تعرض الدولة الرستمية لاغارات الاغالبة والادارسة ، وتهديد الاغالبة للنفوذ الاندلسي في حوض البحر المتوسط الغربي ٠

وقد أرجع بعض المؤرخين (٦٦٢) بداية هذه العلاقات الى وقت مبكر وذكروا ان عبد الرحمن بن معاوية الاموي « لاذ ببلاط بني رستم حينا من الدهر قبل اجتيازه الى الاندلس » ، وأكد مرسييه (٦٦٣) ـ اعتمادا على المقري ـ أنه قضى زمنا في تاهرت ونواحيها قبل رحيله الى الاندلس ٠ وقول مرسييه هذا صحيح اذا كان يعني تاهرت القديمة ، وليست تاهرت التي أقامها ابن رستم سنة ١٦١هـ (٧٧٨م) فمن الثابت أنه نزل عند قبيلة نفزة الضاربة بتلك النواحي وقضى هناك زمنا عند أخواله (٦٦٤) ، ثم اجتاز الى

الاندلس سنة ١٣٨هـ (٦٦٥) (٧٥٥م) ٠ وقد حاول الميلي (٦٦٦) تبرير قول دوزي ومؤنس ، فذكر ان عبد الرحمن بن رستم أجاز عبد الرحمن الاموي الى قبائل المغرب الاوسط اعتمادا على نفوذه هناك قبل تأسيسه تاهرت ٠ لكن رواية دوزي ومؤنس وتفسير الميلي فيها مبالغة ، فعبد الرحمن بن رستم فضلا عن عدم تأسيسه دولته في الوقت الذي وطأ فيه عبد الرحمن الاموي أرض المغرب سنة ١٣٣هـ (٧٥١م) ، لم يكن له نفوذ في بلاد المغرب الاوسط آنذاك، فصلاته بقبيلة لماية بالمغرب الاوسط لم تقم الا بعد ولايته القيروان كنائب لابي الخطاب المعافري سنة ١٤١هـ (٦٦٧) (٧٥٨م) ٠ ويخيل الينا ان الامر التبس على دوزي ومن نقل عنه ، فخلطوا بين شخصيتي عبد الرحمن بن رستم وعبد الرحمن بن حبيب أمير افريقية في ذلك الحين (٦٦٨) ٠

والمعقول ان تكون تلك الصلات قد بدأت بعد رحيل عبد الرحمن بن رستم الى المغرب الاوسط واختطاطه مدينة تاهرت ، فيبدو ان ابن رستم استعان بخبرة الاندلسيين في انشاء المدن وتعميرها ، ولا غرو فقد سمي أحد أبواب المدينة « باب الاندلس (٦٦٩) » وان كان بروفنسال (٦٧٠) قد تشكك في وجود مثل تلك الصلات المبكرة ، لكن وجود مغاربة اباضية في بلاد الاندلس اذ ذاك يرجح ما ذهبنا اليه ، فقد غص اقليم الجزيرة بالكثيرين منهم ، ومنهم من تقلد بعض الوظائف العامة في امارتي عبد الرحمن الاول وابنه هشام(٦٧١)٠ ويبدو ان نفوذ هؤلاء الاباضية ـ ومنهم بعض أفراد البيت الرستمي (٦٧٢) قد ازداد بدرجة استثارت الاندلسيين في عهد الحكم الاول ، فانبرى الشعراء يهيبون به البطش بهم (٦٧٣) ، فخرج اليهم بنفسه ونزل الجزيرة « وحمل السيف على أكثر أهلها (٦٧٤) » ٠

وهذا يفسر قول ابن حيان (٦٧٥) بترحيب عبد الوهاب بن عبد الرحمن ابن رستم بالثائرين على الحكم الاموي ، وتشجيعه لعبد الله البلنسي ـ عم الحكم ـ للوثوب على الامارة في قرطبة وانتزاع الحكم من ابن أخيه ٠

وزالت تلك الجفوة بين تاهرت وقرطبة بعد وفاة الحكم سنة ٢٠٦ هـ

(٨٢١م) ، وعادت الصلات الودية الى سابق عهدها في عهد عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦ ــ ٢٣٨هـ (٦٧٦)) (٨٢١ ــ ٨٥٣م) ،فقد نقل بروفنسال (٦٧٧) عن ابن حيان ان عبد الوهاب الرستمي أوفد سفارة من أبنائه الثلاثة ــ عبد الغني ودحيون وبهرام ــ لتجديد أواصر الود مع عبد الرحمن وان الاخير رحب بهم وابتهج لمقدمهم · وذكر ابن سعيد (٦٧٨) انه أنفق عليهم « الف دينار » فضلا عن الهدايا والالطاف التي انعم بها عليهم قبل رحيلهم الى بلادهم ·

واستمرت صلات المودة بعد موت عبد الوهاب بن رستم ، فعول عبد الرحمن بن الحكم على « وصول البعوث الى دار المغرب (٦٧٩) » ، فوجدت في بلاط أفلح بن عبد الوهاب ايما ترحاب · وقرب الامير الاندلسي اليه كثيرين من آل البيت الرستمي ، واتخذ منهم الوزراء والحجاب والقواد ، ونعرف ان شخصا يدعى عبد الرحمن بن رستم ولى الحجابة لعبد الرحمن الثاني (٦٨٠)، وقيل الوزارة (٦٨١) في رواية أخرى · ويخبرنا ابن الدلائي (٦٨٢) ان الامير الاندلسي فوض قائده محمد بن سعيد بن رستم سنة ٢٢٩هـ (٨٤٩م) في قتال المجوس ، وقد تمكن بالفعل من النجاح في مهمته (٦٨٣) ·

وتوطدت عرى الصداقة بين أفلح بن عبد الوهاب ومحمد بن عبد الرحمن الاندلسي (٢٣٨ ــ ٢٧٣هـ) (٦٨٤) (٨٥٣ ــ ٨٨٧م) ، فقد استقرت امور الاندلس في عهده وازدهرت احوالها (٦٨٥) ، وتطلع نحو بلاد المغرب لتدعيم صلته مع تاهرت وسجلماسة (٦٨٦) · وقد زعم بروفنسال (٦٨٧) ان الامير محمد بعث بهداياه الى تاهرت حينما تقلد أفلح بن عبد الوهاب الامامة ، كما بعث اليه بأخبار انتصاره على المجوس عند نهر الوادي الكبير سنة ٢٣٠هـ (٨٥٥م) · لكن أفلح تولى الامامة في تاهرت سنة ٢٠٧هـ (٨٢٢م) ولم يتقلد الامير محمد حكم الاندلس قبل سنة ٢٣٨هـ (٨٥٣م) · وهذا ايضا مما يخطىء قوله عن هزيمة المجوس على يديه ، فالراجح ان ذلك لم يحدث الا سنة ٢٤٦هـ (٦٨٨) (٨٦١م) · ولو صح ان الامير الاندلسي أرسل الى صديقه الرستمي بأنباء انتصاراته سنة ٢٤٦هـ ، فان أفلح كان سباقا في هذا الصدد ، اذ بادر بارسال خبر احراقه مدينة العباسية التي بناها الاغالبة سنة ٢٣٩هـ

(٨٥٤م) الى الامير محمد «تقربا اليه ،فبعث اليه الاموي مائة ألف درهم (٦٨٩)» دليلا على اغتباطه وامتنانه ، وتأكيدا لاواصر الصداقة في مواجهة الخطر المشترك (٦٩٠) ٠

وظلت هذه العلاقات الودية قائمة بعد موت أفلح على الرغم مما تعرضت له الدولتين من خطر الفوضى والتمزق السياسي ، ومع ذلك فلا محل لتصديق قول ابن عذارى (٦٩١) ـ ومن نقل عنه (٦٩٢) ـ عن دخول الامام الرستمي أبي اليقظان محمد في طاعة الامير محمد الاندلسي ٠ والمعقول ان يكون الامام الرستمي قد ناشد صديقه أمير قرطبة العون ضد خصومه ليس الا ٠ وعلى كل حال ، لم يظفر أبو اليقظان بطائل ، اذ غرقت الامارة الاندلسية في ذلك الحين وحتى بداية حكم عبد الرحمن الناصر في مشاكلها الداخلية (٦٩٣) ٠ على ان تقاعس الامير محمد عن مساعدة صديقه لم يكدر صفو علاقاتهما ، فظلت صلات الود مرعية بين الطرفين ، وليس أدل على ذلك من اسراع عمر بن حفصون ـ الثائر على أمراء قرطبة ـ بمغادرة تاهرت خشية ان يقبض عليه امامها ويسلمه لصديقه أمير قرطبة ، وكان ابن حفصون قد نزل تاهرت لائذا بصديق له من بلدة رية ومقيم بتاهرت (٦٩٤) ٠

بل نعتقد انه برغم تدهور أحوال الامامة الرستمية بعد أبي اليقظان محمد ، وانشغال الامارة الاموية بالاندلس بمواجهة الثورات التي تفاقمت خلال عهدي المنذر بن محمد وعبد الله بن محمد ، فقد أوجبت الضرورة السياسية مزيدا من توثيق الصلات بين تاهرت وقرطبة ٠ فقد استبدل الخطر الاغلبي بخطر جديد لاحت نذره مهددا كافة القوى السياسية في المغرب والاندلس على السواء ، وهو الخطر الفاطمي ٠ وهذا ما حدا بأمراء قرطبة الى بث عيونهم في بلاد المغرب والاستعانة بأصدقائهم حكام تاهرت في تقصي أخبار الشيعة ومتابعة نشاطهم والاعداد لمواجهتهم (٦٩٥) ٠ وبديهي أن يفكر الرستميون الاواخر في الاستعانة بقرطبة للقيام بعمل مشترك ضد الخطر الشيعي (٦٩٦) ٠ لكن شيئا من ذلك لم يحدث ، فقد سقطت الدولة الرستمية بتاهرت سنة ٢٩٧هـ (٩٠٩م) ، وبعدها سقط بنو مدرار والادارسة ، وفتح

المغرب برمته على يد الشيعة الفاطميين ، ولم يقم حكام قرطبة بجهود لمجابهتهم الا في عهد عبد الرحمن الناصر (٦٩٧) والحكم المستنصر ، ولا يخفى ما كان من اتصال الحكم المستنصر بالاباضية النكار الذين تصدوا لمقاومة الفاطميين بعد سقوط الدولة الرستمية (٦٩٨) ٠

وهكذا ــ تأثرت علاقات بني رستم ــ الى حد كبير ــ بظروف دولتهم الجغرافية ومذهبهم الديني ومصالحهم السياسية والاقتصادية ٠



الباب الرابع

الخوارج والفاطميون في بلاد المغرب

١ ـ الصفرية والفاطميون

أ ـ الفاطميون وسقوط دولة بني مدرار :

ارتبطت نهاية دولتي الخوارج في المغرب بظهور الدعوة الفاطمية ، فقيام الدولة الفاطمية سنة ٢٩٧هـ (٩٠٩م) تم على أنقاض الدول المستقلة في المغرب ، ومن بينها دولتي بني مدرار وبني رستم الخارجيتين ·

ومن المعروف ان بلاد المغرب كانت ميدانا للدعوة الفاطمية منذ وقت مبكر ، فقد عهد محمد الحبيب المقيم بسلمية ـ من أرض حمص ـ الى اثنين من دعاته ببث دعوته في بلاد كتامة ، ونجحا في التمهيد لما قام به أبو عبد الله الشيعي داعية عبيد الله المهدي فيما بعد (١) · واستطاع أبو عبد الله الشيعي الذي نزل بلاد المغرب سنة ٢٨٠هـ (٨٩٣م) أن ينشر دعوته بين قبائل كتامة، كما نجح في اعداد جيش (٢) منهم تمكن بفضله من مناجزة دولة بني الاغلب في افريقية سنة ٢٨٩هـ (٩٠٢م) ولم يمض وقت طويل حتى دانت لنفوذه معظم أقاليمها الغربية ·

وبعث أبو عبد الله في استدعاء مولاه عبيد الله المهدي سنة ٢٩٢هـ (٩٠٥م) ، فخرج اليه « يتصدى للسلطان ويخاطر في طلب الملك (٣) » برفقة

خاصته وثقاة رجاله (٤) ٠ وأفلت من عمال بني العباس وعيونهم في مصر والمغرب لما بذله من أموال وهبات (٥) ، فضلا عن تشيع بعض هؤلاء العمال لآل البيت (٦) ٠ ووصل المهدي الى طرابلس ، وأنفذ أبا العباس محمد بن زكريا ـ أخ أبي عبد الله الشيعي ـ بصحبة بعض رجال كتامة الى أخيه ليعرفه بوصوله ٠ وآثر الانتظار بطرابلس ٠ لكن أبا العباس وقع في أسر بني الاغلب (٧) ، فاضطر المهدي لمغادرة طرابلس الى قسطيلية ـ ببلاد الجريد ـ وأحجم عن التوجه الى الشيعي بكتامة خوفا على حياة أخيه (٨) ٠ ولما علم بأن زيادة الله الاغلبي أرسل كتابا الى والي قسطيلية في طلبه غادرها على التو ، ويمم وجهه شطر سجلماسة في أقاصي الصحراء ليأمن شر الاغالبة وعمالهم (٩) ٠

وكان على المهدي أن يجتاز أراضي الدولة الرستمية كيما يصل الى سجلماسة ، فمر بوارجلان ـ شمالي سدراته ـ وهناك اكتشف أمره ، ولقي عنتا من أهلها (١٠) ، فغادرها الى سجلماسة (١١) ٠

ونزل المهدي بسجلماسة على أميرها اليسع بن مدرار ، ونعم هناك بحياة آمنة لما قدمه اليه من أموال وهدايا ، « فقربه اليسع وكف عنه (١٢) » ٠ كما حظي باحترام أهل المدينة واجلالهم (١٣) ، وعاش طليقا منعما ، فسكن القصور واقتنى الخدم والاتباع (١٤) ٠ ويخيل الينا أن التشيع وجد طريقه الى سجلماسة قبل مقدم المهدي ، ومن المؤكد انه لم يعدم أنصارا وأتباعا بين سكانها،فذلك ما توحي به بعض الروايات الشيعية (١٥) وغير الشيعية (١٦)٠ ولا غرو فقد كانوا يلجأون اليه للافتاء فيما عن لهم من مسائل فقهية ودينية(١٧) الا أن أبا زكريا بالغ في اظهار مكانة المهدي في سجلماسة الى حد الزعم بتوليه الوزارة لليسع بن مدرار ، ومبايعة أهل سجلماسة له بالامارة بعد موت اليسع، وامتداد نفوذه حتى مدينة فاس عاصمة الادارسة والظاهر ان هذه الرواية تخلط بين مكانة المهدي ابان سني اقامته الاولى في المدينة ، وبين نفوذه غداة توليه الخلافة سنة ٢٩٧هـ (٩٠٩م) ، ومع ذلك فلا تخلو هذه الرواية من دلالة على ما تمتع به المهدي في سجلماسة من هيبة ونفوذ خلال السنوات الثلاث الاول من اقامته بها ٠

ولكن جد من الاحداث ما جعل اليسع بن مدرار ينكب المهدي ورجالـه ويودعهم السجون . والمصادر تختلف في أسباب ذلك ، فيذهب البعض (١٩) الى أن اليسع قبض على المهدي اثر رسالة من الامير الاغلبي زيادة الله الثالث، وقيل من الخليفة العباسي المعتضد (٢٠) أو المكتفي (٢١) ، بينمـا رجـح اخرون (٢٢) ان الرسالة وصلته من الخليفة العباسي والامير الاغلبـي معا .

ومهما كان الامر فهذه الرسائل لا تنهض دليلا على ولاء اليسع بن مدرار لامير افريقية أو لخليفة بغداد كما ذهب البعض (٢٣) وأنه بسبب هذا الولاء قبض على المهدي وأودعه السجن ، فثمة احتمال ان يكون ليهود سجلماسة دور في هذا الصدد ، والظاهر انهم أوعزوا الى اليسع بالقبض عليه (٢٤) بعد أن أخبروه بأن أبا عبد الله الشيعي قام بدعوته من أجله ، فقد عاشت أقلية يهودية في دولة بني مدرار وهيمنت على مناجم الفضة في درعة وتجارة الذهب مع الجنوب (٢٥) . ومـن الطبيعـي أن يجـدوا فـي الخطر الشيعـي تهديدا لمصالحهم ، ولهذا تعرضوا للعسف والاضطهاد اثر سقوط سجلماسة في يد الشيعة (٢٦) . وسواء أكانت الخلافة وعمالها أو يهود سجلماسة هم الذين نبهوا اليسع الى ضرورة القبض على المهدي ، فالذي لا شـك فيه ان الامير المدراري استجاب للامر حرصا على سلامة دولته ليس الا بعد ان أدرك ان أبا عبد الله الشيعي يدعو اليه . فكان قبض اليسع على المهدي اذن من قبيـل التوافق غير المقصود بين أهداف العباسيين والاغالبة وبين مصالح بني مدرار التي تهددها خطر الشيعة الاسماعيلية .

لقد كان اليسع يدرك أن المهدي علوي (٢٧) ، لكنه لم يقف على حقيقة علاقته بالدعوة الشيعية في المغرب (٢٨) . فلما نبه اليها ، استدعى المهدي وابنه « واستراب بهما » (٢٩) ، وسأل المهدي عن « نسبه وحاله ، وهل اليه قصد أبو عبد الله ؟ » ، « فاعترف المهدي بالنسب اذ لم يسعه انكاره » ، لكنه أنكر صلته بأبي عبد الله الشيعي ، وكذلك فعل ابنه (٣٠) ثم امتحن رجالـه بالعذاب ، فلم يعترفوا (٣١) ، وهم باطلاق سراحهم لولا اعتراف أحدهم ويدعى أبو يعقوب القهرماني (٣٢) . عندئذ تحفظ على المهدي في منزل أخته ، وسجن أبا القاسم في احدى حصون سجلماسة (٣٣) ، « ولم يكن منه في حقهما مـا

يكره » (٣٤) ، « فكانا مبجلين معظمين في منزليهما » (٣٥) • وليس أدل على ذلك من السماح للمهدي بالاتصال من سجنه ببعض أصحابه وأنصاره ، فكان هؤلاء همزة الوصل بينه وبين داعية أبي عبد الله الشيعي في كتامة •

وجدير بالتنويه أن الشيعي نجح في تتبع أخبار المهدي منذ وصوله الى بلاد المغرب « فكانت كتبه تترى بطلبه حيثما نزل » (٣٦) ، وكانت رسله على اتصال به بعد نزوله سجلماسة تحمل اليه الاموال والهدايا وتخبره بأنباء انتصاراته في حروبه مع الاغالبة (٣٧) • ولم ينقطع هذا الاتصال بعد سجنه ، فقد كتب الشيعي الى المهدي بعد هزيمته لجيش الاغالبة بقيادة ابراهيم بن حبشي ، وسير الكتاب مع أحد ثقاته ، فدخل السجن متخفيا في زي قصاب يبيع اللحم ، وأوصل الكتاب للمهدي (٣٨) • وذكر جعفر الحاجب (٣٩) أن المهدي اصطفى أحد التجار القيروانيين في سجلماسة — ويدعى المطلبي — وكان متشيعا ، وعهد اليه بمهمة مرافقة الشيعي عند قدومه لتحريره من سجنه بسجلماسة • ويخبرنا صاحب كتاب الاستبصار (٤٠) ان المهدي لما أودع السجن بعث لداعيته بكتامة يستنفره لانقاذه •

على ان الشيعي ما كان بمكنته أن يخف لنجدة المهدي قبل انهاء صراعه مع الاغالبة فلما قضى على حكمهم في افريقية سنة ٢٩٦هـ (٩٠٨م) ، شرع على التو في القضاء على بني رستم وبني مدرار (٤١) • واستخلف على القيروان أخاه أبا العباس وجعل معه أبا زاكي تمام بن معارك (٤٢) ، وخرج من رقاده في منتصف رمضان من نفس العام في جيوش عظيمة يرافقه كبار أصحابه (٤٣) • فاهتزت قبائل المغرب الاوسط لخروجه ، وخافته زناتة، وبادرت القبائل بالدخول في طاعته (٤٤) • ثم عرج على تاهرت واستولى عليها (٤٥) وهو في طريقه الى سجلماسة •

وبعث الشيعي برسله الى اليسع يتلطفه ويعده بالانصراف عن بلاده اذا ما أطلق سراح المهدي (٤٦) ، فقتل اليسع الرسل ولم يجبه الى طلبه • وعاود الشيعي سياسة الملاينة متجنبا ذكر المهدي « تقية عليه » ، فقتل اليسع الرسل للمرة الثانية (٤٧) • فلم يجد الشيعي بدا من ضرب الحصار على سجلماسة (٤٨) ، وقد اشتهر ببراعته في عمليات الحصار في حروبه حتى

لقبه المحدثون (٤٩) بالمحاصر Poliorcete • والتحم اليسع بن مدرار بجيوش الشيعي الذي قتل كثيرين من رجاله ، وكاد ان يظفر به لولا حلول الظلام • فعاد بعسكره الى خارج المدينة (٥٠) مهموما خوفا على حياة المهدي ، بينما لاذ اليسع بالهرب (٥١) •

والواقع ان ثمة خلاف بين المؤرخين حول مصير المهدي ، فمنهم (٥٢) من يؤكد سلامة المهدي لاشتباه اليسع في شخص اخر ـ يدعى بسطام ـ واعتقاده بأنه هو الذي يدعو له عبد الله الشيعي ، فلذلك لم يستجب لنصيحة أصحابه بقتله المهدي ، وأطلقه مع من اشتبه فيهم من الاسرى لينجو بنفسه • ومنهم (٥٣) من ذهب الى أن اليسع قتل المهدي قبل هربه « وان الشيعي حين اقتحم المدينة في صبيحة اليوم التالي ، وجد المهدي مقتولا وعنده رجل من أصحابه كان يخدمه ـ قيل انه يهودي (٥٤) ـ فخاف أبو عبد الله أن تنتقض عليه كتامة ورجاله ، فأخرج الرجل الى العساكر وقال هذا هو المهدي » • وقد تصدى مأمور لتجريح هذه الرواية على أساس عداء ابن خلكان للفاطميين ، وساق في ذلك عددا من الادلة (٥٥) • ومع ذلك لا تزال مسألة مصير المهدي من مشكلات التاريخ الاسلامي • والحاصل ـ وفقا لغالبية المصادر ـ ان اليسع ابن مدرار غادر سجلماسة سرا مع أهله وذويه لائذا بصنهاجة في جوف الصحراء (٥٦) ، بينما شغل أبو عبد الله الشيعي عنه ـ الى حين ـ بتحرير المهدي •

ولدينا روايتين ايضا عن كيفية تحرير المهدي ، احداهما (٥٧) ترجع قدوم المهدي الى داعيته في مقره خارج المدينة والتقائه به • والاخرى (٥٨) تذهب الى أن أهل سجلماسة خرجوا في الصباح الى الشيعي وأخبروه بهرب اليسع ، وأرشدوه الى مكان المهدي والقائم ، حيث أطلق سراحهما •

وأيا ما كان الامر ، فبعد تحرير المهدي والاحتفاء به ، أنفذت الخيل في اثر اليسع بن مدرار • وذكر ابن عذارى (٥٩) ان قوما من البربر ـ يعرفون ببني خالد ـ قبضوا عليه وسلموه الى أبي عبد الله الشيعي تقربا اليه • وسيق اليسع الى المهدي حيث عذب وشهر به في سجلماسة هو ومن معه ، ثم أمر المهدي بقتلهم جميعا ، فقتلوا (٦٠) • وصادر المهدي أموال بني مدرار (٦١)،

ونهبت كتامة المدينة ، وأرغم غالب سكانها على مبارحتها (٦٢) ، ولم تجد نفعا توسلات شيوخها الى المهدي ليكف رجاله أيديهم عنهم (٦٣) • ولقي اليهود ـ بصفة خاصة ـ على أيدي المهدي ورجاله عنتا شديدا ، فتعرضوا لشتى أنواع العذاب اعتقاداً بأن لهم يد في الوقيعة بين المهدي واليسع بن مدرار ـ فقتل أثرياؤهم ونهب أموالهم ، وأرغم من بقي منهم على احتراف المهن الوضيعة (٦٤) • ثم أمر المهدي باحراق سجلماسة ، فأضرمت فيها النيران (٦٥) •

وغادر المهدي سجلماسة الى رقادة في ربيع الاخر سنة ٢٩٧هـ (٩٠٩م) بعد أن بويع بالخلافة فيها (٦٦) ـ وبعد أن عين عليها واليا من قبله (٦٧) •

وهكذا سقطت دولة بني مدرار على يد الفاطميين سنة ٢٩٧هـ (٩٠٩م)، بعد انتصارات كتامة على مكناسة ، وتغلب البرانس على البتر ، وهزيمة الخوارج على أيدي الشيعة •

ب ـ ثورات الصفرية على الحكم الفاطمي :

اندلعت ثورات الصفرية في سجلماسة على اثر رحيل المهدي عنها الى رقادة سنة ٢٩٧هـ (٩٠٩م) • ولم تفلح سياسة القمع والعنف التي لجأ اليها الفاطميون بانفاذ حملاتهم الفينة بعد الاخرى الى سجلماسة ، ولا سياسة اللين والدهاء باصطناع بعض أفراد البيت المدراري وتنصيبهم ولاة يحكمون باسمهم، في دعم النفوذ الفاطمي في تلك الانحاء وتحويل البربر الصفرية عن ولائهم لبني مدرار •

فقد تضافرت عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية ومذهبية وجغرافية لتزيد في عداء الخوارج الصفرية للحكم الفاطمي الشيعي واستمرار ثوراتهم عليه • فمن الناحية السياسية ، لم يرضخ الخوارج الصفرية لولاة الفاطميين بعد أن ألفوا الاستقلال السياسي في كنف دولة بني مدرار لما يزيد على قرن ونصف قرن من الزمان • وبديهي ـ وقد تأصلت فيهم نزعة الاستقلال أن يرفضوا الاذعان لحكم ولاة غرباء تسندهم حاميات من الجند الكتامي (٦٨)•

ولا ريب في أن الظروف السياسية في بلاد المغرب وقتذاك ساعدت على تفاقم هذه الثورات ، فقد شغل الفاطميون بمواجهة المشكلات العديدة التي واكبت قيام دولتهم عن الاهتمام بدعم نفوذهم في سجلماسة بأقاصي الصحراء ۰ولعل من أهم هذه المشكلات احتدام الصراع بين المهدي وأبي عبد الله الشيعي ، وما سببه اغتيال الشيعي من خلاف كتامة على المهدي وثورتهم عليه ، وما تجشمه الاخير من مشاق لقمع هذه الثورة (٦٩) ۰ ومن ناحية أخرى تضعضع النفوذ الفاطمي في المغرب الاقصى باستمالة عبد الرحمن الناصر الاندلسي لمغراوة وبني يفرن الذين ألحقوا عدة هزائم بالجيوش الفاطمية سنة ٣١٢هـ (٩٢٤م)، سنة ٣١٤هـ (٩٢٦م) (٧٠) ، كما استولت جيوشه على مليلة وسبتة ــ من موانيء المغرب الاقصى ــ سنة ٣١٤هـ (٩٢٦م) وسنة ٣١٩هـ (٩٣١م) على التوالي ۰ ودخل موسى بن أبي العافية أمير فاس في طاعته وعمل على « استمالة أهل العدوة المجاورين له (٧١) » ۰ وبذلك أصبح الجزء الاعظم من شمال المغرب الاقصى ، ومساحات شاسعة من المغرب الاوسط بمنأى عن سيادة الفاطميين ، وظل النفوذ الاموي قائما بالمغرب الاقصى حتى سقوط الخلافة الاموية بالاندلس ، واذا كنا لا نجد من الشواهد والقرائن ما ينم عن تضامن الصفرية في المغرب مع أموي الاندلس بعد سقوط دولة بني مدرار سنة ٢٩٧هـ (٩٠٩م) ، الا انه لا شك في أن تغلغل النفوذ الاندلسي في المغرب الاقصى مكن من اندلاع ثورات الصفرية بسجلماسة على الحكم الفاطمي ۰

وكانت سياسة الفاطميين الاقتصادية الجائرة من أهم الدوافع لقيام هذه الثورات ، فقد انتهج الفاطميون سياسة مالية متعسفة ، وما لبث المهدي أن تخلى عن سياسة داعيته أبي عبد الله الشيعي المعتدلة (٧٢) ، فاستولى على « أموال الاحباس والحصون (٧٣) » ، واشتط في جمع الضرائب وتفنن في زيادتها (٧٤) ۰ وقد تعرضت سجلماسة للسلب والنهب على يد رجاله كما كانت ثروات أهلها ، ومناجمها الغنية بالفضة مطمعا لجيوشه (٧٥) ۰ وقيل ان المهدي « تحصل له من التبر ومن الحلي وقر مائة وعشرين جملا أدخلها رقادة (٧٦) » ۰

ومما دفع صفرية سجلماسة الى الثورة ايضا اصرار الفاطميين على نشر

المذهب الشيعي ، فقد ذكر ابن عذارى (٧٧) ان المهدي « أظهر التشيع القبيح وسب أصحاب النبي وأزواجه ومنع الفقهاء أن يفتي أحدهم الا بمذهب زعم أنه مذهب جعفر بن محمد ، منه سقوط الحنث عمن طلق بالنية ، واحاطة البنات بالميراث ٠٠ ومدحت الشعراء عبيد الله بالكفر فاستجازه » ٠ ومع ما انطوى عليه قول ابن عذارى من مبالغة ، فالثابت ان المهدي عمد الى نشر مذهبه بحد السيف (٧٨) ، وغير من النظم والاحكام بما يتمشى وتعاليم المذهب الاسماعيلي ٠ وبديهي أن يفزع صفرية سجلماسة من هذه السياسة الدينية حتى ليذهب داشراوي (٧٩) الى أن حركة الشاكر لله سنة ٣٣٢هـ (٩٤٥م) قامت أساسا لمناهضة سياسة الفاطميين الدينية ٠ ولا مراء في أن الصفرية من الخوارج فضلا عن عدائهم المقيت للشيعة ، نظروا في انكار وريبة الى سياسة الفاطميين الدينية فاعتقدوا أنهم « يدفعون نبوة محمد (ص) ويدعون النبوة بعده ، ويدعون سننه وشريعته ويدعون الى غيرها (٨٠) ٠ بل ارتبطت العقائد الاسماعيلية في تصورهم بالخرافات والاساطير فاعتقدوا أنهم «يعبدون رأسا عندهم يكلمهم ويسجدون له من دون الله ، وان هذا الرأس ينثر من فيه الدنانير (٨١) » ٠ ولما كان الصفرية من أكثر فرق الخوارج تطرفا في محاربة مخالفيهم ، فلم يتوانوا عن الجهر بعدواتهم للفاطميين ، والتمرد على أحكامهم، ومناهضة عمالهم ٠

وقد كان تعصب الفاطميين لكتامة وصنهاجة واختصاصهم بالمناصب العليا في دولتهم سببا في تعميق عداوة مكناسة الصفرية لهم ، فقد أثاروا بسياستهم تلك الصراع بين البربر بترا وبرانسا (٨٢) ، اذ لا يخفى أن غالبية صفرية المغرب كانوا من البربر البتر من مكناسة وزناتة وغيرها ، بينما قامت دولة الفاطميين بالمغرب على أكتاف كتامة من قبائل البرانس ، ومن ثم لم يكن من المقبول أن يرضخ صفرية سجلماسة لعامل المهدي من كتامة وحاميته التي بلغت خمسمائة فارس من رجالات كتامة أيضا (٨٣) ٠

ولا شك في أن الظروف الجغرافية أيضا ساعدت صفرية سجلماسة على القيام بثوراتهم ، فكانت مدينتهم في أقاصي الصحراء (٨٤) ، والطرق الموصلة اليها من افريقية وعرة ٠ لذا تقاعس الجند الفاطمي عن التوجه لقمع

تلك الثورات · ويخبرنا ابـن حيون ان الكتـاميين كـانوا يتثـاقلون عـن القيام بهذه المهام متذرعين ببعد سجلماسة ومشاق الطريق اليها رغم ما كان يبذله الخلفاء لهم من وفير العطاء ومعسول الوعود ·

قصارى القول ، فان اشتطاط الفاطميين فـي سياستهـم الاقتصاديـة وتعصبهم المذهبي واحيائهم النعرات القبلية ، وملاءمة الظروف السياسيـة والجغرافية في المغرب الاقصى ، كل هذه العوامل دفعت الصفرية الى الثورة على الحكم الفاطمي ونبذ مذهبهم الاسماعيلي ، والتشبث بالولاء لآل مدرار ·

والواقع ان حكم الاسرة المدرارية لم يزل بعد مقتل اليسع بن مدرار سنة ٢٩٧هـ (٩٠٩م) كما اعتقد بعض المؤرخين (٨٥) ، وانما ظل قائما فـي سجلماسة متأرجحا بين الولاء والعداء للفاطميين ، وإذا كان الفاطميون قـد أفلحوا أحيانا في استمالة بعض أفراد البيت المدراري والاغداق عليهم وتنصيبهم عمالا من قبلهم ، فان معظم المدراريين ثاروا على الفاطميين ورفضوا الاذعان لحكمهم واستقلوا بأمر سجلماسة عن نفوذهم ·

فبعد مقتل اليسع بن مدرار سنة ٢٩٧هـ (٩٠٩م) ، ولى عبيد الله المهدي على سجلماسة قائده ابراهيم بن غالب المزاتي ، وترك معه خمسمائة فارس من كتامة (٨٦) · وما ان قفل المهدي متوجها الى رقادة حتى ثار الصفرية علـى عامله وقتلوه (٨٧) هو وجنده في نفس العام (٨٨) ·

وبايعوا الفتح بن ميمون الملقب بواسول (٨٩) من بني مدرار · ولـم يستطع المهدي استعادة نفوذه على سجلماسة لانشغاله بمواجهة الاضطرابات في افريقية بعد اغتياله الداعية أبي عبد الله الشيعي ، فاستقر الامر للفتح بن ميمون « تحت تقية من مطالبة الشيعي (٩٠) » ·

ولما مات الفتح سنة ٣٠٠هـ (٩١٢م) بايع الصفرية أخاه أحمد بن ميمون، فانفرد بالسلطة تسعة أعوام بمنأى عن نفوذ المهدي · وفي سنة ٣٠٩هـ (٩٢٢م) أنفذ المهدي قائده مصالة بن حبوس لدعم سلطانه في المغرب الاقصى (٩١)، فدخل سجلماسة عنوة « وأخذ أهلها بالدعوة الشيعية (٩٢) » ، وقبض على أحمد بن ميمون وقتله ، وبعث برأسـه الى المهدي (٩٣) وحاول إسترضـاء

الصفرية بابقاء الحكم المدراري ، فلم يعين عليهم واليا من قبله ، بل اصطنع المعتز بن محمد بن سارو بن مدرار ـ وهو ابن عم احمد بن ميمون ـ ونصبه واليا عليهم من قبل المهدي « ليأمن جانبهم (٩٤) » • وقد نجحت هذه السياسة الى حين في الحفاظ على النفوذ الاسمي للفاطميين في سجلماسة ، فظل المعتز بن محمد على ولائه للفاطميين حتى وفاته سنة ٣٢١هـ (٩٥) (٩٣٤م) ، وذلك على عكس رواية ابن خلدون (٩٦) القائلة باستبداده بالامر من دون الفاطميين ، فقد كان ابنه وخليفته محمد الملقب بأبي المنتصر الذي حكم عشر سنوات (٩٧) وكذلك حفيده المنتصر سمكو بن محمد الذي حكم شهرين على ولائهما لسلطان الفاطميين (٩٨) •

على ان سياسة الولاء للفاطميين لم تلبثأن تعثرت سنة ٣٣٢هـ (٩٤٥م)، فانتهز محمد بن الفتح بن ميمون ـ ابن عم المنتصر سمكو ـ فرصة ضعف ابن عمه لكونه طفلا (٩٩) ، وانشغال الفاطميين بثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد ، واغتصب الحكم بعد طرد ابن عمه خارج سجلماسة ودعى لنفسه وخلع طاعة الفاطميين (١٠٠) ، كما ضرب السكة باسمه وتلقب بالشكر لله (١٠١) •

على ان بعض المؤرخين (١٠٢) ذهبوا الى ان الشاكر لله « اخذ بمذاهب أهل السنه ورفض الخارجية ونادى بالدعوة لبني العباس» • وغالى البعض (١٠٣) فقال بأنه « كان سنيا على مذهب المالكية » • ونعتقد انحركة الشاكر لله كانت حركة خارجية صفرية خالصة ، تمثل رد الفعل الصفري ضد الحكم الفاطمي ، فهي تماثل في هذا السبيل وتعاصر حركة أبي يزيد مخلد بن كيداد الاباضي • ويبدو ان مؤرخي السنة تجاهلوا هذا الامر عن عمد انكارا لفضل الخوارج في قيادة حركات المقاومة ضد الشيعة ، أو ان الامر التبس عليهم خاصة وان أبا يزيد قد استنفر السنة في المغرب للانضمام لحركته (١٠٤) ، كما دعى الشاكر لنفسه مموها بالدعاء لبني العباس» (١٠٥) حتى يؤازره سنية المغرب •

ومن المستبعد ان يكون الشاكر لله قد تخلى عن المذهب الصفريواعتنق المذهب المالكي للدخول في طاعة الخلافة العباسية لان الشاكر لله لم يكن يطمع في مؤازرة الخلافة العباسية لحركته خاصة وقد زال نفوذها كلية من

بلاد المغرب بعد سقوط دولة الاغالبة ولم يكن بمقدور بني العباس منـاجزة الفاطميين ببلاد المغرب وتعضيد الحركات المناوئة لهم لبعد المسافة ، ولضعفهم في العصر العباسي الثاني وخضوعهم لنفوذ الترك ٠ ولو ان الشاكر لله دعى للخلافة العباسية حقا ، لما دعى « لنفسه بالخلافة وتسمى بأمير المؤمنين وتلقب بالشاكر لله (١٠٦) » وضرب العملة باسمه (١٠٧) ٠ ولو كان ينشد التبعية لقوة مناوئة للفاطميين ، لاعلن تبعيته لاموي الاندلس أصدقاء الاسرة المدرارية، وأصحاب النفوذ الفعلي على أغلب جهات المغرب الاقصـى ٠ أغلب الظن ان الشاكر لله تشبه بمحاصرة الاباضي النكاري أبي يزيد مخلد بن كيداد فـي محاولة استمالة السنة بالمغرب وتعضيدهم لحركته ليس الا ٠

على كل حال ــ نجح الشاكر لله ــ بحسن سيرتـه (١٠٨) وتعصبـه لمذهبه وتفقهه فيه «.وظنه ان ليس الحق الا ما انتهى اليه (١٠٩) » ، في جمع شمل الصفرية تحت لوائه والانفصال بسجلماسة عن طاعة الفاطميين ــ ويبدو أنه فكر في بسط نفوذه على بعض نواحي المغرب الاقصى ، فحاول غزو إمارة نكور سنة ٣٤٠ هـ (٩٥٣م) لكن الصفرية لم يجيبوه الى ذلك وقنعوا باستقلالهم السياسي وحريتهم الدينية محجمين عن الدخول في مشروعات توسعية (١١٠) وقد نعم الصفرية، في عهده بالاستقرار والرخاء ، اذ نعلم ان العـدل ســاد سجلماسة ابان حكمه ، كما كانت عملتـــه « طيبـة للغايـة» على حد قول السلاوي (١١١) ٠

وظل الشاكر لله-في مأمن من الخطر الفاطمي طوال عهد المنصور الذي انصرف لدرء ثورة أبي يزيد في افريقية ، تلك الثورة التي هددت بالقضاءعلى دولته ٠ ولما ولى المعز الخلافة سنة ٣٤١هـ (٩٥٤م) حاول تأديب أمير سجلماسة المدراري ، فاستنفر كتامة للقيام بتلك المهمة دون طائل ، فقد تثاقلوا عـن الخروج متذرعين بمشاق الطريق وبعد المسافة (١١٢) ويبدو ان تغاضي المعز عن ثوار سجلماسة شجع عماله في المغرب الاقصى على شق عصـا الطاعـة والدخول في طاعة عبد الرحمن الناصر كما فعل بعلي بن محمد اليفرني (١١٣) بافكان ــ بشمالي غرب تاهرت ــ واحمد بن بكر الجذامي أمير فاس (١١٤) ٠ ودفعه ذلك الى اعداد حملة هائلة لاستعادة نفوذه المفقود في بلاد المغربالاقصى سنة ٣٤٧ هـ (١١٥) (٩٦٠م) ٠

وقد عهد المعز الى قائده جوهر الصقلي بقيادة تلك الحملة التي حشد لها أعدادا غفيرة من كتامة (١١٦) وصنهاجة (١١٧) والاولياء (١١٨) ، فضلا عن عبيده وغلمانه (١١٩) ٠ واجتمع برؤسائهم وحضهم على الاستماتة في القتال واعدا اياهم بحسن المثوبة منعما عليهم بجزيل العطاء (١٢٠) ٠ ومضى جوهر الى سجلماسة ، وبعث الى اهلها بالقبض على الشاكر لله وتسليمه ، على ان يبذل لهم الامان ، دون طائل (١٢١) ٠ فضرب الحصار حول المدينة (١٢٢) طيلة شهور ثلاثة (١٢٣) ، تمكن الشاكر اثناءها من الهرب بأمواله وذويه وخاصته ، ونزل بحصن منيع يعرف بتاسجدلت (١٢٤) على بعد اثني عشر ميلا من سجلماسة (١٢٥) ٠

ودخل جوهر المدينة دون مقاومة ، واصدر عفوا عاما عن أهلها (١٢٦) ليكسب جانبهم ٠ وتسلل الشاكر لله الى المدينة في محاولة لتأليب أتباعه على القائد الفاطمي واسترداد نفوذه ، لكن رجلا من مطغرة تربص به وسلمه الى جوهر ٠ فعاد به أسيرا الى القيروان (١٢٧) بعد ان عين على سجلماسة واليا من قبله سنة ٣٤٧ هـ (١٢٨) (٩٦٠م) ٠

وابتهج المعز بانتصارات قائده جوهر واسترداد سجلماسة وغيرها من مدن المغرب الاقصى التي تمردت عليه ، فطير مزهوا ابناءها الى الدعاة الاسماعيلية في الشرق (١٢٩) ، وآثر المعز الابقاء على حياة الشاكر لله بعد أن شهر به بين أهل القيروان (١٣٠) ، فظل معتقلا في سقيفة قصره زمنا (١٣١) ثم نقل الى رقاده وظل سجينا بها حتى وفاته سنة ٣٥٤هـ (١٣٢) (٩٦٧م) ٠

ولم تفلح سياسة اللين والتسامح التي اتبعها المعز وقائده جوهر سواء في معاملة الشاكر لله او في العفو عن أهل سجلماسة ، في جذبهم لموالاة الفاطميين ٠ فالعداء المذهبي المتأصل وتعلق الصفرية بالاستقلال السياسي وبالبيت المدراري حال دون تحقيق ذلك ٠ فقد تكرر ما حدث على اثر مغادرة المهدي لسجلماسة سنة ٢٩٧هـ (٩٠٩م) ، اذ ثار صفرية سجلماسة على الوالي الفاطمي وأردوه قتيلا ٠ ونصبوا عليهم أحد أبناء الشاكر لله ولقبوه بالمنتصر لله (١٣٣) ٠

ولكي لا يتعرضوا لطائلة الانتقام ، بادروا فانفذوا رسلهم الى المعزمعلنين الابقاء على طاعته والولاء له · ولاذ المعز بالعافية قانعا بولائهم الاسمى له · وطلب الى شيوخهم القدوم اليه برفقة المنتصر لله ، فأجابوه الى طلبه· وقد أورد ابن حيون (١٣٤) تفصيلات مستفيضة عن لقاء شيوخ سجلماسة بالمعز ، وعفوه عنهم ، واقراره المنتصر على الولاية وخلعه عليه ، واغداقه علىمرافقيه· ومع ذلك لم يستتب الامر للمعز في سجلماسة ، ولم ينعم صنيعته المدراري بالحكم طويلا ، فنزعة الاستقلال والكراهية للفاطميين كانت من وراء الثورة التي قام بها أخ للمنتصر ـ ويدعى أبا محمد ـ على أخيه وقتله وقيامه بالامر مكانه وتلقبه بالمعتز لله ، واعلانه الخروج عن طاعة الفاطميين سنة ٣٥٢ هـ (٩٦٥م) (١٣٥) ·

وزال نفوذ الفاطميين نهائيا على سجلماسة منذ ذلك الحين ، كما ذوى شأن مكناسة والصفرية أيضا سنة ٣٦٦هـ (٩٧٩م) لما زحف خرزون بنفلفول المغراوي الى سجلماسة وقتل أبا محمد المعتز وبعث برأسه الى قرطبة · وآلت سجلماسة بذلك الى التبعية لاموي الاندلس « وانقرض امر بني مدرار ومكناسة من المغرب أجمع ، وأدال منهم بمغراوة وبني يفرن (١٣٦) » ·

وهكذا لم يستسلم الصفرية للحكم الفاطمي ، ولم تجد نفعا سياسة الفاطميين ، المتأرجحة بين اللين والعنف في دعم نفوذهم في سجلماسة معقل الخوارج الصفرية في المغرب ·

٢ ـ الاباضية والفاطميون

أ ـ الفاطميون وسقوط دولة بني رستم :

سقطت تاهرت في يد أبي عبد الله الشيعي سنة ٢٩٧هـ (٩٠٩م) دون قتال ، وذلك لبلوغ الدولة الرستمية في عصرها الاخير ذروة الضعف والاضمحلال وقد سبق ان أوضحنا مظاهر الفوضى السياسية التي ترددتفيها تاهرت ، من تدهور هيبة الامامة ، وتضعضع نفوذ الائمة بعد تحكم رعاع العاصمة في تعيين الائمة وعزلهم · وارتفاع شأن الفرق والطوائف المذهبية

عير الاباضية ، وتدخلها في شؤون السياسة والحكم وخضوعها لقوى أجنبية بقصد اسقاط الإسرة الرستمية وتسلم السلطة في تاهرت • ثم ظهور نفوذ البلاط ونساء الاسرة الرستمية وسيطرتهم على الائمة ، وتطاول عمال الائمة وحراسهم وخدمهم على الرعية ، فنهبوا الاموال واغتصبوا الحرائر • بالاضافة الى صراع أفراد البيت الرستمي حول الامامة وتكالبهم على الظفر بها، فلم يتورعوا عن تدبير المكائد والمؤامرات لبعضهم البعض ، وراح بعضهم ضحية هذا الصراع ، وأفضى ذلك كله الى انهيار العصبية الرستمية « وبانهيارها شاخت الدولة وهرمت»(١٣٧) هذا الى انحلال نظم الحكم والادارة وضعف الروح العسكرية ، وتراخي قبضة الائمة على اجنادهم ، فلجأوا الى « استعمال الدرهم والدينار ، بدل الرمح والسنان (١٣٨) » وترتب على ذلك كله انهيار المجتمع الرستمي واضطراب الامن ، وهو ما عبر عنه ابن الصغير (١٣٩) بقوله: « وكان البلد قد فسد • وفسد أهلها •• واتخذوا للمسكر أسواقا والغلمان أخدانا »،وعجت الطرق بمناسر اللصوص وخاصة من «سفهاء زناتة» (١٤٠) •

وفضلا عن ذلك كله ، تعرضت الدولة الرستمية لضربة قاصمة قضت على البقية الباقية من قوتها ، بسبب ما حل باباضية نفوسة سنة ٢٨٣هـ (٨٩٧م) من كارثة في موقعة مانو ــ قلعة بين قابس وطرابلس (١٤١)ــ حيث اجهز الاغالبة فيها على جيوش نفوسة (١٤٢) ، ومن بعدها على اباضية قنطرارة ونفزاوة (١٤٣) • وحرمت الامامة الرستمية في ذلك الحين من مصدر قوتها ، اذ كان النفوسيون عصب الدولة الرستمية وعونا لها على ما واجهها من أخطار • ولا غرو ، فقد حرم اليقظان بن أبي اليقظان ــ آخر أئمة بني رستم ــ من جيش يستطيع به التصدي للخطر الشيعي بعد انقطاع الامداد من جبل نفوسة ، وأدى ذلك الى سقوط تاهرت سنة ٢٩٧هـ (٩٠٩م) •

كانت تاهرت اذن على وشك السقوط ، وكان بوسع أبي عبد الله الشيعي داعية الفاطميين ــ الذي لانشك في أنه أرسل بعوثه الى تاهرت تدعو للتشيع ــ ان يطيح بالحكم الرستمي في وقت مبكر • غير أنه آثر التريث حتى يفرغ من حروبه مع الاغالبة ــ أعظم القوى السياسية في المغرب في ذلك الحين ــ فلم يقدم على فتح بلاد المغرب الاوسط والاقصى الا بعد سقوط

رقادة عاصمة بني الاغلب سنة ٢٩٦هـ (٩٠٨م) ٠

وبعدها شرع في غزو سجلماسة لتحرير عبيد الله المهدي ، وعرج في طريقه اليها على تاهرت فدانت له دون مقاومة ٠

من هذا يتضح أن تاهرت لم تسقط ابان عهد ابراهيم بن أحمد الاغلبي (٢٦١ــ٢٨٩هـ) (٨٧٥ــ٩٠١م) كما ذكر المؤرخون(١٤٤) الذين اجمعوا على أن « أبا عبد الله الشيعي نزل كتامة سنة ٢٨٠هـ ، وأتاه البربر من كل مكان، وعظم أمره ٠ وبلغ أمره الى ابراهيم بن أحمد الاغلبي فاستصغر أمر أبي عبدالله واستحقره ٠ ثم مضى أبو عبد الله الى مدينة تاهرت فعظم شأنه ، وأتتهالقبائل من كل مكان ٠ وبقي كذلك حتى تولى أبو مضر زيادة الله الاغلبي » ٠ وان كانت تلك الرواية لا تخل من دلالة على تشيع كثيرين من سكان تاهرت وبعض العبائل الضاربة خارجها قبيل الغزو الشيعي ٠ يؤكد ذلك قول ابن الصغير (١٤٥) ان خطباء تاهرت « كانوا على منابرهم لا يستعملون الا خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خلا خطبة التحكيم» ولا يخفى ما قام به هؤلاء الشيعة من دور هدام في الاحداث السياسية التي حفل بها العصر الرستمي الاخير ، وهو عصر برزت فيه الطوائف والفرق الدينية غير الاباضية كما سبق أن اوضحنا ٠

والواقع ان المصادر غير الاباضية لا تمدنا الا بالنذر اليسير عن سقوط دولة بني رستم ، فلم يرد بها اكثر من أن « أبا عبد الله الشيعي وصل الى تاهرت فدخلها بالامان وقتل من بها من الرستمية ، وبعث برؤسهم الى أخيه أبي العباس ، وطوفت بالقيروان ونصبت على باب رقادة ٠ ثم ولى ابو عبدالله على تاهرت ابا حميد دواس بن صولات اللهيصي وابراهيم بن محمد اليماني المعروف بالهواري ، وكان يلقب بالسيد الصغير (١٤٦) » ٠

وقد سبق ان اوضحت كيف اغتيل الامام أبو حاتم يوسف على يد أبناء أخيه سنة ٢٩٤هـ (٩٠٦م) بالتواطؤ مع يعقوب بن أفلح ــ عم الامام ــ المقيم بزواغة ، وكيف اغتصب أحدهم ويدعى اليقظان بن أبي اليقظان الامامة ٠ وقد تمخض هذا الحادث عن مزيد من الاضطرابات في تاهرت قام بها الحزب المشايع لابي حاتم وقد تزعمه ابنته المعروفة «بدوسر» ٠ كما واصلت الطوائف

والفرق غير الاباضية ــ من المالكية ــ والواصلية والصفرية والشيعة (١٤٧)ــ مؤامراتها على حكم اليقظان بن أبي اليقظان · ونعتقد ان اليقظـان نجـح في اخضاع تلك الاحزاب المعارضة لحكمه ، ويبدو انه استعان بعمه يعقوب بـن أفلح وأنصاره من السمحية الذين نزحوا الى تاهرت ·

وقد فشلت دوسر ابنة أبي حاتم يوسف في الانتقام من قتلة أبيها ، وخبا أمل الطوائف غير الاباضية في « تبييت خبر الاباضية (١٤٨)» ، فلـم يجدوا مناصا من مناشدة أبي عبد الله الشيعي وكتامة القدوم للقضاء علـى « امارة الفرس (١٤٩) » · والراجح ان هذه الاتصالات حدثت قبل فراغ أبي عبد الله من قتال الاغالبة ، فلم ير موجبا للتوجه الى تاهرت ولما يفرغ منصراعه مع الاغالبة · وعاودت دوسر الاتصال به ، فاستجاب لها ووعدها بتحقيـــق مطلبها (١٥٠) ·

وما أن دانت له رقادة بعد هرب زيادةالله الى الشرق سنة ٢٩٤هـ(٩٠٨م) حتى أعد حملة ضخمة توجه على رأسها الى سجلماسة حيث قبع عبيد اللـه المهدي في سجن اليسع بن مدرار ·

تذكر الرواية الاباضية (١٥١) ان رؤساء الطوائف غير الاباضية خرجوا اليه بعد أميال من تاهرت ووعدوه بالعون على فتح تاهرت ، وهرنوا له من شأن بني رستم ·

وعرج الشيعي على تاهرت ــ في طريقه الى سجلماسة ــ وفتحها ليؤمن ظهره أثناء قتاله مع اليسع بن مدرار · فبعث في استدعاء اليقظان بن أبـي اليقظان وبنيه ، فقدموا اليه ، وأمر بقتلهم جميعا (١٥٢) · وقد حرص الشيعي على استئصال شأفة بني رستم حتى لا يناوئه أحد منهم ، ولم يسلم من القتل الا من لاذ منهم بالهرب الى وارجلان (١٥٣) ·

وبمقتل أبي اليقظان فتحت تاهرت أبوابها للشيعي دون قتال (١٥٤)، وانسابت جيوشه داخلها فاستباحتها (١٥٥) سلبا ونهبا وتخريبا (١٥٦) «حتى أهلكت الحرث والنسل» (١٥٧) ·

وأمر أبو عبد الله باحراق المكتبة الرستمية المعروفة « بالمعصومة» بعد ان

انتقى منها الكتب المتعلقة بالحكم والفنون والرياضيات والصنائع (١٥٨) • كما أضرم النيران في تاهرت ايضا (١٥٩) وغادرها على عجل بعد ان ولى عليها عاملا من قبله (١٦٥) ، ويمم وجهه شطر سجلماسة •

ووجه فرقة من فرسانه الى وارجلان في أثر يعقوب بن أفلح الذي هرب اليها مع بعض أصحابه (١٦١) • ولم تستطع خيل الشيعي الوقوف له على أثر (١٦٢) ـ فنجا بذلك من المذبحة التي حلت بأسرته • وقد رحب أبو صالح ماجنون بن مريان ـ شيخ وارجلان ـ بمقدمه وعبثا حاول اقناعه بتولي «أمامة الدفاع» ومناوأة الفاطميين (١٦٣) ، فقد آثر حياة الزهد والعزلة حتى وفاته (١٦٤) •

وبسقوط تاهرت • وانقراض الرستميين ، انتهى حكم بني رستم الذي استمر ما يزيد على مائة وثلاثين عاما (١٦٥) •

لكن سقوط الحكم الرستمي لم يقض نهائيا على النفوذ الاباضي في بلاد المغرب ، فظلت وارجلان وجبل نفوسة معقلين رئيسين لاباضية المغرب• وقد وجه الفاطميون جهودهم نحو فتح هذين المعقلين ، فبعد تحرير المهدي من سجلماسة وجهوا جيشا الى وارجلان • وبادر اباضيتها باخلائها والاعتصام بحصن مجاور لها عرف « بكدية بنهادين(١٦٦)» بعد شحنه بالمؤن والاقوات• ولم يستطع الجند الفاطمي اقتحام الحصن ، فآثروا الانسحاب (١٦٧)•وبقيت وارجلان معقلا للمقاومة الاباضية ضد الفاطميين •

أما جبل نفوسة ، فلم يخضع للحكم الفاطمي وذلك لمنعته الطبيعية(١٦٨) واضحى بمثابة ملاذ لثورات الاباضية في سائر بلاد المغرب (١٦٩) • وعبثا حاولت جيوش الفاطميين غزو الجبل ، فكانت في كل مرة تبؤ بالفشل •

هكذا نجح الفاطميون في فتح تاهرت دون عناء سنة ٢٩٧هـ ، وأسقطوا حكم بني رستم ، لكنهم لم يفلحوا في الاستيلاء على جبل نفوسة ووارجلان لمناعة الجبل وتطرف الواحة في أقاصي الصحراء • وأضحى جبل نفوسة منذ ذلك الحين معقلا للحركات الاباضية المناوئة للفاطميين • كما لم يفلح الفاطميون في أرغام الاباضية في المناطق الخاضعة لحكمهم على التخلي عن

مذهبهم واعتناق المذهب الاسماعيلي ٠ ولم تتمخض سياسة البطش والتعصب التي جرى عليها الفاطميون الا عن اندلاع ثورات الخوارج الاباضية ، تلك التي سببت لهم مزيدا من المتاعب ، وهددت بزوال دولتهم من بلاد المغرب في بعض الاحيان ٠

ب ـ ثورات الاباضية على الحكم الفاطمي :

زال الحكم الرستمي من تاهرت سنة ٢٩٧هـ (٩٠٩م) ، وتبدد شمل الخوارج الاباضية لما تعرضوا له من اضطهاد مذهبي على يد الفاطميين ٠والذي لا شك فيه أن الخوارج الاباضية ـ وهبية ونكارا ـ رفضوا الاذعان للمذهب الشيعي (١٧٠) ، واستكانوا الى حين للمسالمة والرضى بالواقع ، انتظارا لسنوح الفرصة (١٧١)» ، بينما لاذت اعداد غفيرة منهم بجزيرتي جربة وصقلية ليأمنوا عائلة الفاطميين (١٧٢) ٠

وكان تفتت القوى الاباضية وتشتتها ما بين جبل نفوسة وواحةوارجلان وبلاد الجريد وأحواز تاهرت وجزيرتي جربة وصقلية مما سهل علىالفاطميين مواجهة حركاتهم والقضاء عليها ٠ فقد ثار الاباضية بطرابلس سنة٣٣٠هـ (٩١٢م) على ماقنون الاجابي عامل المهدي ، وكانت ثورة اقليمية محضة اذا اقتصرت على اباضية هوارة بناحية طرابلس بزعامة شيخ يدعى محمد بن اسحق المعروف «بابن القرلين» ٠ ونجح المهدي في حصار طرابلس بحرا، كما قطع المؤن عنها، فاستسلم الثوار بعد أن قدموا لابي القاسم بن المهدي مبلغا باهظا من المال ، وسلموا اليه ثلاثة من زعمائهم قتلو برقادة (١٧٣) ٠

كذلك قضى بالفشل على محاولة أخرى لجمع شمل الاباضية تحت لواء أحد مشايخهم ويدعى أبو خزر تمهيدا للثورة على الفاطميين ٠ وانتهى به الحال الى الهرب لجبل نفوسة يائسا ، واصبح الجبل منذ ذلك الحين مقرا للمقاومة الاباضية للحكم الفاطمي (١٧٤) ٠

وقد تمكن اباضية نفوسة من احياء الامامة الاباضية بعد سقوطها في تاهرت ، وبايع مشايخهم أبا يحيي زكريا الارجاني ـ المعروف بأبي بطة

«بامامة الدفاع» (١٧٥) وشكلوا حكومة من مشايخ المذهب · وحاول ابـــو زكريا الاغارة على طرابلس لكنه هزم وقتل كثيرون من رجاله (١٧٦)·وتشجع المهدي فبعث بجيوشه لغزو نفوسة سنة ٣١٠هـ (٩٢٢م) ، فلم تفز بطائــل ، وهزمها الاباضية عند قرية الجزيرة (١٧٧) · وعاود المهدي المحاولة في العام التالي ، وتخبرنا المصادر (١٧٨) الاباضية ان جيوش المهدي لقيت الهزيمـة مرة أخرى عند قرية تيركت بجبل نفوسة ، وان كنا نعتقد ان النتيجة كانت غير ذلك ، لان أبا زكريا الارجاني قتل في تلك المعركة (١٧٩) ، كما يذكـر الشماخي (١٨٠) ان مشايخ الجبل دأبوا منذ ذلك الحين على دفع المغـــارم لولاة القيروان الفاطميين الذين كانوا يغالون في تقديرها ، ويهددون بغزو الجبل اذا ما تقاعس النفوسيون عن دفعها ·

ولم يتحرر اباضية نفوسة من هذه الاتاوات « وذل المسودة» الا فـــي مشيخة زعيمهم أبي الفضل سهل النفوسي (١٨١) · ويبدو ان ذلك لم يتم الا بعد قيام ثورة الاباضية الكبرى بزعامة أبي يزيد مخلد بن كيداد ، تلك الثورة التي احتوت كافة العناصر الاباضية ـــ وهبية وخلفية ونفاثية ونكارا ـــ فـي سائر بقاع المغرب · وهددت بزوال النفوذ الفاطمي منها ·

لا شك ان حركة أبي يزيد تمثل من الناحية الاجتماعية حلقة من حلقات الصراع التقليدي بين البربر والبرانس كما تصور جوتييه (١٨٢) ، كما انهـا عبرت عن نزعة الاستقلال عند البربر من الناحية السياسية كما اعتقد بل (١٨٣) اما من الناحية الحضارية فانها تمثل صراعا بين اهل البداوة والاستقرار (١٨٤) وهي ايضا نزاع بين قوى مغربية في أطار صراع أعم بين الفاطميين والاندلسيين حسبما ، اعتقد برنشويج (١٨٥) · لكن المؤكد ان ثورة أبي يزيد مخلد بـن كيداد كانت في المحل الاول رد فعل للخارجية الاباضية في مواجهة الشيعة الاسماعيلية ، فكانت حربا مذهبية شهر فيها سلاح المبادىء الخارجية للاطاحة بالعقائد الاسماعيلية الغريبة على البربر · واذا كان البربر السنة قد أيدوا حركة أبي يزيد في مراحلها الاولى، فذلك لايعني أن أبا يزيد كان «سنيا»(١٨٦)·

كان من أهم ما يميز الحركة طابعها الخارجي الاباضي (١٨٧) ·. فزعيمها

من «أهل الدعوة» على حد قول أحد مؤرخي الاباضية (١٨٨) ، تلقى تعاليمها بالشرق « ورأس في الفتيا في مذاهب الاباضية من الخوارج (١٨٩) » وكـان أول الامر اباضيا وهبيا ثم تحول الى مذهب النكـار (١٩٠) الضاربين بجبـل الاوراس وبلاد الجريد (١٩١) · ونعتقد ان هذا التحول تم في آخر أيـام الدولة الرستمية حين ذوى شأن الاباضية الوهبية ، وعلا نجم النكار (١٩٢)، وهم اكثر تشددا والتزاما بتعاليم المذهب الاباضي من الوهبية (١٩٣)· فأبو يزيد اذن ليس سنيا ، ولم يكن صفريا أيضا كما زعم جوتييه (١٩٤) ، أو «صفريا نكاريا» كما ذهب فورنل (١٩٥) نقلا عن أبن خلدون (١٩٦) الذي ذهب الى ان « النكارية من الخوارج الصفرية » · انما كان اباضيا نكارياجمعت حركته سائر فرق الاباضية في المغرب ، وهذا ما يعنيه قول ابن حوقل (١٩٧): «خرج أبو يزيد في أضراب الكفر والنفاق والاباضية والنكارية المراق» ·

وجدير بالتنويه ان أبا يزيد حاول استنفار أتباع كافة المذاهب والفرق الناقمة على الشيعة الاسماعيلية والاستفادة منهم · ذكر ابن عذارى (١٩٨) انه لم يفصح بادىء ذي بدء عن ميوله المذهبية لنفس الغرض « فدعى الى الحق بزعمه ، ولم يعلم الناس مذهبه ، فرجوا فيه الخير والقيام بالسنة» · حقيقة أن أبا يزيد لم يعلن في بادىء الامر عن «نكارية» الحركة فأذاع انه « خـرج غضبا لله (١٩٩) » « لاستخفاف الفاطميين بالشريعة والوضع منالنبوة(٢٠٠)» لكن جموع الوهبية والسنة الذين آزروه لم يخف عليهم حقيقة معتقداته ، انما أيدوه لاتفاقهم في الرغبة في الاطاحـة بالحكم الفاطمي رغم مـا كـان بينهـم جميعا من عداء مذهبي · فالاباضية الوهبية بايعوه بالامر على شريطة « انهم ان ظفروا بالمهدية والقيروان صار الامر شورى » (٢٠١) · والسنة آزروه نكاية في الفاطميين ، اذ افتى فقاؤهم ان قتالهم « أفضل من جهاد أهل الشرك»(٢٠٢) وأجمعوا على الانضمام لابي يزيد لان الشيعة في نظرهم « كفرة بينماالخوارج من أهل القبلة لا يزول عنهم الاسلام (٢٠٣)» · فانضمام الوهبية الاباضية والسنة للحركة اذن كان بمثابة ائتلاف أو تحالف ضد عدو مشترك ·

ومن المحقق ان أبا يزيد تطلع الى تكوين دولة اباضية كبيرة متأثـرة

بتعاليم المذهب الاباضي ، ولذلك هادن كافة الاحزاب المناوئة للفاطميين واستخدمهم في الجهاد ضدهم ٠ ولم يكن بوسعه اظهار مراميه الحقيقية في بداية حركته ، انما آثر التمويه وأعمال الحيلة ، فلم يمانع في قبول اشتراطات الوهبية اعداءه التقليديين ، ولم يجد غضاضة في خداع السنة حين « أمرهم بقراءة مذهب مالك (٢٠٤)» ٠

والحقيقة ان أبا يزيد كان يكن عداء مرا لهؤلاء وأولئك لا يقل عن عدائه للفاطميين ، ومن المؤكد انه اضمر بهم غدرا، أو على الاقل اضعاف شوكتهم بضربهم بالفاطميين ٠ فقد أرجأ الانتقام من الوهبية الى ما بعد الانتهاء من قتال الشيعة (٢٠٥)، كما «مكر بالسنة (٢٠٦)» اثناء حصاره المهدية ، وتخلى عنهم لتحصدهم جيوش القائم الفاطمي كما لم يتورع عن اظهار مراميه الحقيقية في النهاية حين استشعر من نفسه القوة بعد انتصاراته التي احرزها على الجيوش الفاطمية (٢٠٧) ٠ كل ذلك يؤكد الطابع المذهبي للحركة باعتبارها ــ في المحل الاول ــ ثورة اباضية مضادة للحكم الفاطمي ، ورد فعل خارجي (٢٠٨) لسياسة الفاطميين في بلاد المغرب ٠

والذي يستقصي نشأة ابي يزيد يلتمس تلك الحقيقة على الرغم مما نسج حولها من القصص والاساطير ٠ فحتى تلك الاساطير لا تخلو من دلالة على تطلع اباضية المغرب للاطاحة بالحكم الفاطمي تحت قيادة أبي يزيد(٢٠٩)٠

على كل حال ــ أجمعت المصادر على انتمائه الى زناته ، وان اختلفت في التفصيلات (٢١٠) وعلى الرغم مما أحاط حياته الاولى من غموض (٢١١)، فقد كشفت المراجع أن أباه كان من قسطيلية ببلاد الجريد ، وانه احترف التجارة مع بلاد السودان (٢١٢) ٠ وقد ولد أبو يزيد من أم سودانية (٢١٣) وأب من زناته ٠ ونشأ بمدينة توزر ــ من أعمال قسطيلية ــ معقل الاباضية النكار ، الا انه حفظ القرآن ودرس اصول المذهب الاباضي الوهبي (٢١٤) ٠ ثم ارتحل الى سجلماسة ودرس على ابن الجمع شيخ الاباضية هناك لمدة عامين (٢١٥) انتقل بعدهما الى تاهرت (٢١٦)، حيث أفتى في الفقه الاباضي الوهبي (٢١٧) مدة ، ثم عاد أدراجه الى توزر ٠ وفي توزر اختلط بشيوخ النكار فمال الى مقالاتهم وتبحر في أصول مذهبهم (٢١٨)٠ ولا يخالجنا شك في عودته الى

تاهرت بعد ذلك حيث راقب عن كثب الاحداث التي جرت فيها أواخر العهد الرستمي ، ومن المحتمل ان يكون قد أسهم فيها بدور اضعافا للامامة الوهبية ٠

على كل حال ــ لم يطب له فيها المقام ، اذ سقطت في يد الشيعة سنة ٢٩٧هـ (٩٠٩م) ، فغادرها الى تقيوس (٢١٩) من بلاد قسطيلية (٢٢٠) ٠

وفي تقيوس عكف على تحفيظ الصبية (٢٢١) القرآن وتعليمهم المذهب النكاري في مكان عرف « بعين النكارة» (٢٢٢) ٠ والراجح أنه بدأ من ذلك الحين يعد العدة لجمع شمل الاباضية النكار تمهيدا للثورة على الفاطميين ٠ ولو صح قول المقريزي (٢٢٣) بانه شرح في سنة ٣٠٣هـ (٩١٥م) في تجميع الانصار لهذا الغرض ، لكان معناه أنه قضى حول ثلاثة عشر عاما في الاعداد للثورة ، لانه لم يجهر بدعوته الا في عام ٣١٦هـ (٢٢٤) (٩٢١م) ــ ففي ذلك العام كثر أتباعه وانصاره ٠ واظهر مذهبه النكاري ٠ وبدأ « يحتسب على الناس في أفعالهم ومذاهبهم (٢٢٥) » ٠ وأنكر على الفاطميين سياستهم الدينية والمالية (٢٢٦) ٠

كان طبيعيا ان يبعث المهدي لعامله على تقيوس يأمره بالقبض على أبي يزيد (٢٢٧) ٠ لكنه نجح في الهرب الى الشرق ، ولم يعد الى المغرب الا بعد وفاة المهدي سنة ٣٢٢هـ (٩٣٤م) ٠

نزل أبو يزيد بتقيوس مرة اخرى ، وشرع على الفور في الاعدادللثورة على القائم ، فبعث رسله الى جبل نفوسة مستنفرا الاباضية الوهبية لشد ازره (٢٢٨) ، ثم انتقل الى توزر سنة ٣٢٥هـ (٩٣٧م) ــ حيث توجد أكثرية من الاباضية النكار ــ وأعلن الثورة من هناك (٢٢٩) ٠

وبعث القائم الى والي قسطيلية ليواجه الخطر الاباضي ، فبعث بدوره الى عامله على توزر ــ ويدعى ابن فرقان (٢٣٠) ــ بالقبض على أبي يزيد ،فاعتقله وأودعه السجن ٠ وحاول شيوخ النكار الوساطة لدي ابن فرقان لاطلاقسراح أبي يزيد ، دون جدوى ٠ فأجمعوا الرأي على تحريره بالقوة (٢٣١) ، فكان لهم ما أرادوا (٢٣٢) ٠

وعول أبو يزيد على استنفار سائر جماعات الاباضية وجمعهم في مكان آمن ، فنزل بوارجلان (٢٣٣) وبعث الى الاباضية بجبال الإوراس يطلب التأييد، فاجابوه ٠ فغادر وارجلان إلى الاوراس ، وانضم اليه بنو برزال ـ ومواطنهم جنوب المسيلة ـ وكذلك بنو زنداك من مغراوة (٢٣٤) فضلا عن لواته وبنو كملان (٢٣٥) ٠ واتفق شيوخ الاباضية ـ وهبية ونكارا ـ على بيعة ابي يزيد سنة ٣٣١هـ (٩٤٤م) « على محاربة الشيعة ٠ على ان يكون الامر شورى اذا ظفروا بالمهدية (٢٣٦) » ٠

ويمكن تقسيم الصراع بين أبي يزيد والفاطميين الى ثلاثة مراحل أساسية بدأت المرحلة الاولى منها بحصار جيوش القائم لابي يزيد بالاوراس سنة ٣٣١هـ (٩٤٤م) وانتهت بحصار ابي يزيد للمهدية سنة ٣٣٣هـ (٩٤٦م) ، وفيها كانت الغلبة للثوار ٠ اما المرحلة الثانية ،فكانت الحرب فيها سجالا، اذ تبادل الطرفان النصر والهزيمة ٠ وبدأت هذه المرحلة باخفاق أبي يزيد في افتتاح المهدية وانتهت بحصاره لسوسة في جمادي الاخر سنة ٣٣٤هـ (٩٤٧م) ٠ وفي المرحلة الثالثة كان افول نجم أبي يزيد وهزيمة جيوشه وانتهاء الامر بقتله ، وفشل ابنه الفضل في الاخذ بثأره سنة ٣٣٦هـ (٩٤٩م) ٠

المرحلة الاولى :

من السمات البارزة لتلك المرحلة بزوغ نجم أبي يزيد واشتداد ساعده بانضمام جموع الاباضية كافة الى حركته فضلا عن مالكية القيروان ،وبفضلهم دانت له غالبية مدن افريقية وحصونها بعد حروب حالفه النصر فيها ٠ ولم تجد نفعا محاولات القائم استرداد نفوذه ، فقبع بالمهدية متخذا موقف الدفاع ٠ وكاد الحكم الفاطمي ان يزول نهائيا من بلاد المغرب لولا انضمام صنهاجة الى القائم ، فقد أدى انضمامها الى تحول كبير في مسار الصراع ٠

فقد عول القائم بادىء ذي بدء على مباغتة أبي يزيد بالاوراس سنة ٣٣١هـ (٩٤٤م) ولما يشتد عوده بعد ٠ الا ان أبا يزيد أفلح في فك الحصار الذي ضربته جيوش القائم (٢٣٧) حول مقره وأحرز نصرا على هذه الجيوش ذاع بعده صيته ، فانضمت اليه كثير من القبائل منها مزاته (٢٣٨)٠ وعلى التو

شرع أبو يزيد في فتح مدن افريقية وحصونها الساحلية ، فاستولى على باغاية (٢٣٩) ـ جنوبي الاوراس (٢٤٠) ـ ومنها توجه الى قسطيلية ففتحها (٢٤١)، وانضمت اليه جموع النكار فيها ، ونجح في الحيلولة بينهم وبين مقاتلة الاباضية الوهبية (٢٤٢)٠ ثم أمن أهلها وهدم أسوارها (٢٤٣)٠

وواصل أبو يزيد فتوحاته فدانت له تبسا ومجانه ـ بوسط افريقية ـ كما فتح مرماجنة ـ جنوبي مجانة ـ ، وأهدى له رجل منها حمارا أصهب صار يركبه وبه كني ، فقيل « صاحب الحمار (٢٤٤) » وتوجه الى الاربس ـ شمال غربي القيروان ـ ففتحها وأضرم فيها النيران ٠ كما انفذ عسكرا الى سبيبه ـ قرب القيروان ـ استولى عليها بعد مقتل عاملها (٢٤٥) ٠

وأحدث سقوط الاربس هلعا كبيرا في المهدية (٢٤٦) ، فأنفذ القائم جيوشا للدفاع عن رقادة والقيروان ، كما بعث بقائديه ميسور الفتى وبشرى الفتى لمناوءة أبي يزيد ٠ غير ان بشرى هزم عند باجة ـ فوقعت في يد أبي يزيد ٠ وانصرف بشرى الى تونس فاستمال اهلها بالمال ٠ فبعث أبو يزيد عسكرا في اثره دارت الدائرة عليه ٠ لكن أهل تونس ثاروا على بشرى وكاتبوا أبا يزيد ، فأمنهم وولى عليهم رجلا منهم يدعى رحمون ٠ ثم توجه أبو يزيد نحو القيروان ٠ فسبقه بشرى اليها وهزم طلائع الجيش الاباضي ، وبعث بالاسرى الى المهدية حيث قتلوا (٢٤٧) ٠

واستعان بشرى بكتامة لملاقاة أبي يزيد والحيلولة دون وصوله الى القيروان ، فخرجت للقائه ، لكنها عادت مدحورة الى القيروان ، واستولى أبو يزيد على رقادة وعاث فيها في الوقت الذي كان فيه قائده أيوب الزويلي يدق أبواب القيروان ٠ ثم سقطت القيروان في صفر سنة ٣٣٣هـ (٩٤١م) في يد أيوب ، فقتل عاملها ، وأمن شيوخها ورفع النهب عنهم (٢٤٨) ٠ أما ميسور الفتى فقد هزم على يد أبي يزيد عند مكان يقال له الاخوان(٢٤٩) عندما حاول استنقاذ القيروان (٢٥٠) ٠ وطير أبو يزيد أنباء انتصاراته تلك الى عبد الرحمن الناصر في قرطبة (٢٥١) ٠

والواقع أن أبا يزيد بلغ قمة النصر بالاستيلاء على القيروان ، اذ انضم

أهلها من المالكية اليه وكونوا جيشا قويا انضوى تحت لوائه (٢٥٢) ، كما هوت مقاومةسوسة ـ ميناء شماليشرقي القيروانـ امام سرية منرجاله(٢٥٣) لكن لم تدم سيادته عليها طويلا (٢٥٤) ، وساد الهلع مدينة المهدية اذ أصبحت مهددة بالسقوط • ولم يستطع القائم مناهضة ابي يزيد ، فخندق على نفسه بالمهدية وناشد زيري بن مناد شيخ صنهاجة العون ، كما استنهض همة الكتاميين للدفاع عن العاصمة (٢٥٥) •

ورحل أبو يزيد من القيروان ميمما وجهه شطر المهدية ، وخرجت جيوش القائم للقائهعندمكان يقال له «الوادي الملح(٢٥٦)»، فبدد أبو يزيدشملها(٢٥٧) ولم يشأ تعقب فلولهم ، بل آثر استجماع كافة قواه لاقتحام المهدية ، فبعث في استدعاء ابنه فضل الذي وصل مسرعا على رأس امداد هائلة من القيروان (٢٥٨) • واتخذ أبو يزيد معسكره عند مكان يقال له « ثرنوط» على بعد ستة أميال من المهدية (٢٥٩) • لكن تحولا كبيرا في الموقف افضى الى فشل محاولات أبي يزيد في اقتحامها •

المرحلة الثانية :

كان الصراع في هذه المرحلة سجالا ، نتيجة حدوث صدع في معسكر أبي يزيد وتدعيم جيوش القائم • فقد دب الشقاق في صفوف الثوار ، وبارح الاباضية الوهبية والسنة المالكية معسكر ابي يزيد ، في الوقت الذي توافدت فيه جموع كتامة وصنهاجة للذود عن المهدية • ولا غرو فقد اخفق الثوار في اقتحامها ، وعمدت جيوش القائم الى استرداد نفوذه في افريقية ، بينما عول أبو يزيد على محاولة اعادة تجميع قواه والاعتماد اساسا على النكار بجبل الاوراس • واتسم الصراع بينه وبين القائم بالقسوة والضراوة ، فكانتالحرب سجالا تبادل الطرفان فيها النصر والهزيمة •

فقد عسكر ابو يزيد بثرنوط كما سبق القول ، ومنها حاول مرارا غزو المهدية دون جدوى •

ففي المرة الاولى ، وصلت جيوشه الى بابها ـ عند المصلي ـ وأضحت على قاب قوسين من السقوط ، لكن انشغال عسكره بالمغانم ، واستبسال كتامة

في الدفاع ، ووصول صنهاجة لنجدة القائم ، غير مسار القتال ، فدارت الدائرة على أبي يزيد وكاد ان يقتل في المعركة لكنه نجا بأعجوبة ، وعادت جيوشه الى ثرنوط (٢٦٠) ٠

وحفر أبو يزيد خندقا بثرنوط ، وأرسل يطلب المدد من نفوسة والزاب وأقاصي المغرب ٠ ولما وصلته الامداد ، كر الى المهدية محاولا اقتحامها للمرة الثانية ، الا انه عاد مدحورا أيضا ٠ فبعث يستنجد بعامله على القيروان، فخف الى نجدته ، وزحف ابو يزيد في آخر رجب سنة ٣٣٣هـ (٩٤٦م) على المهدية لكنه هزم مرة أخرى ٠ وفي أخر شوال قام بمحاولته الرابعة ، فشدد عليها الحصار ، وهدد من بداخلها بالموت جوعا٠ لكن القائم نجح في مواجهة المجاعة لما كان قد ادخره من حبوب ومؤن من قبل ، وأمر كتامة بمهاجمة قسنطينة ـ اكثر مدن افريقية حصانة ومنعة (٢٦١) ـ فاضطر أبو يزيد الى انفاذ جزء من جيشه للحيلولة دون استيلاء الكتاميين عليها ٠

ودب الشقاق في معسكر أبي يزيد ، ففارقه الاباضية الوهبية والمالكية ولم يبق معه سوى النكار من زناته الاوراس وبني كملان وهوارة (٢٦٢) ٠ ورد به بعض المؤرخين (٢٦٣) ذلك الى يأسهم من افتتاح المدينة لمناعتها ، وحرمانهم من الاسلاب والمغانم التي كانوا يطمعون فيها ٠

ونعتقد ان ابن خلدون (٢٦٤) أصدق في تفسير ذلك الانشقاق ، اذ أرجعه الى اظهار أبي يزيد حقيقة نواياه ، وغدره بالقيروانيين ، وتنكره لما أخذه على نفسه من عهود ومواثيق فقد تنافس زعماء هذه الفرق في الظفر بالسلطة حين أضحى سقوط المهدية وشيكا ، ومن ثم أوقع أبو يزيد بالسنة أثناء القتال مع جيوش القائم ٠٠فأمر رجاله بالتخلي عن القيروانيين اثناء المعركة ،وتركهم هدفا لسيوف الشيعة « فقتل من شيوخهم أربعة آلاف ما بين عابد وعالم صالح (٢٦٥) » ٠ وأدرك الاباضية الوهبية مرامي أبي يزيد في الانتقام منهم اذا ما دانت له المهدية ، ففارقوه حتى « لا يتفرغ لافشاء كفره» (٢٦٦) ٠

ولعل ذلك يفسر غضبة السنة على أبي يزيد ودعوتهم للخلافة العباسية، وملاحقة ابي يزيد لحركتهم ، وقتله زعيمها (٢٦٧) ، كما يفسر ايضا طلبه

الامداد من الاباضية النكار بالاوراس بعد مقاطعة سائر الفرق الاباضية الاخرى لحركته (٢٦٨) ، وحين وصلته هذه الامداد ضرب الحصار من جديد على المهدية ، وكادت تسقط هذه المرة بعد ان غادرها كثيرون من أهلها لائذين بصقلية وطرابلس ومصر ، لولا استبسال فرسان كتامة في الذود عنها (٢٦٩) والحاقهم الهزيمة بأبي يزيد الذي هرب الى القيروان تاركا معسكره غنيمة لجيوش القائم (٢٧٠) ٠

ولهذا ثارت معظم مدن افريقية على ابي يزيد ودخلت في طاعة القائم (٢٧١) وحاول أبو يزيد استرداد نفوذه المفقود ، فاسترد تونس في صفر سنة ٣٣٤هـ (٩٤٧م) ، ثم فقدها مرة أخرى بعد هزيمته عند اصطفورة ـ على مقربة من تونس ـ واستعادها أيوب بن أبي يزيد من جديد كما استرد باجة وأضرم فيها النيران (٢٧٢) ٠

وطلب القائم العون من عامله على المسيلة ـ من بلاد الزاب (٢٧٣) ـ علي بن حمدون (٢٧٤) لاستنقاذ باجة ، لكن أيوب بن أبي يزيد بدد شمل جيشه ٠ وفي تلك الاثناء نجح القائم في دخول تونس واقصاء أبي يزيد عنها ، ففر الى القيروان ٠ في حين نجح علي بن حمدون في بسط نفوذ القائم على مدينتي تيجس وباغاية (٢٧٥) (٢٧٦) ٠

وكان لا بد لابي يزيد ليسترد هيبته ان يحرز نصرا كبيرا يعوضه عن هزائمه السابقة ، فأعد جيشا ضخما مزودا بالات الحصار والمنجنيقات ، فضلا عن ثمانين ألف فارس واتجه نحو سوسة في جمادي الآخرة سنة ٣٣٤ هـ (٩٤٧م) وضرب عليها الحصار (٢٧٧) ، دون جدوى ٠

المرحلة الثالثة :

دارت الحرب سجالا حول سوسة ٠ وفي تلك الاثناء توفي القائم في رمضان من نفس العام (٢٧٨) ٠ وتولى بعده ابنه اسماعيل الملقب بالمنصور٠ وكتم المنصور خبر وفاة والده ٠ ولم يغير شيئا من رسوم الخلافة كالسكة والخطة والبنود (٢٧٩) حتى لا يفت ذلك في عضد أتباعه ٠

وبادر المنصور بانفاذ جيشه واسطوله الى سوسة لفك الحصار عنها ٠

وبالفعل تمكن رجاله من هزيمة أبي يزيد واستباحة معسكره ، كما أبلى اهل سوسة في المعركة بلاء حسنا (٢٨٠) ٠

ونزل أبو يزيد القيروان ، فثار أهلها عليه وطردوه منها ، فلجأ الى سبيبة (٢٨١) ٠ وقدم المنصور الى القيروان وأجرى على أهلها الارزاق والعطايا (٢٨٢) ٠ ونشب قتال بين أبي يزيد والمنصور في أرباضها دارت الدائرة فيه على أبي يزيد في أواخر ذي القعدة سنة ٣٣٤هـ (٩٤٧م) غير أن أبا يزيد تمكن من الحاق عدة هزائم بجيوش المنصور ، وبعث بسراياه لقطع الاتصال بين المهدية والقيروان وسوسة ، فوعده المنصور بأن يسلم اليه آله وحرمه بالقيروان على ان يرحل عنها ، فأجابه الى ذلك ٠ لكنه أخلف وعده، فقاتله المنصور وهزمه في خامس المحرم من عام ٣٣٥هـ (٢٨٣) (٩٤٨م) ٠

وعقد المنصور العزم على استئصال شأفة الثوار ، فعبأ جيوشه والتحم معهم في معركة حاسمة في نهاية المحرم من نفس العام أجهز فيها على خيرة رجال أبي يزيد (٢٨٤) ، وانتهب معسكره ٠ وفر أبو يزيد تاركا أثقاله وأسلحته لا يلوي على شيء الى باغاية ٠ وتعقبه المنصور ، فاعتصم ببني برزال من النكار (٢٨٥) ٠ ومرض المنصور فاستقر بالمسيلة ، وقدم عليه زيري بن مناد فأغدق عليه (٢٨٦) ، كما وافاه محمد بن خزر الذي كان مواليا لابي يزيد، فأكرم وفادته ، وعهد اليهما باقتفاء أثر أبي يزيد (٢٨٧) ٠ وبانضمام صنهاجة وعجيسة الى المنصور قضى نهائيا على حركة أبي يزيد بالفشل (٢٨٨) ٠ فعول أبو يزيد على الهرب الى بلاد السودان لكن أتباعه منعوه من ذلك ، فتحصن بجبل كيانة (٢٨٩) ٠

وحاصر المنصور وزيري بن مناد الجبل وضيقا الخناق على النكار ، فتخلت هوارة عن أبي يزيد وانضمت الى المحاصرين ، وقتل كثيرون من النكار وأسر بعضهم ٠ وآوى أبو يزيد الى قلعة (٢٩٠) برأس الجبل تعصمه من الوقوع في يد عدوه ، لكن المنصور أضرم النيران في الشعراء المحيطة بها ٠ وحاول أبو يزيد الهرب ، فوقع مثخنا بالجراح في قبضة المنصور وظل بأسره حتى مات في المحرم سنة ٣٣٦هـ (٩٤٩م) متأثرا بجراحه ، ومثل المنصور بجثته وشهر بها (٢٩١) ٠ وأظهر اغتباطه لموت أبي يزيد فكتب الى سائر

عماله بالمغرب بأنباء انتصاره وانبرى الشعراء في امتداحه مهنئين بالقضاء على الثورة (٢٩٢) ٠

وحاول فضل بن أبي يزيد استنفار فلول الاباضية ـ وهبية ونكارا ـ لمناهضة المنصور ونجح بالفعل في جمع أخلاط شتى جعل على رأسهم معبد بن خزر الزناتي ٠ وبادر المنصور بانفاذ جيش قاده موليبه شفيع وقيصر، وجعل معهما زيري بن مناد ، فبددوا شمل الحشود الاباضية (٢٩٣) ، وهرب الفضل لائذا بمزاته ٠ ويبدو ان الاباضية الوهبية خذلوه في حروبه ٠ وألبو عليه مزاته أيضا فقاتلوه هو وأصحابه من النكار ٠ وقدموا رأسه قربانا للمنصور توددا اليه ، فأمنهم ، « وانطفأ ذكر الفضل والنكار » (٢٩٤) ٠ وأغدق المنصور على زعماء مزاته بالهدايا اعترافا بفضلهم (٢٩٥) ٠

وحاول أيوب بن أبي يزيد ـ الذي كان موفدا في سفارة من قبل والده الى الاندلس ـ رفع لواء الثورة على المنصور ، لكنه اغتيل على يد رؤساء مغراوة ايضا ، وتقربوا برأسه الى المنصور (٢٩٦) ٠

هكذا ـ أخفقت ثورة الاباضية الكبرى ، ولو قدر لها النجاح لاضحى زعيمها من مشاهير التاريخ (٢٩٧)٠ لقد وصل أبو يزيد الى أعتاب النجاح (٢٩٨) لكن عوامل شتى حالت دون تحقيقه ٠ فاستبسال صنهاجة وكتامة في الذود عن الكيان الفاطمي كان عاملا جوهريا وراء فشل الثوار في الاستيلاء على المهدية آخر معاقل الفاطميين (٢٩٩) ٠

ومن المحقق أن أبا يزيد اسهم بسياسته التي أثارت الشقاق بين أنصاره في هذا الفشل ، حقيقة انه نجح بدهائه في احتواء كافة العناصر الناقمة على الفاطميين وكسبهم الى جانبه ، لكنه لم يستطع الحفاظ على ولائهم لحركته بسبب تنافس هذه العناصر واطماعهم في الاستئثار بالسلطة بعد هزيمة الفاطميين ٠ فأعمل أبو يزيد الحيلة للتخلص من هذه القوى واحدة تلو الاخرى ليصفو له الجو ، فكانت النتيجة أن فارقته جميعا ، وتخلت عنه في وقت عصيب كان النصر فيه وشيكا ٠

ويتحامل المؤرخون جميعا اباضية وسنية وشيعة على الرجل ، ويعزون فشله الى فساد سيرته، وسوء سياسته ، ومروغه وزندقته ٠ فالورجلاني (٣٠٠)

يعزو اليه «خراب افريقية» ويتهمه بأنه « صنع فيها الاقاويل ، واحتال على أهلها الاباطيل » · وأبو زكريا (٣٠١) يصمه بفساد الخلق « فكان يبيت كل ليلة على أربعة أبكار » حسب زعمه والدرجيني (٣٠٢) يشبه وحشيته في حروبه ، « بما فعله نافع بن الازرق » « والفراعنة وملوك أهل الكفر · ومؤرخو السنة(٣٠٣) نسجوا من القصص حول هذه المعاني بما لا يقل عن مؤرخي الاباضية « لان مذهبه يستحل أهل السنة ونساءهم (٣٠٤) » · وبديهي ان يردد مؤرخو الشيعة نفس العبارات فهو في نظرهم سفاح « كان يعمل اكواما من رؤس المسلمين ويأمر المؤذنين بالاذان عليها (٣٠٥)» كما كان « يستبيح نساء المسلمين (٣٠٦) » أيضا ·

ولا يخامرنا شك في تجني تلك المصادر جميعا على أبي يزيد ، فحروب الاباضية في المغرب ـ عموما ـ انطوت على مثالية مفرطة في معاملة الخصوم· ونجد مصداقا لذلك في حروب أبي يزيد مما أورده أولئك المؤرخون انفسهم ، فحسبه وفاؤه بالعهود التي كان يقطعها على نفسه ببذل الامان لسكان المدن المفتوحة · ولم يلجأ الى أساليب القمع والبطش الا حين تمردت عليه هذه المدن وانضمت لخصومه · والدارس لشخصية أبي يزيد ونشأته وتربيته يلمس مقدار علمه وتفقهه وما انطوت عليه أخلاقه من شمائل حميدة · وحسبنا زهده وتعففه وارتدائه الثياب الخشنة وركوبه الحمار بدلا من الخيول المطهمة(٣٠٧)، ونعلم خروجه بدعوة الآمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاحتساب ، فضلا عن تقواه وورعه حتى كان من أهل التقية ، ولا غرو فقد عرف « بشيخ المؤمنين (٣٠٨) » · ما أصدق تورنو (٣٠٩) حين قال عنه « كان رجلا مدهشا صاحب دعوة كرس لها حياته ، واستطاع في سن الشيخوخة أن يصبح زعيما سياسيا نابها ، وقائدا عسكريا حاذقا ، وحاكما فذا · لقد كان أبو يزيد مثالا للرجل العظيم » ·

وعلى الرغم من فشل ثورة الاباضية الكبرى سنة ٣٣٦هـ (٩٤٩م) ، فقد خلفت آثارا بعيدة الغور في تاريخ المغرب السياسي · فبالقدر الذي هزت فيه النفوذ الفاطمي وهددت بزواله ، كان خروج الفاطميين من الصراع ظافرين عاملا هاما في دعم نفوذهم ببلاد المغرب ·

ومن ناحية أخرى نبهت ثورة أبي يزيد خلفاء الفاطميين الى ضرورة تغيير سياستهم في حكمهم بلاد المغرب تغييرا تاما (٣١٠) ، فشعروا بخطورة النتائج المترتبة على انتهاج سياسة التعصب المذهبي ، ومن ثم ، جنحوا بعد الثورة الى تطبيق « عقيدة التقية » الشيعية (٣١١) · فيخبرنا القاضي عبد الجبار (٣١٢) ان « اسماعيل المنصور الخليفة الفاطمي الثالث قد تظاهر بعد هزيمة ابي يزيد بالعودة الى الاسلام ، فقتل الدعاة ونفى بعضهم الى الاندلس والى بلاد أخرى · وقال للعامة ، من سمع منكم أحدا يسب النبي فليقتله ، وأنا من ورائه · وقرب اليه الفقهاء والمحدثين ، واستمع اليهم ·· كما خفض الضرائب وأظهر ولعا بالفقه » ·

وفيما يتعلق بمصير الاباضية في المغرب بعد فشل ثورتهم الكبرى ، فالثابت ان ثورة أبي يزيد تعد اخر الحركات الكبرى لاباضية المغرب ، وباخفاقها لم تقم لهم قائمة ذات شأن بعد ذلك فالاباضية الوهبية بجبل نفوسة حاولوا في عهد بني زيري معاودة الثورة ، وبايعوا أحد مشايخهم ويدعى أبو نوح سعيد ابن زنفيل بامامة الدفاع ، واتصلوا باخوانهم بوارجلان وافريقية ، وحاولوا الاستعانة بالخلافة الاموية في الاندلس ، دون جدوى · فقد أدرك أبو نوح « ان البلاد قد تغيرت والمرور قد تمكرت » واضطر الى طلب الامان من المنصور ابن بلكين فأمنه وأكرم وفادته (٣١٣) · واعتصمت فلولهم بجبل نفوسة وواحة وارجلان وبعض نواحي بلاد الجريد (٣١٤) · وعلى اثر غزو المرابطين لوارجلان هربوا في منتصف القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) الى وادي الميزاب ، كما تفرقوا الى بعض جهات مراكش وجبل دمر ـ شمال غربي جبل نفوسة ـ وظل قليل منهم بوارجلان (٣١٥) ·

أما النفاثية من زواغة ، فاستوطنوا جزيرة جربة ـ المواجهة لقابس ـ كما سكن بقايا الخلفية جبل نفوسة (٣١٦) · ولم يكن هناك ثمة رابطة بين هذه الجماعات ، فعاشت في شبه عزلة ، ولم تقم بعد بأدنى دور في تاريخ المغرب السياسي ·

أما النكار ، فعلى الرغم من خفوت صوتهم في الحياة السياسية في بلاد المغرب لم « تنقطع آثار دعوتهم » ـ كما ذهب ابن خلدون (٣١٧) ، فقد

ظل بنو برزال يدينون بمذهب النكار ويثيرون العراقيل في وجه بن زيري لصالح أموي الاندلس (٣١٨) • وتمركزت فلولهم بين طرابلس وقابس ، كما أقامت جماعات منهم بجبال بجاية وقسنطينة وما والاها ، فضلا عن بلاد الجريد، وقد وصفهم التجاني (٣١٩) ـ في القرن الثامن ـ بسوء الخلق وحدة الطباع •

أما الخوارج الصفرية ، فقد ذوى شأنهم نهائيا من بلاد المغرب في أواخر القرن الرابع الهجري (٣٢٠) •

وهكذا ـ لم يرضخ الخوارج للحكم الفاطمي بسقوط دوليتهما في سجلماسة وتاهرت سنة ٢٩٧هـ (٩٠٩م) وظلت ثوراتهم تقض مضاجع الفاطميين ابتداء من المهدي وانتهاء بالمعز ، وكادت احدى هذه الثورات أن تعصف بحكمهم نهائيا من بلاد المغرب • لكن فشل هذه الثورات أفضى في النهاية الى انتهاء دور الخوارج السياسي في بلاد المغرب الاسلامي ، ذلك الدور الذي وجه أحداث المغرب على مدار قرنين ونصف قرن من الزمان •

الباب الخامس

اثر الخوارج في المجتمع المغربي

انتهينا من ابراز دور الخوارج في الحياة السياسية في بلاد المغرب ٠ لكن أثرهم كان عميقا في المجتمع المغربي بجوانبه المتعددة ، من نواحي الفكر السياسي ونظم الحكم فضلا عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ٠

وليس من شك في أن الخوارج بفكرهم ومبادئهم الداعية الى الثـورة والمساواة أحدثوا نقلة هائلة في تاريخ المغرب نتج عنها تطور واضح في نظمه السياسية ، وازدهار الحياة الاقتصادية والثقافية فضلا عن تغيير كبير في مواقف القوى الاجتماعية ، وهو ما سنفصله فيما يلي :

أولا ــ الفكر السياسي ونظم الحكم :

لا شك أن نظرية الخوارج في الحكم أكثر نظريات الفرق الاسلامية ميلا الى الديمقراطية ، فعلى خلاف السنة الذين قصروا أحقية الامامة على قريش ، والشيعة الذين جعلوها في علي بن أبي طالب وأعقابه (١) ، أقر الخوارج مبدأ جواز امامة أي مسلم عالم بالكتاب والسنة (٢) ، وأوجبوا الغاءها اذا ما تحققت العدالة والمساواة (٣) ٠ ومن هذا نظر المحدثون الى (٤) فكر الخوارج السياسي باعتباره فكرا جمهوريا بالمفهوم الحديث ٠

ونعتقد ان تصارع الاحزاب الاسلامية حول الزعامة السياسية ، وما نتج عنه من فتن ومحن ألمت بالمسلمين ، زهد جماعة القراء الذين (٥) أصبحوا فيما بعد زعماء الخوارج في منصب الامامة على أساس انها سبب البلاء والنكبات التي حلت بالجماعة الاسلامية اثر مقتل عثمان · والواقع ان سماحة نظرية الخوارج في الحكم مستمدة من شدة تدينهم وحرصهم على مراعاة تعاليم الاسلام وما تدعو اليه من مساواة وعدالة · فقد ظهروا كفرقة سياسية دينية أثناء قضية التحكيم بين علي ومعاوية ، فأنكروا تحكيم الرجال ونادوا بأن « لا حكم الا لله (٦) » ، ورفضوا امامة علي ومعاوية ، وأنكروا احتكار قريش لها ودعوا الى الثورة على مخالفيهم باعتبارهم كفرة مارقين (٧) · وينفي هذا دعاوى البعض (٨) بأن فكر الخوارج السياسي محصلة ظروف اجتماعية كامنة في كونهم من بدو تميم الذين يقدسون الحياة القبلية ويرفضون الخضوع لسلطان الدولة السياسي · فلم يكن الخوارج جميعا من تميم ، وانما انتشر مذهبهم بين قبائل بكر وهمدان والازد وغيرها من القبائل العربية الاخرى(١٠) ففكر الخوارج السياسي اذن مصدره الدين وليس العصبية وهو ما عبر عنه ابن خلدون بقوله « ··· الخوارج المستميتين في شأن بدعتهم لم يكن ذلك لنزعة ملك ولا رياسة ولم يتم أمرهم لمزاحمتهم العصبية القومية » انما تولد عن « خلاف اجتهادي في مسائل دينية ظنية (١١) » متعلقة بالامامة ، ذلك هو ما أجمع عليه جمهرة من المحدثين الثقاة (١٢) · وكان الطابع الديني سمة مميزة لنشاط الخوارج ونظمهم السياسية في المشرق ، فقد التزموا بتعاليم المذهب في اختيار الائمة ، وجباية الاموال والجهاد ومعاملة الخصوم ·· الخ · كما كان التطرف الشديد من خصائص فكرهم السياسي ومن أسباب فشلهم ايضا حتى قيل بأن « سياستهم غير سياسية (١٣) » ، وليس أدل على ذلك من قولهم بالاستعراض ورفض التقية وتشددهم في قبول المهاجرة (١٤) ·· الخ ·

الا ان الطابع الديني وسمة التطرف في فكر الخوارج السياسي خفت حدتهما في أواخر القرن الاول الهجري · فاتخذت مبادئهم ـ طابعا عمليا وجنحت نحو الاعتدال · وظهر بشكل واضح في عقائد الاباضية والصفرية متمثلا في تجويز التقية (١٥) والتوسع في قبول المهاجرة عن طريق الدعوة

والتنظيم السياسي (١٦) ، فضلا عن معايشة الجماعة الاسلامية بترك فكرة تكفير المخالفين في المذهب (١٧) ٠

ووجد فكر الخوارج السياسي في شكله المتطور طريقه الى بلاد المغرب بانتشار مذهبي الاباضية والصفرية بين البربر في أوائل القرن الثاني الهجري ٠ والتزم خوارج المغرب بتطبيق تعاليم المذهب حتى السبعينات من القرن الثاني الهجري فيما قاموا به من نشاط سياسي وما أقروه من نظم في الحكم والادارة ٠ اذ كانت تعاليم الخوارج تحض على « الثورة على أئمة الجور (١٨) » ، وتدعو أنصار المذهب الى العمل لاقامة « امامة الظهور » (١٩)٠ اذا ما توافر ما يوجب التولية من العدة والعدد من الرجال (٢٠) ، لذلك شرع خوارج المغرب في « المجاهرة بالعمل (٢١) » وأعلنوا الثورة على ولاة المغرب طوال نصف قرن من الزمان ٠

وتجلى التزام خوارج المغرب بفكرهم السياسي في عدة مظاهر ، فقد اختار الصفرية ميسرة اماما لا لانه رئيس مطغرة وانما لعلمه وفقهه وسابقته (٢٢) ٠ ولم يقم ميسرة بثورته الا بعد وقوفه على مسئولية الخلافة عن مفاسد عمالها في المغرب (٢٣) وتيقنه من ان خلفاء بني أمية « أئمة جور » ٠ وضمت الحركة عناصر مستضعفة من غير البربر كالافارقة (٢٤) تطبيقا لمبدأ اللاعنصرية وخلع الصفرية ميسرة لما أخل بشروط الامامة « وتغير عما كانوا بايعوه عليه (٢٥) » ٠

ولعل من أهم آثار فكر الخوارج السياسي في المجتمع المغربي تطبيق مبدأ وجود امامين في وقت واحد فقد تولى الحارث بن تليد وعبد الجبار بن قيس المرادي امامة الاباضية في طرابلس سنة ١٣٢هـ (٧٥٠م) أحدهما للصلاة والاخر للحرب (٢٦) على غرار المحكمة الاولى حين اقتسم المنصبين عبد الله بن وهب الراسبي وحرقوص بن زهير ٠ وفي احتكام امامي الاباضية الى السيف حين دب الخلاف بينهما حتى قتل كل منهما الاخر ـ لو صحت رواية البرادي (٢٧) ـ ما يذكر بخلافات زعماء الخوارج في المشرق لاسباب فقهية ٠ وفي انقسام جماعة المذهب بالمغرب واقتتالهم بسبب ما نسج حول الحادث من قضايا فلسفية وفقهية (٢٨) ما يؤكد اثر الفكر السياسي للخوارج في نشاطهم

ببلاد المغرب • ومن مظاهر ذلك ايضا اجماع الاباضية على امامة أبي الخطاب عبد الاعلى بن السمح سنة ١٤٠هـ (٧٥٧م) على الرغم من كونه عربيا (٢٩)، وثوراتهم كانت ضد الحكم العربي ، وقد حرص أبو الخطاب على مراعاة أصول المذهب فيما استنه من نظم ادارية ومالية ، واسترشد في ذلك بمشورة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة شيخ فقهاء المذهب بالبصرة (٣٠) •

ونعتقد أن فكر الخوارج السياسي قد تأثر بنظرية الشيعة عن الامامة الظاهرة والامامة المستترة فقد فرق فقهاء المذهب (٣١) الاباضي بين امامة الدفاع وامامة الظهور • اذ حينما يتعرض الخوارج لمحن سياسية ، يختارون اماما في الخفاء تكون مهمته جمع شمل الانصار وتسيير أمورهم والفصل في قضاياهم واعداد العدة للظهور اذا ما واتت الظروف وانقشعت المحنة • هذا هو ما حدث بعد مقتل أبي الخطاب عبد الاعلى بن السمح سنة ١٤٢ هـ (٧٥٩م) وتعرض الخوارج لبطش الجند العباسي فاختاروا أبا حاتم الملزوزي اماما للدفاع في الوقت الذي كان فيه عبد الرحمن بن رستم يعد العدة لامامة الظهور (٣٢) • وتكرر الامر بعد سقوط دولة بني رستم ، وتنكيل الفاطميين بالخوارج فاجتمع الاباضية في نفوسة على أبي يحيى الارجاني وبايعوه بامامة الدفاع على أمل أن يلتئم شمل أنصار المذهب في بلاد المغرب فيقيموا امامة الظهور (٣٣) •

وظهر أثر فكر الخوارج السياسي فيما قام به الصفرية والاباضية من ثورات وما خاضوه من حروب التزموا فيها جميعا بتعاليم المذهب • فالخوارج الصفرية في المغرب كانوا يقتدون بأهل النهروان « في التحكيم ورفع المصاحف وحلق الرؤوس (٣٤) » في حروبهم • ونظرا لتطرف مبادئهم في معاملة الخصوم (٣٥) ، اتسمت حروبهم بالعنف والقسوة (٣٦) ، فكانوا يقتلون الأطفال والولدان ، ويستحلون سبي النساء والذراري (٣٧) • اما الاباضيةمنفكانوا أقرب الى المثالية سواء في خوض الحروب أو معاملة الخصوم، فكانوا لا يشهرون الحرب على أعدائهم الا بعد اعلامهم وأخذ الحجة عليهم ، ولم يتبعوا المدبر أو يجهزوا على الجرحى ، كما لم يخربوا الزروع ولم يهدموا سوى الحصون والاسوار • وتعففوا عن الغنائم من غير السلاح والعتاد ، ولم

يفتلوا الاطفال أو يسبوا الذراري ، تمسكا بتعاليم المذهب (٣٨) ٠

يظهر ذلك من حروب الحارث وعبد الجبار في طرابلس (٣٩) ، ومعاملة أبي الخطاب عبد الاعلى بن السمح للقيروانيين (٤٠) ، ومعاهدة أبي حاتم الملزوزي مع جميل بن صخر (٤١) ٠

وظل التزام خوارج المغرب بعقائد المذهب في سياساتهم ونظمهم خلال السنوات الاولى من حكم أئمة بني مدرار بسجلماسة وبني رستم بتاهرت ، اذ طغت تعاليم المذهب على دوافع العصبية والعنصرية (٤٢) ٠

فالخوارج الصفرية بايعوا عيسى بن يزيد الاسود من موالي العرب ، بالامامة سنة ١٤٠هـ (٤٣) (٧٥٧م) انطلاقا من مبدأ جواز تولية غير العرب من المسلمين ، وفي انشاء سجلماسة ما ينم على بروز العامل الديني المذهبي، اذ شيدت لتكون « مجمعا للخوارج الصفرية (٤٤) » من سائر العناصر وكافة العصبيات المغربية ٠ ونفس الشيء يقال عن الاباضية ، فقد بايعوا عبد الرحمن ابن رستم بالامامة ـ وهو من الفرس ـ لفضله وعلمه وسابقته وكفاءته وسلامة حواسه وأعضائه (٤٥) ٠ لقد بويع ابن رستم اماما للدفاع سنة ١٤٤ هـ (٧٦١م) على اثر مقتل أبي الخطاب ـ في المغرب الاوسط في نفس الوقت الذي كان فيه أبو حاتم الملزوزي اماما للدفاع أيضا في طرابلس وجبل نفوسة (٤٦) ٠ اذ ان الفقه الاباضي يجوز بيعة امامين في وقت واحد « ما وجد بين حوزتيهما عدو يخشى بأسه ، أو لشقة البعد بينهما (٤٧) » ٠ ولم يحل ذلك دون تعاونهما لاقامة امامة الظهور التي تقلدها ابن رستم سنة ١٦٢هـ (٧٧٩م) ، فقد كان أبو حاتم يبعث الى عبد الرحمن بزكاة أمواله (٤٨) ٠ وبيعة ابن رستم الثانية تمت بموافقة « أهل الحل والعقد » من مشايخ المذهبواجماع حمهور الاباضية (٤٩) ، ووفقا لشروط الامامة العامة في الفقه الاسلامي (٥٠) ٠

وكما أسست سجلماسة لتكون « مقرا للخوارج الصفرية » أقيمت تاهرت لتكون « حصنا وحرزا للمذهب الاباضي » (٥١) الذي كانت تعاليمه مرعية في سياسة الدولة ونظمها في عهد عبد الرحمن بن رستم حتى أطلق عليها بعض الدارسين (٥٢) « مملكة الله » ٠

والواقع انه ليست لدينا معلومات عن النظم الادارية والمالية في سجلماسة ، لكن المصادر حفلت باشارات عن نظم الدولة الرستمية • ويتضح منها ان عبد الرحمن بن رستم راعى تعاليم المذهب الاباضي في سياسته الداخلية • لقد استفاد عبد الرحمن من خبرة الفرس في هذا الصدد (٥٣)، لكنه لم يسمح لهم بأي تفوق سياسي أو تمييز اجتماعي في دولته (٥٤) فكان يختار عماله وقضاته وأصحاب شرطته ومحتسبيه ممن يثق في عملهم وصلاحيتهم • وكان نظام الجباية والصدقات ونواحي انفاقها كل ذلك يجري حسب شرائع المذهب ووفقا لتعاليمه • وليس أدل على ذلك من قول ابن الصغير (٥٥) المالكي « ••• وقضاته مختارة وبيوت أمواله ممتلئة ، وأصحاب شرطته والطائفون به قائمون بما يجب ، وأهل الصدقة على صدقاتهم يخرجون في أوان الطعام فيقبضون أعشارهم في هلال كل •••• (هكذا بالاصل) من أهل الشاة والبعير ويقبضون ما يجب على أهل الصدقات لا يظلمون ولا يظلمون • فاذا حضر جميع ذلك صرف الطعام الى الفقراء وبيعت الشاة والبعير ، فاذا صارت أموالا ، دفع منها الى العمال بقدر ما يستحقون على عملهم ، ثم نظر في باقي سائر المال ، فاذا عرف مبلغه ، أمر باحصاء من في البلد وفيما حول البلد ، ثم أمر باحصاء الفقراء والمساكين فاذا علم عددهم أمر باحصاء ما في الاهراء من الطعام • ثم أمر بجميع ما بقي من مال الصدقة فاشترى منه أكسية صوفا وجبابا صوفا وفراء وزيتا • ثم دفع في كل أهل بيت بقدر ذلك ، ويؤثر بأكثر ذلك أهل الفاقة من مذهبه • ثم ينظر الى ما اجتمع من مال الجزية وخراج الارضين وما أشبه ذلك فيقطع لنفسه وحشمه وقضاته وأصحاب شرطته والقائمين بأموره ما يكفيهم من سنتهم ، ثم ان فضل، صرفه في مصالح المسلمين » •

وفي تصرف عبد الرحمن بن رستم في الاموال التي بعثها اليه خوارج المشرق مع بعثتهم الاولى اليه ، واجتماعه برؤساء القبائل وشيوخ المذهب في المسجد الجامع وانفاقه هذه الاموال وفقا لنصيحة أهل الرأي منهم « ثلث في الكراع وثلث في السلاح وثلث في فقراء المسلمين (٥٦) » ما يقيم الدليل على مراعاته تعاليم المذهب في سياسته الداخلية • ولا غرو فقد حظي حكمه برضى

الشراة في المغرب وشيوخ المذهب في المشرق فوصلوه بكتبهم ووصاياهم (٥٧)».

على ان خوارج المغرب لم يلتزموا بالفكر السياسي عند الخوارج ، ولم يراعوا تعاليم المذهب وشرائعه بعد حكم مؤسسي دوليتهما في سجلماسة وتاهرت . ففي سجلماسة برزت النعرات العنصرية والعصبيات وتحكمت في مقاليد الحكم ونظم الادارة . اذ ان الامامة تحولت الى ملك وراثي احتكرته قبيلة مكناسة في أسرة بني مدرار (٥٨) بعد صراع مع زنوج السودان وتنحية عيسى بن يزيد الاسود وقتله سنة ١٥٥هـ (٥٩) (٧٧٢م) . ومنذ ذلك الحين درج أمراء البيت المدراري على انتهاك تعاليم المذهب وتقاليد الامامة ، حتى ان احدهم خلع نفسه ليظفر أحد أبنائه بالحكم كيدا في ابنه الاخر (٦٠). وبلغ الخروج على المذهب مداه بتولية الاطفال والنساء مقاليد الحكم ، فقد تولى المنتصر سمكو بن محمد الحكم سنة ٣٣٢هـ (٩٤٥م) ولم يتجاوز الثالثة عشرة سنة من عمره تحت وصاية جدته (٦١) . ولعل مما يؤكد تحول الامامة في سجلماسة الى ملك وراثي اتخاذ امراء سجلماسة ألقابا على غرار العباسيين كالمنتصر والمعتز ، وتخليهم عن حياة الزهد والبساطة التي اتسم بها أئمة الخوارج واقبالهم على حياة البذخ والثراء واقتناء الاموال (٦٢) والتشبه بالملوك والامراء .

وقد حدث في تاهرت بعد موت عبد الرحمن بن رستم نفس ما حدث في سجلماسة بعد مقتل عيسى بن يزيد الاسود ، اذ تحولت الامامة الى ملك وراثي (٦٣) ، واتخذ الائمة الوزراء والحجاب (٦٤) . وغدت وظائف الدولة حكرا على عصبيات بعينها استأثرت بها من دون العناصر الاخرى .

والمصادر الاباضية (٦٥) تحاول اظهار شرعية امامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، وانه « أجمع عليه أهل الشورى ، ثم بويع بعد ذلك بيعة عامة لم يتخلف عنها أحد » التزاما بنصيحة والده الذي أشار قبل موته بجعل الامامة شورى بين سبعة أشخاص (٦٦) يختارون الاصلح من بينهم على غرار ما فعله عمر بن الخطاب .

والواقع ان اختيار عبد الوهاب لم يكن على سنة ما فعله عمر بن الخطاب، ذلك ان عمرا أوصى قبل موته بأن يكون ابنه عبد الله حكما في مجلس الشورى

دون ان يكون له أحقية تقلد الخلافة • اما عبد الوهاب فقد اختير للامامة قسرا، ذلك ان رأي أهل الشورى كان في جانب مسعود الاندلسي ، فقد مال «الاكثرون والعامة الى تولية مسعود وبادروا الى مبايعته (٦٧)» لكن تعصب بني يفرن وحرصهم على اختيار عبد الوهاب أفضى الى تنصيبه • ذلك ان أم عبد الوهاب كانت يفرنية ، واستطاع أبو قدامة اليفرني أن يحول جماعة الشورى عن مسعود الاندلسي ليجعل الامامة من نصيب عبد الوهاب • وما تسوقه المصادر (٦٨) الاباضية من تبرير عدم اختيار مسعود الاندلسي بأنه اختفى زهدا في الامامة وهربا من مهامها ، أمر غير مقبول وقد أثار تنصيب عبد الوهاب حفيظة الجانب المتشدد في جماعة الشورى والذي مثله يزيد بن فندين، اذ اعتبر تولية عبد الوهاب انتهاكا لتعاليم المذهب وخروجا على سنن السلف• وبذلك لم يجمع جماعة الشورى على امامة عبد الوهاب « لان الاجماع الذي هو شرط الامامة معناه اتفاق مجتهدي الامة » كما تنص تعاليم المذهب الاباضي (٦٩) وقد مثل جماعة ابن فندين الذين عرفوا بالنكار الفرقة المحافظة على تعاليم المذهب والملتزمة حدوده ، فنادوا بوجوب جماعة يسترشد الامام برأيها ولا يقطع أمرا الا بمشورتها • وبذلك تكون الامامة « مشروطة (٧٠) » كما نادوا بضرورة مراعاة أصول المذهب في اختيار الولاة والعمال ، وأنكروا احتكار الفرس ونفوسة لوظائف الدولة (٧١) ودعوا لاختصاص أهل الخبرة والحصافة بها من بين جمهور الاباضية دونما تفرقة أو تمييز عملا بشرائع المذهب (٧٢)• وكان انتصار الامام عبد الوهاب على جماعة النكار يعني التغلب على الطابع الديني في نظم الحكم الرستمية ، وتحول الامامة الى سلطة مركزية أشبه ما تكون بالملكية المطلقة •

فقد آلت الامامة الى أفلح بن عبد الوهاب بعد وفاة أبيه تلقائيا • وقد حاول مؤرخو الاباضية (٧٣) تبرير ذلك ، فذهبوا الى ان أهل الحل والعقد بادروا بتنصيب أفلح اثر موت والده مخافة خطر العدو المتربص بتاهرت • وجدير بالتنويه أنهم لم يذكروا شيئا عن هذا العدو المزعوم أكثر من انه مقيم بجبال تاهرت والواقع ان جماعة النكار التي كانت تسكن تلك الجبال كانت قد تشتت شملها وعادت فلولها الى مواطنها الاولى منذ عهد عبد الوهاب • كما لم يحدث في اخر سني حكمه سوى تمرد خلف بن السمح الذي لم يكن خطرا مباشرا

على مركز الامامة في تاهرت ذلك ان حركته اقتصرت على نواحي طرابلس وجبل نفوسة ٠ وقد فات هؤلاء المؤرخون ان عبد الوهاب عقد ولاية العهد لافلح قبل وفاته ٠ وعقب انتصاره على بدو هوارة حيث قال « لقد استحق أفلح الامامة » وبعدها « انقطع اليه المنقطعون ودارت الحوائج والعطاء من تحت يديه » (٧٤) كما كان أفلح صاحب السلطة في تاهرت أثناء غياب والده بجبل نفوسة وصراعه مع الاغالبة حول طرابلس ، الامر الذي يؤكد ثبوت مبدأ التوريث في الامامة الرستمية ٠

كما جرى أفلح على سنة والده في « استعمال العمال والجباية ومطالب بيت المال (٧٥) » مما أثار حفيظة الفقهاء فثاروا بقيادة نفاث بن نصر لانتهاك الامام رسوم الامامة وتقاليدها (٧٦) ٠ الا ان أفلح أرغم ــ امام ظهور خطر القبائل والعصبيات ــ على التراجع في سياسته ، وعاد الى تطبيق مبدأ اللامركزية والمساواة ، فأخذ بنصائح أهل الرأي والمشورة من شيوخ القبائل في تعيين الولاة والعمال (٧٧) ، كما ألزم عماله ضرورة مراعاة فقه المذهب في نظام الجباية في نفس الوقت الذي أتاح لهم فيه مزيدا من السلطات داخل عمالاتهم (٧٨) ٠ يتضح ذلك من رسالة له لاحد عماله جاء فيها « واما ما ذكرته من ان أجعل لك سبيلا وأطلق يدك ، وان الحاضر يرى ما لايراه الغائب ، فلعمري انه لكذلك ٠ ولكن ليس في هذا (يقصد الخراج) ، انما هي أسهم جعلها الله وأوقفها ، وهي وسخ أموال الناس وليس لنا فيها قضاء ولا زيادة ولا نقصان ولا أمر ولا نهي الا على قدر الاجتهاد (٧٩) » ٠ فاتباع أفلح هذه السياسة لا يرجع الى حرص منه على مراعاة تعاليم المذهب ، بقدر اضطراره الى الاخذ بالتقاليد والاعراف البدوية ٠

ومن مظاهر ذلك اضطراره الى تعيين محكم الهواري قاضيا على الرغم من « انه نشأ في بادية ولا يعرف لذي القدر قدره ولا لذي الشرف شرفه (٨٠) »٠ وكان رؤساء القبائل هم الذين « أنزلوه في الدار المعروفة بدار القضاء ،وأجروا عليه من بيت المال قوته (٨٢) » ٠

لقد أخذت الامامة الرستمية منذ ذلك الحين توفق بين مطالب الحكم وبين الاعراف البدوية والتقاليد الفارسية وتعاليم الطوائف المذهبية المختلفة

في تاهرت • ويمكن الاثر الفارسي في الاصرار على مبدأ الوراثة والاخذ بالنظم والرسوم الفارسية في الحكم والادارة • فبعد موت أفلح بن عبد الوهاب آلت الامامة الى ابنه أبي بكر رغم اعتراض الفقهاء (٨٣) ، وليس كما يذهب النفوسي (٨٤) بأنه اختير نتيجة اجماع أهل الحل والعقد من رؤساء القبائل والعصبيات وشيوخ المذهب • كما تولى أبو حاتم يوسف الامامة بعد أن عهد والده اليه بولاية العهد (٨٥) • ومن مظاهر التأثر بالتقاليد الفارسية ايضا تعويل أئمة بني رستم على اتخاذ الكتاب والحجاب والحراس ، فضلا عن نظم السجلات واستخدام الخاتم وغيره من النظم التي تأثرت بالتقاليد الفارسية في الادارة (٨٦) •

ثم ازداد اثر الطوائف غير الاباضية في أواخر عصر بني رستم • فاضطر أبو اليقظان محمد الى الانتقاص من سلطات بعض القبائل التي كانت تستأثر بالمناصب العامة وجعلها مشاعا بين كافة الفرق والطوائف من غير الاباضية ، كما اتخذ مجلسا للمشورة يضم الى جانب شيوخ القبائل واعلام المذهب الاباضي ، كثيرين من الكوفيين والمالكية والواصلية (٨٧) • ولا شك ان سلطان هذه الطوائف قد زاد ابان امامة يعقوب بن أفلح الذي تولاها بفضل رؤساء تلك الطوائف وخاصة الكوفيين (٨٨) • كما اضطر أبو حاتم يوسف الى اشراك كافة رؤساء الفرق في الحكم « اباضية وغير اباضية (٨٩) » •

ومع ذلك لم تجد سياسة الرستميين الاواخر في التوفيق بين مطالب الحكم وبين مصالح القوى المختلفة في تاهرت في تحقيق الاستقرار السياسي، اذ ان القبائل البدوية طمعت في تولي السلطة ، وقدر لها ان تحقق هدفها بنجاح محمد بن مسالة الهواري في اغتصاب الحكم في تاهرت مدة ثمانية أعوام (٩٠) • كذلك تربص الفرس للاستيلاء على الحكم ابان الصراع بين الامام أبي بكر بن أفلح وبين الجند والعرب ، لكن خاب أملهم (٩١) • ولا يخفى دور الفرق والطوائف غير الاباضية في احداث تاهرت في العصر الرستمي الاخير من اجل « تبييت خبر الاباضية (٩٢) » •

ووقف الرستميون مكتوفي الايدي أحيانا امام هذه المؤامرات ، اذ لم يكن للامامة جيش ثابت يتصدى لتلك المشكلات • ويذهب بل (٩٣) الى ان

افتقار بني رستم الى مثل هذا الجيش يعزى الى « انشغال الائمة بالمسائل العلمية والفقهية ، وميلهم للمسالمة وزهدهم في اثارة الحروب » • والواقع ان السبب الحقيقي يكمن في استحالة تكوين جيش موحد في ظل عصبيات وعناصر مختلفة ومتناحرة « فكان لكل قبيلة رجالها وخيلها وسلاحها وكراعها (٩٤) »• لذلك كان « الاجناد هم بطانة السلطان وأولاده وحشمه (٩٥) » فضلا عن حلفائه من القبائل وخاصة نفوسة التي كانت موالية للامامة وتوافي الائمة بالامداد في أوقات الخطر والازمات (٩٦) •

ثم تضاءل نفوذ اتباع الائمة من « الرستمية والسمحية (٩٧) » وانهارت قوة نفوسة بعد موقعة مانو سنة ٢٦٩هـ (٨٨٣م) التي قضى فيها الاغالبة على خيرة الجند النفوسي فأصبحت الامامة الرستمية لعبة في يد القوى المتنازعة في تاهرت •

وبسبب افتقار أئمة بني رستم الى جيش ثابت التجأوا الى وسائل مختلفة لمواجهة الثورات الداخلية ولو كان ذلك خروجا على الفكر الاباضي • فقد درجوا على اصدار نداءات الى الرعية يدعون فيها الى الكف عن الفتن والتزام « سنة السلف الصالح » في نفس الوقت الذي كانوا فيه ينتهكون تعاليم المذهب ويخرجون على سنة أسلافهم من أقطابه • فعبد الوهاب بن عبد الرحمن ابن رستم رغم التزامه بمبدأ الوراثة في الحكم لنفسه ولابنائه من بعده بعث نداء الى أهل جبل نفوسة وناحية طرابلس يحضهم فيه على « تقوى الله والاتباع لما أمر به (٩٨) » وحرم عليهم ما استحل لنفسه ونهاهم عن طاعة خلف بن السمح الذي خلف والده في ولاية تلك النواحي • وأفلح بن عبد الوهاب اقتفى اثر والده حين ثار عليه نفاث بن نصر لخروجه عن تعاليم الاباضية ، فكتب خطابا الى « سائر المسلمين في شأن نفاث » يخاطبهم فيه بقوله : « ••• وانتم محقوقون باتباع آثار سلفكم والسلوك على منهاجهم ، وان تفعلوا بهذا التائه المتخبط ما كان يفعله سلفكم بمن كان قبله (٩٩) » • كذلك كان شأن محمد بن أفلح الذي وجه نداء الى رعاياه يحضهم فيه على « اتباع الماضين من السلف والمتقدمين من الائمة الصالحين من أهل الدعوة (١٠٠) » •

وضرب بنو رستم صفحاً عن جوهر التعاليم الاباضية التي تدعو الى « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » ولجأوا الى الاساليب السياسية الملتوية كالتجسس وبذل الرشاوي والخداع فضلا عن الاغتيال السياسي • فعبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم حين أعيته الحيل في قمع ثورة خلف بن السمح بث عيونه وجواسيسه للوقيعة بين خلف وأتباعه (١٠١) ، كما بعث سرا الى بعض رجال خلف يؤلبهم عليه ويمنيهم بالاموال والضياع (١٠٢) • وأخذ ابنه أفلح من بعده بمبدأ « فرق تسد » فأرشى ما بين كل قبيلة ومجاورها (١٠٣) وألقى موجبات التخالف بين كل مقدم وأتباعه • وبث الجواسيس بطرق سياسية وتدبيرات باطنية كفته مئونة القتال (١٠٤) • وعول الرستميون الاواخر على « استعمال الدرهم والدينار بدل الرمح والسنان (١٠٥) » في كسب الانصار ومواجهة الخصوم • وشاع الاغتيال كسياسة جديدة اتبعها بنو رستم للتخلص من مناوئيهم واستشرى هذا الداء ولم يسلم منه بعض أفراد البيت الرستمي نفسه • فقد اغتال أبو بكر بن أفلح محمد بن عرفة صهره وساعده في ادارة شئون دولته وسط سخط الفقهاء وتبرمهم (١٠٦) ، كما لقي أبو حاتم يوسف بن محمد حتفه على أيدي بعض المتآمرين من أفراد أسرته من أجل الوصول الى الحكم (١٠٧) •

وهكذا اختفى ــ تقريبا ــ أي اثر لفكر الاباضية في نظم الحكم الرستمية بعد موت عبد الرحمن بن رستم (١٠٨) مؤسس الدولة ، وتحولت الامامة الاباضية الى ملك وراثي غلب عليه الطابع البدوي ، وتأثر بالتقاليد الفارسية ، وتعاليم الفرق والمذاهب الاخرى غير الاباضية •

ومع ذلك ، فقد ترك الخوارج آثارا واضحة في الفكر السياسي ونظم الحكم ببلاد المغرب ، خاصة في الفترة ما بين أواخر القرن الاول الهجري ومنتصف القرن الثاني الهجري •

ثانيا : الحياة الاقتصادية :

أخذت الخوارج آثارا بعيدة المدى في أحوال بلاد المغرب الاقتصادية • والشائع ان هذه الاثار كانت سيئة للغاية ، اذ تمخض عنها خراب وركود

وكساد في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة . غير ان مسئولية الخوارج في هذا الصدد مبالغ فيها ، ذلك ان أحوال المغرب الاقتصادية كانت سيئة منذ حكم البيزنطيين ، وزادت سوءا نتيجة استنزاف طاقاته وموارده في الحروب الطويلة التي استغرقتها الفتوح العربية وما ارتبط بها من ثورات ضد الفاتحين، كتلك التي قام بها كسيلة والكاهنة ، وما تمخض عن هذه الثورات من تخريب المزارع ، واحراق الاشجار ، فضلا عما أزهق فيها من أرواح (١٠٩) ، مما زاد في تفاقم أحوال البلاد الاقتصادية .

وليس من شك في أن سياسة بعض عمال بني أمية في المغرب زادت الامر سوءا (١١٠) ، فقد أرهقوا الاهلين بالمغارم والجبايات ، وحفلوا باشباع نهم الخلفاء في دمشق ، وأهملوا سبل الاصلاح الاقتصادي . وحسبنا ان البربر اعتنقوا مذهب الخوارج لتخليصهم من جور بني أمية وسوء سياستهم الاقتصادية (١١١) .

غير ان ثورات الخوارج زادت ـ دون شك ـ في تفاقم الازمات الاقتصادية ، اذ استمرت قرابة نصف قرن من الزمان أرهقت خلاله خزائن الولاة برواتب الجند وأعطياتهم (١١٢) . وخربت المزارع والمناجم ، وكسدت التجارة وتهددت الطرق بالاخطار .

ومن الانصاف ان نذكر ان مسئولية الولاة في هذا الصدد لا تقل عن مسئولية الخوارج ، وان الصفرية من دون الاباضية (١١٣) أسهموا بنصيب كبير فيما حل بالبلاد من تخريب ، فقد درجوا في حروبهم على نهب الاموال واحراق المزارع والضياع . وليس أدل على ذلك من تخريب الزروع على مسيرة يومين من طنجة أثناء حصارهم لبلج بن بشر ورجاله بطنجة سنة ١٢٣هـ (١١٤) (٧٤١م) وفظائعهم بالقيروان سنة ١٣٩هـ (٧٥٦م) سبق التنويه بها .

الا ان ثورات الخوارج عموما ـ صفرية واباضية ، استنزفت جهود الولاة ومواردهم المالية ، فقد أنفقوا الكثير على اعداد الجيوش ومضاعفة الاعطيات لمواجهة هذه الثورات (١١٥) . كما أسفرت عن هدم العمائر والاسوار

مما جشم الولاة عناء ترميمها أو اعادة بنائها • وفضلا عن ذلك فقد أزهقت أعدادا من البشر أجمع المؤرخون على كثرتها ، وما كان يحدث من أمراض وأوبئة أودت بحياة الكثيرين نتيجة تعفن جثث القتلى (١١٦) وأدى ذلك كله الى حدوث الازمات والمجاعات (١١٧) حتى ألف الناس أكل الاعشاب والدواب والكلاب (١١٨) وخاصة أثناء عمليات الحصار الطويل (١١٩) •

وليس أدل على سوء أحوال بلاد المغرب الاقتصادية آنذاك من استعانة ولاة المغرب بأموال مصر لمواجهة خطر الخوارج ، فكانت ترد اليهم اعانة سنوية قدرها مائة الف دينار (١٢٠) • ومع ذلك لم يكن بوسعهم القيام بأعباء الحكم والنهوض بأحوال البلاد الاقتصادية ، واقتصرت جهودهم على النواحي العسكرية كبناء الاسوار واقامة الحصون والقلاع (١٢١) • وغني عن البيان انه لم يقدر لولاة القيروان الاهتمام بالنواحي الاقتصادية الا بعد ضعف شوكة الخوارج ، فلم نسمع عن جهود لهم في هذا الصدد الا في عهد محمد بن الاشعث أول من قمع حركات الخوارج في العصر العباسي ، لكن الازدهار الاقتصادي الذي أحدثه لم يستمر طويلا (١٢٢) اذ سرعان ما اندلعت ثورات الخوارج بعد رحيله الى المشرق •

وتتضح الآثار السيئة لثورات الخوارج على أحوال المغرب الاقتصادية من جهود يزيد بن حاتم في مواجهة المجاعات والازمات الاقتصادية ، فقد اهتم بزراعة الاراضي وجعل غلتها مباحة للناس (١٢٣) ، كما كانت مراعيه الخاصة ومراعي أسرته تقدم ذبائح الابل والغنم للرعية (١٢٤) • واليه يرجع الفضل في الاهتمام بالحرف والصناعات واقامة الاسواق وتنسيقها (١٢٥) للخروج بالبلاد من الكبوة الاقتصادية التي أحدثتها ثورات الخوارج • لكن هذه الجهود الكبيرة لم تحقق للبلاد النهضة الاقتصادية المرجوة ، وحسبنا على ذلك دليلا ان كثيرين من ولاة القيروان من بعده كانوا يعجزون عن دفع رواتب الجند وأعطياتهم (١٢٦) •

لقد كان التدهور الاقتصادي اذن يعزى الى الاضطراب السياسي ممثلا في ثورات الخوارج فلما انتهت تلك الثورات واستقرت أحوال بلاد المغرب

السياسية بقيام الدول المستقلة ، قدر للبلاد أن تشهد ازدهارا ملموسا في كافة النواحي الاقتصادية · ونحن في غنى عن رصد هذا الازدهار الاقتصادي في دولتي الاغالبة والادارسة ، انما نقرر ان هذا الازدهار شمل ايضا دولتي الخوارج الصفرية والاباضية ·

لقد قامت دولتي الخوارج في مناطق صحراوية ، ومع ذلك واكب قيامها ازدهارا في الزراعة والصناعة ورواجا في التجارة · ففي مجال الزراعة استفاد بنو مدرار من مياه نهر ملوية (١٢٧) في تحويل البقعة التي أقاموا فيها عاصمتهم الى سهل فيضي (١٢٨) حفروا فيها الخلجان وشقوا القنوات لتوصيل المياه الى مساحة واسعة (١٢٩) قسموها الى حياض « تشبه حياض البساتين (١٣٠) » ، ومهدوها للزراعة · واستكثروا من الغروس فزرعوا أشجار النخيل والاعناب (١٣١) على مساحة بلغت أربعين ميلا (١٣٢) · فاشتهرت سجلماسة لذلك بوفرة كرومها وفاكهتها (١٣٣) ·

وفضلا عن ذلك ، فقد زرعوا سائر المحاصيل « حسب زروع مصر » « وربما زرعوا سنة عن بذر وحصدوا مراع من زرعه ، وتواترت الشقوق بالمياه ، فكلما أغدقت الارض سنة في عقب اخرى ، حصدوا الى سبع سنين بسنبل لا يشبه سنبل الحنطة ولا الشعير ، بحب صلب المكسر لذيذ المطعم ، وخلقه ما بين القمح والشعير (١٣٤) » ·

واشتهرت سجلماسة الى جانب ذلك بالحنطة والشعير والقطن والكمون والكراوية وغيرها (١٣٥) ، حتى لقد وصفها الادريسي (١٣٦) بأنها « كثيرة الخضر والنبات » ولا شك ان اعدادا هائلة من البربر في سجلماسة تحولوا الى مزارعين (١٣٧) وان بقي بعضهم على حرفة رعي الماشية والابقار (١٣٨) ·

كما اهتم أئمة بني رستم بالزراعة أيضا ، فاختاروا موقع عاصمتهم في مكان « جيد الهواء كثير المياه ، خصب الارض » (١٣٩) · وقد توافرت المياه لاقليم تاهرت لوقوعه بين نهرين هما مينة وتاتش يصبان في وادي شلف(١٤٠) فضلا عن مياه الامطار التي اشتهرت بها تاهرت حتى صارت مضرب الامثال (١٤١) · وقد عني الرستميون بالاستفادة من هذه المياه فشقوا القنوات

وأقاموا الطواحين على الانهار (١٤٢) فزرعوا الكتان والسمسم وسائر الحبوب على اختلافها ، الى جانب غرس الاشجار واقامة البساتين على مساحات رحبة (١٤٣) ، حتى عرفت تاهرت بأنها « بلخ المغرب » (١٤٤) • كما ازدهرت الزراعة ايضا في واحة وارجلان اعتمادا على مياه الابار ، فاشتهرت بأشجار النخيل والزيتون والحبوب (١٤٥) • اما الزراعة في جبل نفوسة ، فقامت على مياه الامطار ، لكن رعي الاغنام والماشية كانت الحرفة السائدة بين سكانه (١٤٦) • كما اشتهرت الدولة الرستمية بمراعيها الواسعة وكانت تاهرت منتجعا للقبائل الرعوية في شمال الصحراء (١٤٧) • ولكثرة مراعيها وصفها ابن حوقل (١٤٨) بأنها « أحد معادن الدواب والماشية والغنم والبغال والبراذين » •

وقيام دولتي الخوارج في سجلماسة وتاهرت واحتوائهما عناصر غير مغربية كاليهود والاندلسيين والفرس والعرب المشارقة ، ووفرة المناجم والمحاجر ، ساعد على ارتقاء الصناعات واستغلال المناجم في دولتي الخوارج• فقد اشتهرت دولة بني مدرار بوفرة مناجمها وخاصة في درعة الغنية بمعدني الذهب والفضة (١٤٩) • وأحسن اليهود استغلال تلك المناجم (١٥٠) ، كما ان امراء بني مدرار حرصوا على الافادة منها في دعم دولتهم « واقامة المصانع والقصور (١٥١) » •

ويخيل الينا ان الاندلسيين المقيمين بسجلماسة لعبوا دورا واضحا في هذا الصدد ، اذ كانت طوائف منهم تحتكر حرف الحدادة والصناعات المرتبطة بأعمال البناء (١٥٢) ، وقد شاركهم اليهود هذه المهن في العصر الفاطمي (١٥٣) وعرفت سجلماسة في عهد بني مدرار بصناعة الثياب والازر الصوفية حتى كانت تضارع مثيلاتها المصرية كما يقول البكري (١٥٤) • هذا الى جانب الصناعات الاخرى كصناعة السكر وتكرير الملح (١٥٥) ، والاحذية (١٥٦) •

واستفاد بنو رستم من خبرة الفرس ، فاشتهرت تاهرت بالمنسوجات الصوفية والكتانية والحريرية ، والقوارير الزجاجية وأواني الخزف البراقة ، والتحف المعدنية والعطور (١٥٧) • وكانوا يصكون النقود من الذهب المجلوب من بلاد السودان (١٥٨) ، وان كنا نفتقر الى وجود عملات رستمية كتلك التي

خلفها بنو مدرار . وقد استعاض بنو رستم عن كثير من السلع المصنوعة باستيرادها من بلاد الاندلس (١٥٩) .

أما الدور البارز الذي لعبه الخوارج في حياة المغرب الاقتصادية ، فكان في مجال التجارة ، اذ قامت الدولتين المدرارية والرستمية بدور الوسيط في التجارة عبر الصحراء شرقا وغربا وشمالا وجنوبا . فلم تحل العلاقات السياسية غير الودية بين دولتي الخوارج وبين أعدائهم السياسيين والمذهبيين دون استمرار الصلات التجارية مع سائر دول المغرب والاندلس فضلا عن المشرق الاسلامي وبلاد السودان .

فكانت القوافل تأتي من بغداد والبصرة الى بلاد المغرب مارة بالانبار وهيت والرقة وحران والرها وتل موزن وحلب ودمشق وطبرية والرملة والفسطاط والاسكندرية ، ومنها الى برقة ثم الى الدولة الرستمية ودولة بني مدرار (١٦٠) . كما كان الطريق البحري بين موانيء دولة بني مدرار على ساحل الاطلنطي وبين موانيء الاندلس كاشبيلية وشاطبة (١٦١) غاصا بالسفن بين الدولتين . اما دولة بني رستم فكان اتصالها بالاندلس عن طريق ميناء مرسى فروخ (١٦٢) على البحر المتوسط الذي يواجه موانيء شاطبة وتدمير ومرسى أقلة الاندلسية (١٦٣) .

لذلك ربطت دولتا الخوارج بين دول المشرق والمغرب والاندلس وبين افريقية جنوبي الصحراء عن طريق منافذها المنتشرة على حافة الصحراء والتي تعتبر محطات لرحيل القوافل الى بلاد السودان . فكانت سجلماسة همزة الوصل بين بلاد المغرب والاندلس وبين بلاد السودان الغربي ، كما قامت الدولة الرستمية بنفس الدور بين هذه البلاد وبين السودان الاوسط .

فعلى الرغم من سوء العلاقات السياسية بين تاهرت وسجلماسة وبين بغداد والقيروان وفاس ، فان قوافل التجار المشارقة كانت تجتاز بلاد المغرب الى سجلماسة التي غصت بالعراقيين من بغداد والكوفة والبصرة ، وكانت هذه القوافل تحمل سلع المشرق الى بلاد المغرب وتعود محملة بالمتاجر السودانية في صحبة أهل سجلماسة (١٦٤) . كذلك فقد أقام بتاهرت طائفة من التجار العراقيين وكان لهم مساجدهم ومنازلهم وفنادقهم وأسواقهم الخاصة (١٦٥) .

وقد اهتم أئمة بني رستم بتجارة الشرق ، فشاركوا فيها ، وأشرفوا عليها بأنفسهم • وأولوا التجار رعايتهم ، وكفلوا لهم الحماية والامان (١٦٦) •

وتوطدت الصلات التجارية بين القيروان وسجلماسة وتاهرت ، فكانت القوافل تخرج من تاهرت الى القيروان مارة بهاز والمسيلة وأدنة وطبنة وباغاية ومجانة ومرماجنة وسببية (١٦٧) • ومن سجلماسة كانت القوافل تخرج الى تاهرت ومنها الى القيروان ، والمسافة بين سجلماسة وتاهرت تقرب من خمسين مرحلة ، وبينها وبين القيروان تبلغ نحوا من ثمانين مرحلة (١٦٨)• وعلى ذلك فقد كان فستق قفصة يباع في أسواق سجلماسة (١٦٩) ، كما لاقت سلع سجلماسة كالسكر والكمون والكراوية والاحذية رواجا في أسواق القيروان (١٧٠) • ووفدت السلع السودانية الى دولة الاغالبة عن طريق تاهرت وسجلماسة • ولا غرو فقد وفدت الى تاهرت جموع غفيرة من تجار القيروان حيث حظوا بحرية المتاجرة في أسواقها (١٧١) • وكان عدل الائمة الرستميين ، وترحيبهم بالتجار وشهرة تاهرت التجارية مما حبب كثيرين من هؤلاء التجار في الاقامة بتاهرت (١٧٢) ولم تعدم وجود صلات تجارية بين دولتي الخوارج والادارسة ، حقيقة ان العلاقات التجارية بين تاهرت وفاس كانت في نطاق محدود ، لكن المصادر (١٧٣) تشير الى انتظام القوافل بين سجلماسة وفاس • فالطريق كان ممهدا بين المدينتين ، ويبدأ من فاس الى صفروي فقلعة مهدي ، فتادلة ، فوادي شعب الصفا ، ثم يمر عبر الجبل الكبير الى الجنوب حيث توجد سجلماسة • وكانت القوافل ترتاد هذا الطريق، فتخرج من باب الغوارة بفاس الى مدينة سجلماسة (١٧٤) ، حيث تتوافر الزروع والمياه ، وقد وفد كثيرون من صفرية فاس الى سجلماسة عاصمة صفرية المغرب طلبا للعلم والتجارة (١٧٥) • كما كان للتجار المدراريين نشاط واسع في أسواق مدينة فاس (١٧٦) •

وكان طبيعيا أن تتوثق الصلات التجارية بين دولتي الخوارج والدولة الاموية بالاندلس لما كان بين الطرفين من علاقات سياسية ودية • وحسبنا ان غلال سجلماسة وتاهرت كانت تسهم في حل الازمات الاقتصادية بالاندلس (١٧٧) • وقد تبادل بنو مدرار مع أموي الاندلس السلع والمتاجر،

فكان المدراريون يصدرون القمح والسكر والكروم والتمر (١٧٨) في مقابل الثياب والمطرزات القطنية والكتانية والحريرية التي اشتهرت بها قرطبة(١٧٩)٠ هذا فضلا عن التسهيلات الواسعة التي قدمها حكام تاهرت وسجلماسة لتجار الاندلس اثناء رحلاتهم الى بلاد السودان (١٨٠) ٠ وكثيرا ما آثر بعض التجار والحرفيين الاندلسيين الاقامة في تاهرت والعمل في أسواقها وحوانيتها (١٨١) بينما كان البعض الاخر يعمل في نقل المتاجر بين الدولتين ، اذ في مقابل القمح الذي كان يصدر الى قرطبة استورد الرستميون كثيرا من السلع والامتعة المصنوعة في بلاد الاندلس (١٨٢) ٠

اما عن تجارة الخوارج مع بلاد السودان ، فقد شكلت حجر الزاوية في نشاطهم الاقتصادي ٠ وجدير بالذكر ان شعوب السودان كانوا أخلاطا شتى من العناصر الزنجية القاطنة بين البحر الاحمر شرقا والبحر المحيط غربا (١٨٣) وبين المناطق الصحراوية أو شبه الصحراوية في الشمال وبين نطاقات الغابات الاستوائية في الجنوب (١٨٤) ٠ ويمكن التمييز بين هذه العناصر ، فمن الشرق الى الغرب توجد شعوب النوبة ـ جنوبي مصر ـ ثم زغاوة وصوصو وكوكو ـ بالسودان الاوسط (١٨٥) ـ اما السودان الغربي ، فقد سكنه شعب التكرور وأهل غانة ٠ أما شعب التكرور فقد استوطن ضفتي السنغال ، بينما كان شعب غانة يتكون من عناصر متعددة فعلى طول الضفة اليسرى لنهر النيجر نزل شعب سنغي ، وبين السنغي والتكرور تقع ديار الشعوب المتكلمة بلغة الماندي ، وبين السنغي في الشمال ونطاق الغابات في الجنوب عاش أجداد الشعوب المتكلمة بلغة الجور حاليا (١٨٦) ٠ ويصف صاعد الاندلسي (١٨٧) هذه الشعوب بالفوضى والهمجية على الرغم من وجود سياسة ملوكية تضبطهم وناموس الهي يحكمهم ٠ فقد كانت هذه الشعوب تعيش في شكل جماعات يرأسها أكبر الرجال سنا ، ولكل منها كهنوته وطواطمه (١٨٨) اذ كانوا « على المجوسية وعبادة الدكاكير (١٨٩) » ٠

تقع مواطن هذه الشعوب بمحاذاة الصحراء الكبرى ، ويفصلها عن بلاد البربر سلسلة من الفواصل الجبلية تتخللها بعض المفاوز التي تعد وسيلة الاتصال الوحيدة بينها وبين بلاد المغرب (١٩٠) ٠ ومن الطبيعي أن تتدعم العلاقات بين البربر والسودان بقيام دولة بني مدرار في سجلماسة٠ وبديهي

ان تتوطد صلاتها خاصة ببلاد التكرور وغانة المعروفة ببلاد السودان الغربي (١٩١) • وحسبنا ان عناصر سودانية أسهمت في اقامة هذه الدولة وتصدت لزعامتها حتى كان أول أمرائها سودانيا يدعى عيسى بن يزيد • واستقرت هذه العناصر في سجلماسة ، وكان لهم حصن خاص بهم يعرف « بحصن السودان (١٩٢) » • ولا شك في أنهم ساعدوا على توثق الصلة بين وطنهم الام وموطنهم الجديد ، فكانت سجلماسة حلقة اتصال بين بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي (١٩٣) • وجدير بالذكر ان القوافل كانت تقطع الطريق بين سجلماسة وغانة في زمن يتراوح بين شهرين (١٩٤) أو ثلاثة (١٩٥) وكان بربر زويلة ومسوفة وجدالة يصحبون هذه القوافل (١٩٦) بين سجلماسة وسائر بلاد السودان الغربي عبر المفاوز والقفار (١٩٧) • ومن المعروف ان درعة كانت مركز خروج القوافل من دولة بني مدرار (١٩٨) ، بينما عرفت « ايو الاتن » بأنها أولى المراكز السودانية التي تنزلها هذه القوافل (١٩٩) •

وقد عقد بنو رستم الصلات مع شعوب السودان جميعا ابتداء من زغاوة (الكانم) شرقا حتى ساحل غانة غربا ، لكن هذه العلاقات توطدت بشكل أساسي مع شعوب السودان الاوسط وخاصة مع الكانم • وساعد الامتداد العريض للدولة الرستمية على تعدد الطرق والمسالك الى بلاد السودان (٢٠٠)، فلم يعدم الرستميون وجود مدن عديدة متناثرة على حدودها الجنوبية كزالة (٢٠١) ووارجلان (٢٠٢) أو أوجله (٢٠٣) وغدامس وزويلة (٢٠٤)، كانت مراكز لانطلاق القوافل الى هذه البلاد •

وزالة مدينة صغيرة تقع على عشرة مراحل غربي وارجلان ، أهلها من هوارة ، وهي معروفة بأسواقها العامرة (٢٠٥) • وكانت مدخل القوافل الى ساحل غانة فيما عرف « بمملكة الدمدم (٢٠٦) » أما وارجلان فمدينة صغيرة كلها متحضرة ، اشتهرت بوفرة نخيلها وغلاتها ، وغصت بالاسواق والتجار ، ومنها توجه التجار الى بلاد كوكو (٢٠٧) والتكرور (٢٠٨) وغانة (٢٠٩) • وغدامس ، بلد كبير كثير النخيل أيضا ، أهلها من الملثمين كلمتنونة ومسوفة ، وهي محطة للعبور الى بلاد السودان الاوسط حيث يربطها طريق ممهد ببلدة تادمكة (٢١٠) • وكانت زويلة مركزا للتجارة مع بلاد

الكانم ، واشتهرت بتجارة الرقيق حيث غصت أسواقها بالعبيد الزوانجيين (٢١١) .

من هذه المنافذ أو الموانيء الداخلية - ان صح القول - خرجت قوافل المدراريين والرستميين الى بلاد السودان محملة بالملح والنحاس والودع (٢١٢) لتعود بالذهب والابنوس وسن الفيل والجلود الشركية ، فضلا عن الرقيق الاسود (٢١٣) والى سجلماسة وتاهرت ومنهما كانت تفد القوافل وتخرج محملة بتلك السلع الى المشرق وسائر دول المغرب والاندلس (٢١٤) .

وجدير بالذكر ان أئمة بني رستم شاركوا رعاياهم هذا الدور « فكان عبد الوهاب في أيام أبيه تاجرا (٢١٥) » ، وكانت قوافله تسافر الى بلاد كوكو (٢١٦) . ولدينا من الروايات ما يؤكد اشتغال أفلح بن عبد الوهاب وأبي اليقظان محمد بن أفلح (٢١٧) وأبي حاتم يوسف بن محمد (٢١٨) بالتجارة كذلك . كما رحب أئمة بني رستم وعمالهم بتجار السودان ، ففتحوا لهم الاسواق وأحسنوا معاملتهم ، وقدموا لهم التسهيلات التجارية ، فأعفوا بضائعهم وسلعهم من الضرائب والرسوم (٢١٩) . وعامل حكام السودان الرعايا الرستميين بالمثل ، فرحبوا بسفارات الائمة وكفلوا الامان للتجار .

ويحدثنا ابن الصغير (٢٢٠) ان الامام أفلح أوفد سفارة من قبله الى أحد ملوك السودان ، وبعث اليه بالهدايا السنية حفاظا على مصالحه التجارية .

هذه الصلات التجارية دعمت علاقات المودة ووشائج الصداقة بين الطرفين ، فكان رعاياهم يختلطون ببعضهم البعض ، ووجدت أقليات لكل منهما في بلاد الاخر (٢٢١) ، ويرجح لويسكي (٢٢٢) وجود جماعات من السودان بجبل نفوسة في القرن الثاني الهجري اعتمادا على نص أورده الشماخي ذهب فيه الى أن كثيرين من أهل الجبل أجادوا لغة الكانم .

ولا غرابة اذا ما أدركنا تسامح الخوارج مع أعدائهم السياسيين والمذهبيين ، وترحيبهم بالغرباء في بلادهم . وليس أدل على ذلك من وجود طوائف اليهود في سجلماسة وتاهرت . ففي دولة بني مدرار احتكر اليهود استغلال مناجم الفضة والذهب في درعة (٢٢٣) ، وفي تاهرت عاش الرهادنة

في أحيائهم الخاصة ـ الجيتو ـ وهيمنوا على كثير من مناشط التجارة (٢٢٤) ولا غرو فقد ذكر ابن الصغير (٢٢٥) ان عاصمتي دولتي الخوارج غصتا بجموع التجار من سائر أرجاء العالم الاسلامي على اختلاف مللهم ونحلهم ٠

ولا شك في أن الخوارج جنوا أطيب الثمار من التجارة ، فيخبرنا ابن حوقل (٢٢٦) ان اهل سجلماسة « حققوا ثراء عريضا بزوابة سائر أهل المغرب » ٠ ولا غرو ، فقد كانت معاملاتهم التجارية تصل الى آلاف الدنانير (٢٢٧) ٠ كما ذكر ابن الصغير (٢٢٨) ان سكان تاهرت « علت وجوههم سبيماء الحضارة والرفاهية ، وبدت من محياهم آثار النعمة والغنى »٠ وليس أدل على هذا الازدهار الاقتصادي من طيب العملة التي صكتها أئمة الخوارج وجودتها (٢٢٩) ، مما يؤكد ان الخوارج وان تسببوا في تفاقم أزمات بلاد المغرب الاقتصادية في عصر الثورات فانه يعزى الفضل اليهم في انعاش أحوالها الاقتصادية في عصر الاستقرار السياسي ٠

على ان سقوط دولتي الخوارج على أيدي الفاطميين سنة ٢٩٧ هـ (٩٠٩م) ، واندلاع ثورات الخوارج من جديد ضد الحكم الفاطمي أصاب الازدهار الاقتصادي الذي شهدته البلاد ٠ وتفاقمت الاحوال وازدادت سوءا بسياسة العسف الاقتصادي التي اتبعها الفاطميون ٠ فقد انسابت جيوش أبي عبد الله الشيعي في تاهرت بعد فتحها « وأهلكت الحرث والنسل (٢٣٠) »٠ ولما سقطت سجلماسة نهب الفاطميون أهلها واستولوا على أموال بني مدرار (٢٣١) ، ثم أضرموا فيها النيران (٢٣٢) ٠ وفرض عمال الفاطميون سياسة مالية جائرة على البلاد التي فتحوها ، « فاستولوا على أموال الاحباس والحصون (٢٣٣) » ، واشتطوا في فرض المغارم والجبايات (٢٣٤) ، فأثقلوا صفرية درعة بالاعباء ، كما لقي أباضية نفوسة عنتا شديدا وأرغموا على دفع الاموال الباهظة والرشاوي لعمال القيروان (٢٣٥) ٠

وكانت سياسة العسف الاقتصادي تلك من أسباب اندلاع ثورات الخوارج على الفاطميين ٠ ولا شك ان هذه الثورات استنزفت جهود الطرفين معا ، ونتج عنها مزيد من تخريب الطرق واحراق المزارع وتدمير المدن الى جانب ازهاق الارواح والدماء مما تسبب في حدوث المجاعات وانتشار الاوبئة ٠

التي أدت الى تفاقم الازمات الاقتصادية ٠

لكن ثورات الخوارج ـ برغم فشلها ـ أجبرت الفاطميين على التخلي عن سياستهم الاقتصادية الجائرة ، فخففوا الضرائب والجبايات (٢٣٦) « وجنحوا الى الاعتدال في حكم المغاربة ٠

وهكذا أثر الخوارج في أحوال بلاد المغرب الاقتصادية تأثيرا عميقا ، فبسببهم تفاقمت هذه الاحوال وازدادت سوءا في عصر الثورات ، وبفضلهم ازدهرت كافة النواحي الاقتصادية في عصر الاستقرار السياسي ٠

ثالثا ـ الحياة الاجتماعية :

ترك الخوارج آثارا هامة في كيان المجتمع المغربي ، وأحدثوا تطورات واضحة في مواقف قواه الاجتماعية ، ذلك لان فكر الخوارج السياسي قوامه المساواة بين كافة العناصر والاجناس دون تفرقة أو تمايز ٠ وانتشار مذهب الخوارج في بلاد المغرب في النصف الاول من القرن الثاني الهجري أحدث انقلابا في موازين القوى الاجتماعية ببلاد المغرب ، إذ هوت بعض العناصر التي كانت تحتكر السلطة السياسية ، وصعدت عناصر كانت مغلوبة على أمرها لتقف على قدم المساواة مع القوى الاخرى ، ونالت حظها في بعض الأحيان في قيادة الثورات وتولي مقاليد الحكم والسياسة ٠

لقد كان المجتمع المغربي قبيل انتشار مذهب الخوارج مجتمعا متمايزا غير متجانس وكانت قواه وعناصره في صراع طائفي وعنصري دائم ، فالعرب تمتعوا بوضع ممتاز نتيجة احتكارهم شئون الحكم وهيمنتهم على السلطة ٠ ومع ذلك دب الشقاق والصراع على الصدارة بين العرب اليمنية والعرب القيسية (٢٣٧) ـ مما أضعف العنصر العربي عموما في أواخر العصر الاموي٠

اما البربر ـ سكان البلاد الاصليين ـ فعلى الرغم من انهم يمثلون السواد الاعظم من السكان لم يكن لهم وزن كبير في الحياة السياسية ٠ ورغم ما كان بينهم وبين العرب من عداء لم يسلموا من آفة النعرات والخصومات القبلية كالصراع بين « بربر الوبر » و « بربر المدر » ، أي بين عنصري البتر

والبرانس ، وهو صراع قديم متوارث ظل قائما طوال العصر الاسلامي ٠

الى جانب العرب والبربر وجدت ببلاد المغرب أقليات ضئيلة من الافارقة والسودان واليهود ولم يكن لتلك الاقليات كبير وزن في الحياة السياسية في عصر السيادة الاموية والتعصب للعرب ٠ فالافارقة أصلا من البربر الذين اختلطوا بالروم واعتنقوا ديانتهم ، أو من الاجانب الذين طال استيطانهم في بلاد المغرب حتى أصبحوا « أفارقة » ٠ وقد اعتنق هؤلاء وأولئك الاسلام على أمل الاحتفاظ بمكانتهم الاجتماعية المتميزة التي تمتعوا بها في العصر البيزنطي، لكن بعض ولاة بني أمية اضطهدوهم وعاملوهم معاملة الموالي (٢٣٨) ٠

أما السودان ، فكانوا يجلبون من افريقية جنوبي الصحراء عن طريق الغزوات العربية لاطراف بلادهم ، أو يجلبون كرقيق عن طريق التجارة (٢٣٩)٠ وقد اختلط كثيرون منهم بالبربر ، واعتنق بعضهم الاسلام ٠

وكانت ببلاد المغرب أعداد غفيرة من اليهود هاجروا اليها في العصر الروماني وظل هؤلاء يعيشون عيشة العزلة عن المجتمع المغربي وشكلوا أقلية كان لها دور كبير في النشاط الاقتصادي ٠ واذا كانوا قد تمتعوا بالحرية الدينية بعد الفتح الاسلامي باعتبارهم أهل ذمة ، فقد تعرضوا لكثير من مظالم الولاة الامويين (٢٤٠) ٠

لقد كانت ثورات الخوارج في المغرب تمثل في جانبها الاجتماعي صراعا بين العرب والبربر بسبب سياسة بني أمية في التعصب للعنصر العربي ،ولهذا حرص ثوار الخوارج على « الفتك بأمر العرب » (٢٤١) عموما ، والقرشيين منهم بوجه خاص (٢٤٢) ٠ ولعل في قول هشام بن عبد الملك عقب هزيمة العرب في موقعة الاشراف سنة ١٢٣ هـ (٧٤١م) « والله لاغضبن غضبة عربية (٢٤٣) » مشيرا الى ذلك الطابع الاجتماعي للصراع ٠

والذي نؤكده ان هذا الصراع تمخض عن اضعاف شوكة العرب ، فقد قتل كثيرون منهم في معارك الاشراف « التي فني فيها حماة العرب وفرسانها وكماتها وأبطالها (٢٤٤) » ، وبقدورة التي كان فيها مصير الجيش العربي «بين ثلث مقتول، وثلث منهزم ، وثلث مأسور (٢٤٥)» والقيروان سنة ١٣٩هـ (٧٥١م) التي أجهز فيها على كل من بالمدينة من القرشيين (٢٤٦)٠

ثم كان سقوط الخلافة الاموية وقيام الدولة العباسية سنـــة ١٣٢ هـ (٧٥٠م) واعتماد العباسيين على الجند الخراساني والفارسي في مواجهـة ثورات الخوارج في البلاد (٢٤٧) اذ الثابت ان اعدادا كبيرة من الجند الفارسي والخراساني وفدت الى بلاد المغرب في حملات محمد ابن الاشعث سنة ١٤٢هـ (٧٥٩م) ويزيد بن حاتم سنة ١٥٤هـ(٧٧١م) وهرثمة بن أعين سنة ١٧٩ هـ (٧٩٥م) • وقد نافس هؤلاء الجند العرب مكان الصدارة •

أما البربر فان اعتناقهم مذهب الخوارج ، ساعد على توحيد شملهم تحت لواء واحد فقد جمعتهم جميعا بترا وبرانس مبادىء الخوارج التي تحض على العدل والمساواة • واختفت الى حين ــ نزعات الخصومة والتناحر بين بربـر الوبر وبربر المدر • واشتركوا جنبا الى جنب في الثورة على العرب (٢٤٨) • وقيام دولتي الخوارج أكد هذه الوحدة للبربر فدولة بني مدرار ضمت صفرية المغرب من البتر والبرانس على السواء ، وتكاتفت مكناسة وزناته من البتـر مع صنهاجة وزويلة ومسوفة ولمتونة من البرانس على تأسيسها (٢٤٩) •

والدولة الرستمية عاشت في كنفها قبائل هوارة ولواتة ومكناســة ومزاته ولماية وغيرها (٢٥٠) •

كما أدى انتشار مذهب الخوارج الى ظهور عنصري الافارقة والسودان بعد ان كانا على هامش الحياة السياسية من قبل ، فاعتناق الافارقة للمذهب الصفري ، أهل زعيمهم عبد الاعلى بـن جريج لتولـي حكـم طنجة مـن قبـل ميسرة (٢٥١) • وتغلغل المذهب ذاته بين السودان أفضى الى تقلد زعيمهـم عيسى بن يزيد الاسود رئاسة دولة بني مدرار سنة ١٤٠ هـ (٢٥٢) (٧٥٧م)•

وقد أدى قيام دولة الخوارج المستقلة في بلاد المغرب الى انشاء مــدن اسهمت في تحقيق الاستقرار الاجتماعي والبشري (٢٥٣) • ففي واحة تافيللت أسس الصفرية سجلماسة سنة ١٤٠هـ (٢٥٤) (٧٥٧م) وأخذت المدينـــة الصغيرة • التي لم تكن عند نشأتها سوى «مجمع للصفرية» ــ تتسع ويزداد عمرانها شيئا فشيئا• اذ أقبلت القبائل علـى سكناهـا ، فبنت الضواحـــي والارياض (٢٥٥) ، واعتادت حياة الاستقرار • وترك معظمها حرفة الرعي الى الاشتغال بالزراعة والصناعة والتجارة • وأدى ذلك الى عمران اقليم تافيللت

بعد ان كان يعاني نقصا في السكان ٠ فقد جذبت المدينة الجديدة بطون مكناسة الضاربة في وادي ملوية (٢٥٦) ونواحي تازا وتسول بالمغرب الاقصى (٢٥٧) فهجروا مواطنهم واستقروا بها٠ كما وفدت اليها بطون من صنهاجة اللثـــام من مسوفة ولمتونة (٢٥٨) وزويلة (٢٥٩) وغيرها ٠ كذلك نزحت جماعات من بلاد السودان لتسهم في عمران الاقليم وتقيم فيه بصفة دائمة ٠ وقد أعزى ازدهار المدينة بعض العناصر الاندلسية ، فهجرت بلادها ، وأقامت بسجلماسة ايضا (٢٦٠) ٠ ونظرا لاهمية موقعها كمركز تجاري ممتـــاز ، ولوفـــرة مناجم الذهب والفضة باقليم تافيللت ، فقد قصدها جماعات من اليهود طمعا فـــي الثراء ، وطلبا للامن والاستقرار (٢٦١) ٠

ولا شك ان هجرة القبائل الى سجلماسة أدى الى تحولها من حياةالبداوة الى حياة الاستقرار وغير الكثير من مظاهر حياتها الاجتماعية ومن عاداتهـــا وتقاليدها (٢٦٢) نتيجةاختلاطها بعناصر أخرى وافدة كالسودانوالاندلسيين٠

وقيام الدولة الرستمية سنة ١٦٢ هـ (٧٧٩م) كانت له اثاره الاجتماعية في حياة سكان بلاد المغرب الاوسط ، فقد تحول اقليم تاهرت من غابـــات وغياض وآجام للوحوش والزواحف (٢٦٣) الى مدينة عامرة آهلـــة بالسكـــان مزدانة بالعمائر والزروع ٠ كما تحولت غدامس وورجلان وودان وزويلة من مجرد قرى مغمورة على حافة الصحراء الى منافذ وثغور داخلية آهلة بالحركة والنشاط بفضل تجارة بني رستم من بلاد السودان (٢٦٤) ٠ وترتب علـــى ذلك انتقال السكان من حياة البداوة والترحال الى حياة الحضارة والاستقرار٠ فقبائل هوارة ومزاته ولواته وسدراته ولمايـــة أنفت معظـــم بطونهـــا احتراف الرعي وأقدمت على الاشتغال بالزراعة والتجارة ، وتركت مواطنها الاصليـــة لتستقر بتاهرت وما حولها « واتخذت العبير والخيول ونالها من الكبر ما نال أهل المدينة (٢٦٥) » ٠ وما لبثت ان تطلعت الى السلطة فشاركت في الفتـــن والثورات على أئمة بني رستم ، وقدر لبعضها الظفر بالحكم كما حدثبالنسبة لمحمد بن مسالة الهواري (٢٦٦) ٠

ولما كان أئمة بني رستم من الفرس ، فقـــد جذبت تـــاهرت كثيـــرا من العناصر الفارسية حيث شكلوا قوة اجتماعية لها وزنها حتى كانوا أشبهبدولة

داخل الدولة . « وليس أدل على نفوذهم من ان زعيمهم بنأ سوقا » لم يكن صاحب شرطة الامام أفلح ليجرأ على دخوله او يتخلله ، هيبة وخوفا (٢٦٧).

هذا وقد احتوت دولة بني رستم جماعات كبيرة من العرب نزحوا الى تاهرت لشهرتها التجارية . او فرارا من الاضطهاد المذهبي ، أو هربا من أفريقية بعد فشل ثوراتهم على الامارة الاغلبية (٢٦٨) . وكان لهم دورا بارزا في احداث الدولة الرستمية في عصرها الاوسط . الامر الذي أثر تأثيرا عميقا في حياة المجتمع الرستمي . ونعتقد ان العناصر الاباضية الوافدة لعبت دورا بارزا في هذا الشأن باعتبارها اكثر حضارة ورقيا من القبائل البدوية سكان البلاد الاصليين ومن مظاهر ذلك تحول البلاط الرستمي عن حياة الزهد والتقشف الى حياة الترف والدعة . لقد كان عبد الرحمن بن رستم - أول أئمة بني رستم - ورعا زاهدا ، فبيته لم يكن به الا « حصيرا فوقه جلد ووسادة ينام عليها ، وسيفه ورمحه . وفرس مربوط في ناحية من داره » (٢٦٩) . اما خلفاؤه فقد عاشوا حياة خلفاء المشرق وملوك الفرس ، فامتلكوا القصور والضياع والمنازل والحصون التي أقاموها بنواحي تسلونت خارج تاهرت (٢٧٠) ، واقتنوا الجواري والغلمان (٢٧١) والعبيد والحشم (٢٧٢) . وكان لخيولهم وخدمهم وعبيدهم منازل خاصة بحصن تماليت خارج المدينة (٢٧٣) . وانصرف معظم الرستميين الى حياة الترف والدعة والولع بالفنون والاداب (٢٧٤) . كما تطرق الفساد الى «الرستمية» فكانوا يخالطون العيارين والشطار ، وينادمون الفتيان، ويعتدون على الحرائر (٢٧٥) .

كما تشبه بنو رستم بالمشارقة في أقامة الاسمطة « والجفان» لاطعام الفقراء ايام الاعياد والمناسبات الهامة (٢٧٦) . فكانت تقام الاحتفالات التي يحضرها وفود من كافة انحاء الدولة ، وكان عمال الامام ورؤساء القبائل ينزلون في «دار الضيافة» ، وينصرفون الى عمالاتهم او الى مضاربهم بعد ا ن تجري عليهم الارزاق وتوزع عليهم الهدايا والالطاف (٢٧٧) .

وفضلا عن ذلك فان اختلاط البربر بالعناصر الوافدة كان له حسناته كما كان له مساوئه أيضا ، فقد أقام البربر في ظل الحكم الرستمي « قصورا منظمة وأبنية مبهجة وقبابا مرتفعة ، وأسواقا مزدحمة ، ومساجد متعددة

بمنارات عالية ، وحمامات متقنة ، واتخذوا الفرش والستائر المزخرفة والخيل المسومة ، وتنوعت الالبسة وتعددت اللغات والازياء (٢٧٨) ·· » يقابل ذلك تحلل المجتمع الرستمي وتفشي الرذائل فيه « فقد ظهر المنكر ، وكثر الفسق وشرب الخمر (٢٧٩) » · وهو ما عبر عنه ابن الصغير (٢٨٠) بقوله « فسد البلد وفسد أهلها ·· فاتخذوا للمسكر أسواقا والغلمان أخدانا » · وعجت الطرق بمناسر اللصوص وخاصة « من سفهاء زناتة (٢٨١) » · وهذا هو الذي أثار ثائرة فقهاء المذهب فتبرموا بهذه المفاسد واظهروا سخطهم عليها(٢٨٢)

وجدير بالذكر أن من أهم آثار الخوارج في المجتمع المغربي بروز المرأة، فكما اشتهرت بعض نساء الخوارج في الشرق ــ كغزالة أم شبيب بن يزيد الشيباني (٢٨٣) · في فنون السياسة والحرب ، وأسهام بعضهن في النشاط السري الخاص بالتنظيم والدعوة (٢٨٤) ، برزت كثيرات من نساء الخوارج في المغرب في نواحي السياسة والثقافة · فقد تولت جدة المنتصر سمكو بن محمد الوصاية عليه وأمسكت بزمام السلطة في سجلماسة لكونه قاصرا(٢٨٥) وأخت الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم بزته في علم الفلك وتفوقت عليه في قراءة الطوالع والنجوم (٢٨٦) · وكانت غزال زوجة أبي اليقظان محمد « مالكة لامره (٢٨٧) » حتى لقد أرغمته على تقليد ابنها أبي حاتم يوسف ولاية العهد (٢٨٨) · ولا يخفى دور دوسر ابنة أبي حاتم يوسف في احداث العصر الرستمي الاخير ، تلك التي أودت بالدولة الرستمية (٢٨٩) ·

رابعا : الحياة الثقافية :

ترك الخوارج أثرا واضحا في الحياة الثقافية ببلاد المغرب · اذ ان مذهب الخوارج تضمن آراء خاصة تفرد بها عن سائر المذاهب الاسلامية الوافدة الى المغرب · ولما كانت هذه الاراء تمثل في جوهرها عودة الى تعاليم الاسلام الصحيحة ، فقد أقبل المغاربة على اعتناقها اكثر من اقبالهم على أي مذهب آخر · وقد سبق التعريف بدور دعاة الخوارج في بث مذهبهم بين شيوخ القبائل الذين تحولوا الى دعاة للمذهب بين قبائلهم حتى عمت الدعوة سائر بلاد المغرب في النصف الاول من القرن الثاني الهجري ·

وانتشار مذهب الخوارج استلزم تبصير المغاربة بفقهه وآرائه وعقائده ، ولم يقدر لدعاة الخوارج الاول كعكرمة مولى ابن عباس وسلمة بن سعيد وابن مغيطر ان يقوموا بهذا الدور . فاختار المغاربة بعض رجالهم وأوفدوهم في بعثة الى البصرة للدراسة والتعلم والتعمق في أصول المذهب وفروعه . واستمرت مهمتهم خمس سنوات عادوا بعدها الى المغرب « حملة للعلم » . ثم قاموا ، بتدريس ما حصلوه بالمشرق في حلقاتهم التي انتشرت في جهات كثيرة من بلاد المغرب الادنى وافريقية . وفي تلك الحلقات تلقى الاتباع الاصول والفروع والسير والتوحيد والشريعة واراء الفرق الى جانب علوم اللغة والفلك والرياضيات (٢٩٠) ، فكانت بمثابة مدارس للعلوم النقلية والعقلية في آن واحد ، ومراكز لتعريب البربر ونشر الحضارة العربية أيضا .

ولم تنقطع الصلة بين خوارج المشرق والمغرب ، فكانت كتب فقهاء المذهب في الشرق وتصانيفهم تفد الى المغرب بشكل دائم (٢٩١) . كما دأب فقهاؤها ومحدثوهم على القدوم الى المغرب للتدريس والافتاء (٢٩٢) . وفي نفس الوقت لم تنقطع بعوث المغاربة الى المشرق للاخذ عن أعلام المذهب في العراق ومصر والحجاز (٢٩٣) .

ولا شك ان ذلك الاتصال الثقافي بالمشرق أثرى الحياة الثقافية في بلاد المغرب ، فظهر كثيرون من الاعلام المغاربة في العلوم الدينية والدنيوية كالشيخ مهدي النفوسي المتكلم البارع (٢٩٤) وابن يانس الذائع الصيت في التفسير وأبو الحسن الابدلاني الفقيه (٢٩٥) والفقيه المتبحر عبد العزيز بن الاوز (٢٩٦) ويعقوب بن سيلوس قاضي وارجلان (٢٩٧) وغيرهم ممن أثروا بتآليفهم ومصنفاتهم الحياة الثقافية ببلاد المغرب . وقد ألف هؤلاء بالعربية والفارسية ومنهم من ترك كتبا بلغة البربر كابن سهل الفارسي (٢٩٨) .

ولا شك ان انتشار آراء الخوارج بين البربر أحدث ثورة فكرية في بلاد المغرب ، وساعد على ذلك التنافس الفكري بين الخوارج وبين غيرهم من أتباع المذاهب والفرق الاسلامية الاخرى التي وفدت الى بلاد المغرب . وأهم الملاحم الفكرية التي جرت في هذا الصدد كانت مع السنة المالكية والمعتزلة ، ثم مع الشيعة الفاطميين .

فقد غلب مذهب مالك على افريقية وساد ما عداه من المذاهب الاخرى ، الا ان مذهب الخوارج تسرب اليها بشقيه الصفري والاباضي وتذكر كتب الطبقات (٢٩٩) ان حلقات الصفرية والاباضية كانت تعقد في مساجد افريقية بل في جامع القيروان ذاته • حيث دأب فقهاء الخوارج على تدريس تعاليم المذهب ومناظرة مخالفيه • ومع ما عرف عن المالكية من تعصب وبغض لمخالفيهم، فقد سمحوا للخوارج بممارسة نشاطهم في افريقية حتى تولى سحنون القضاء فحظر عليهم ذلك ، وبدد حلقاتهم وشتت شملهم (٣٠٠) ودرج من جاء بعده من القضاة المالكية على اضطهاد الخوارج في افريقية واذلالهم •

وعلى خلاف ذلك حظى المالكية في دول الخوارج بتسامح الى أبعد الحدود حتى ان بعض شيوخهم تولوا المناصب العامة في تاهرت في أواخر حكم بني رستم (٣٠١) • وليس أدل على هذا التسامح مما يرويه ابن الصغير (٣٠٢) ـ وهو مالكي عاصر أئمة بني رستم الاواخر ـ عن الحرية التامة التي تمتع بها المالكية في ممارسة شعائرهم في كافة مساجد تاهرت فيما عدا المسجد الجامع • ويحكي ابن الصغير (٣٠٣) كثيرا عن محاوراته ومساجلاته مع مشايخ الاباضية في كثير من المسائل الفقهية والمذهبية دون ان يتعرض لارهاب او بطش •

ولما كان المذهب الاباضي أقرب مذاهب الخوارج الى مذهب أهل السنة، فلم يجد فقهاء القيروان ما يحول دون التحالف مع الاباضية لمناوأة المذهب الشيعي (٣٠٤) • وقد ظهر هذا الائتلاف بشكل واضح في ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد •

أما المعتزلة او الواصلية فكانت مضاربهم بالمغربين الاوسط والاقصى حيث شكلوا أقليات لها ثقلها في دول الادارسة وبني مدرار وبني رستم • ففي سجلماسة أقامت اعداد غفيرة منهم ، وتمتعوا بحرية وتسامح في رحاب بني مدرار على الرغم من تطرف المذهب الصفري (٣٠٥) • وليس أدل على ذلك من سماح المدراريين لهم بأن « يبعثوا بزكاة أموالهم الى رئيسهم بتاهرت يصرفها حيث شاء (٣٠٦) » •

وفي تاهرت وما حولها كان يقيم ما يربوا على ثلاثين ألف من

الواصلية (٣٠٧) · وعلى الرغم مما قاموا به من دور معادي لائمة بني رستم وتمردهم في عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، فقد حظوا بتسامح ديني الى أبعد الحدود · وحسبنا ما كان بين شيوخهم وزعماء الاباضية من محاورات على غرار ما كان يحدث بالشرق بين زعيمهم واصل بن عطاء وبين أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة شيخ اباضية الشرق (٣٠٨) · ونستشف من المصادر الاباضية ان فقهاء المعتزلة بزوا مشايخ الاباضية في تاهرت ، وأفحموا الامام عبد الوهاب ذاته في مساجلاتهم معه · فلم يستطع عبد الوهاب محاجاتهم في كثير من المسائل الجدلية المتعلقة بالعقائد والشرائع ، بدليل استعانته بمشايخ المذهب في جبل نفوسة في هذه المساجلات (٣٠٩) · وكانت المعارك الجدلية بين الاباضية والمعتزلة لاتفتر أبدا (٣١٠) · ومع ذلك نعم المعتزلة في العصر الرستمي الاخير بتسامح كبير فكانوا يلتقون في مناظرات ومساجلات مشهورة مع مشايخ الاباضية على نهر منية خارج تاهرت ، وكان قطب الاباضية المدافع عن مذهبهم ويدعى عبد الله بن اللمطي له معهم مواقف مشهودة أشار اليها أبن الصغير المالكي (٣١١) ·

أما التشيع فقد أخذ سبيله الى دولتي الخوارج في عصرهما الاخير ، فالمذهب الشيعي وفد الى سجلماسة قبل وصول المهدي اليها (٣١٢) ، ولم يعدم المهدي وجود أنصار وأتباع في سجلماسة كانوا يستفتونه في أمور دينهم ودنياهم ابان وجوده بها (٣١٣) ·

وتحدث ابو زكريا (٣١٤) عن وجود كثيرين من الشيعة في تاهرت في عصر الرستميين الاواخر · والحق ـ اننا لم نقف على ثمة نشاط فكري واضح للشيعة في تاهرت · وان كانت كتب الاباضية تحفل بكثير من المساجلات والمناظرات بين الاباضية والشيعة بعد سقوط دولة بني رستم سنة ٢٩٧ هـ (٩٠٩م) ولعل من أكثرها طرافة ما حدث بين أبي نوح سعيد بن زنغيل الاباضي وبين أبي تميم المعز لدين الله الفاطمي من مواقف تدل على حصافة الشيخ الاباضي من ناحية وتبجيل المعز للعلماء والفقهاء من ناحية اخرى (٣١٥) ·

ولا شك أن المحاورات والمساجلات بين شيوخ تلك المذاهب وبين فقهاء

الخوارج أثرت الحياة العقلية في بلاد المغرب بوجه عام ٠ وهذا ما عبر عنه النفوسي (٣١٦) بقوله :

« ٠٠ وكثرت الاراء والاقوال ، وانتحل البحث في المذاهب ، وعظم الجدل حول مسألة الامامة ، فقام كل فريق يطلب الاختصاص بها ويدعي أنه أولى وأحق بها ، ويقيم على ذلك الحجج والادلة » ٠ والفضل يعزى الى أمراء الخوارج في اتاحة الحرية الدينية لتنافس تلك الطوائف وتصارع آرائها٠

وكان الامراء الخوارج يقدرون العلم والعلماء ، فقد عرف عن حكام والنفاثية ، لكن هذه الانشقاقات غذت فكر الخوارج ، وأمدته بآراء واجتهادات جديدة ، كآراء يزيد بن فندين في الامامة المشروطة ، واجتهادات فرج بن نصر (٣١٧) المعروف بنفاث فيتطوير العقائد الاباضية (٣١٨) ٠

وكان الامراء الخوارج يقدرون العلم والعلماء ، فقد عرف عن حكام سجلماسة « حب العلم والرغبة في طلبه وتحصيله (٣١٩) » كما كان البيت الرستمي «بيت العلوم جامعا بفنونها من علوم التفسير والحديث ، وعلم اللسان وعلم النجوم ، والاصول والفروع والفرائض (٣٢٠)» ٠ فعبد الرحمن ابن رستم بويع بالامامة « لعلمه وفضله» وحسبه أنه كان من « حملة العلم الخمسة» الى المغرب ٠ وعبد الوهاب بن عبد الرحمن كان له خلواته العلمية الخاصة الى جانب مجالسه العامة التي كان يرتادها طلبة العلم من سائر جهات دولته (٣٢١) ٠

اليقظان محمد « يدرس في حلقات ، ثلاثة انواع من العلم (٣٢٣) » ٠ وكانت اليقظان محمد «يدرس في حلقات ثلاث ، ثلاثة أنواع من العلم (٣٢٣)» ٠وكانت مكتبة الاسرة الرستمية ـ المعروفة بالمعصومة ـ تحوي أمهات الكتب الدينية الى جانب مصنفات الفنون والرياضيات والصنائع (٣٢٤) ٠

وقد أضحت سجلماسة وتاهرت من المراكز الثقافية الكبرى في بلاد المغرب ، ووفد اليها طلاب العلم من سائر انحاء المغرب وخاصة تاهرت « التي تعددت بها اللغات واللهجات (٣٢٥) وجاب علماؤها مدن الشرق والمغرب رغبة

في طلب العلم وتحصيله (٣٢٦) ٠ كما خرج منها أيضا طلاب العلم الى القيروان وقرطبة (٣٢٧) ٠

والى الخوارج يعزى الفضل في وضع البذور الاولى لنشر الاسلام في بلاد السودان الواقعة جنوبي الصحراء ٠ ذلك ان الجهود السابقة التي بذلها عقبة بن نافع في هذا الصدد لم يقدر لها النجاح (٣٢٨) ، كما أن غزوات عبد الرحمن بن حبيب وعبيد الله بن الحجاب لاطراف بلاد السودان لم تتمخض عن شيء سوى الحصول على المغانم والسبايا (٣٢٩) ٠ انما قام أبو القاسم سمكو بن واسول أمير سجلماسة بنشر الاسلام على المذهب الصفري بين الجماعات السودانية التي كانت تعمل في نقل التجارة عبر الصحراء ، ومعروف أن كثيرين منهم آثروا الاستقرار بسجلماسة بعد اسلامهم ٠ وبفضل بني مدرار انتشر الاسلام بين قبائل صنهاجة اللثام من مسوفة ولمتونة التي كانت تضرب بنواحي سجلماسة على طول المغازة بينها وبين بلاد غانة (٣٣٠) ٠ وقد ازدادت اعداد هؤلاء بسجلماسة حتى وصف البكري (٣٣١) سكانها « بأنهم يلتزمون النقاب » ولما كان لهم دورهم الهام في الوساطة بين بلاد المغرب من ناحية وبين أقاليم افريقية الغربية من ناحية اخرى ، تسرب الاسلام عن طريقهم الى تلك الجهات وانتشر لاول مرة بين جماعات التكرور وأهل غانة (٣٣٢) ٠

أما الاجزاء الوسطى من بلاد السودان ـ وهي بلاد الكانم او زغاوة ـ فقد بلغتها الدعوة الاسلامية عن طريق تجار بني رستم ، اذ ان الرستميين كانوا على صلات تجارية وطيدة مع هذه البلاد ٠ ومن المحقق ان تلك الصلات أسفرت عن أنتشار الاسلام بين بعض الزواغيين على خلاف ما هو شائع عن بقاء زغاوة على «الشرك» حتى قيام دولة المرابطين (٣٣٣) ٠ وما ذهب اليه بعض الدارسين (٣٣٤) من أن انتشار الاسلام في بلاد الكانم كان على يد المصريين٠ والواقع ان بني رستم وضعوا البذور الاولى لحركة انتشار الاسلام في تلك النواحي (٣٣٥) ٠ ولدينا من الادلة ما يؤيد ذلك ، اذ نعلم ان قاضي جبل نفوسة ـ ويدعى عمروس بن فتح ـ « بعث عالما كبيرا من أهل الدعوة» الى زغاوة حيث استقر هناك وطاب له المقام (٣٣٦) ٠ كما أورد الشماخي (٣٣٧) رواية تدل على اعتناق أحد ملوك زغاوة الاسلام على يد أحد مشايخ نفوسة ٠

وقد أخذ لويسكي (٣٣٨) بهذه الرواية ، وكذلك ماسكراي (٣٣٩) الذي أكد أن الاسلام وصل حتى بلاد غانة عن طريق التجار الاباضية من رعايا الدولة الرستمية ٠

ولعل من أهم آثار الخوارج في الحياة الثقافية في بلاد المغرب تصديهم لمواجهة حركة التشيع التي قام بها الفاطميون الذين حاولوا نشر مذهبهم بوسائل العنف والشدة ٠ يتضح ذلك من سياستهم في محاولة طمس معالم تراث الخوارج ببلاد المغرب كاحراق المكتبة المعصومة بتاهرت واهدار كتب الخوارج بها (٣٤٠) ٠ وقد اشترك السنة مع الخوارج في محاربة التشيع ، وكان انتصارهم وشيكا لولا فشل ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد ، واخفاق حركة الشاكر لله بسجلماسة ٠ اذ لو قدر نجاح هاتين الحركتين لزالت الدعوة الشيعية الاسماعيلية من بلاد المغرب ٠ وبنهاية نفوذ الخوارج السياسي في بلاد المغرب أنحسرت ثقافتهم وتراثهم وانحصر في بقاع مغلقة في جبل نفوسة وواحة وارجلان ووادي الميزاب ٠

واذا كانت المادة تعوزنا لدراسة أثر الخوارج في العمارة والفنون في بلاد المغرب ، فالراجح أنهم تأثروا في هذا الصدد بمؤثرات شرقية (٣٤١) وأندلسية (٣٤٢) ٠

فكانت عمائر سجلماسة وأبنيتها على نمط اندلسي نتيجة جهود العناصر الاندلسية الوافدة اليها في تعميرها ٠ وقد وصف ابن حوقل (٣٤٣) كثير منها بأنها قريبة الشبه بأبنية الكوفة ٠ وتفيض كتب الرحالة (٣٤٤) بوصف روعة هذه العمائر من قصور وأسوار وحصون ومساجد ٠

كذلك تأثر فن العمارة الرستمي بمؤثرات فارسية (٣٤٥) ، سواء في انشاء المدن وتخطيطها (٣٤٦) ، أو في انشاء المساجد والعمائر والقصور (٣٤٧) بينما ظهر الاثر الاندلسي واضحا في القلاع والحصون التي انتشرت خارج تاهرت (٣٤٨) أبان الصراع بين القبائل والعناصر المختلفة في العصر الرستمي الاخير ٠ ومن ناحية أخرى ذهب جورج مارسيه (٣٤٩) الى ان بعض المؤثرات المغربية في العمارة انتقلت الى مصر عن طريق الحجاج المغاربة ٠

الهوامش

هـوامش المقدمـة

(١) Les siècles obscurs du Maghreb, p. 292

(٢) Les Berbers. Vol. 2, p. 4.

(٣) Histoire de l'Afrique du Nord. p. 339

(٤) Histoire de l'Afrique septentrionale. p. 67

(٥) سادة بني رستم بدائرة المعارف الاسلامية ، ص ٩٣ .

(٦) انظر : ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٥٨ .

(٧) راجع : البلاذري : انساب الاشراف ، ج ١١ ، ص ١٠٦ .

(٨) المقتبس في اخبار بلد الاندلس ، تحقيق الحجي ، ص ٣٣ .

(٩) بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس ، ص ١٣١ .

(١٠) انظر : عبيد الله بن صالح : نص جديد عن فتح العرب للمغرب . نشرة بروفنسال ، ص ١٩٨

(١١) انظر : Histoires de Rois Obeidides. p. 9.

(١٢) ذكره الدكتور سعد زغلول ـ خطأ ـ ضمن مؤرخي الاباضية . انظر تاريخ المغرب العربي ، ص ٢٧ م .

(١٣) ابن الصغير : ص ٤٦ .

(١٤) انظر Actes du 14 Congrès international des orientalistes Algiers, 1905. Vol. 3, part 2.

(١٥) انظر : بروفنسال : نص جديد ، ص ١٩٥ . حسين مؤنس : رياض النفوس : المقدمة ، ص ٦

Hopkins: Medieval Moslem government in Barbary. p. XI

(١٦) انظر : اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، ص ١٠ .

(١٧) البلدان ، ص ٣٥٨ .

(١٨) انظر : اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، ص ١٠ .

(١٩) طبقات الاباضية ، ج ٢ ، ورقة ٢٥

(٢٠) رسالة في ذكر كتب الاباضية .

(٢١) The Ibadites. p. 276. The Moslem World. vol. 12, July 1922

(٢٢) انظر :

Chronique d'Abou Zakaria. p. VII.

(٢٣) انظر :

Actes du 14 Congrès international des Orientalistes Algiers, 1905. vol. 3. part 2.

(٢٤) سير أبي الربيع بن عبد السلام الوسياني ، ورقة ١ وجه .

(٢٥)

Une chronique ibadite «Kitab-as-Suar» d'As-Samachi. p. 74. Revue des études Islamiques, vol. VII, 1934.

هوامش الباب الاول

(١) انظر : الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ١٧٢ ، المبرد : الكامل ج ١ ، ص ٥٤٦ ، ج ٣ ص ٩٥٤ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ١ ، ص ٢٥٦ •

(٢) الرازي : اعتقادات فرق المسلمين ص ٤٢

Dozy : Spanish Islam. p. 86, Lammens:
Etudes sur le siècle des Omayyades, p. 187.

(٣) الاسفرائيني : التبصير في الدين ص ١٤٦ ، البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٧٣ •

(٤) البغدادي : نفس المصدر والصحيفة ، المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ١٤٥ ، جعفر بن عبد السلام : ابانة المناهج ، ورقة ١٥٤ ، مخطوط •

(٥) النوبختي : فرق الشيعة ص ٣١ ، الاسفرائيني : المرجع السابق ص ٤٦ ، جعفر بن عبد السلام : المرجع السابق ورقة ١٦٦ •

(٦) الاسفرائيني : نفس المصدر والصحيفة ، Gibb: Mohammedanism. p. 170

(٧) عن علي والخوارج انظر : الطبري ج ٥ ص ٧٦ وما بعدها ، الدينوري : الاخبار الطوال ص ٢١٠ وما بعدها

(٨) الطبري : نفس المصدر ص ٥٦٣ ، فلهوزن : الخوارج والشيعة ص ٦٩ •

(٩) ابن خلدون : العبر ج ٣ ص ١٤٢ •

(١٠) الرازي : اعتقادات فرق المسلمين ، ص ٤٦ •

(١١) المبرد : الكامل ج ٣ ص ١١٥١ ، سرور : الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية ص ١٢٦ • وقد أسرف بعض الدارسين في تقدير الاثار الناجمة عن اعتناق الموالي مذهب الخوارج حتى ذهبوا الى أن عقائد الخوارج تنتمي الى أصول مسيحية ومجوسية • انظر : عمر أبو النصر : الخوارج في الاسلام ص ٢٤٥ • فالواقع ان عقائد الخوارج تفردت بطابعها العربي الاسلامي الخالص وخلوها من أي اثر لفلسفة اليونان أو الفرس • انظر : احمد أمين : ضحى الاسلام ج٣ ص ٣٣٤، ٣٣٥ •

(١٢) المبرد : الكامل ج ٣ ، ص ٩٦٧ ٠

(١٣) الرازي : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٥١ ٠

(١٤) الطبري : ج ٥ ص ٢١١ ، طه حسين : الفتنة الكبرى ، ج ٢ ص ١١٣ ٠

(١٥) تاريخ الدولة العربية ص ٣٧٢ ٠

(١٦) نفس المصدر ص ٦١ ، ليفي ديللافيدا : مادة الصفرية ــ دائرة المعارف الاسلامية ص ٢٢٩ ٠

(١٧) الورجلاني : الدليل لاهل العقول ج ١ ص ١٥ ، مجهول : قطعة من كتاب في الاديان والفرق ورقة ٩٧ ــ مخطوط ٠

(١٨) عن هذه الفرق ومعتقداتها انظر : الرازي : اعتقادات فرق المسلمين ص ٤٦ ــ ٥١ ٠

(١٩) ابن خلدون : العبر ج ٣ ص ١٦١

عن تفصيلات اسباب خروج عبد ربه الكبير على قطري راجع : الطبري ، ج ٦ ص ٣٠٠ ، ٣٠١ ٠

(٢٠) الطبري : ج ٦ ص ٣٠٠ ، ابن قتيبة : المعارف ص ٤١١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ٩ ، ص ٣٠

(٢١) عن أسباب هذا الخلاف انظر : البلاذري : أنساب الاشراف ج ١١ ص ١٤٤ ٠

(٢٢) الطبري : ج ٦ ص ١٧٤ ، اليعقوبي : تاريخه ج ٣ ص ١٨ ٠

(٢٣) الطبري : نفس المصدر ص ٢٧٥ ٠

(٢٤) ابن خلدون : ج ٣ ص ١٤٢ ٠

(٢٥) ابن الاثير : الكامل ج ٣ ص ١٧١ ٠

(٢٦) ورد في خطاب له في هذا الصدد قوله « ٠٠ أيها الناس ، اني لم أزل احب لجماعتكم العافية وأكف عنكم الاذى ٠ واني والله لقد خشيت أن يكون ذلك ادب سوء لسفهائكم ، واما الحلماء الاتقياء فلا ٠ وايم الله ٠ لقد خشيت الا أجد بدا من ان يعصب الحليم التقي بذنب السفيه الجاهل ٠ فكفوا أيها الناس سفهاؤكم قبل ان يشمل البلاء عوامكم ٠ وقد ذكر لي ان رجالا منكم يريدون ان يظهروا في المصر بالشقاق والخلاف ، وايم الله ــ لا يخرجون في حي بين أحياء العرب في هذا المصر الا أبدتهم ، وجعلتهم نكالا لمن بعدهم ٠٠٠ » ٠

راجع الطبري : ج ٥ ص ١٨٤ ٠

(٢٧) المبرد : الكامل ج ٣ ص ٩٨٥ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ١ ص ٢٥٩ ٠

(٢٨) المبرد : نفس المصدر ص ١٠٠٦ ٠

(٢٩) ابن عبد ربه : المرجع السابق ص ٢٥٩ ٠

(٣٠) الطبري : ج ٥ ص ٣١٢ ٠

(٣١) الاخبار الطوال ص ٢٧٠ ٠

(٣٢) المبرد : الكامل ج ٣ ص ١٠٠٤ ، فلهوزن : الخوارج والشيعة ص ٦٣ ٠

(٣٣) ابن الاثير : الكامل ج ٣ ص ٢٠٣ ، ابن خلدون : العبر ج ٣ ص ١٤٤ ٠

(٣٤) الدينوري : الاخبار الطوال ص ٢٧٥ ٠ وفي هذا الصدد ارتجز احد الخوارج هـذا القول : حتى متى يتبعنا المهلب ليس لنا في الارض منـه مهرب ولا السماء ، اين المذهـب ؟ الدينوري : نفس المصدر ص ٢٧٦ ٠

(٣٥) ابن العربي : القواصم والعواصم ورقة ١٠٧ مخطوط ٠

(٣٦) مجهول : العيون والحدائق في اخبار الحقائق ص ٢٢ ٠

(٣٧) البلاذري : انساب الاشراف ج ١١ ص ٦٣ ٠

(٣٨) المبرد : الكامل ج ٣ ص ١٠٦٤ ، سرور : الحياة السياسيـة في الدولة العربيـة ص ١٢١ ـ ١٢٣ ٠ قال قطري بن الفجاءة في هذا الصدد : « ٠٠٠ اما المهلب فهو من عرفتموه ، ان اخذتم بطرف ثوب ، اخذ بطرفه الاخر ، يمده اذا أرسلتموه ، ويرسله اذا امددتموه ، لا يبدؤكم الا أن تبدؤه ، الا أن يرى فرصة فينتهزها ٠ فهو الليث المبر ، والثعلب المراوغ ، والبلاء المقيم ، انظر : المبرد : الكامل ج ٣ ص ١٠٨٦ » ٠

(٣٩) الطبري : ج ٥ ص ٤٠٩ ، عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربيـة ، ج ٢ ص ٢٦٠ ٠

(٤٠) ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٥١ ٠

(٤١) ابن خلدون : العبر ج ٣ ص ١٦٧ ٠

(٤٢) انظر : حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ١٤٤ و
Marcais: G: la Berberie Musulmane. p. 141.

(٤٣) ابن عذارى : ج ١ ص ٣٩ ، البوعياشي : الريف بعد الفتح الاسلامي ص ١٥ ٠

(٤٤) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ص ٣٨ ٠

(٤٥) نقم الخليفة على موسى لعدم استجابته لطلبه قبل توليه الخلافة بأن ينتظر بما معه من هدايا المغرب حتى يموت الخليفة الوليد بن عبد الملك ـ الذي كان يلفظ انفاسه الاخيرة ـ فقد سلم موسى الهدايا للوليد الذي فارق الحياة بعد ثلاثة ايام ٠ فلما آلت الخلافة الى سليمان ، نكب موسى وأودعه السجن وبعث في قتل ابنيه عبد العزيز بالاندلس وعبد الله بالمغرب ٠

راجع : ابن القوطية : المرجع السابق ص ٣٦ ، الرقيق : تاريخ افريقية والمغرب ص ٢٩٤ ٠

(٤٦) اليعقوبي : تاريخه ج ٣ ص ٢٥٥ ٠

(٤٧) ابن عذارى : ج ١ ص ٤٧ ، النويري : نهاية الارب ج ٢٢ ورقة ١٣ ـ مخطوط ، وثمة رواية للبلاذري وابن عبد الحكم تذهب الى ان عبد الله بن موسى قتل سنة ١٠٢ هـ في ولاية بشر بن صفوان ٠ راجع : فتوح البلدان ص ٢٧٣ ، فتوح مصر والمغرب ص ٢٩٠ ٠ وعن مقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير انظر : ابن القوطية : ص ٣٧ ، الرقيق : ص ٢٩٥ ٠

(٤٨) ابن الابار : الحلة السيراء ص ٣٣٦ ٠

(٤٩) اليعقوبي : ج ٣ ص ٥٩ ٠

(٥٠) ابن عبد الحكم : ص ٢١٦ ٠ وأورد الرقيق بدلا منه العباس بن ناصعة الكلبي ٠ راجع : تاريخ افريقية والمغرب ص ١٠٥ ٠

(٥١) ابن أبي دينار : المؤنس ص ٣٤ ٠

(٥٢) وقد استصرخ احد زعماء اليمنية هشام بن عبد الملك لانقاذهم من بطش عبيدة بن عبد الرحمن بهذه الابيات : =

= افاءت بنو مروان فينا ومالنا	وفي الله ان لم يعدلوا حكم عدل
كانهم لم يشهدوا للي وقعة	ولم يعلموا من كان قبل له الفضل
وقيناكم حر القنا بسيوفنا	وليس لكم خيل سوانا ولا رجل
فلما تيقنتم نيل ما قد أردتموا	وطاب لكم فينا المشارب والاكل
تغافلتم عنا كان لم يكن لكم	صديقا وانتم ما علمتم لنا وصل

انظر : الرقيق : ص ١٠٥ - ١٠٦ ٠

(٥٣) ابن الابار : ص ٤٨ ٠

(٥٤) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٣ ، مؤنس : ثورات البربر في افريقية والاندلس ص ١٦٥ ٠

(٥٥) ابن عبد الحكم : ص ٢٨٩ ، ابن عذاري : ج ١ ص ٤٩ ٠

(٥٦) الرقيق : ص ١٠٢ ، السلاوي : ج ١ ص ٢٩٣ ، الباجي المسعودي : الخلاصة النقية ص ١٣ ٠

(٥٧) ابن عبد الحكم : ص ١٩١ ٠

(٥٨) نفس المصدر والصحيفة ٠

(٥٩) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٧٣ ، الرقيق : ص ١٠٨ ٠

(٦٠) ابن الاثير : ج ٥ ص ٦٩ ٠

(٦١) الرقيق : ص ١٠٩ ، السلاوي : ج ١ ص ٩٥ ٠

(٦٢) انظر : مجهول : اخبار مجموعة ص ٢٣ ، الورجلاني ٠٠ ج ١ ص ٢٧ ، حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسي ج ٢ ص ٢٠٤ ، مؤنس : ثورات البربر ص ١٤٧ ، دبوز : المغرب الكبير ج ٢ ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ ،

Marcais: la Berberie Musulmane. p. 43, Hopkins: Medieval Muslim government. p. 27.

(٦٣) عن هذا الموضوع انظر : فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ص ٢٧٥ وما بعدها ٠

(٦٤) اخبار مجموعة ص ٢٣ ، البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٧٣ ٠

(٦٥) اخبار مجموعة ص ٢٣ ٠

(٦٦) فلهوزن : المرجع السابق ص ٢٨٠ ٠

(٦٧) ابن عبد الحكم : ص ٢٨٧ ٠

(٦٨) الطبري : ج ٦ ص ٦١٧ ، ابن تعزي بردى : ج ١ ص ٢٤٥ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ص ٢٣٥ ٠

(٦٩) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٧٣ ، ابن عبد الحكم : ص ٢٨٩ ، الرقيق ٠٠ ص ٩٩ ، مؤنس : ثورات البربر ص ١٦٣ ٠

(٧٠) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٢ ٠

(٧١) الرقيق : ص ١٠٨ ، البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٧٣ ٠

(٧٢) نفس المصدر ص ١٠٩ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ٦٩ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٥٢ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ١٨٩،

Mercier: Histoire de l'Afrique septentrionale. Vol. I. p. 71, Provencal: Histoire de l'Epagne Musulmane. Vol. I. p. 29.
Hopkins: Mediveal Moslem government. p. 28.

(٧٣) المغرب الكبير ج ٢ ص ١٦٥ ٠

(٧٤) المغرب الكبير ص ٢٢٨ ٠

(٧٥) تاريخ افريقية والمغرب ص ٦٣ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ١٣ ٠

(٧٦) فجر الاندلس ص ١٤٥ ، ثورات البربر ص ١٥١ ، ١٥٢ ٠

(٧٧) وقد ذكر الدكتور مؤنس في هذا الصدد قولا اخر هاك نصه : « اعتاد الخلفاء من عمال افريقية كثرة الهدايا والالطاف والاموال ، ولم يستطيعوا الامتناع عن الالحاح على العمال في طلبها ٠٠ » راجع : ثورات البربر ص ١٤٤ ، ١٤٥ ٠

(٧٨) انظر : ص ٩ هامش ٤ ٠

(٧٩) ابن عذاري ج ١ ص ٤٧ ٠

(٨٠) فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ص ٣٣٧ ٠ عن صاحب كتاب الصلة الاسباني الذي اكمل تاريخ ايزيدور ٠

(٨١) السلاوي : ج ١ ص ٩١ ٠

(٨٢) اليعقوبي : تاريخه ج ٣ ص ٥٩ ٠

(٨٣) البيان المغرب ج ١ ص ٥٣ ٠

(٨٤) العبر ج ٦ ص ١١٩ ٠

(٨٥) الطبري : ج ٤ ص ٢٦٤ ٠

(٨٦) تاريخ الدولة العربية ص ٣٣١ ٠

(٨٧) ابن الاثير : ج ٥ ص ١١٧ ٠

(٨٨) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٧٣ ، حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية في افريقية ص ٢٣١ •

(٨٩) ابن الاثير : ج ٣ ص ٢٣٤ •

(٩٠) نفس المصدر ص ٢٣٥ •

(٩١) ابن عذارى : ج ١ ص ٢٨ •

(٩٢) المالكي : رياضة النفوس ج ١ ص ٢١ •

(٩٣) عبيد الله بن صالح : نص جديد عن فتح العرب للمغرب ص ٢٢٤ ، المالكي ص ٣٦ ، الدباغ : ج ١ ص ٦١ •

(٩٤) نفس المصدر ص ٢٢٣ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٢٧ •

(٩٥) ابن عذارى : ج ١ ص ٤٣ •

(٩٦) ابن عبد الحكم : ص ٢٠٤ •

(٩٧) انظر : حسن ابراهيم : انتشار الاسلام في القارة الافريقية ص ٨٩ ــ ٩٠ ،
Brunschvig: La Tunisie dans le haut moyen age. p. 7.
Dragye: Esquisse d'histoire religieuse du Maroc. p. 17.

حيث يعتقد اولئك المؤرخون ان اسلام البربر كان سطحيا حتى ذلك الحين •

(٩٨) المالكي : ج ١ ص ٦٧ ، الدباغ : معالم الايمان ج ١ ص ١٤٢ ، حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية في افريقية ص ٩٩ •

(٩٩) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٧٣ . ابن كثير : البداية والنهاية ج ٩ ص ١٨٥ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ١٤ •

(١٠٠) ابن عبد الحكم : ص ٨٧ ، الرقيق : ص ٢٩٧ ، الدباغ : ج ١ ص ١٥٤ ، ابن خلدون ج ٤ ص ١٨٨ ، السلاوي : ج ١ ص ٩٠ •

(١٠١) حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية ص ٣١ و
Marcais: la Berberie musulmane p. 36.

وقد زعم بعض المستشرقين ان عمر بن عبد العزيز خير مسيحيي المغرب بين الدخول في الاسلام او الرحيل عن البلاد ، فآثر بعضهم اعتناق الاسلام بينما غادر البعض الاخر البلاد الى أوروبا •
انظر : Bonet: l'Islamisme et le christianisme p. 72. وقد انكر

البعض الاخر هذا التجني « فعمر لم يكره النصارى على اعتناق الاسلام مهددا اياهم بالطرد والقتل . وذلك لانه كان مسلما حقا متمسكا بما ورد في الشريعة الاسلامية في معاملة اهل الذمة ، وليس من المعقول ان يتجاهل او يخرج عن هذه الشريعة » • انظر : فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ص ٢٨٩ Mercier: Histoire de Constantine. p. 86.

(١٠٢) Brunschvig: op. cit. p. 7

(١٠٣) انظر :
Marcais, W: Comment l'Afrique du nord a ete Arabisée. p. 3.
Hudas: Essai sur l'écriture Maghrebine, p. 86.
Mercier: Histoire de Constantine. p. 86.
Marcais, G: la Berberie Musulmane. p. 41.

(١٠٤) The caliphate, its rise, decline and Fall: p. 407.

(١٠٥) انظر : أبو زكريا : السيرة ورقة ٨ ـ مخطوط. Smith: the Ibadites. p. 279.

(١٠٦) الاسفرائيني : التبصير في الدين ص ٤٦ .

(١٠٧) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٧٣ .

(١٠٨) حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية ص ١٦٤ ،
Vonderheyden: la Berberie Orientale. p. 4.

(١٠٩) انظر : الرازي : اعتقادات فرق المسلمين ص ٤٠ وما بعدها ، احمد امين : ضحى الاسلام جـ ٣ ص ٣٣٥ .

(١١٠) صاعد الاندلسي : طبقات الامم ص ١٢ ، ابن زيدان : اتحاف اعلام الناس جـ ١ ص ٧٢ ـ ٧٣ ، Dozy: op. cit. p. 131.

(١١١) ابن خلدون : جـ ٦ ص ١٠٥. Smith: op. cit. p. 279. ولذلك اطلق عليهم دوزي كلافئة الاسلام » ودي سبوا « بيورتيان الاسلام » . انظر :
Spanism Islam. p. 130, le djebel Ne fousa. p. 137

(١١٢) انظر : الاسفرائيني : التبصير في الدين ص ١٤٢ وما بعدها .

(١١٣) صاعد الاندلسي : طبقات الامم ص ٢٣
Cam. med. hist. vol. 2. p. 376, Drague: op. cit. p. 23.

(١١٤) الاستقصا جـ ١ ص ١٢٣ .

(١١٥) ابن خلدون : العبر جـ ٥ ص ١١ Tourneau: le revolte d'Abou-Yazid. p. 105, Mercier: Histoire de l'établissement des Arabes dans l'Afrique septentrionale. p. 70.

(١١٦) ما يقال عن الاتفاق السري بين ثلاثة من الخوارج لاغتيال علي ومعاوية وعمرو بن العاص لا ينفي صحة ما ذهبنا اليه . فهو تآمر انتقامي لا يخدم اهدافا بعيدة للخوارج . واسلوب التآمر السري ليس تيارا أصيلا في فكر الخوارج السياسي بل انه « لا يتفق مع عادات الخوارج » على حد قول بعض الدارسين .

راجع .. فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ص ٩٨ ،
Hitti: History of the Arabs. p. 182.

(١١٧) تخالف ما ذهبت اليه الدكتورة سهير القلماوي في تفسيرها اختلاف الخوارج على نافع بن الازرق وظهور فرق الازارقة والنجدات والصفرية والاباضية بانه خطة محكمة من الخوارج للهجوم على الدولة الاموية التي كانت تجتاز اذ ذاك أزمة خطيرة ، فيتجه فريق منهم الى الشمال واخر الى الجنوب لتكوين خط هجوم شرقي يمتد من الجزيرة شمالا الى اليمامة والبحرين جنوبا ، بينما يتوغل فريق ثالث في فارس لاتخاذها ملجأ ساعة الشدة ٠ انظر : ادب الخوارج في العصر الاموي ص ٣٥ ٠ والواقع ان المصادر لا تشير الى شيء من هذا البتة ، والذي يفهم من الروايات ان ما حدث كان محض خلاف فقهي انتهى الى انشقاق مذهبي وسياسي في جماعة الخوارج ولم يحدث قط ثمة تعاون مشترك بين هذه الفرق في صراعها مع الدولة الاموية ٠

عن ظهور فرق الخوارج راجع : الاسفرائيني : التبصير في الدين ص ٤٩ وما بعدها ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٢ ص ١٩١ وما بعدها ، البياض : الاعلام بالحروب الواقعة في صدر الاسلام ج ٢ ص ١٦٩ ــ مخطوط ٠

(١١٨) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ١١٠ ٠

(١١٩) المسالك والممالك ص ٦٨ ٠

(١٢٠) المسعودي : مروج الذهب ج ٢ ص ٤١٧ ٠

(١٢١) نفس المصدر والصحيفة ، ابن خلدون : العبر ج ٣ ص ١٤٢ ٠

(١٢٢) ابن خلدون : ج ٦ ص ١١٠ ، السلاوي : ج ١ ص ١٢٣ ، عنان : دولة الاسلام في الاندلس ج ١ ص ١١٦ ٠

(١٢٣) انظر :

Basset: Recherches sur la religion des Berbères. p. 331.

الطاهر الزاوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص ١١٨ ٠

(١٢٤) انظر : Dozy: op. cit. p. 131. مؤنس : فجر الاندلس ص ١٤٨ ، ثورات البربر ص ١٥٤ ــ ١٥٥ ٠

(١٢٥) الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٢١ ــ ١٢٣ ، ذكر جوليان انه اذا كان الازارقة يمثلون اليسار المتطرف في مذهب الخوارج والاباضية اليمين ، فان الصفرية يمثلون اليسار ٠ بينما شبه جوتييه الاباضية بالمونشفيك والصفرية بالبولشفيك ٠ انظر :

les siècles obscurs. p. 269. Histoire de l'Afrique du nord p. 329.

(١٢٦) Gautier: loc. cit. ، عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية ج ٢ ص ١٨٨ ٠

(١٢٧) ص ٣٢

(١٢٨) الطبري : ج ٦ ص ٣٠٨ ، ابن خلدون : ج ٣ ص ١٦١ ، الاسفرائيني : ص ٥١ ، البغدادي : ص ٨٧ ، فلهوزن : الخوارج والشيعة ص ١٠٩ ٠

(١٢٩) ابن الاثير : ج ٤ ص ١٤٠ ، البغدادي : ص ٩٠ ؛

(١٣٠) البلاذري : انساب الاشراف ج ١١ ص ٨٣ ٠

(١٣١) انظر : الرازي : ص ٥١ ، الاسفرائيني : ص ٥٢ ، البغدادي : ص ٩٠ ، الشهرستاني : ص ١٢٣ ٠

(١٣٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ١ ص ٢١٦ ٠

(١٣٣) السوفي : شرح السؤالات ورقة ١١٤ ـ مخطوط ٠

(١٣٤) ابن تعزي بردى : ج ١ ص ٢٨٩ ٠

(١٣٥) المبرد : الكامل ج ٣ ص ١٠٠٦ ٠

(١٣٦) البغدادي : ص ٩١ ٠

(١٣٧) ليفي ديللافيدا : مادة الصفرية ـ دائرة المعارف الاسلامية ص ٢١٩ ٠

(١٣٨) الشهرستاني : ص ١٢٣ ٠

(١٣٩) الرازي : ص ٥١ ٠

(١٤٠) المرجع السابق ص ١٢٢ ٠

(١٤١) نفس المصدر ص ١٢١ ٠

(١٤٢) الطبري : ج ٦ ص ٢١٥ ٠

(١٤٣) عن حركة شبيب بن يزيد الشيباني ـ انظر : الطبري : ج ٦ ص ٢٢٣ وما بعدها ٠

(١٤٤) عن حركة شوذب راجع : الطبري : ج ٦ ص ٥٥٦ وما بعدها ٠

(١٤٥) هذه الحركات هي : ثورة بهلول بن بشر الشيباني بالموصل سنة ١١٩ ٠ انظر : ابن الاثير : ج ٥ ص ٧٧ وما بعدها ٠

ثورة الصحاري بن شبيب سنة ١١٩ هـ ٠ انظر : الطبري : ج ٧ ص ١٣٧ وما بعدها ٠

ثورة الضحاك بن قيس الشيباني : انظر : ابن قتيبة : المعارف ص ٤١٢ ٠

ثورة الخيبري الصفري سنة ١٢٨ ٠ انظر : الطبري : ج ٧ ص ٣٤٧ ٠

ثورة شيبان بن عبد العزيز سنة ١٢٩ هـ ٠ وهي اخر ثورات الصفرية في العصر الاموي ٠ انظر : الطبري : ج ٧ ص ٣٤٩ ٠

(١٤٦) أبو زكريا : السيرة ورقة ٢ ـ مخطوط ، الدرجيني : طبقات الاباضية ج ١ ورقة ٦ ـ مخطوط ٠

(١٤٧) ابن خلدون : ج ٧ ص ١١ ،

Marcais: la Berberie Musulmane. p. 48.

(١٤٨) العيني : عقد الجمان ج ١١ قسم ٣ ورقة ٤٦٤ ـ مخطوط ٠

(١٤٩) نفس المصدر والصحيفة ، Fournel: les Berbères, vol. I. p. 352.

(١٥٠) المبرد : الكامل ج ٣ ص ٩٤٩ ، العيني : المرجع السابق ورقة ٤٦٤ ، دبوز : المغرب الكبير ج ٢ ص ٢٧٩ ، Fournel: op. cit. p. 352.

(١٥١) ابن خلدون : العبر ج ٧ ص ١١ ٠

(١٥٢) نفس المصدر ج ٦ ص ١١٨ ٠

(١٥٣) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٠٥ ، ابن زيدان ٠٠ اتحاف اعلام الناس ج ١ ص ٧٦ ٠

(١٥٤) مجهول : نبذ تاريخية ص ٦٠ ، القلقشندي : صبح الاعشى ج ٥ ص ١٦٥ ٠

(١٥٥) العيني : عقد الجمان ج ١١ قسم ٣ ورقة ٤٦٤ ٠

(١٥٦) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ١٠٥ ٠

(١٥٧) الشطيبي : الجمان في أخبار الزمان ورقة ٢٠٣ ـ مخطوط ٠

(١٥٨) البكري : المغرب ص ١٤٩ ، ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٠ ،
Fournel: op. cit. vol. I. p. 352.

(١٥٩) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٠٧ ٠

(١٦٠) تسكن برغواطة اقليم تلمسان بالمغرب الاقصى واهم مدنه سلا وآزمور وآنفي واسفي، وكان زعيمها طريف بن شمعون من قواد ميسرة وقد اختلف في نسبه فيما اذا كان مصموديا أو يهوديا أو يمنيا ٠ وعلى كل حال ـ فقد خلفه بعد موته ابنه صالح الذي تزندق وشرع ديانة جديدة ، واظهر قرآنا جديدا وتسمى « بصالح المؤمنين » ولم يقدر لتعاليمه الانتشار في حياته ، فقد غادر البلاد الى المشرق ، وادعى انه المهدي المنتظر ٠ وكان قد أعد ابنه الياس للقيام بامر دعوته بعد أن لقنه اسرارها وفقهه باصولها ٠ وقد فشت الدعوة في عهد الياس ، وحاول الادارسة القضاء عليها الا أنها ظلت قائمة حتى عصر المرابطين ٠ راجع : ابن عذارى ج ١ ص ٦١ ، ابن خلدون : ج ٦ ص ٢٠٧ ، ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ج ٣ ص ١١٨ ، البوعياشـي : الريـف بعد الفتح الاسلامي ص ١٥ ، سعد زغلول عبـد الحميـــد : تاريخ المغرب العربي ص ٧١٤ ،
Mercier; Histoire de l'Afrique septentrionale; vol. I. p. 238

(١٦١) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٠٧ ٠

(١٦٢) عبيد الله بن صالح : نص جديد ص ٢٢٤ ،
Marcais, G: la Berberie Musulmane. p. 48

(١٦٣) ابن خلدون : ج ٧ ص ١١ ،
Masqueray: Chronique d'Abou Zakaria. p. LXXIII.

(١٦٤) ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص ٧٠ ، Tourneau: op. cit. p. 439

(١٦٥) المبرد : الكامل ج ٣ ص ٩٤٩ ٠

(١٦٦) نفس المصدر ص ٩٦٨ ٠

(١٦٧) حسن محمود : انتشار الاسلام ج ١ ص ١٦٧ ٠

(١٦٨) البكري : المغرب ص ٦ ٠

(١٦٩) السلاوي : ج ١ ص ٩٧ ٠

(١٧٠) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٣ ، ابن عذارى ج ١ ص ٥٢ ٠

(١٧١) البكري : المغرب ص ١٤٩ ، Fournel: op. cit. vol. 2. p. 22.

(١٧٢) العبر ج ٤ ص ١٨٩ ٠

(١٧٣) نهاية الارب ج ٢٢ ورقة ١٥٠ ٠

(١٧٤) ابن قتيبة : المعارف ص ٦٢٢ ، ابن رسته : الاعلاق النفيسة ص ٢١٧ ، مجهول قطعة من كتاب في الاديان والفرق ورقة ٩٧ ـ مخطوط ٠

(١٧٥) انظر : أبو زكريا : ورقة ٨ ، Masqueray: op. cit. p. XXXII

(١٧٦) الطبري : ج ٦ ص ٣٢٠ ، البغدادي : ص ١٠٥ ٠

(١٧٧) السوفي : شرح السؤالات ورقة ٥٧ ـ مخطوط ، أبو غانم الصفري : مدونة ورقة ٤٣ ـ مخطوط ٠

(١٧٨) البغدادي : ص ١٠٦ ٠

(١٧٩) الاسفرائيني : التبصير في الدين ص ٢٨ ٠

(١٨٠) الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٢٢ ٠

(١٨١) الرازي : اعتقادات فرق المسلمين ص ٥١ ٠

(١٨٢) نفس المصدر والصحيفة ، الشهرستاني : ص ١٢١ ٠

(١٨٣) من دعاة الاباضية في خراسان محبوب بن الرحيل وبشر بن النير وهاشم بن عيلان ٠ واذا كان الغموض يكتنف مصير هؤلاء الدعاة ، فالذي لا شك فيه أن جهودهم في نشر الدعوة بخراسان باءت بالفشل ـ انظر : أطفيش : بعض تواريخ أهل وادي ميزان ص ١١٥ ٠

(١٨٤) كذلك لا نعلم شيئا عن جهود دعاة الاباضية ـ وكانوا اربعة ـ (أطفيش : الامكان ص ١١٠) في عمان (Masqueray: op. cit. p. XLII) لكن احدهم ويدعى أبا حمزة المختار بن عوف ـ وكان يدعو لامامة أبي عبد الله بن يحيي الكندي المعروف بطالب الحق ـ نجح في مهمته (المسعودي : ج ٣ ص ٢٥٧) ٠ وكان دائب الصلة بجماعة الاباضية في البصرة الذين أمدوه بالمشورة والنصائح الى جانب الاموال والسلاح (مجهول : كشف الغمة ورقة ٣٠٧ ـ مخطوط) ٠ وانتشرت الدعوة لطالب الحق في عمان ، وخوطب بأمير المؤمنين ، ثم دخل صنعاء ودانت له أعمالها (ابن تغري بردى : ج ١ ص ٣٠٩) كما تمكن أبو حمزة من دخول المدينة المنورة سنة ١٣٠هـ بعد هرب واليها الاموي الى الشام (الطبري : ج ٧ ص ٣٩٤) ، وبطش بمن خالفه من أهلها (ابن الاثير : ج ٥ ص ١٤٠) ، وخطب على منبر جامعها لطالب الحق (انظر نص الخطاب في كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه ص ١٤٤ ـ ١٤٧) ٠ وظل بها ثلاثة

شهور غادرها بعدها الى بلاد الشام • لكن مروان بن محمد بعث قائده محمد بن عطية السعدي على رأس جيش للقائه ، وتمكن محمد بن عطية من هزيمة أبي حمزة وقتله في معركة وادي القرى سنة ١٣٠هـ (ابن الاثير : ج ٥ ص ١٤٦) • وواصل الجيش الاموي زحفه الى المدينة ، ومنها توجه الى اليمن حيث هزم طالب الحق وقتل كثيرون من رجاله بناحية الطائف ، وفر بقية أنصاره الى حضرموت حيث تحصنوا بها •

(انظر : المسعودي : ج ٣ ص ٢٥٨ ، سرور الحياة السياسية في الدولة العربية ص ١٢٩)•

(١٨٥) أبو زكريا : ورقة ٥ ، الشماخي : السير ص ١٢٤ •

(١٨٦) الشماخي : نفس المصدر ص ١٠٨ ، ١٠٩ •

(١٨٧) الدرجيني : طبقات الاباضية ج ١ ورقة ١٠٧ ـ مخطوط •

(١٨٨) عن حلقات الاباضية في عصور متاخرة راجع : البرادي : الجواهر المنتقاة ورقة ١٠٦ ـ ١١٢ ـ مخطوط •

(١٨٩) الدرجيني : المرجع السابق ورقة ٣ •

(١٩٠) البرادي : المرجع السابق ورقة ١٠٦ ، Masqueray: op. cit. p. IXI.

(١٩١) أبو زكريا : ورقة ٦ ، الشماخي : السير ص ١٢٤ •

(١٩٢) مجهول : كشف الغمة ورقة ٣٠٧ ـ مخطوط •

(١٩٣) أبو زكريا : السيرة ورقة ٥ •

(١٩٤) الورجلاني : ج ٢ ص ٧٢ ، دبوز : ج ٢ ص ١٣٨ ، ٤٠٨ ، علي يحيى معمر : الاباضية ص ٢١ •

(١٩٥) أخطأ البرادي حين ذكر أنه توفي سنة ١٩٣هـ • راجع : الجواهر المنتقاة ورقة ٧٩ •

(١٩٦) الدرجيني : ج ١ ورقة ١٠٢ ، Masqueray: op. cit. p. 8.

(١٩٧) اطفيش : الامكان ص ١١٣ •

(١٩٨) الشماخي : السير ص ٨٣ •

(١٩٩) الدرجيني : ج ١ ورقة ١٠٥ •

(٢٠٠) نفس المصدر : ورقة ١٠٧ •

(٢٠١) الشماخي : السير ص ١١٥ • وقد أورد الشماخي مثالا على ذلك فحواه أنه لما خرج الامام عبد الله بن يحيى وأبو حمزة ، جمع لهما اموالا كثيرة يعينهما بها وكان على كل موسر من المسلمين قدر ما يرى ، فما امتنع عليه احد • ودعا أبا طاهر وكان شيخا فاضلا ـ وقال له : عليك بالنساء وأوساط الناس ، فانا نكره ان نكتب عليهم ما لا يحملون • فانطلق أبو طاهر فيمن انطلق معه من المسلمين ، فلم ياتوا امراة ولا رجلا الا وجدوه مسارعا فيما سالوه •• فلم يمس الليل حتى جمع أبو طاهر عشرة آلاف درهم • فاخبروا حاجبا ، فسر بذلك فقال : ان في الناس لبقية بعد • فاشترى بتلك الاموال سلاحا فوجهه ، ووجه ما بقي ، انظر : السير ص ١١٤ •

(٢٠٢) بالغت المصادر الاباضية في ايراد كثير من الاحاديث المصطنعة والاقوال المأثورة عن كبار الصحابة في فضائل البربر ، وما سيتم على أيديهم من العودة بالاسلام الى اصوله الصحيحة. وعلى الرغم مما يكتنف هذه الروايات من طابع اسطوري ، فلها دلالاتها على مواتاة ظروف بلاد المغرب لنشر دعوة الخوارج .

انظر : أبو زكريا : ورقة ٢ وما بعدها ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٧ وما بعدها .

(٢٠٣) أبو زكريا : ورقة ٢ ، الشماخي : السير ص ٩٨ ، السوفي : شرح السؤالات ورقة ١٤٧ .

(٢٠٤) الدرجيني : ج ١ ورقة ٦ .

(٢٠٥) الوسياني : سير أبي الربيع ورقة ٨٠ ــ مخطوط ،
Lewcki: Etude Ibadites p. 93.

(٢٠٦) الشماخي : السير ص ١٤٤ .

(٢٠٧) الوسياني : ورقة ٧٩ ، الدرجيني : ج ٢ ورقة ١٤٠ ، ابن مقديش : نزهة الانظار ص ٤٠ ، السلاوي : ج ١ ص ١٢٣ ، Despois: op. cit. p. 138.

(٢٠٨) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ٦٨ .

(٢٠٩) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٢٠ ، ١٢١
Biquet: Histoire de l'Afrique Septentrionale. p. 41.

(٢١٠) الجربي : مؤنس الاحبة ص ٤٦ .

(٢١١) أبو زكريا : ورقة ٥ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٩ ، الشماخي : السير ص ١٢٤ ، اطفيش : بعض تواريخ اهل وادي ميزاب ص ٨٨ .

(٢١٢) نفس المصادر والصفحات ، اطفيش : كتاب الامكان ص ١١٢ ، دبوز : ج ٣ ص ١٩٤ واذا ما علمنا ان البعثة عادت الى المغرب سنة ١٤٠ ، فيكون رحيلهم الى البصرة حدث سنة ١٣٥هـ .
انظر : Lewcki: Etudes Ibadites. p. 27.

(٢١٣) قيل انه كان من قواد الجند العربي بطرابلس . انظر : حسن حسني عبد الوهاب : ورقات عن الحضارة العربية ج ١ ص ٤٢٥ .

(٢١٤) أبو زكريا : ورقة ٥ ، الشماخي : السير ص ١٢٤ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ١٠ .

(٢١٥) ابن ابي كريمة : رسالة في احكام الزكاة ورقة ١١٤ ــ مخطوط .

(٢١٦) من المفيد ان نعرض لنظرية شائعة في تفسير انتشار مذهب الخوارج في بلاد المغرب ، تربط بين هذا المذهب وبين نحلة الدوناتية المسيحية . وهذه النظرية منسوبة الى المؤرخ جوتييه ، ونقلها عنه سائر مؤرخي المغرب الفرنسيين . وبادىء ذي بدء نقرر ان جوتييه لم يكن اول من قال بهذه الفكرة ، انما سبقه اليها اميل ماسكراي في مقدمته لكتاب السيرة لابي زكريا

الذي صدر بالجزائر سنة ١٨٧٨م • فهو القائل بان « الخارجية كالدوناتية تعد انقساما دينيا وليست زندقة » • وان « مذهب الخوارج يشترك مع الدوناتية في التعبير عن روح الاستقلال عند البربر » واليه يعزى الفضل في الربط بين مذهب الخوارج في المغرب بشقيه الاباضي المعتدل والصفري المتطرف وبين الدوناتية المعتدلة والسركونسيايونية المتطرفة كذلك •
(انظر : (Masqueray: op. cit: p.p. LXV, LXVIII, LXXII.

وعلى هذه الخطوط نسج جوتييه نظريته تلك التي ضمنها كتابه عن المغرب في العصور الوسطى الذي صدر بباريس سنة ١٩٢٧ • وأهم ملامح هذه النظرية ما يلي :

١) اشتراك الخوارج والدوناتيين في عديد من الصفات كالصلابة والالتزام الصارم بأصول العقيدة والتطرف والزهد والتسليم بالقضاء والقدر والاستشهاد في سبيل المذهب •

٢) ينطلق فكر كل من المذهبين من معين واحد هو نزعة التدين الشديدة الفطرية عند البربر •

٣) ان البربر اعتنقوا مذهب الخوارج – كما ذكر ابن خلدون – كسلاح يناوئون به الحكام ، وهو نفس ما حدث بالنسبة لاعتناقهم المذهب الدوناتي •

٤) ومن ثم ، فالعامل الديني في كلتي الحركتين امر ثانوي بالقياس الى المغزى السياسي والاجتماعي الذي يتمثل في تحقيق الديموقراطية كهدف سياسي والعدالة الاجتماعية كمطلب اجتماعي •

٥) وينتهي جوتييه – كما انتهى ماسكراي – الى ان مذهب الخوارج عند البربر امتداد للدوناتية « بعد ان خلعت لبوسها المسيحي لتتشح بثياب اسلامية » (راجع :
(Gautier: les siècres obscurs. p.p. 262, 63, 64.

وانبرى جمهرة مؤرخي المغرب الفرنسيين للدفاع عن هـذه النظريـة وتصدوا لدعمها • فبروفنسال يركز في دعمه على توافق جوهر عقائد الخوارج والدوناتيين مع طبائـع البربر وصفاتهم الفطرية (انظر : .Histoire de l'Espagne Musulmane vol. I. p. 42).

وجورج مارسيه يؤكد ان اعتناق البربر للمذهبين وسيلة لا غاية ، فكلاهما « أمد البربر بالوثاق الخلقي لتبرير ثورتهم على الحكام ، وكما هزت الدوناتية وحدة الكنيسة الافريقية ، كانـت الخارجية عند البربر نوعا من الهرطقة القومية التي شكلت خطرا على مستقبل الاسلام في بلاد المغرب » •

راجع(la Berberie Musulmane et l'orient. p. 140) وفي نفس الاتجاه يمضي مرسيه فيقول « ان عبارة لا حكم الا الله لها عند الخوارج – وكذلك الدوناتيين – دلالة على الحرب السياسية » • انظر (Histoire de la Constantine. p. 86) اما باسيه فيركز الاجتماعي للحركتين اذ أنهما « ما قامتا لمجرد خلاف في الراي حول تفسير العقيدة ، بل لاشعال حرب اجتماعية تحت رايات دينية » راجع
(Recherches sur la religion des Berbères. p. 331)

ويشاركه جوليان نفس الرأي فيقول « .. وكما كانت الدوناتية وسيلة لوضع حد لانتهازية الكاثوليك ، وتحالف الحكام الرومان مع كبار الملاك ورجال الدين ، كان مذهب الخوارج في المغرب سلاح البربر في نضال هذه القوى ومظهرا من مظاهر مقت الاجانب ، وتعبيرا عن السخط والحقد على السلطة القائمة » .

انظر :

وقبل مناقشة هذه الاراء يحسن أن نعرف في ايجاز بحركة الدوناتية في بلاد المغرب . وتتلخص في ان دونات Donat اسقف نوميديا رفض الاعتراف باختيار سيسيليان Cicilianus اسقفا لقرطاجنة سنة ٣١١م . وكان مبعث رفضه أن القساوسة الذين اختاروه لهذا المنصب كانوا من المشكوك في ولائهم للعقيدة بعد اقدامهم على تسليم الكتب الدينية والاواني المقدسة الى السلطة الامبراطورية على اثر اغتيال الامبراطور ديكوليتيان
(Gautier: op. cit. p. 261) Diocletien

وقد آزرت الكنيسة والسلطات الرومانية سيسيليان،بينما ناصر البربر – وخاصة الطبقات الفقيرة منهم – دونات ضد اعدائه (Bonet: l'Islamisme et le Christianisme. p. 59.)

ثم حدث انشقاق داخل الحزب الدوناتي ، فظل دونات على رأس المعتدلين ، بينما تزعم سيركونسليون جناح المتطرفين ، ونحى بالحركة منحى اجتماعيا فقام بالاغارات على املاك الاغنياء والاستيلاء عليها تحقيقا لمبدأ العدالة والمساواة (مبارك الميلي : تاريخ الجزائر ج ١ ص ٢٥٤ Bonet: op. cit. p. 60 وقد تعرض هؤلاء وأولئك للاضطهاد الشديد طوال القرن الرابع الميلادي ، الامر الذي جعلهم يقدمون على التعاون مع الواندال لغزو افريقية وتحريرهم من الكنيسة الارثوذكسيةوالسلطاتالرومانية،بوقيل:الممالك الاسلامية ص٧٧ (Bonet: loc. cit.)

ومع تسليمنا بوجاهة نظرية جوتييه الى حد كبير ، نعتقد انها تنطوي على شيء من المبالغة حين يزعم صاحبها ان مذهب الخوارج امتداد للدوناتية ، كما اهمل العامل الديني في عقائد الخوارج وحملها افكارا اجتماعية لم تتضمنها .

وحسبنا أن البربر الذين ناصروا الدوناتية لم يمتد بهم الاجل – بداهة – للالتفاف حول دعاة الخوارج ، وما حدث لا يعدو أن يكون محض تشابه لظروف بلاد المغرب السياسية والاجتماعية والدينية التي ظهرت ابانها حركتان متباعدتان لا تمت أي منهما للاخرى بصلة . فاذا كانت الدوناتية ذات طابع مغربي صرف بمعنى انها نشات في بلاد المغرب ، ونسجت من واقع ظروفه، فان مذهب الخوارج ظهر في المشرق الاسلامي ثم وفد الى بلاد المغرب كسائر المذاهب الاسلامية الاخرى الامر الذي ينفي وجود رباط فكري مشترك كان فيه مذهب الخوارج متاثرا بعقائد الدوناتية .

ومن ناحية اخرى ، فان ما ساقه جوتييه من حجج وقرائن دلل بها على هذه الصلة كصفات

الاقدام والزهد والصلابة .. الخ انما هي صفات عامة وليست حكرا على معتنقي المذهبين فحسب ٠

وكذلك التقابل بين جناحي المعتدلين وجناحي المتطرفين في كل من المذهبين نجد له مثيلا في سائر المذاهب الدينية والسياسية ٠

بل نجد اختلافا جوهريا بين فكر السركونسيليين بمسوحه الاجتماعي وتطرقه الى الجوانب المتعلقة بحرب الطبقات وصراعها ، وبين فكر الخوارج السياسي القائم اساسا على نظريتهم في الامامة وهي قضية سياسية دينية بحتة ، وهو ما فطن اليه فلهوزن في دراسته للخوارج والشيعة « كاحزاب المعارضة السياسية الدينية » في الاسلام ٠

لقد اسرف جوتييه ـ ومن نقل عنه ـ حين اعتبر اعتناق البربر مذهب الخوارج مجرد وسيلة احتجاج على السلطة السياسية متجاهلا دلالته كتعبير لا شك فيه على تمسك البربر بتعاليم الاسلام وحرصهم على مراعاتها في حياتهم العامة ٠ ان تغلغل الاسلام بين البربر قد اثر تاثيرا واضحا في تاريخ المغرب حتى اعتبره بعض الدارسين العامل الحاسم في حركة هذا التاريخ ٠ (انظر : Bel: la Religion Musulmane. p. 112)

هوامش الباب الخامس

(١) الرقيق : ص ١٠٩ ، Provencal: Op. Cit. p. 41

(٢) البغدادي : ص ٢٧٣ ، Provencal : Loc. Cit.

(٣) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ١١١ ، Julien: Op. Cit. p. 329

(٤) ذكر الرقيق عن عبد الله بن ابي حسان اليحصبي عن ابيه قال : « رايت عبيد الله بن الحبحاب يوما ينظر في دفتر العطاء ، ويملي رسالة ، ويامر بحاجات في ناحية اخرى ، ويامر في خلال ذلك بالحكم بين رجلين متنازعين » ٠ انظر : تاريخ افريقية والمغرب ص ١٠٧ ٠

(٥) البيان المغرب ج ١ ص ٥٢ ٠

(٦) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٣ ٠

(٧) الرقيق : ص ١٠٩ ٠

(٨) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٢٤٠ ٠

(٩) ابن عذارى : ج ١ ص ٥٣ ٠

(١٠) الرقيق : ص ١٠٨ ٠

(١١) نفس المصدر ص ١٠٩ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ٦٩ ٠

(١٢) الرقيق : ص ١٠٩ (١٣) الحميدي : جذوة المقتبس ص ٨ ٠

(١٤) العبر : ج ٦ ص ١١١ ٠

(١٥) ينفرد ابن خلدون برواية تنص على اغتيال الخوارج ليزيد بن أبي مسلم سنة ١٠٣هـ٠ والواقع انه قتل نتيجة للخصومات بين القيسية واليمنية وليس على يد الخوارج ٠ فلم يكونوا قد قاموا بعد بثوراتهم على ولاة القيروان ٠ انظر : العبر ج ٦ ص ١٠٨ ٠

(١٦) انظر : اخبار مجموعة ص ٢٨ ٠

(١٧) ابن تغرى بردى : ج١ ص ٢٨٩ ، الطاهر الزاوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص ١٢٥ ٠

(١٨) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٣ ، الرقيق : ص ١٠٩ ٠

(١٩) ابن عذارى : ج١ ص ٥٢ ٠

(٢٠) دبوز : المغرب الكبير ج ٢ ص ١٤٨ ٠

(٢١) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٣ ٠

(٢٢) ابن القوطية : ص ٤٠ ٠

(٢٣) العبر ج ٦ ص ١٥٠ ٠

(٢٤) الاستقصا ج ١ ص ٩٧ ٠

(٢٥) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ١٣٠ ،
Provencal: Op. Cit. p. 41, Gautier, Op. Cit. p. 292

(٢٦) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٣ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٥٢ ٠

(٢٧) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٢٠٧ ، Bel: Op. Cit. p. 175

(٢٨) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ج ٣ ص ١٨١ ٠

(٢٩) ابن الاثير : ج ٥ ص ٧٠ ، حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ص ١٤ ٠

(٣٠) تاريخ الرسل والملوك ج ٤ ص ٢٦٤ ، فلهوزن ٠٠ تاريخ الدولة العربية ص ٣٣١ ٠

(٣١) البغدادي : ص ٢٧٣ ٠

(٣٢) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٣ ، اخبار مجموعة ص ٢٨ ٠ وقد أورد بعض المؤرخين ان البيعة تمت بعد قيام الثورة ، فابن الاثير ذكر ان ميسرة بويع بالامامة بعد الاستيلاء على طنجة، وقد اخذ عنه الانصاري روايته ، اما الدكتور مؤنس فذكر انه بويع بعد انتصاره على جيش خالد الفهري ٠ انظر : الكامل ج ٥ ص ٧٠ ، المنهل العذب ص ٥٩ ، ثورات البربر في افريقية والاندلس ص ١٦٩ ٠

(٣٣) الرقيق : ص ١٠٩ ٠

(٣٤) ابن عذارى : ج ١ ص ٥٢ ٠

(٣٥) نفس المصدر والصحيفة ·

(٣٦) البيان المغرب ج ١ ص ٥٢ ·

(٣٧) اخبار مجموعة ص ٣٩ ·

(٣٨) نفس المصدر والصحيفة ·

(٣٩) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٣ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٥٤ · اما ابن الاثير فيسميه خالد ابن حبيب الفهري (الكامل ج ٥ ص ٦٩) · وعند السلاوي خالد بن حميد الفهري (الاستقصا ج ١ ص ٩٧) ·

(٤٠) الرقيق : ص ١٠٩ ·

(٤١) ابن عذارى : ج ١ ص ٥٤ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ٦٩ ·

(٤٢) ابن عذارى : ج ١ ص ٥٤ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ٦٩ ·

(٤٣) نخالف بذلك ابن عبد الحكم الذي ذكر ان ميسرة انتصر في هذه المعركة ثم اقصي عن القيادة التي تولاها عبد الملك بن قطن المحاربي · ومما ينهض على خطأ تلك الرواية من اساسها ان عبد الملك بن قطن كان من ولاة الاندلس وليس من ثوار الخوارج · انظر : ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢٩٤ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٥٥ ·

(٤٤) ابن عذارى : ج ١ ص ٥٤ ، ابن الاثير ج ٥ ص ٦٩ ·

(٤٥) الرقيق : ص ١١٠ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٥٤ ·

(٤٦) الكامل ج ٥ ص ٦٩ ·

(٤٧) الرقيق : ص ١١١ ، ابن عبد الحكم : ص ٢٩٤ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٥٤ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ٦٩ ·

(٤٨) نفس المصادر والصفحات ، النويري : ج ٢٢ ورقة ١٥ ·

(٤٩) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٤ ·

(٥٠) ابن عذارى : ج ١ ص ٥٥ ·

(٥١) الرقيق : ص ١١ ، ابن عبد الحكم : ص ٢٩٤ ·

(٥٢) عبر الخليفة عن غضبه بقوله : « والله لاغضبن لهم غضبة عربية ، ولابعثن لهم جيشا أوله عندهم وآخره عندي · ثم لا تركت حصن بربري الا جعلت الى جانبه خيمة قيسي او تميمي — انظر : الرقيق : ص ١١١ » ·

(٥٣) اخبار مجموعة ص ٣٠ ، ابن القوطية : ص ٤١ ، ويسميه ابن عبد الحكم كلثوم بن عياض القيسي وكذلك ابن القوطية · اما فلهوزن فيرى انه كلثوم بن عياض القسري · انظر : فتوح مصر والمغرب ص ٢٩٤ ، تاريخ افتتاح الاندلس ص ٤٠ ، تاريخ الدولة العربية ص ٣٣٢ ·

(٥٤) يخطيء سكوت حين يذكر انه بلج بن بشر وليس كلثوما هو الذي عهد اليه بالولاية : انظر History of the Moorish Empire in Europe. Vol. I. p. 313.

(٥٥) اخبار مجموعة ص ٣٠ ، ابن القوطية ص ٤١ ٠

(٥٦) ابن القوطية : ص ٤١ ٠

(٥٧) أخبار مجموعة ص ٣١ ، السلاوي : ج ١ ص ٩٨ ، المقري : ج ٤ ص ١٩ Scott: Op., Cit. p. 313

(٥٨) اخبار مجموعة ص ٣١ ٠

(٥٩) أخبار مجموعة ص ٣١ ٠

(٦٠) الباجي المسعودي : الخلاصة النقية ص ١٤ ٠

(٦١) اخبار مجموعة ص ٣٦ ٠

(٦٢) الرقيق : ص ١١٢ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٥٦ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ٧٠ ٠

(٦٣) اشتط كلثوم وبلج ـ وهما من القيسية ـ في معاملة عرب المغرب من اليمنية وزعيمهم اذ ذاك حبيب بن أبي عبيدة ٠ فقد أنف كلثوم النزول بالقيروان ونزل في بلدة سبيبة على مقربة منها ٠ وامر اهل القيروان باخلاء منازلهم لجنده ٠ فاستجاروا بحبيب بن أبي عبيدة وكان بتلمسان ٠ فبعث الى كلثوم يامره بالرحيل عن البلاد ٠ فاعتذر له كلثوم عن مسلكه وتوجه اليه بتلمسان ليشتركوا جميعا في قتال الصفرية ٠ وهناك ثارت الخلافات من جديد لصلف بلج واستعلائه في معاملة حبيب ٠ وكادت الحرب أن تشب بين الطرفين ٠ وقد ذكر ابن خلدون انهما اقتتلا بالفعل ثم اصطلحا على مضض ٠ انظر : الرقيق : ص ١١٢ ، ابن عبد الحكم : ص ٢٩٥، ابن خلدون ج ٤ ص ١٨٩ ٠

(٦٤) اختلفت الروايات حول قائد الصفرية آنذاك فابن القوطية ذكر ان القيادة كانت لميسرة وخالد بن حميد معا ٠ وصاحب اخبار مجموعة ذهب الى انها كانت لميسرة وحده ، وكذلك ابن عبد الحكم ٠ لكننا نرجح رواية الرقيق لان ميسرة كان قد نحي عن الزعامة كما سبق ان أسلفنا ٠ انظر : ابن القوطية : ص ٤١ ، أخبار مجموعة ص ٣٢ ، ابن عبد الحكم : ص ٢٩٦ ، الرقيق : ص ١١٤ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٥٧ ٠

(٦٥) ابن عذارى : ج ١ ص ٥٧ ٠

(٦٦) أخبار مجموعة ص ٣٢ ٠ وقد ورد عن ابن القوطية « نقدرة » ٠ انظر : تاريخ افتتاح الاندلس ص ٤١ ٠

(٦٧) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٥ ، ابن الأثير : ج ٥ ص ٧٠ ٠

(٦٨) اخبار مجموعة ص ٣٢ ٠

(٦٩) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٥ ٠

(٧٠) اخبار مجموعة : ص ٣٢ ٠

(٧١) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٥ ٠

(٧٢) اخبار مجموعة ص ٣٣ ٠

(٧٣) نفس المصدر والصحيفة ٠ وقد ذكر كونديه ان الخيول العربية لم تستطع الصمود لحرارة الشمس ٠ انظر :

History of the Dominion of the Arabs in Spain Vol. I. p. 120.

(٧٤) ابن عذارى : ج ١ ص ٥٧ ٠

(٧٥) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٦ ٠

(٧٦) ابن عذارى : ج ١ ص ٥٧ ٠

(٧٧) نفس المصدر والصحيفة ٠

(٧٨) اخبار مجموعة ص ٣٢ ٠

(٧٩) الحميدي : جذوة المقتبس ص ١٩٩ ٠

وقد اخطأ المقري حين زعم ان كلثوما لم يقتل في المعركة انما اصيب بجراح ولاذ بالهرب الى بلدة سبيبة قرب القيروان ٠ انظر : نفح الطيب ج ٤ ص ١٩ ٠

(٨٠) حيل بين بلج وبين دخول طنجة فاعتصم بسبته وتحصن بهـا ٠ وفشلـت جيوش الصفرية في الظفر به ، فشددوا عليه الحصار واحرقوا الزروع حول المدينة ليموت وجيشه جوعا٠ فكتب بلج الى والي الاندلس لائذا به ، فقبل بعد ان اشترط عليه تقديم الرهائن ، ومغـادرة الاندلس بعد انقضاء عام يقاتل خلاله الى جانبه في قمع ثورات البربر بالاندلس ٠

انظر : اخبار مجموعة ص ٣٥ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ١٨٩ ، الحميدي : ص ١٨٠ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٥٨ ، المقري : نفح الطيب ج ٤ ص ١٩ ، Scott: Op. Cit. p. 313.

(٨١) اخطأ الطبري حين ذكر ان المعركة وقعت سنة ١٢١هـ ٠ انظر : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ١٩١ ٠

(٨٢) ابن القوطية ص ٤١ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ٧١ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ١٥ ٠

(٨٣) مجهول : اخبار مجموعة ص ٣٤ ٠

(٨٤) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٤ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ٧٠ ٠ وقد شذ ابن خلدون عن جمهرة المؤرخين حين اعتبر عبد الواحد الهواري اباضيا ٠ انظر : العبر ج ٦ ص ١٢٤ ٠

(٨٥) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ١٣٩ ، السلاوي : ج ١ ص ١٠١ ٠

(٨٦) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٤ ٠

(٨٧) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٤ ٠

(٨٨) نفس المصدر والصحيفة ٠

(٨٩) نفس المصدر والصحيفة ٠

(٩٠) ابن الاثير : ج ٥ ص ٧٠ ٠

(٩١) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٥ ٠

(٩٢) نفس المصدر : ص ٢٩٨ ٠

(٩٣) الرقيق : ص ١١٤ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ١٥ ٠

(٩٤) ابن الاثير : ج ٥ ص ٧٠ ٠

(٩٥) الرقيق : ص ١١٥ ، ابن عبد الحكم ص ٢٩٨ ٠ وقد آلت اليه زعامة صفرية المغربين الاوسط والاقصى بعد خالد الزناتي ٠ انظر ابن خلدون ج ٧ ص ١٢ ٠

(٩٦) من مظاهر الاهتمام نصيحته لحنظلة بان يشرع في ضبط امور افريقية قبل محاولة استرداد بلاد المغرب الاقصى التي اقتطعها الصفرية ٠

انظر : اخبار مجموعة ص ٣٦ ٠

(٩٧) اخبار مجموعة : ص ٣٤ ٠

(٩٨) انظر ملحق رقم ٢ ٠

(٩٩) ابن عبد الحكم : ص ٢٩١ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٦٢ ٠

(١٠٠) ابن عبد الحكم : ص ٣٠٠ ٠

(١٠١) اخبار مجموعة : ص ٣٦ ٠

(١٠٢) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٩ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٦٢ ٠

(١٠٣) الرقيق : ص ١١٨ ٠ وتقع على بعد ثلاثة اميال من القيروان ٠ ابن الاثير : ج ٥ ص ٧١ ٠

(١٠٤) الرقيق : ص ١١٨ ٠

(١٠٥) يذكر الدكتور سعد زغلول عبد الحميد ان انشقاقا وقع بين القائدين الصفريين عكاشة وعبد الواحد بسبب الخلاف حول الرئاسة ، لكننا نرجح ان يكون ما حدث من قبيل احكام الخطط للاطباق على القيروان بمحاصرتها من جهتين في وقت واحد ٠ انظر : تاريخ المغرب العربي ص ٢٧٣ ، ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص ٢٠ ٠

(١٠٦) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٩ ٠

(١٠٧) الرقيق : ص ١١٦ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٧٣ ٠

(١٠٨) ابن عذارى : نفس المصدر والصحيفة ٠

(١٠٩) ذكر الرقيق انه عبا خمسة آلاف دراع وخمسة آلاف نابل ٠ وجعل على الطلائع شعيب بن عثمان ، وعلى الساقة عمرو بن حاتم ، وعلى الميمنة عبد الرحمن بن مالك الشيباني ٠ انظر : تاريخ افريقية والمغرب ص ١١٩ ٠

(١١٠) استمال حنظلة فقهاء المالكية الذين قاموا بدور التعبئة الروحية والمعنوية للجيش الى جانب اشتراكهم في القتال ٠ انظر : الرقيق : ص ١٢٠ ، المالكي : ج ١ ص ١٣ ، ١٤٤ ٠ كما قام نساء القيروان بدور كبير في حض الرجال على الاستبسال فضلا عن اشتراك بعضهن في القتال كذلك ٠ انظر : الرقيق : ص ١٢٠ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ٧١ ٠

(١١١) الرقيق : ص ١١٧ ٠

(١١٢) الكامل ج ٥ ص ٧١ ، Biquet: Op. Cit. p. 36.

(١١٣) تاريخ افريقية والمغرب ص ١١٧ ٠

(١١٤) نفس المصدر ص ١٢٢ ، ابن عبد الحكم : ص ٢٩٩ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٦٣ ٠

(١١٥) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٩ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٦٣ ٠

(١١٦) اخبار مجموعة ص ٣٦ ، الباجي المسعودي : ج ١٥ ٠

(١١٧) يتضح ذلك من قول الليث بن سعد « ما من غزوة كنت احب ان اشهدها بعد غزوة بدر احب الي من غزوتي القرن والاصنام » ٠

انظر : الرقيق : ص ١٢٢ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ٧١ ٠

(١١٨) اشترك عبد الرحمن بن حبيب مع والده في موقعة بقدوره ، ونزح الى الاندلس ، مع بلج بن بشر ٠ وهناك وقع في صراع مع بلج وثعلبة بن سلامة ، فلم يطب له المقام خصوصا في وجود أبي الخطار الحسام بن ضرار عامل حنظلة على الاندلس ٠ فغادرها الى تونس ، ودعى لنفسه فالتفت حوله اليمنية ٠ ثم دخل القيروان بعد انسحاب حنظلة منها سنة ١٢٧هـ ٠ وظل على ولائه الاسمي لبني امية حتى قامت الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ ، فاعلن تبعيته للمنصور٠ ثم خلع طاعته واستقل بالامر وظل يمارس نفوذا فعليا في افريقية بمعزل عن الخلافة حتى اغتيل سنة ١٣٧هـ على يد اخيه الياس ٠

(١١٩) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٩٠ ٠

(١٢٠) ابن عذارى : ج ١ ص ٦٥ ٠

(١٢١) ابن خلدون : المرجع السابق ص ١٩٠ ٠

(١٢٢) الرقيق : ص ١٢٦ ، ابن خلدون ج ٦ ص ١١١ ٠

(١٢٣) العبر : ج ٤ ص ١٩٠ ٠

(١٢٤) انظر : السلاوي : ج ١ ص ١٠٥ ٠

(١٢٥) ابن وردان : تأريخ الاغالبة ورقة ٢ ـ مخطوط ٠

(١٢٦) ابن خلدون : ج ٦ ص ١١٥ ٠ تزعم المصادر السنية انه كان كاهنا مدعيا للنبوة٠ انظر : ابن الاثير : ج ٥ ص ١١٧ ٠

(١٢٧) الرقيق : ص ١٤٠ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٨٠ ٠

(١٢٨) ذهب ابن خلدون والسلاوي الى انهما كانا من زعماء الاباضية ، لكن كتب الاباضية خلو من أي اشارة تؤكد ذلك ، بل صورهما على انهما من اعداء ابي الخطاب عبد الاعلى بن السمح الاباضي ٠ انظر : العبر ج ٦ ص ١١٥ ، الاستقصا ج ١ ص ١٠٩ ٠

(١٢٩) الرقيق : ص ١٤٠ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٨٠ ، ابن الاثير ج ٥ ص ١١٧ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ١٩١ ٠

(١٣٠) الرقيق : نفس المصدر والصحيفة ، ابن عذارى : نفس المصدر والصحيفة ٠

(١٣١) ابن الاثير : ج ٥ ص ١١٧ ٠

(١٣٢) ابن الاثير : ج ٥ ص ١١٧ ٠

(١٣٣) الرقيق : ص ١٤٠ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٨٠ ٠

(١٣٤) المالكي : ج ١ ص ١١٠ ٠

(١٣٥) الرقيق : ص ١٤٠ ٠

(١٣٦) نفس المصدر والصحيفة،ابن عذارى:ج ١ ص ٨١،الدباغ:معالم الايمان ج ١ ص ١٧١ ٠

(١٣٧) المالكي : ج ١ ص ١٠٧ ، ١١٠ ٠

(١٣٨) تبالغ المصادر السنية في وصف فظائع الصفرية بالقيروان فتذكر انهم « استحلوا المحارم وارتكبوا الكبائر ، وسبوا النساء والصبيان وربطوا دوابهم في المسجد الجامع » والواقع ان ذلك محض افتراء ٠

انظر : الرقيق : ص ١٤٠ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٨١ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ١١٧ وتضيف هذه المصادر ان شيوخ القيروان وفقهاءها استصرخوا الخلافة العباسية لتخليصهم من عسف الصفرية وما اصاب البلاد على أيديهم « من ظلم فاش وأمر قبيح » ٠ انظر : المالكي : ج ١ ص ١٠٢، أبو العرب تميم : طبقات علماء افريقية ص ٣٠ ٠

(١٣٩) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٩١ ٠

(١٤٠) الرقيق : ص ١٤١ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٨١ ٠

(١٤١) نفس المصدرين والصفحات ، ابن الاثير : ج ٥ ص ١١٧ ،السلاوي : ج١ ص١١٠ ٠

(١٤٢) ابن خلدون : ج ٦ ص ١١٢ ٠

(١٤٣) تجمع هذه المصادر على استبداد الصفرية بعرب القيروان وسومهم سوء العذاب،

وعلى استدعاء القيروانيين لابي الخطاب لتحريرهم من ظلم الصفرية • وتذكر في ذلك روايات شتى منها : —

أ — ان رجلا اباضيا دخل القيروان وشاهد بنفسه بعض الصفرية يعتدون قسرا على امراة في المسجد الجامع ، فاعلم أبا الخطاب بالامر ، فخرج لينتقم منهم لاستباحتهم حرمة المسجد •
انظر : الرقيق : ص ١٤١ — ١٤٢ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ١١٨ ، النويري ج٢٢ ورقة ١٦ •

ب — ان أبا الخطاب قاتل الصفرية على اثر رسالة اليه من احدى القيروانيات تعلمه فيها انها اخفت وليدتها في حفرة تحت سرير خشية ان يفسدها الصفرية •
انظر : أبو زكريا : ورقة ٧ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ١٢ •

ج — ان احدى نساء القيروان خرجت من المدينة منادية « اغيثوني معاشر المسلمين » وفي رواية اخرى « اغثني يا أبا الخطاب » ، فهد الله في صوتها وسمعه أبو الخطاب فاجابها « لبيك يا اختاه » • انظر : أبو زكريا : ورقة ٧ •

وهذه الروايات جميعا تميل الى المبالغة والطابع الاسطوري مما يشكك في صحتها • كذلك فمن المستبعد أن يكون خروج أبي الخطاب سببه دافع اقتصادي كما ذهب الدكتور سعد زغلول عبد الحميد اعتمادا على قول للشماخي بان عام ١٤٠هـ الذي خرج فيه أبو الخطاب كان عام جدب•
انظر : الشماخي : السير ص ١٢٧ ، سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ص ٣١٠ •

(١٤٤) الشماخي : السير ص ١٢٧ •

(١٤٥) أبو زكريا : السيرة ورقة ٨ ، الشماخي : السير ص ١٢٨ •

(١٤٦) نفس المصدرين والصفحات ، ابن الاثير ج ٥ ص ١١٨ •

(١٤٧) ابن عذارى : ج ١ ص ٨٢ ، السلاوي : ج ١ ص ١١١ •

(١٤٨) أبو زكريا : ورقة ٩ ، Lewcki: Etudes Ibadites, p. 113.

(١٤٩) ذكر ابن خلدون في تاريخه انه « من مغيلة ، وهو الاصح في شانه » • انظر : العبر ج ٦ ص ١١٢ • لكنه في موضع اخر يقول « وقد قيل ان ابا قرة من مطماطة ، وهذا عندي صحيح ، ولذلك أحزت ذكر اخباره الى اخبار بني يفرن من زناتة » • انظر : العبر ج ٦ ص ١٢٥ • ونفس الخلط نجده عند السلاوي حيث ذكر على انه « ابا قرة بن دوناس اليفرني » ومرة اخرى يدعوه « ابا قرة المغيلي • انظر : الاستقصا ج ١ ص ١١٦ •

(١٥٠) ابن خلدون : العبر ج ٧ ص ١٢ •

(١٥١) ابن خلدون : ج ٧ ص ١٢ •

(١٥٢) نفس المصدر والصحيفة •

(١٥٣) تاريخ افريقية والمغرب ص ١٣٠ •

(١٥٤) العبر ج ٦ ص ١١٢ ، ج ٧ ص ١٢ ٠

(١٥٥) نبذ تاريخية ـ جمع بروفنسال ص ٤٩ ، محمد الشطيبي : الجمان ورقة ٢٠٣،
Mercier: Histoire de L'Afrique. p. 238.

(١٥٦) اخطا ابن وردان حين ذكر ان الاشعث بن عقبة الخزاعي هو الذي اضطلع بهذه المهمة وليس ابنه الذي اجمعت عليه المصادر ٠ أنظر : تاريخ الاغالبة ص ١ ـ مخطوط ٠

(١٥٧) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٧٥ Biquet: Op. Cit. p. 42.

(١٥٨) ابن خلدون : العبر : ج ٦ ص ١١٥ ٠

(١٥٩) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٩٢ ، ج ٧ ص ١٢ ٠

(١٦٠) انظر : جغرافية المامون ص ١٨٤ ، محمود اسماعيل : سياسة الاغالبة الخارجية الفصل الاول ٠

(١٦١) ابن الابار : الحلة السيراء ج ١ ص ٦٩ ، ابن الاثير ، ج ٥ ص ٢١٧ ٠

(١٦٢) ابن الاثير : نفس المصدر والصحيفة ٠

(١٦٣) ابن عذارى : ج ١ ص ٨٦ ٠

(١٦٤) ابن خلدون : ج ٦ ص ١١٢ ٠

(١٦٥) ابن الاثير : ج ٥ ص ٢١٧ ٠

(١٦٦) الباجي المسعودي : الخلاصة النقية ص ١٨ ٠

(١٦٧) السلاوي : ج ١ ص ١١٦ ٠

(١٦٨) ابن عذارى : ج ١ ص ٨٨ ٠

(١٦٩) ابن الاثير : ج ٥ ص ٢٢١ ، السلاوي : ج ١ ص ١١٧ ٠

(١٧٠) ذكر ابن الاثير ان انتقال عمر بن حفص الى الزاب وتحصينه طنبة كان وفقا لمشورة المنصور ٠ الكامل ج ٥ ص ٢٢١ ٠

(١٧١) الرقيق : ص ١٤٣ ٠

(١٧٢) ذكر ابن الاثير والنويري ان عاصم السدراتي الاباضي اشترك في حصار طنبة على راس ستة آلاف من الاباضية ٠

انظر : الكامل ج ٥ ص ٢٢١ ، نهاية الادب ج ٢٢ ورقة ٢١ ٠ وهو قول مردود لان عاصما مات مسموما سنة ١٤٠هـ ابان حروب أبي الخطاب مع ورفجومة ٠ انظر : ابو زكريا : ورقة ٨، الشماخي : السير ص ١٢٨ ٠

(١٧٣) ابن عذارى : ج ١ ص ٨٨ ٠ Fournel: Op. Cit. Vol. I. p. 371.

(١٧٤) ابن الاثير : ج ٥ ص ٢٢١ ،

(١٧٥) مديونة احدى بطون بني فاتن من ضريسة التبرية ، ومواطنها في نواحي تلمسان·ابن خلدون : ج ٦ ص ١٢٥ · ولا محل لتصديق رواية ابن خلدون القائلة بتشيع ورفجومة الصفرية لعمر بن حفص وقتلها الى جانبه · انظر : العبر ج ٦ ص ١١٥ ·

(١٧٦) ابن عذارى : ج ١ ص ٨٨ ·

(١٧٧) ابن عذارى : ج ١ ص ٨٩ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ٢٢٢ ، النويري : ج٢٢ ورقة ٢١ ·

(١٧٨) الرقيق : ص ١٤٣ ، ابن خلدون : ج ٦ ص ١١٢ ·

(١٧٩) ابن خلدون : نفس المصدر والصحيفة ، السلاوي : ج ١ ص ١١٧ ·

(١٨٠) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٩٣ ·

(١٨١) اختلط الامر على الطبري فذكر ان أبا قرة اشترك في حصار عمر بن حفص في القيروان ، ذلك ان حصار القيروان الذي ضربه أبو حاتم الملزوزي حدث سنة ١٥٤هـ وليس سنة ١٥٣هـ · وقد وقع في هذا الخطأ كثيرون ممن نقلوا عن الطبري · انظر : تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٤٢ ، السلاوي : ج ١ ص ١١٨ ، العيني : عقد الجمان ج ١٣ ورقة ١٦ ·

ويؤكد معظم المؤرخين ان الذين حاصروا عمر بن حفص في القيروان كانوا جميعا من الاباضية·

انظر : الرقيق : ص ١٤٣ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٨٩ ، ٩٠ ، ابن خلدون : ج ٦ ص ١١٩، ابن الاثير : ج ٥ ص ٢٢٢ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ٢١ ·

(١٨٢) الرقيق : ص ١٤٣ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ١٩٣ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ٢١ ·

(١٨٣) الرقيق : ص ١٤٣ ·

(١٨٤) نفس المصدر ص ١٥٩ ·

(١٨٥) نفس المصدر ص ١٦١ ، ابن خلدون : ج ٦ ص ١١٥ ، السلاوي ·· ج ١ ص ١١٨ ·

(١٨٦) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٩٣ ·

(١٨٧) الرقيق : ص ١٦٢ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ٢٢٣ ·

(١٨٨) ابن خلدون : ج ٦ ص ١١٥ ·

(١٨٩) الورجلاني : الدليل لاهل العقول ج ٣ ص ٣٤ ·

(١٩٠) ابن عبد الحكم : ص ٣٠١ ، أبو راس : مؤنس الاحبة ص ٤٣ ·

(١٩١) تختلف المصادر حول كيفية اشتراكهما في قيادة الثورة ، فذكر البرادي أنهما « كانا مشتركين في الملك » اما الشماخي فيرى ان أحدهما كان اماما والاخر وزيره · ويفهم من رواية لابن عبد الحكم — وهي الارجح — ان عبد الجبار كان امام الصلاة والحارث امام الحرب · انظر : البرادي : الجواهر المنتقاة ورقة ٨٧ ، الشماخي : السير ص ١٢٥ ، ابن عبد الحكم : ص ٣٠٢ ·

(١٩٢) ابن عبد الحكم : ص ٣٠١ ·

(١٩٣) نفس المصدر والصحيفة •

(١٩٤) عن تفاصيل هذا الموضوع راجع : ابن عبد الحكم : ص ٣٠١ ، ٣٠٢ ، الرقيق : ص ١٢٨ البرادي : الجواهر ورقة ٨٧ ، Masqueray; p. 23.

(١٩٥) ابن عبد الحكم : ص ٣٠١ •

(١٩٦) الرقيق : ١٢٨ •

(١٩٧) ذكر بعض المؤرخين انهما اختلفا فاقتتلا ، فقتل كل منهما الاخر ووضع سيفه في جسد صاحبه (ابن عبد الحكم : ص ٣٠٢ ، البرادي : الجواهر المنتقاة ورقة ٨٧) وذكر آخرون ان عبد الرحمن بن حبيب حاربهما فقتلهما (الرقيق : ص ١٢٩ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ١١٦)• بينما نجد في رواية ثالثة ان عبد الرحمن بن حبيب اغتالهما خفية ، واوصى القتلة بوضع سيف كل منهما في جسد الاخر اثارة للخلاف بين الاباضية •

انظر : الدرجيني : ج ١ ورقة ١٢ علي يحيى معمر : الاباضية في موكب التاريخ ص٤٦،٤٧ •

(١٩٨) الشماخي : السير ص ١٢٥ ، Masqueray: Op. cit. p. 23

(١٩٩) اختلف الاباضية في تحديد أيهما أخطأ في حق صاحبه ، ولم يلبث الخلاف ان تشعب الى مسائل فقهية وفلسفية جوهرها « هل يدفع الشك اليقين ؟ أم اليقين يدفع الشك » • فقال البعض هما على ولايتهما حتى يتبين أمرهما ، بينما رأى البعض الاخر عدم البت في القضية ، فتحول الخلاف الفقهي الى انشقاق سياسي •• عن مزيد من التفصيلات راجع : البرادي : الجواهر المنتقاة ورقة ٨٧ ، الشماخي : السير ص ١٢٥ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ١١ ظهر •

(٢٠٠) أبو زكريا : السيرة ورقة ٦ •

(٢٠١) ابن عبد الحكم : ص ٣٠٢ •

(٢٠٢) اطفيش : الامكان ص ٥٣ •

(٢٠٣) ابن عبد الحكم : ص ٣٠٢ •

(٢٠٤) الرقيق : ص ١٢٨ •

(٢٠٥) ابن عبد الحكم : ص ٣٠٢ •

(٢٠٦) الرقيق : ص ١٢٩ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ١١٦ •

(٢٠٧) الشماخي : السير ص ١٢٥ • يخرج ماسكراي من اختيار عربي لزعامة الحركة بأن العامل الديني حل محل عامل العصبية في اعطاء الحركة طابعها •

انظر : Chronique d'Abo Zakaria p. 29

(٢٠٨) الشماخي : نفس المصدر ص ١٢٤ •

(٢٠٩) أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة : رسالة في احكام الزكاة ورقة ١١٤ ـ مخطوط •

(٢١٠) انظر : ملحق (١) ٠

(٢١١) السيرة واخبار الائمة ورقة ٦ ٠

(٢١٢) اليعقوبي : تاريخه ص ١١٨ ، البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٧٥ ٠

(٢١٣) تذكر المصادر الاباضية أن رؤساء المذهب كانوا يجتمعون في مكان يقال له صياد ـ غربي طرابلس ـ بحجة اقتسام أرض اختلف القوم عليها ، أو للتاليف بين رجل اختلف مع زوجته ، مداراة لوالي طرابلس ٠ انظر : أبو زكريا : ورقة ٦ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ١١ ٠

وتصور هذه المصادر أبا الخطاب على انه فوجيء بعرض الامامة عليه ، لكنه كان في الواقع على علم بانه سيتقلد الامامة منذ غادر البصرة مع الوفد المغربي وفقا لمشورة أبي عبيدة مسلم بن ابي كريمة ٠ انظر : أبو زكريا : ورقة ٧ ٠

(٢١٤) أبو زكريا : ورقة ٧ ٠

(٢١٥) تصور المصادر الاباضية سقوط طرابلس تصويرا روائيا اشبه ما يكون بسقوط طروادة ، فذكرت ان الجيش الاباضي اختبا داخل جواليق يحملها الجمال التي دخلت المدينة على انها قافلة تجارية ٠ فلما توسطت المدينة ، خرج الرجال شاهرين اسلحتهم صائحين « لا حكم الا لله ولا طاعة الا لابي الخطاب » ٠ انظر : أبو زكريا : ورقة ٧ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ١٢ ٠

(٢١٦) الرقيق : ص ١٤٢ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٢٤ ٠

(٢١٧) ابو زكريا : ورقة ٧ ٠

(٢١٨) نفس المصدر والصحيفة ، الدرجيني ج ١ ورقة ١٤ ٠

(٢١٩) انظر : ملحق (١) ٠

(٢٢٠) أبو راس : مؤنس الاحبة ص ٤٥ ٠

(٢٢١) ابو زكريا : ورقة ٨ ، الشماخي : السير ص ١٢٨ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ١٣ ٠

(٢٢٢) البكري : المغرب ص ٢٨ ٠

(٢٢٣) ابو زكريا : ورقة ٩ ٠

(٢٢٤) ابن عذارى : ج ١ ص ٨٢ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ١٩١ ، الانصاري ، المنهل العذب ص ٦٥ ٠

(٢٢٥) ذكر مؤرخو السنة أن المنصور انفذ الحملة استجابة لطلب فقهاء القيروان لتخليصهم من عسف الصفرية ٠ راجع : المالكي : ج ١ ص ٩٨ ، ١٠٢ ، أبو العرب تميم : ص ٣٠ ، بينما يذهب مؤرخو الاباضية الى أن ارسال الحملة كان نتيجة الحاح احد رجال أبي الخطاب ويدعى جميل السدراتي بعد أن خرج عليه ورحل الى بغداد ٠

راجع : أبو زكريا : ورقة ٩ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ١٥ ، الشماخي : ص ١٣١ ٠

(٢٢٦) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٧٥ •

(٢٢٧) زعم ابن تغرى بردى ان ابا الاحوص انفذ الى المغرب من قبل والي مصر حميد بن قحطبة ، واضاف ان حميدا خرج بنفسه للقاء ابي الخطاب بعد هزيمة ابي الاحوص فهزمه وقتله ثم عاد الى مصر •

انظر : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٣٤٩ • والثابت ان ابن الاشعث هو الذي قام بالمهمة ابان ولاية حميد بن قحطبة لمصر • انظر : ابن عذارى : ج ١ ص ٨٢ •

(٢٢٨) البكري : ص ٧ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٨٢ •

(٢٢٩) البكري : نفس المصدر والصحيفة ، السلاوي : ج ١ ص ١١٤ •

(٢٣٠) ذكرت المصادر الاباضية ان ابا الخطاب كان قد هزم جيشا اخر لابن الاشعث بقيادة العوام بن عبد العزيز البجلي قبل انتصاره على ابي الاحوص•انظر : الشماخي : السير ص ١٣٠ •

(٢٣١) ابن عذارى : ج ١ ص ٨٣ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ١١٨ •

(٢٣٢) ابن عذارى : نفس المصدر والصحيفة •

(٢٣٣) النويري : ج ٢٢ ورقة ١٩ •

(٢٣٤) ابو زكريا : ورقة ١٠ • ويبالغ ابن عذارى حين يذكر ان جيش ابي الخطاب بلغ مائتي الف مقاتل • انظر : البيان المغرب ج ١ ص ٨٢ •

(٢٣٥) ابن عذارى : ج ١ ص ٨٣ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ١١٨ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ١٩ • وتذكر المصادر الاباضية ان العامة في جيش ابي الخطاب تخلوا عنه حين تظاهر ابن الاشعث بالانسحاب الى الشرق رغم تحذير ابي الخطاب وتتجاهل تماما ذكر انسحاب اباضية زناتة • والحق ما ذهبت اليه المصادر السنية في تفسير الانشقاق داخل معسكر الاباضية • يؤكد ذلك ما ورد بالمصادر الاباضية ذاتها من اشتراك نفوسة وهوارة وحريشة في معركة تاورغا الى جانب ابي الخطاب دون ان يرد بينها ذكر لزناتة • انظر : ابو زكريا : ورقة ١٠ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ١٥ ، الشماخي : السير ص ١٣١ ، ١٣٢ •

(٢٣٦) تقع بارض سرت على مسيرة ثمانية ايام من طرابلس • الدرجيني : ج ١ ورقة ١٦ •

(٢٣٧) ابو زكريا : ورقة ١٠ •

(٢٣٨) تقدر المصادر الاباضية عدد القتلى بما يتراوح بين اثني عشر الف واربعة عشر الف اما المصادر السنية فتسرف في تقديرها الذي يصل الى اربعين الف • راجع : ابو زكريا : ورقة ١٠، الشماخي : السير : ص ١٣٢ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ١٩ •

(٢٣٩) ابو زكريا : ورقة ١٠ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ١٦
Lewcki: Etudes Ibadites, p. 113

(٢٤٠) ابن عذارى : ج ١ ص ٨٤ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ١٩ •

(٢٤١) الشماخي : السير ص ١٣٤ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ١٩ .

(٢٤٢) ابن الاثير : ج ٥ ص ١١٨ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٨٣ .

(٢٤٣) الشماخي : السير ص ١٣٤ .

(٢٤٤) ابن الاثير : ج ٥ ص ١١٨ .

(٢٤٥) اخطأ الدرجيني في تسميته لابي حاتم بيعقوب بن لبيب ، وكذلك البرادي الذي نقل عنه . راجع : طبقات الاباضية ج ١ ورقة ١٧ ، الجواهر المنتقاة ورقة ٨٨ .

(٢٤٦) الدرجيني : ج ١ ورقة ١٧ ، البرادي : الجواهر المنتقاة ورقة ٨٨ .

(٢٤٧) البلاذري : فتوح البلدان ص ٧٥ .

(٢٤٨) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٢٥ ، بروفنسال : نبذ تاريخية ص ٤٩ .

(٢٤٩) والصواب ان يكون من « مليلة » وهي بطن من بطون هوارة . راجع : ابو زكريا : ورقة ١٢ .

(٢٥٠) نقل الشماخي عن الدرجيني خطاه في جعل تاريخ مبايعة ابي حاتم بالامامة سنة ١٥٤هـ بدلا من سنة ١٤٥هـ . انظر : طبقات الاباضية ج ١ ورقة ١٧ ، السير ص ١٣٣ .

(٢٥١) ابو زكريا : ورقة ١١ .

(٢٥٢) بروفنسال : نبذ تاريخية ص ٤٩ ، محمد الشطيبي : الجمان ورقة ٢٠٣ ـ مخطوط .

(٢٥٣) ابو زكريا : ورقة ١١ .

(٢٥٤) الدرجيني : ج ١ ورقة ١٧ ، الشماخي : السير ص ١٣٤ .

(٢٥٥) يفهم ذلك من رواية لابي زكريا يقول فيها ان ابا حاتم لام اصحابه على تعديهم وامرهم برد ما اخذوه من اسلاب ، وهددهم بالتخلي عن الامامة ما لم يجيبوه . انظر : السيرة ورقة ١٢ .

(٢٥٦) النويري : ج ٢٢ ورقة ٢١ .

(٢٥٧) من الملاحظ ان المصادر جميعا تضطرب وتختلط حين تسرد هذه الاحداث ، وقد اثبتنا ما نعتقد انه الصواب على هدى تلك الروايات المختلفة . انظر : ابو زكريا : ورقة ١٢، الدرجيني ، ج ١ ورقة ١٧ ، الشماخي : السير ص ١٣٤ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٨٨ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ٢٢١ ، ابن خلدون ج ٤ ص ١٩٣ ، النويري ج ٢٢ ورقة ٢٠ .

(٢٥٨) تخطيء المصادر الاباضية حين تزعم ان ابا حاتم حاصر ابن الاشعث في القيروان وارغمه هو وجنده على الرحيل الى المشرق . فمن المعروف ان ابن الاشعث غادر القيروان سنة ١٤٨هـ بعد ثورة الجند الخلافي عليه . وجدير بالذكر ان هذه المصادر تتجاهل ولاية عمر بن حفص لافريقية فتسقطها ، ولا تورد شيئا من ثم عن الصراع بينه وبين الاباضية .

راجع ٠٠ أبو زكريا : ورقة ١٢ ، الدرجيني ج ١ ورقة ١٨ ٠

(٢٥٩) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٩٣ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ٢١ ٠

(٢٦٠) ابن الاثير : ج ٥ ص ٢٢١ ٠

(٢٦١) ابن خلدون : ج ٦ ص ١١٢ ، ذكر الرقيق ان ابن رستم فقد في المعركة ثلاثمائة من رجاله ، بينما ذكر ابن عذارى ان عدد القتلى بلغ ثلاثة آلاف ٠ راجع : تاريخ افريقية والمغرب ص ١٤٣ ، البيان المغرب ج ١ ص ٨٩ ٠

(٢٦٢) يفهم ذلك من قول ابن الاثير بان أبا حاتم « كثر جمعه » بعد ان غادر طنبة ٠ راجع : الكامل ج ٥ ص ٢٢٢ ٠

(٢٦٣) ابن عذارى : ج ١ ص ٨٩ ٠ وتبالغ بعض الروايات فتذكر ان جيش ابي حاتم بلغ خمسة وثمانين الف فارس وثلاثمائة وخمسين الف راجل ٠ راجع : الطبري : ج ٨ ص ٤٢ ، البرادي : الجواهر ورقة ٨٨ ، العيني : عقد الجمان ج ١٣ ورقة ١٦ ٠

(٢٦٤) ابن الاثير : ج ٥ ص ٢٢٢ ٠

(٢٦٥) الرقيق : ص ١٤٤ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ٢١ ٠

(٢٦٦) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٩٣ ، والاربس احدى مدن افريقية تقع غربي القيروان بمسيرة ثلاثة ايام ٠ السلاوي : ج ١ ص ١١٨ ٠

(٢٦٧) الرقيق : ص ١٤٤ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٨٩ ٠

(٢٦٨) النويري : ج ٢٢ ورقة ٢١ ٠

(٢٦٩) الرقيق : ص ١٤٤ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ٢١ ٠

(٢٧٠) الرقيق : ص ١٤٥ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٩٠ ٠

(٢٧١) الرقيق : نفس المصدر والصحيفة ، النويري : ج ٢٢ ورقة ٢١ ٠

(٢٧٢) الرقيق : نفس المصدر ص ١٤٦ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٩٠ ٠ وثمة رواية لابن وردان تصور هدب عمر بن حفص الى جبل الاوراس وقتله غدرا اثناء نومه ٠ راجع : تاريخ الاغالبة ورقة ٥ ــ مخطوط ٠

(٢٧٣) يبدو ان أبا حاتم كان يريد عقد الصلح على وجه السرعة ليتفرغ للقاء جيش يزيد ابن حاتم ومن ثم اتسم الصلح بالتساهل المفرط مع العرب ، فقد نص فيه على الا يكره احد من الجند على بيع سلاحه ودوابه ، وعلى ان كل دم أصابه الجند من البربر فهو هدر انظر : الرقيق : ص ١٤٦ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ٢٢ ٠

(٢٧٤) ابن الاثير : ج ٥ ص ٢٢٢ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ١٩٣ ٠

(٢٧٥) الرقيق : ص ١٤٧ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ١٩٣ ٠

(٢٧٦) بدد ابو حاتم شمل جميل بن صخر وجنده عند تونس ، كما ارغم المخارق بن غفار انطائي على مغادرة القيروان • انظر : الرقيق : ص ١٤٨ •

(٢٧٧) بعث أبو حاتم جرير بن مسعود المديوني في اثر عمر بن عثمان الفهري الى أرض كتمامة ، لكن جريرا هزم وقتل ـ انظر الشماخي ص ١٣٥ •

(٢٧٨) الرقيق : ص ١٥٩ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٩١ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ٢٢٢ ، النويري : ج ٢ ورقة ٢٢ •

(٢٧٩) تجمع المصادر على ضخامة الحملة ، فقدر عددها بما يتراوح بين تسعين الفا ومائة وعشرين ألف نصفهم من الفرسان : انظر اليعقوبي : تاريخه ص ١٢٠ ، البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٧٥ ، الرقيق : ص ١٥٩ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ٢٢٢ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٩٤ ، ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ١٩٥ ، العيني : ج ١٣ ورقة ١٦ ، الشماخي السير ص ١٣٦ •

(٢٨٠) أبو زكريا : ورقة ١٢ ، الشماخي : ص ١٣٦ •

(٢٨١) أبو زكريا ورقة ١٣ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ١٨ •

(٢٨٢) النويري : ج ٢٢ ورقة ٢٢ •

(٢٨٣) مكان حصين بجبل نفوسة في نواحي طرابلس ، راجع الرقيق : ص ١٥٩ ، ابن الاثير ج ٥ ص ٢٢٢ •

(٢٨٤) الرقيق : ص ١٦٠ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ٢٢ ، يعتقد الدكتور سعد زغلول عبد الحميد ان ابا حاتم هزم في تلك المعركة على الرغم من اجماع المؤرخين اباضية وغير اباضية على انتصاره فيها • انظر : سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ص ٣٢٩ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ٢٢٢ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ٢٢ ، ابو زكريا : ورقة ١٢ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ١٨، الشماخي : السير ص ١٣٩ •

(٢٨٥) الرقيق : ص ١٦٠ •

(٢٨٦) نفس المصدر والصحيفة ، ابن الاثير : ج ٥ ص ٢٢٣ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ٢٢ •

(٢٨٧) ابو زكريا : ورقة ١٣ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ١٨٠ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ٢٢ •

(٢٨٨) اليعقوبي : تاريخه ص ١٢ •

(٢٨٩) ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ١٩٣ ، ويذكر النويري ان القتلى من معسكر يزيد كانوا ثلاثة فقط والصحيح ما رواه الرقيق ان عددهم بلغ «ثلاثة رهط» • انظر : النويري : نهاية الارب ج ٢٢ ورقة ٢٢ ، الرقيق : تاريخ افريقية والمغرب ص ١٦٠ •

(٢٩٠) الرقيق : ص ١٠٩ •

(٢٩١) نفس المصدر والصحيفة : ابن عذارى : ج ١ ص ١٩٤ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ٢٢٣ •

(٢٩٢) نفس المصادر والصفحات ٠

(٢٩٣) ابن عذارى : جـ ١ ص ٩٤ ، ابن الاثير : جـ ٥ ص ٤ ٠

(٢٩٤) البيان المغرب جـ ١ ص ٩٤ ٠

(٢٩٥) ابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ١١٣ ، السلاوي : جـ ١ ص ١٢٠ ٠

(٢٩٦) ابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ١١٥ ، النويري : جـ ٢٢ ورقة ٢٣ ٠

(٢٩٧) الرقيق : ص ١٦٩ ، النويري : جـ ٢٢ ورقة ٢٣ ٠

(٢٩٨) احدى كور الاربس بافريقية ٠ راجع الرقيق : ص ١٦٩ ٠

(٢٩٩) الرقيق : ص ١٦٩ ، ابن عذارى : جـ ١ ص ٩٩ ، ابن خلدون : جـ ٦ ص ١١٣ ، النويري : جـ ٢٢ ورقة ٢٣ ٠

★(٢٠٠) ابن الاثير : جـ ٥ ص ٤٦،ابن خلدون : العبر جـ ٤ ص ١٩٥، ابن تغري بردى : جـ ٢ ص ٩٠ ٠

(٢٠١) الحميدي : جذور المقتبس ص ٨ ، الضبي : بغية الملتمس ص ١٤ ٠

(٢٠٢) اخبار مجموعة ص ٣٦ ٠

(٢٠٣) الحميدي : المرجع السابق ص ٨ ٠

(٢٠٤) الباجي المسعودي : الخلاصة النقية ص ١٥ ٠

(٢٠٥) العبر : جـ ٦ ص ١١ ٠

(٢٠٦) المقري : نفح الطيب جـ ١ ص ٢٢٢ ٠

(٢٠٧) عن الطابع الشرقي للخلافة العباسية واهمال السفاح لشئون المغرب انظر : محمود اسماعيل : سياسة الاغالبة الخارجية ص ١ ، ٢ ٠

(٢٠٨) عن الطرق البرية بين بغداد وبلاد المغرب : انظر قدامة بن جعفر : الخراج ص ٢٢٠ ــ ٢٢٥ ٠

(٢٠٩) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٥٨ ٠

(٢١٠) ابن الاثير : جـ ٥ ص ٢٢١ ٠

(٢١١) الرقيق : ص ١٥١ ، ابن عذارى : جـ ١ ص ٩٨ ٠

(٢١٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٧٥ ، ابن تغري بردى : جـ ٢ ص ٢٠ ٠

(٢١٣) ابن تغري بردى : جـ ٢ ص ٢٣ ٠

....

★ ملاحظة للقارىء ، ارجو اعتبار الرقم ٢٠٠ بدلا عن الرقم ٣٠٠ والسير في الترقيم صعودا على هذا الاساس ٠

(٢١٤) ابن الاثير : ج ٥ ص ٢٢١ .

(٢١٥) ابن طباطبا : الفخري في الاداب السلطانية ص ١٢٧ .

(٢١٦) ابن الابار : الحلة السيراء ج ٢ ص ٣٥٨

(٢١٧) ابن الاثير : ج ٥ ص ٢٢١ Mercier: Histoire de l'Afrique. p. 142
Muir : The Caliphate. p. 461.

(٢١٨) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٥ .

(٢١٩) ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ١٩٠ .

(٢٢٠) الرقيق : ص ١٠٩ .

(٢٢١) ابن خلدون : ج ٦ ص ١١١ .

(٢٢٢) ابن الاثير : ج ٥ ص ١١٦ .

(٢٢٣) الطبري : ج ٧ ص ٤٥٩ ، Biquet: Op. Cit. p. 42

(٢٢٤) ابن الاثير : ج ٥ ص ١١٨ .

(٢٢٥) البكري : ص ٧ ، السلاوي ج ١ ص ١١٥ .

(٢٢٦) ابن عذارى : ج ١ ص ٨٨ ، السلاوي : ج ١ ص ١١٥ .

(٢٢٧) ابن الاثير : ج ٥ ص ١١٩ ، السلاوي : ج ١ ص ١١٥ .

(٢٢٨) ابن خلدون : ج ٦ ص ١١٢ ، السلاوي : ج ١ ص ١١٦ ،
Muir: Op. Cit. p. 461

(٢٢٩) وتعني بالفارسية «الف رجل» كناية على شجاعته النادرة .

(٢٣٠) ابن الاثير : ج ٥ ص ٤ .

(٢٣١) نفس المصدر ص ٣٨ ، ابن خلدون : ج ٥ ص ١٩٤ ،
Biquet: Op. Cit. p. 44

(٢٣٢) ابن عذارى : ج ١ ص ٨٩ ، السلاوي : ج ١ ص ١٢١ .

(٢٣٣) حسن محمود : قيام دولة المرابطين ص ١٤ .

(٢٣٥) اخبار مجموعة : ص ٣٢ .

(٢٣٤) مجهول : اخبار مجموعة ص ٤٢٩ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٨٨ .

(٢٣٦) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٥ .

(٢٣٧) اخبار مجموعة ص ٣٣ .

(٢٣٨) نفس المصدر والصحيفة .

(٢٣٩) نفس المصدر ص ٢٩ .

(٢٤٠) ابن الاثير : ج ٥ ص ٦٩ ٠

(٢٤١) نفس المصدر ص ٧٠ ٠

(٢٤٢) نفس المصدر ص ١١٧ ٠

(٢٤٣) ابن خلدون : ج ٦ ص ١١٢ ٠

(٢٤٤) ابو زكريا : ورقة ٧ ٠

(٢٤٥) نفس المصدر ورقة ١٠ ، الشماخي : السير ص ١٣٢ ٠

(٢٤٦) الشماخي : ص ١٣٣ ٠

(٢٤٧) ابن عذارى : ج ١ ص ٨٣ ٠

(٢٤٨) اليعقوبي : البلدان ص ٣٥٩ ٠

(٢٤٩) عبيد الله بن صالح : نص جديد ص ٢٢٤
Marcais: la Berberie Musulmane p. 48.

(٢٥٠) ابو زكريا : ورقة ١٣ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ١٨ ٠

(٢٥١) ابو زكريا : ورقة ١٢ ، الشماخي : السير ص ١٣٦ ٠

(٢٥٢) البغدادي : الفرق بين الفرق ٢٧٣ ٠

(٢٥٣) من اهم حركات الاباضية في الشرق والمعاصرة لثوراتهم في المغرب حركة أبي حمزة وطالب الحق باليمن وحضرموت ، وقد تم القضاء عليها سنة ١٣٤هـ ٠ وكذلك حركة الجلندي بعمان التي قمعت في نفس العام ٠ انظر : ابن الاثير ج ٥ ص ١٤٥ ، ١٦٩ ٠ اما حركات الصفرية فاشهرها ثورة شيبان الحروري بالموصل التي اخمدت سنة ١٣٠هـ ابن الاثير : ج ٥ ص ١٣٢ ٠ وحركة شيبان بن عبد العزيز سنة ١٣٤ هـ ٠ وقد قتل على يد الجلندي الاباضي حين لجا اليه هربا من العباسيين ٠ انظر : ابن الاثير : ج ٥ ص ١٦٩ ٠ وحركة ملبد بن حرملة الصفري سنة ١٣٧هـ ، وقد قتل في عهد المنصور سنة ١٣٨هـ ٠ راجع : ابن الاثير : ج ٥ ص ١٨٠ ، ١٨١ ٠

(٢٥٤) راجع :
Gautier : les siecles Obscurs du Maghreb, p.p. 264 - 269.

(٢٥٥) العبر ج ٧ ص ٢ ٠

(٢٥٦) العبر ج ٦ ص ١١١ ٠

(٢٥٧) الكامل ج ٥ ص ٧٠ ٠

(٢٥٨) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٤ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ٧٠ ٠

(٢٥٩) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٤ ٠

(٢٦٠) الرقيق : ص ١٤٠ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٨٠ ٠

(٢٦١) ابن خلدون : ج ٢ ص ١٩٣ ؛

(٢٦٢) نفس المصدر ج ٦ ص ١٤٤ ٠

(٢٦٣) ابن عبد الحكم : ص ٣٠١ ، ٣٠٢ ٠

(٢٦٤) نفس المصدر ص ٣٠٢ ٠

(٢٦٥) ابن عذارى : ج ١ ص ٨٣ ٠

(٢٦٦) ابو زكريا : ورقة ١٢ ٠

(٢٦٧) ابن عذارى : ج ١ ص ٩٤ ٠

(٢٦٨) ابن الاثير : ج ٥ ص ٤٦ ٠

(٢٦٩) ابن خلدون : ج ٦ ص ١١٥ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ٢٣ ٠

هوامش الباب الثالث

(١) Marcais, G: la Berberie Musulmane. p. 141.

(٢) النفوسي : ص ٤ ٠

(٣) ابو زكريا : ورقة ١٣ ٠

(٤) انظر : Gautier: op. cit. p. 292, Biquet; Op. Cit. p. 47

(٥) انظر المقدمة ٠

(٦) البكري : ص ١٤٩
Mercier: Histoire de l'Afrique Septentrionale. Vol. 1. p. 243.
Bel : Op. Cit. p. 95.

(٧) ابن عذارى : ج ١ ص ٧٣ ،

(٨) البكري : ص ١٤٨ ، الاستبصار ص ٢٠٠ ، القلقشندي : ج ٥ ص ١٦٣ ٠

(٩) الاصطخري : المسالك والممالك ص ٥٣٤ ،
Marcais, G: la Berberie Musulmane. p. 143.
كولين : مادة سجلماسة ــ دائرة المعارف الاسلامية ص ٢٩٨ ٠

(١٠) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٢٩ ،
Fournel: Op. Cit. p. 292, Bol: Op. Cit., p. 167.

(١١) انظر : ابن الخطيب : اعمال الاعلام ج ٣ ص ١٣٧ ، عبد الرحمن بن زيدان : اتحاف اعلام الناس ج ١ ص ٦٢ ، مؤنس : ثورات البربر ص ١٨٧ ٠

(١٢) وهو نهر زيز كما يسميه اليعقوبي • انظر : البلدان : ص ٣٥٩ ، كولين : المرجع السابق ص ٢٩٨ •

(١٣) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٢٩ ، Fournel: Op. Cit. Vol. I. p. 351.

(١٤) ابن خلدون : نفس المصدر والصحيفة •

(١٥) نفس المصدر والصحيفة • (١٦) البلدان ص ٣٥٩ •

(١٧) مجهول : الاستبصار ص ٢٠١ ، حسن محمود : قيام دولة المرابطين ص ٢٣١ •

(١٨) المغرب ص ١٤٨ •

(١٩) البكري : ص ١٤٩ •

(٢٠) الاصطخري : ص ٣٤ ، الاستبصار ص ٢٠١ ، المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٢٣١ •

(٢١) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٢٦ •

(٢٢) ابو العرب تميم : طبقات علماء افريقية ص ٨٠ •

(٢٣) النفوسي : الازهار الرياضية ج ٢ ص ٩٣ •

(٢٤) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٠ ، Gautier: Op. Cit. p. 292

(٢٥) النفوسي : ص ٩٣ •

(٢٦) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٠ ، Gautier: Op. Cit. p. 292

(٢٧) اليعقوبي : البلدان ص ٣٥٩ •

(٢٨) اسماعيل حامد (جامع) : نبذة في تاريخ الصحراء القصوى ص ٧ •

(٢٩) نفس المصدر ص ٣ •

(٣٠) مجهول : الاستبصار ص ٢٠٠ •

(٣١) اسماعيل حامد : نبذة في تاريخ الصحراء القصوى ص ٧ •

(٣٢) نرجح ان مدرارا كان لقب أبي القاسم كما يذهب ابن الخطيب ، وليس اسم جده كما اعتقد ابن عذارى ، او اسمه هو حسبما ذكر صاحب كتاب الاستبصار • ونجد في رواية اخرى لابن الخطيب خلطا بين شخصي أبي القاسم سمكو وبين عيسى بن يزيد ، فينسب دور أبي القاسم الى عيسى ولا يورد للاول ذكرا • اما البكري فينسب الفضل في قيام الدولة المدرارية الى جهود أبي القاسم لكنه لا يشير الى لقبه • وجدير بالذكر ان رواية البكري عن دولة بني مدرار اصح الروايات واكثرها صدقا ، وقد اخذ بها كبار الدارسين مثل فورنل ومرسييه • انظر : ابن الخطيب : اعمال الاعلام ٣٥ ص ١٣٨ ، ١٤٠ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٢١٥ ، الاستبصار ص ٢٠١، البكري : ص ١٤٩ ،

Mercier: Histoire de l'Afrique : p. 243, Fournel: Op. Cit. Vol. I. p. 352.

(٣٣) ابن الخطيب اعمال الاعلام ج ٣ ص ١٣٨ ٠

(٣٤) لا اعتبار لما يقال عن ان ابا القاسم كان اباضيا « الازهار الرياضية » ج ٢ ص ٩٣، او انه كان اباضيا صفريا كما ذهب ابن خلدون (العبر ج ٦ ص ١٣٠) ٠ فنحن نعلم ان ابا القاسم كان من دعاة عكرمة مولى ابن عباس و «مقدم الصفرية» من بعده ٠ انظر : بروفنسال : نبذ تاريخية ص ٤٨ ، الشطيبي : الجمان ورقة ٢٠٣ ٠

(٣٥) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٠ ، Fournel: Op. Cit. Vol. I. p. 352

(٣٦) البكري : ص ١٤٩ ، ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٠ ٠

(٣٧) نفس المصدرين والصفحات ، ابن عذاري : ج ١ ص ٢١٥ ، الاستبصار ص ٢٠١
Fournel: Op. Cit. Vol. I. p. 352.

(٣٨) النفوس : ص ٩٣ ٠

(٣٩) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٠ ٠

(٤٠) ينفي هذا ما ذهب اليه بل من التفاف بربر مكناسة حول عيسى بن يزيد ومبايعته طائعين مختارين ٠ Bel: Op. Cit. p. 176 والواقع ان الفضل يعزى الى أبي القاسم سمكو في تقديم عيسى بن يزيد ، ولعل ذلك كان سببا فيما درجت عليه بعض الروايات من الخلط بينهما ، اذ تذهب الى ان الذي تولى الامامة شخصا أسود يدعى مدرارا ٠ وتزعم انه كان حدادا قدم من الاندلس بعد موقعة الربض ٠ انظر البكري : ص ١٤٩ ، الاستبصار ص ٢٠١ ، Fournel: Op. Cit. Vol. I, p. 523 ومن المعروف ان اهل الربض رحلوا عن قرطبة سنة ١٩٨هـ بينما قامت دولة بني مدرار سنة ١٤٠هـ ٠ انظر : ابن خلدون : ج ٤ ص ١٢٦ ، Fournel: Op. Cit. p. 553 ومع ما تنطوي عليه تلك الرواية من الخطاء فلا شك في اهمية مغزاها بما تبرزه من نزوح أعداد غفيرة من الاندلسيين ٠ بعد حادث الربض الشهير الى سجلماسة واستيطانهم بها ــ على غرار ما فعلوه بفاس ــ واسهامهم في عمارتها واشتغالهم بالحرف والصناعات كالحدادة واعمال البناء وغيرها ٠ انظر : ابن خلدون : ج ٤ ص Condé: Op. Cit. p. 262 ١٢٦ سعد زغلول عبد الحميد تاريخ المغرب العربي ص ٤٠٥ ٠

(٤١) العبر : ج ٦ ص ١٣٠ ، النفوسي : ص ٩٣ ٠

(٤٢) لم يرد بالمصادر ذكر لتقلد امراء بني مدرار الخلافة او الامامة باعتبارهم رؤساء روحيين وسياسيين كما يفهم من لقب الامام او الخليفة ٠ ونعتقد ان سبب ذلك يكمن في ان تواريخ الصفرية لم تصل الينا ، وكل ما وصلنا عنهم مستمد من المصادر المعادية لهم ٠ عن القاب الامامة والخلافة انظر : حسن الباشا : الالقاب الاسلامية ص ٦٠ ٠

(٤٣) الثابت ان مدينة سجلماسة استحدثها بنو مدرار ولم يكن لها وجود من قبل ٠ على عكس ما قيل من ان الاسكندر ذو القرنين اسسها لتكون موطنا للعجزة والمرضى من جنوده ،فتلك رواية اسطورية،وما ذكره الحسن الوزان من ان احد قواد الرومان اسسها باسم Sigillummese عقب احدى انتصاراته ٠

انظر : كولين : مادة سجلماسة : دائرة المعارف الاسلامية ص ٢٩٨ ٠

(٤٤) المقدس : ص ٢١٩ ٠

(٤٥) كان يتبع سجلماسة عددا من الحصون والمنازل والقرى كدرعة وتادنقوست واثر ايلا وحصون النحاسين وهلال وغيرها ٠ انظر : اليعقوبي : البلدان ص ٣٥٩ ، المقدسي : ص ٢١٩ ٠

(٤٦) المراكشي : المعجب ص ٣٥٧ ٠

(٤٧) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٢٩ ، Fournel. Op. Cit. Vol. I. p. 351

(٤٨) المقدسي : ص ٢٣١ ٠

(٤٩) الاستبصار ص ٢٠١ ٠

(٥٠) الادريسي : ص ٦٠ ٠

(٥١) الاستبصار ص ٢٠٢ ٠

(٥٢) نفس المصدر ص ٢٠١ ٠

(٥٣) المقدسي : ص ٢٣١ ٠

(٥٤) المسالك والممالك ص ٦٥ ٠

(٥٥) نزهة الانظار ص ١١ ٠

(٥٦) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ج ٣ ص ١٣٩ ٠

(٥٧) الاستبصار : ص ٢٠١ ، Julien. Op. Cit. 339

(٥٨) البكري : ص ١٤٨ ٠

(٥٩) انظر : البكري : ص ١٤٨ ، ابن حوقل : ص ٦٥ ، القلقشندي : ج ٥ ص ١٦٤ ٠

(٦٠) ابن حوقل : ص ٦٥ ، سعيد بن مقديش : ص ١٠ ٠

(٦١) صفة المغرب ص ٦٠ ٠

(٦٢) نفس المصدر والصحيفة ٠

(٦٣) ابن حوقل : ص ٦٥ ، القلقشندي : ج ٥ ص ١٦٤ ٠

(٦٤) البكري : ص ١٤٩ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٢١٥ ، مجهول : الاستبصار ص ٢٠١ ٠

(٦٥) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٠ ، الاستبصار ص ١١٢ ٠

(٦٦) ابن عذارى : ج ١ ص ٢١٥ ، ابن الاثير : ج ٦ ص ٣ ٠

(٦٧) المغرب : ص ١٤٩ ٠

(٦٨) اعمال الاعلام : ج ٣ ص ١٣٩ ٠

(٦٩) تاريخ المغرب العربي ص ٤٠١ ٠

(٧٠) ابن الاثير : ج ٦ ص ٣ ، القلقشندي : ج ٥ ص ١٦٥ ، السلاوي : ج ١ ص ١١٢ ،

(٧١) البكري : ص ١٤٩ ٠

(٧٢) انظر : بنو مدرار والرستميون ٠

(٧٣) الشهرستاني : ص ١٢١ ، Gautier: Op. Cit. p. 299

(٧٤) ابن عذارى : ج ١ ص ٢١٥ ، ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٠ ،
Fournel: Op. Cit. Vol. I, p. 553 Bel. Op. Cit. p. 167.

(٧٥) ابن عذارى : ج ١ ص ٢١٥ ٠

(٧٦) العبر : ج ٦ ص ١٣٠ ٠

(٧٧) السلاوي : ج ١ ص ١١٢ ٠

(٧٨) يخلط ابن خلدون بين الاباضية والصفرية ، فيذكر ان ابا القاسم كان « اباضيا صفريا » ، وهو قول سبق تخطئته ٠ وليس ثمة شك في ان ائمة بني مدرار جميعا كانوا من الخوارج الصفرية ٠ انظر : العبر ج ٦ ص ١٣٠ ٠

وعن خطأ قول ابن خلدون انظر : ابن حزم : نقط العروس ص ٧٦ ، كولين : دائرة المعارف الاسلامية ـ مادة سجلماسة ص ٢٨٩ ٠

(٧٩) الاستبصار ص ٢٠٢ ٠

(٨٠) البرادي : الجواهر المنتقاة ورقة ٩٣ ـ مخطوط ٠

(٨١) النفوسي : ج ٢ ص ٩٤ ٠

(٨٢) انظر : المقدمة ٠

(٨٣) اعمال الاعلام ج ٣ ص ١٤١ ٠

(٨٤) ذكر ابن الخطيب ـ خطأ ـ ان وفاة أبي القاسم سمكو حدثت سنة ١٩٩هـ ٠ راجع اعمال الاعلام ج ٣ ص ١٤٢ ٠

(٨٥) البكري : ص ١٤٩ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٢١٥ ، ابن الخطيب : ج ٣ ص ١٤٢ ، وفي رواية اخرى لقب « بالوزير » ٠

انظر : ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٠ ، السلاوي : ج ١ ص ١١٢ ٠

(٨٦) البكري : ص ١٥٠ ، القلقشندي : ج ٥ ص ١٦٥ ٠ وهذه الرواية اكثر ثقة من غيرها التي تضطرب في تحديد مدة حكمه وسنة خلعه ٠ فابن عذارى يذكر انه خلع سنة ١٧٠هـ ، وابن خلدون يجعل ذلك سنة ١٩٤هـ اما ابن الخطيب فيقول بأن امارته لم تتجاوز ستة اشهر خلع بعدها ٠ انظر : البيان المغرب ج ١ ص ٢١٥ ، العبر ج ٦ ص ١٣٠ ، اعمال الاعلام ج ٣ ص ١٤٢ ٠

(٨٧) العبر : ج ٦ ص ١٣٠ ٠

(٨٨) المغرب : ص ١٥٠ ؛

(٨٩) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٠ ، القلقشندي : ج ٥ ص ١٦٥ ؛ وقد لقبه البكري « بابي المنتصر » وكذلك ابن عذارى . انظر : المغرب ص ١٤٩ ، البيان المغرب ج ١ ص ٢١٥ .

ومما يؤكد خطأ تلك الرواية ما ذكره البكري في مكان اخر بانه لقب « بابي المنصور » انظر : المغرب ص ١٥٠ . اما لقب أبي المنتصر فقد كني به ابنه فيما بعد .

(٩٠) اجمع المؤرخون على وفاة ابي المنصور اليسع سنة ٢٠٨هـ . انظر : البكري : ص١٤٩، ابن عذارى : ج ١ ص ٢١٦ ، ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣١ ، ابن الخطيب : ج ٣ ص ١٤٣ ، القلقشندي : ج ٥ ص ١٦٥ .

لكنهم اختلفوا في تقدير سني حكمه ، فابن عذارى يذكر انه ظل اميرا ثمانية وثلاثين عاما، وابن خلدون يذكر انه قضى في الحكم اربعة عشر عاما ، وابن الخطيب يحدد مدة حكمه بثمانية اعوام . وسبب هذا الاختلاف يرجع الى اختلافهم حول تاريخ تقلده الامارة ، فابن عذارى يذكر انه سنة ١٧٠ ، وابن خلدون يحدده بسنة ١٩٤هـ وابن الخطيب يذكر انه تولى الامارة سنة ٢٠٠هـ. والصحيح ما ذكره البكري من انه تولى الامارة سنة ١٧٤هـ وظل بها اربعة وثلاثين عاما .

انظر : نفس المصادر والصفحات .

(٩١) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ٨٠ .

(٩٢) النفوسي : ج ٢ ص ٩٤ .

(٩٣) البكري : ص ١٥٠ .

(٩٤) نفس المصدر والصحيفة ، ابن الخطيب ج ٣ ص ١٤٢ .

(٩٥) ابن عذارى : ج ١ ص ٢١٥ ، ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٠ .

(٩٦) البكري : ص ١٠٠ ، ابن الخطيب : ج ٣ ص ١٤٣ .

(٩٧) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٠ .

(٩٨) البكري : ص ١٥٠ ، ابن الخطيب : ج ٣ ص ١٤٢ .

(٩٩) القلقشندي : ج ٥ ص ١٦٥ ، النفوسي : ج ٢ ص ٩٤ .

(١٠٠) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٠ ـ ١٣١ ، السلاوي : ج ١ ص ١١٢ .

(١٠١) ابن عذارى : ج ١ ص ٢١٦ ، ابن الخطيب : ج ٣ ص ١٤٣ .

(١٠٢) ابن عذارى : نفس المصدر والصحيفة .

(١٠٣) البكري : ص ١٤٨ .

(١٠٤) نفس المصدر والصحيفة ، السلاوي : ج ١ ص ١١٢ .

(١٠٥) النفوسي : ج ٢ ص ٩٤ ، Bel. Op. Cit. p. 162

(١٠٦) ابن عذارى : ج ١ ص ٢١٦ ، القلقشندي : ج ١ ص ١٦٥ .

(١٠٧) البكري : ص ١٥٠ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٢١٦ .

(١٠٨) ثمة تحريف ببعض المراجع في اسمي زوجتي المنتصر . فمن المعروف ان الرستمية تدعى « آروي » والاخرى تسمى « بقية » لكن ابن الخطيب يطلق على الاولى « هنو » والثانيـة « تقية » كما نجد عند ابن خلدون والسلاوي تحريفا لاسم « بقية » الى « بغي » ، والصواب ما ذكره البكري وابن عذارى : انظر : اعمال الاعلام ج ٣ ص ١٤٣ ، العبر : ج ٦ ص ١٣١ ، السلاوي : ج ١ ص ١١٢ .

(١٠٩) النفوسي : ص ٢٩٥ .

(١١٠) ابن عذارى : ج ١ ص ٢١٦ .

(١١١) البكري : ص ١٥٠ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٢١٦ .

(١١٢) النفوسي : ص ٩٥ .

(١١٣) الازهار الرياضية ج ٢ ص ٩٥ .

(١١٤) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣١ .

(١١٥) البكري : ص ١٥٠ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٢١٥ ، القلقشندي : ج ٥ ص ١٦٥ .

(١١٦) البكري : ص ١٥٠ .

(١١٧) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣١ ، السلاوي : ج ١ ص ١١٢ .

(١١٨) ابن عذارى : ج ١ ص ١٣٩ .

(١١٩) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣١ ، القلقشندي : ج ٥ ص ١٦٦ .

(١٢٠) البكري : ص ١٥٠ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٢١٦ .

(١٢١) العبر : ج ٦ ص ١٣١ .

(١٢٢) اعمال الاعلام ج ٣ ص ١٤٤ .

(١٢٣) نفس المصدر ص ١٤٥ .

(١٢٤) البكري : ص ١٥٠ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٢١٦ .

(١٢٥) ابن عذارى : ج ١ ص ٢١٦ .

(١٢٦) اعمال الاعلام ج ٣ ص ١٢٥ .

(١٢٧) ذكر فورنل ــ وهو صاحب اكبر واشمل مؤلف في تاريخ المغرب ــ معلقا على سياسة بني مدرار الخارجية ، نحن لا نعلم ثمة علاقات خارجية لهذه الاسرة اللهم الا عن صلاتها مـع

دولة الاغالبة ٠

انظر : Les Berbers. Vol. 2. p.p. 24, 25

(١٢٨) Histoire de Constantine p. 92

(١٢٩) Les berbers. Vol. 2 p. 22.

(١٣٠) La religion Musulmane, Vol. I, p. 168

★ (١٣١) Histoire de l'Espagne Musulmane Vol. I. p. 249

(١٤٢) العبر ج ٦ ص ١٣٠ ، السلاوي : ج ١ ص ١١٢ ٠

(١٤٣) نفس المصدر ص ١٣١ ٠

(١٤٤) انظر : الرازي : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٥١ ٠

(١٤٥) انظر Levoix: Catalogue des Monnaics Musulmane p. 402.

(١٤٦) Lane-Poole. Catalogue of the Collection of Arabic coins. p. 328.

(١٤٧) صبح الاعشى : ج ٥ ص ١٦٧ ٠

(١٤٨) العبر ج ٦ ص ١٣١ ٠

(١٤٩) مقدمة ابن خلدون ج ١ ص ٢٤٠ ٠

(١٥٠) العبر ج ٣ ص ٣٦٣ ٠

(١٥١) انظر : Lareligion musulmane en Berberie. p. 156.

(١٥٢) انظر : حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٥٤ ٠

(١٥٣) شرح الاخبار ص ٣١ ، ابن الاثير : ج ٨ ص ١٣ ٠
Fournel: Op. Cit. Vol. 2 p. 70. Mamour: Op. Cit. p. 107.

(١٥٤) شرح الاخبار ص ٣٢ ٠

(١٥٥) نفس المصدر والصحيفة ٠

(١٥٦) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٢٧٢ ٠

(١٥٧) شرح الاخبار ص ٣٢ ٠

(١٥٨) نفس المصدر والصحيفة ٠

(١٥٩) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٠ ، السلاوي ٠ ج ١ ص ١١٢ ، كولين : مادة سجلماسة

★ ملاحظة للقارىء : ارجو اعتبار الرقم ١٤٢ بدلا عن الرقم ١٣٢ والسير في الترقيم صعودا على هذا الاساس ٠

بدائرة المعارف الاسلامية ص ٢٨٩ ٠

(١٦٠) القلقشندي : ج ٥ ص ١٦٤ ٠

(١٦١) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٧٣ ، احمد امين : ضحى الاسلام ج ٣ ص ٣٣٧،
Bel: Op. Cit. p. 168.

(١٦٢) انظر : ابن الاثير : ج ٦ ص ١٦٢ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٨ ٠

(١٦٣) نفس المصدر ج ٧ ص ٧٤،٦٧،٦١ ٠ ٧٥ ٠ ١١٩ ٠ ١٥٥ ٠ ١٥٦ ٠ ١٥٧ ٠

(١٦٤) الاصطخري : ص ٣٧ ، Vonderheyden: Op. Cit. p. 8

(١٦٥) كانت دولة الاغالبة محاطة بعديد من القبائل المعادية سياسيا ومذهبيا ، وهذه القبائل هي بني يفرن الصفرية واوربة الادريسية العلوية ، ولماية ولفوسة الاباضية ، وهوارة النكارية، وزواغة الخلفية ، وكتامة الشيعية الاسماعيلية ٠ انظر : Masqueray. Op. Cit. p. 195.

(١٥٦) انظر : الخريطة ٠

(١٥٧) راجع : Les Berber S. Vol. 2. p. 22

(١٦٨) المؤنس في اخبار افريقية وتونس ص ٤٩ ٠

(١٦٩) انظر : شرح الاخبار ـ ملحق (١) ص ٣٢ من كتاب
Ivanova: Ismaili Tradition... Mamour: Op. Cit. p. 107.

(١٧٠) انظر : افتتاح الدعوة ص ٤٣ ، ابن خلدون : ج ٣ ص ٣٦٣ ، المقريزي : اتعاظ الحنفاص ٨٤ ، الخطط ج ١ ص ٣٥٠ ٠

(١٧١) ابو العرب تميم : طبقات علماء افريقية ص ٨٠ ٠

(١٧٢) انظر : حسن حسني عبد الوهاب : ورقات عن الحضارة العربية ج ١ ص ٥٨ ٠

(١٧٣) ابو العرب تميم : المرجع السابق ص ١٠٢ ٠

(١٧٤) المالكي : رياض النفوس ج ١ ص ٢٧٦ ٠

(١٧٥) الدباغ : معالم الايمان ج ٢ ص ٥٥ ٠

(١٧٦) ابو العرب تميم : ص ١٠٢ ٠

(١٧٧) ذهب بعض الدارسين الى صعوبة تتبع علاقات بني مدرار بالادارسة ، بل واستحالتها بسبب ندرة المعلومات ٠

انظر : حسن عبد العواد : دولة الادارسة ص ٢٥٠ ، Basset: Op. Cit. p. 333.

(١٧٨) اخطا البعض حين انتهى الى ان « حسن الجوار كان العلاقة السائدة بين دولة الادارسة ودولة سجلماسة » ٠ انظر : حسن عبد العواد : دولة الادارسة ص ٢٥٣ ٠

(١٧٩) ابن فضل الله العمري : مسالك الابصار ج ٥ قسم ٢ ورقة ١٧٥ ـ مخطوط ٠

(١٨٠) الادريسي : ص ٧٦ .		(١٨١) ابن أبي زرع : ص ٥٣ .

(١٨٢) ابن حوقل : ص ٦٥ .

(١٨٣) La berberie Musulmane et l'onient. p. 124.

(١٨٤) ابن ابي دينار : المؤنس ص ٩٩ ، اطفيش : الامكان ص ٨١ .

(١٨٥) ابن الابار : الحلة السيراء ص ٢٠٠ .

(١٨٦) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٣ .

(١٨٧) النويري : ج ٢٢ ورقة ٢٨ .

(١٨٨) البكري : ص ١٢٣ .

(١٨٩) اطفيش : الامكان ص ٥٧ .

(١٩٠) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٢ ، محمد علي السنوسي : الدرر السنية ص ٤٤ .

(١٩١) ابن أبي زرع : القرطاس ص ٢٢ ، Fournel: Op. Cit. Vol. I. p. 475.

(١٩٢) نفس المصدر والصحيفة .

(١٨٣) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٣ ، عبد الرحمن بن زيدان : اتحاف اعلام الناس ج٢ص١٩ .

(١٨٤) ابن أبي زرع : ص ٦٩ ، ابن الخطيب : اعمال الاعلام ج ٣ ص ١٩٨ ، السنوسي الدرر السنية ص ٥٩ .

(١٨٥) اطفيش : الامكان ص ٥٧ ، Masqueray: Op. Cit. p. 172.

(١٨٦) الادريسي : ص ٨١ .

(١٨٧) اليعقوبي : البلدان ص ٣٥٩ ، حسن محمود : قيام دولة المرابطين ص ٧١ .

(١٨٨) اليعقوبي : نفس المصدر والصحيفة .

(١٩٩) انظر : البكري : ص ١٢٥ ، ابن ابي زرع ، ص ١١٢ - ١١٥ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ١٥ ، ابن الخطيب : ج ٣ ص ٢٠٨ - ٢٠٩ ، السلاوي . ج ١ ص ١٦٢ - ١٦٤ سلفا توركوسا: تواريخ مدينة فاس ص ٦ ، Masqueray: Op. Cit. p. 172.

(٢٠٠) Le Berberie Musulmane. p. 126.

(٢٠١) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ج ٣ ص ١٤٥ .

(٢٠٢) النفوسي : ج ٢ ص ٩٤ .

(٢٠٣) ابن الصغير : ص ٥٢ .

(٢٠٤) النفوسي : ج ٢ ص ٩٤ .

(٢٠٥) ابن الصغير : ص ٤٦ ، البرادي : الجواهر المنتقاة ورقة ٩٣ - مخطوط .

(٢٠٦) النفوسي : ج ٢ ص ٩٤ .

(۲۰۷) نفس المصدر ص ٦٩ ٠

(۲۰۸) تاريخ الائمة الرستميين ص ٥١ ، ٥٢ ٠

(۲۰۹) النفوسي : ص ٩٤ ٠

(۲۱۰) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣١ ،
Provencal: Op. Cit. p. 249, Bel: Op. Cit. p. 168.

(۲۱۱) النفوسي : ج ٢ ص ٩٤ ٠

(۲۱۲) انظر : Les siecles obscurs. p. 293.

(۲۱۳) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٢١ ، البرادي : الجواهر ورقة ٩٣ ، اطفيش : الامكـان ص ٥٧ ، ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٨١٥ ٠

(۲۱٤) الشماخي : السير ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ ٠

(۲۱٥) النويري : ج ٢٢ ورقة ٢٦ ، ٢٧ ٠

(۲۱٦) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٤ ص ٤٩٣ ٠

(۲۱۷) ابن عذارى :ج ٢ ص ١٠٦ ، Scott. Op. Cit. Vol. I. p. 456.

(۲۱۸) اليعقوبي : البلدان ص ٣٥٩ ٠

(۲۱۹) الحميري : صفة جزيرة الاندلس : ص ٢١ ، ابن الدلائي : نصوص من الاندلس ص ١٨ ، ١٩ ، Provencal: Op. Cit. p. 248.

(۲۲۰) ابن بشكوال : الصلة ج ٢ ص ٤١٨ ، ابن الفرضي : تاريخ العلماء والرواة ٠٠ ج ١ ص ١٢٣ ٠

(۲۲۱) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٢٦ ٠

(۲۲۲) ابن عبد ربه : ج ٤ ص ٤٩٣ ٠

(۲۲۳) نفس المصدر ص ٤٨٨ ٠

(۲۲٤) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٢٦ ٠

(۲۲٥) جغرافية المامون ورقة ١٩٧ ، القلقشندي : ج ٥ ص ١٦٤ ،
Conde: Op. Cit. Vol. I. p. 291.

(۲۲٦) ابن عبد ربه : ج ٤ ص ٤٩٤ ٠

(۲۲۷) البيان المغرب ج ١ ص ١١٦ ٠

(۲۲۸) اعمال الاعلام ج ٢ ص ٢٢ ٠

(۲۲۹) ابن عذارى : ج ١ ص ١٥٠ ، محمود مكي : التشيع في الاندلس ص ١١١ ٠

(٢٣٠) عول الناصر على مناهضة الفاطميين في بلاد المغرب لشغلهم عن التفكيـر في غزو الاندلس • واستطاع بالفعل ان يستحوذ على بعض معاقل العدوة كسبته وطنجة • ولعل حرص المستنصر من بعده على معرفة طبيعة بلاد المغرب وأحوال سكانها كان تمهيدا لمد نفوذه فيها واقصاء الفاطميين عنها • انظر •• مجهول : اخبار مجموعة ص ١٥٥ ، الضبي : بغية الملتمس ص ١٣١ •

(٢٣١) ينطبق هذا القول على دول بني مدرار وبني رستم والادارسة والاغالبة والفاطميين وكذلك امارة برغواطة •

(٢٣٢) العبر ج ٦ ص ١٢١ • وهي رواية خاطئة لان رستم هذا قتل سنة ١٦ هـ ، وتوفي عبد الرحمن سنة ١٦٨هـ فيكون قد عمر أكثر من مائة وخمسين عاما •

(٢٣٤) المغرب ص ٦٧ •

(٢٣٤) ابو زكريا : ورقة ٥ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٩ ، الشماخي : السير ص ١٣٨ •

(٢٣٥) تفيض هذه المصادر بذكر احاديث منتحلة ومأثورات لكبار الصحابة مشكوك فيها — تبين فضائل الفرس وعظيم شمائلهم وفضلهم على الاسلام ، وتنبيء عن قيامهم باعادته الى سيرته الاولى عن طريق اقامة دولة لهم في بلاد المغرب •

انظر : ابو زكريا : ورقة ٢ — ٥ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٩ •

(٢٣٦) البيان المغرب ج ١ ص ٢٧٧ •

(٢٣٧) ينفي هذا ما قاله ابن خلدون من ان عبد الرحمن قدم الى افريقية « مع طوالع الفتح » انظر : العبر ج ٦ ص ١٢١ •

(٢٣٨) السير : ص ١٢٣ •

(٢٣٩) النفوسي : ج ص ٨٤ •

(٢٤٠) ابن عذارى : ج ١ ص ٢٧٧ ، ابن خلدون ج ٦ ص ١١١ •

(٢٤١) البكري : ص ٦٨ •

(٢٤٢) ابو زكريا : ورقة ١٠ ، النفوسي : ص ٢ •

(٢٤٣) ابو زكريا : ورقة ١٠ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ١٦ ، النفوسي : ص ٢ •

(٢٤٤) الرقيق : ص ١٢٤ •

(٢٤٥) نفس المصدر ص ١٤١ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٨١ •

(٢٤٦) ابن عذارى : ج ١ ص ٢٧٧ •

(٢٤٧) ذكر النفوسي ان هذا الجبل مجهول الموقع ، ويعتقد دبوز انه هو نفس الجبل المعروف بسوففيف الكائن بين مدينتي سلالة والسوفر •

انظر : الازهار الرياضية ج ٢ ص ٣ ، المغرب الكبير ج ٣ ص ٢٥٦ •

(٢٤٨) ابو زكريا : ورقة ١١ .

(٢٤٩) نفس المصدر والصحيفة Gautier: Op. Cit. p. 301.

(٢٥٠) النفوسي : ص ٣ .

(١٥١) نفس المصدر والصحيفة .

(٢٥٢) ابو زكريا : ورقة ١١ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ١٧ .

(٢٥٣) النفوسي : ص ٣ .

(٢٥٤) نفس المصدر ص ٤ ،
Mercier: Histoire de l'etablissement des Arabes... p. 79.

(٢٥٥) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٢١ ، مارسيه ، مادة بني رستم – دائرة المعارف الاسلامية ص ٩٢

(٢٥٦) ابن خلدون : نفس المصدر والصحيفة .

(٢٥٧) انظـر : Les siecles obscurs. p. 312.

(٢٥٨) النفوسي : ص ٦ .

(٢٥٩) ابو زكريا : ورقة ١٣ ، الشماخي : السير ص ١٣٩ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٩ .

(٢٦٠) الشماخي : ص ١٤٦ .

(٢٦١) Bernard: Op. Cit. p. 134.

(٢٦٢) Faroughy: Apersian dunasty in North Africa. p. 14.

(٢٦٣) Ibid. p. 12.

(٢٦٤) البكري : ص ٦٦ ، ٦٧ ، ابن خلدون : ج ٦ ص ١٢١ .

(٢٦٥) ابن عذارى : ج ١ ص ٢٧٧ .

(٢٦٦) اليعقوبي : البلدان ص ٣٥٨ ، سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ص ٣٧٥ .

(٢٦٧) البكري : ص ٦٨ .

(٢٦٨) ابو زكريا : ورقة ١٣ .

(٢٦٩) نفس المصدر ورقة ١١ .

(٢٧٠) ابن عذارى : ج ١ ص ٢٧٧ . وهي رواية اكثر دقة من رواية ابن خلدون ومن اخذ عنه حيث يجعل تاسيس تاهرت سنة ١٤٤ . انظر : العبر ج ٦ ص ١٢١ ، السلاوي:ج١ ص ١١٥ .

(٢٧١) ابن عذارى : ج ١ ص ٢٧٧ .

(٢٧٢) ابو زكريا : ورقة ١٣ ، الشماخي : السير ص ١٣٩ ، النفوسي : ص ٨ .

(٢٧٣) الدرجيني : ج ١ ورقة ١٩ ، الشماخي : السير ص ١٣٩ ٠

(٢٧٤) البكري : ص ٦٨ ٠

(٢٧٥) المغرب : ص ٦٧ ٠

(٢٧٦) نفس المصدر ص ٦٨ ٠

(٢٧٧) النفوسي : ص ٨ ٠

(٢٧٨) هي : باب الصبا وباب المنازل وباب الاندلس وباب المطاحن ٠ راجع : البكري:ص٦٦ ٠

(٢٧٩) نفس المصدر ص ٦٨ ٠

(٢٨٠) ابو زكريا : ورقة ١٤ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٢١ ، ياقوت : ج ١ ص ٨١٦ ٠

(٢٨١) من هذه المدن والقلاع يمه وتاغليبه وهزارة ومنداس وسوق ابراهيم وجبل يتجان وشلف والبطحة والزيتونة والخضراء وتنس وتامزيت واوزكي وافكان وغيرها ٠

انظر : المقدسي : احسن التقاسيم ص ٢١٩ ٠

(٢٨٢) المغرب ص ٦٨ ٠

(٢٨٣) العبر ج ٦ ص ١٢١ ٠

(٢٨٤) الازهار الرياضية ج ٢ ص ٨٣ ٠

(٢٨٥) وقد اختلطت آراء المحدثين لهذا السبب وتضاربت فذكروا ان المبايعة تمت قبل انشاء المدينة ، ثم ذكروا في مواضع اخرى انها حدثت بعد تاسيسها : انظر : سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ص ٣٨٠ ، ٣٨٣ ، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص ٥٤١ ، ص ٥٤٥ ٠

(٢٨٦) البرادي : الجواهر المنتقاة ورقة ٨٨ ٠

(٢٨٧) اطفيش : الامكان ص ١٠٧ ، ١٠٨ ٠

(٢٨٨) أبو زكريا : ورقة ١١ ٠

(٢٨٩) نفس المصدر ورقة ١٣ ، انظر : مقدمة تاريخ ابن الصغير Motylinski. p. 5.

(٢٩٠) نفس المصدر والصحيفة ، النفوسي : ص ٨٣ ٠

(٢٩١) الدرجيني : ج ١ ورقة ١٩ ٠ وقد راعى الاباضية الشروط المتعارف عليها في اختيار الائمة وهي « العلم والعدالة والكفاية وسلامة الحواس والاعضاء » ، دون اشتراط الاصل القرشي كما هو شان اهل السنة ٠ انظر ٠٠ ابن خلدون : المقدمة ج ٢ ص ٥٢٢ ٠

(٢٩٢) الدرجيني : ج ١ ورقة ١٩ ٠

(٢٩٣) ابن الصغير : ص ٦ ، ابو زكريا : ورقة ٩ ، الشماخي : السير ص ١٤٠ ، Masqueray: Op. Cit. p. 58, Faroughy: Op. Cit. p. 139.

(٢٩٤) ابن الصغير : ص ٩ ٠

(٢٩٥) ليس صحيحا ما أورده بعض مؤرخي الاباضية من رفض عبد الرحمن بن رستم الامامة سنة ١٤٠هـ، قبل ان تعرض على أبي الخطاب المعافري : انظر الشماخي : السير ص ١٤٠ ، الدرجيني ج ١ ورقة ١٩ ٠

(٢٩٦) الشماخي : السير ص ١٤٠ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ١٩ ٠

(٢٩٧) ابن الصغير : ص ٩ ، النفوسي : ص ٨٤ ٠

(٢٩٨) النفوسي : ص ٩٣ ٠

(٢٩٩) نفس المصدر والصحيفة ٠

(٣٠٠) النفوسي : ص ٨٦ ٠

(٣٠١) ابن الصغير : ص ١٠ ٠

(٣٠٢) يذكر فروخي ان هذه الاموال بعثها خوارج فارس والبحرين ، بينما تروي المصادر الاباضية انها من لدن جوارج البصرة ٠ وليس من المستبعد ان يكون اباضية فارس والبحرين قد بعثوا بهذه الاموال الى البصرة حيث يوجد مشايخ المذهب الذين ارسلوها بدورهم الى بلاد المغرب ٠ انظر : ابو زكريا : ورقة ١٤ ، Faroughy: Op. Cit. p. 14.

(٣٠٣) انظر : ابو زكريا : ورقة ١٤ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٢٠ ، الشماخي : السير ص ١٤٠ ، ١٤١ ، النفوسي : ص ٨٦ ، ٨٧ ٠

(٣٠٤) ابن الصغير : ص ١٢ ، النفوسي : ص ٨٨ Smith: The Ibadites. p. 279.

(٣٠٥) نفس المصادر والصفحات ٠

(٣٠٦) ابن الصغير : ص ١٦ ، Faroughy: Op. Cit. p. 14

(٣٠٧) نفس المصدر : ص ١٣ ٠

(٣٠٨) نفس المصدر ص ١٤ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٢١ ٠

(٣٠٩) النفوسي : ص ٨٧ ،

(٣١٠) ابن الصغير : ص ١٦ ٠

(٣١١) مجهول : الاستبصار ص ١٧٩ ، Gautier: Op. Cit. p. 300

(٣١٢) اليعقوبي : البلدان ص ٣٤٩ ٠

(٣١٣) ابن الصغير : ص ١٦ ٠

(٣١٤) النفوسي : ص ٩٠ ٠

(٣١٥) الشماخي : ص ١٤٠ ٠

(٣١٦) ابو زكريا : ورقة ١٤ ٠

(٣١٨) اختلف المؤرخون في تحديد سنة وفاته ، فذكر بعضهم أنه توفي بعد سنتين من امامته أي سنة ١٦٤هـ (انظر : اطفيش : بعض تواريخ اهل وادي ميزاب ص ١٠١) . بينما ذكر ابن عذارى انه مات سنة ١٦٨هـ (انظر : البيان المغرب جـ ١ ص ٢٧٧) . والراجح ما أورده النفوسي من ان وفاته وقعت سنة ١٧١هـ (انظر : الازهار الرياضية جـ ٢ ص ٩٩) .

(٣١٩) Histoire de l'Afrique septentrionale. p.p. 335,36.

(٣٢٠) ابن الصغير : ص ١٦ ، ٢٠ .

(٣٢١) انظر : ابن الصغير : المقدمة . ص ٦ .

(٣٢٢) انظر : السوفي : شرح السؤالات ورقة ٩٩ ، ١١٥ ـ مخطوط . وعرفوا ايضا «بالنجوية» لانهم اكثروا الاجتماع والنجوى ، كما أطلق عليهم اعداؤهم اسماء اخرى ، فعرفوا بالشعبية لادخالهم الشعب والفرقة في المذهب ، وقيل «الشغبية» لاحداثهم الشغب ، كما دعوا «بالنكاث» لنكثهم بيعة عبد الوهاب . انظر : ابو زكريا : ورقة ١٦ ، الدرجيني : جـ١ ورقة ٢٣ .

(٣٢٣) الدرجيني : جـ ١ ورقة ٢٢ ، النفوسي : ص ١٠٢ .

(٣٢٤) ابن الصغير : ص ١٨ . والاجماع من شروط صحة الامامة عند فقهاء الاباضية ،كما هو الحال عند أهل السنة . انظر : الشماخي : شرح مقدمة اصول الفقه ورقة ٦٤ ـ مخطوط ، الماوردي : الاحكام السلطانية ص ٥ .

(٣٢٥) ابو زكريا : ورقة ١٥ .

(٣٢٦) الشماخي : السير ص ١٤٦ .

(٣٢٧) ابن الصغير : ص ٢٢ .

(٣٢٨) النفوسي : ص ١١٤ .

(٣٢٩) الدرجيني : جـ ١ ورقة ٢٢ .

(٣٣٠) عرف انصار عبد الوهاب « بالوهبية » كما يذهب ابن الصغير وليس كما يعتقد البرادي بأنهم ينسبون الى عبد الله بن وهب الراسبي . انظر : سيرة الائمة الرستميين ص ١٦، الجواهر المنتقاة ورقة ٨٩ .

(٣٣١) الازهار الرياضية جـ ٢ ص ١٠٦ .

(٣٣٢) ابو زكريا : ورقة ١٥ ، الشماخي : السير ص ١٤٦ .

(٣٣٣) تزعم هذه المصادر ان ابن فندين قام بالثورة لان الامام عبد الوهاب لم يختره لتولي احدى المناصب الهامة « التي اختص بها اهل العلم والبصيرة في الدين » .

انظر : ابو زكريا : ورقة ١٥ ، الدرجيني : جـ ١ ورقة ٢٢ .

(٣٣٤) الشماخي : السير ص ١٤٧ .

(٣٣٥) تقلد الربيع زعامة المذهب في الشرق بعد موت أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، وقد عرف بتعمقه في الاصول والفروع وتبحره في مسائل الامامة والولاية والبراءة وفقا للقرآن والسنة • انظر : الدرجيني : ج ١ ورقة ١١٦ ، الورجلاني : الدليل لاهل العقول ج ٢ ص ٧٥ •

(٣٣٦) انظر ملحق رقم (٤) •

(٣٣٧) من المعروف ان الشريعة الاسلامية تجيز امامة المفضول اذا لم يكن مقصرا عن شروط الامامة مع وجود الافضل ، وكذلك يجوز الفقه الاباضي امامه المفضول اذا كان على شيء « من القناعة والفضل » • انظر : الماوردي : ص ٨ ، أبو زكريا : ورقة ١٦ •

(٣٣٨) الدرجيني : ج ١ ورقة ١٦ •

(٣٣٩) السير ص ١٤٧ •

(٣٤٠) ابو زكريا : ورقة ١٥ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٢٢ ، النفوسي : ص ١٠٦ •

(٣٤١) انظر : ابو زكريا : ورقة ١٦ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٢٣ ، الشماخي : السير ص ١٤٧ ، النفوسي : ص ١٠٨ •

(٣٤٢) عن هذه الرواية الاسطورية انظر : ابو زكريا : ورقة ١٦ ، ١٧ ، الشماخي : السير ص ٤٨ ـ ١٥٠ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٢٣ ـ ٢٤ ، النفوسي : ص ١٠٣ ـ ١٠٦ •

(٣٤٣) الثابت ان مبادىء الخوارج تنكر هذا الاسلوب وتحض على المواجهة العلنية للخصوم كما يتضح من مبادىء الاستعراض ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واعلام الخصوم واخذ الحجة عليهم قبل قتالهم •• الخ • ونلحظ ان الخوارج في حروبهم ـ سواء في المشرق او في المغرب ـ التزموا بهذه المبادىء وخاصة الاباضية منهم ، حتى بلغت مثاليتهم حد عدم تتبع المدبر وتحريم نهب الخصوم •• الخ • وما حدث من تدبير اغتيال علي بن ابي طالب كان حادثا فريدا له دوافعه الخاصة • انظر : السوفي : شرح السؤالات ورقة ٥٧ ، الاسفرائيني : التبصير في الدين ص ٢٨ •

(٣٤٤) الشماخي : السير ص ١٤٨ •

(٣٤٥) الدرجيني : ج ١ ورقة ٢٤ •

(٣٤٦) تحفل المصادر الاباضية بقصص روائية عن شجاعة افلح واستبساله في الزود عن المدينة • انظر : ابو زكريا : ورقة ١٨ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٢٥ ، النفوسي : ص١١١ ـ ١١٢ •

(٣٤٧) نفس المصادر والصفحات • وجدير بالذكر ان اختلاف فقهاء الاباضية حول موقف شعيب وانقسامهم بين مؤيد ومعارض مما يبرز الطابع المذهبي للحركة • وهذا شان خلافات الخوارج في الشرق ايضا • عن هذه الخلافات انظر : الشماخي : السير ص ١٥١ •

(٣٤٨) انظر : ابو زكريا : ورقة ١٨ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٢٥ •

(٣٤٩) المغرب ص ٦٧ •

(٣٥٠) تسرف المصادر الاباضية في تقدير عدد القتلى فتذكرت ان عدد من تسمى منهم باسم هرون - أقل الاسماء - بلغ ثلاثمائة . انظر : الدرجيني : ج ١ ورقة ٢٥ .

(٣٥١) الشماخي : السير ص ١٥٤ .

(٣٥٢) ابن الصغير : ص ٢٠ .

(٣٥٣) النفوسي : ص ١٢٩ .

(٣٥٤) ابن الصغير : ص ٢٠ .

(٣٥٥) النفوسي : ص ١٣٠ - ١٣١ .

(٣٥٦) ابن الصغير : ص ٢٠ .

(٣٥٧) ابن الصغير : ص ٢٠ .

(٣٥٨) نفس المصدر والصحيفة .

(٣٥٩) نفس المصدر والصحيفة ، النفوسي : ص ١٣٣ .

(٣٦٠) الازهار الرياضية ج ٢ ص ٢٠ .

(٣٦١) ابو زكريا : ورقة ١٩ .

(٣٦٢) النفوسي : ص ١١٧ .

(٣٦٣) الدرجيني : ج ١ ورقة ٣٦ .

(٣٦٤) اطفيش .. بعض تواريخ اهل وادي ميزاب ص ٣٨ .

(٣٦٥) على الرغم من التقارب بين فكر المعتزلة والخوارج في مسالة الوعد والوعيد ، فهناك كثير من القضايا التي اختلفوا حولها اختلافا جوهريا ، كمسالة مرتكبي الكبائر ، والرأي في اصحاب صفين وغيرهما .. انظر الشهرستاني : ص ٥٠ - ٥٢ .

(٣٦٦) الدرجيني : ج ١ ورقة ١٠٥ .

(٣٦٧) انظر : Chronique d'Abou Zakaria, p. 120.

(٣٦٨) البكري : ص ٦٧ ، ابن خلدون : ج ٦ ص ١٢١ .

(٣٦٩) اليعقوبي : البلدان ص ٨٠ .

(٣٧٠) الدرجيني : ج ١ ورقة ٣٦ ، Lewcki: Etudes Ibadites... p. 29.

(٣٧١) هذا التاريخ تقريبي ، اعتمادا على ما هو معروف من ان الامام على اثر حروبه مع الواصلية توجه الى جبل نفوسة حيث ضرب الحصار حول طرابلس في العالم التالي .

انظر : ابو زكريا : ورقة ٢١ ، Lewcki: Melanges Berberes. p. 268.

(٣٧٢) يفهم هذا من اشارة للشماخي الى ان عبد الوهاب « كان زاهدا في سفك الدماء » ،

ومن طلبه العون من جبل نفوسة ، ومما ذكره ابو زكريا عن الفتى المعتزلي الذي كان يصرع كل من بارزه من الاباضية : انظر : السير ص ١٥٤ ، السيرة ورقة ١٩ .

(٣٧٣) تذكر الرواية الاباضية ان اهل الجبل بعثوا الى الامام أربعة أشخاص فقط « كل واحد منهم بمقام مائة » ، احدهم للمناظرة ، والاخر لتفسير القرآن ، والثالث للمبارزة ، والرابع للمحاجاة في المسائل الفقهية . وهي رواية غير مقبولة : انظر أبو زكريا : ورقة ١٩ ، الدرجيني: ج ١ ورقة ٢٦ ، الشماخي : السير ص ١٥٥ ، النفوسي : ص ١١٩ .

(٣٧٤) نفس المصادر والصفحات .

(٣٧٥) انظر : أبو زكريا : ورقة ٢٢ ، الدرجيني ج ١ ورقة ٢٨ .

(٣٧٦) السير ص ١٥٧ .

(٣٧٧) البكري : ص ٦٧ .

(٣٧٨) سيرة الائمة الرستميين ص ٢٠ .

(٣٧٩) ابن الصغير : ص ٢٠ .

(٣٨٠) ابن خلدون : ج ٦ ص ١١٧ .

(٣٨١) ويعرفون ايضا ببني مصالة أو مسالة . انظر : ابن الصغير : ص ٢٠ .

(٣٨٢) النفوسي : ص ١٣٤ .

(٣٨٣) ابن الصغير : ص ٢٢ . ويوجد هذا الجبل في منطقة جرداء على مقربة من البحر المتوسط . انظر : اليعقوبي : البلدان ص ٣٥٦

(٣٨٤) كانت نفوسة من أوسع قبائل البربر واكثرها انتشارا ، فمن بطونها بنو زمور وبنو مكسور وماطوسة وتضرب شعوبها في أحواز طرابلس وجبل نفوسة حتى مشارف القيروان ، وان كان الجبل هو معقلهم الاصلي ، ويبلغ طوله من الشرق الى الغرب مسيرة ستة ايام ، وارتفاعه نحو ثلاثة ايام ، وهو عامر بالمدن والقلاع والقرى والضياع والمزارع . وأهم مدنه شروس ومسيف وجادو . وكانت نفوسة تدين بالمسيحية قبل اعتناقها الاسلام . وقد اعتنقت المذهب الاباضي في أوائل القرن الثاني الهجري ، وأسهمت في ثورات الاباضية في المغرب الادنى وافريقية بنصيب وافر . ولما قامت الدولة الرستمية بتاهرت كان النفوسيون من أشد مناصريها ضد خصومها . ولا غرو فقد خطوا – من ثم – بتقلد أهم المناصب العامة في الدولة ، « فكانت نفوسة تلي عقد تقديم القضاة وبيوت الاموال وانكار المنكر في الاسواق والاحتساب على الفساق » . الا انه على الرغم من تبعيتهم للامامة في تاهرت ، كانوا شبه مستقلين نظرا لبعد المسافة بينهم وبين تاهرت . ابن خلدون : ج ٦ ص ١١٤ ، الاستبصار ص ١٤٤ ، الشماخي : السير ص ١٩٢ ، ٢٧٣ ، Basset: Les sancturs du djebel. p. 426, Despois Op. Cit. p. 137

مبارك الميلي : ج ٢ ص ٢٠ ، علي يحيى معمر : الاباضية ص ٧٥ .

(٣٨٥) اليعقوبي : البلدان ص ٣٤٩ ؛

(٣٨٦) النفوسي : ص ١٦٥ ٠

(٣٨٧) ابو زكريا : ورقة ٢٥ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٣١ ، النفوسي : ص ١٥١ ٠

(٣٨٨) ابو زكريا : نفس المصدر والصحيفة ٠

(٣٨٩) نفس المصدر والصحيفة ٠

(٣٩٠) نفس المصدر والصحيفة ٠

(٣٩١) أطفيش : الامكان ص ١٠٧ ، ١٠٨ ٠

(٣٩٢) انظر : ابو زكريا : ورقة ٢٥ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٣١ ، النفوسي : ص ١٥١ ٠

(٢٩٣) انظر : ملحق رقم (٣) ٠

(٣٩٤) ابو زكريا : ورقة ٢٥ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٣١ ٠

(٣٩٥) ثمة رواية لابي الربيع الوسياني تقول ان احد مشايخ نفوسة ممن تلقوا العلم على الامام عبد الوهاب اخذ عنه مبدأ حق الرعية في اختيار ولاتها ٠ انظر : الوسياني : سير أبي الربيع ورقة ٧٩ ـ مخطوط ٠ وقد أفتى الربيع بن حبيب بجواز تعدد الائمة بقوله « لا بأس باجتماع امامين او أئمة في زمان واحد اذا فصل بينهم سلاطين لا تطاق او قوم لا يطاقون ، او حال بعد المسافة » ٠ انظر : أطفيش : الامكان ص ١٠٧ ، ١٠٨ ٠

(٣٩٦) بعثوا بذلك كتابا الى أبي سفيان محبوب بن الرحيل شيخ اباضية الشرق بعد الربيع ابن حبيب ٠ انظر : الشماخي : السير ص ١٨١ ٠

(٣٩٧) ابو زكريا : ورقة ٢٥ ، النفوسي : ص ١٥١ ٠

(٣٩٨) يفهم ذلك من رواية للنفوسي تقول ان شخصا يدعى عمرو بن يانس كان يندس بين اصحاب خلف « ويكاتب الامام بكل ما يسمعه » ٠ انظر : الازهار الرياضية ج ٢ ص ١٥٥ ٠

(٣٩٩) الوسياني : سير ابي الربيع ورقة ٣٠ ٠

(٤٠٠) اختلف المؤرخون في تحديد سنة وفاة عبد الوهاب كشأنهم في تحديد تواريخ سني حكم سائر ائمة بني رستم فابن عذارى يذكر ان عبد الوهاب حكم عشرين عاما ابتداء من سنة ١٨٠هـ التي مات فيها والده ، فيكون تاريخ وفاته تبعا لذلك سنة ٢٠٠هـ ٠ بينما يحدد النفوسي هذا التاريخ بسنة ١٩٠هـ على اساس انه استمر في الحكم تسعة عشر عاما ابتداء من سنة ١٧١هـ٠ ولا ندري كيف توصل جورج مارسيه الى تحديد عام ٢٠٨ هـ كتاريخ لوفاة عبد الوهاب ٠ وان كنا نرجح صحة هذا التاريخ على اساس ما ذكر ابن حيان عن ايفاد عبد الوهاب قبل موته سفارة من أبنائه الى الاندلس في سنة ٢٠٧هـ ٠

انظر : البيان المغرب ج ١ ص ٢٧٨ ، الازهار الرياضية ج٢ ص ١٦٣ ، مادة بني رستم

بدائرة المعارف الاسلامية ص ٩٣ ، Provencal: Op. Cit. p. 244.

(٤٠١) على الرغم من تضعضع نفوذ الامامة على اقاليمها الشرقية في اخريات عهد عبد الوهاب فان نفوذه ظل قائما على بقية اجزاء دولته ، حيث دان له عماله بالطاعة في نواحي قسطالية وزنزفة ودمر وزواغة وجربة وقفصه ونفزاوة وقنطرارة فضلا عن تاهرت ونواحيها • انظر : الشماخي : السير ص ١٦١ ، النفوسي : ص ١٦٥ •

(٤٠٢) السيرة ورقة ٢٨ •

(٤٠٣) Etudes Ibadites Nord Africaine. p. 115.

(٤٠٤) النفوسي : ص ١٦٧ •

(٤٠٥) ابو زكريا : ورقة ٢٦ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٣٢ •

(٤٠٦) السيرة ورقة ٢٦ •

(٤٠٧) نفس المصدر ورقة ٢٧ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٣٣ ، الشماخي : السير ص ١٨٤، النفوسي ص ١٦٧ •

(٤٠٨) بعث أبو عبيدة رسالة الى خلف يقول فيها « واذا نزعت يا خلف يدك عن الطاعة، فكن في حيزك واكون في حيزي ودع الحرب » •• انظر : نفس المصادر والصفحات •

(٤٠٩) نفس المصادر والصفحات •

(٤١٠) ذكر الدرجيني انها بلغت اربعة الاف بينما تجمع المصادر الاباضية الاخرى على ان عدتها اربعين الفا • انظر : الدرجيني : ج ١ ورقة ٣٣ ، ابو زكريا : ورقة ٢٧ ، الشماخي : السير ص ١٨٤ ، النفوسي : ص ١٦٨ •

(٤١١) شذ الدرجيني عن اجماع مؤرخي الاباضية ، فذكر ان القتال حدث سنة ٢١١هـ • انظر طبقات الاباضية ج ١ ورقة ٣٤ ، ابو زكريا : ورقة ٢٨ ، النفوسي : ص ١٧٣ •

(٤١٢) تقدر مصادر الاباضية جيش أبي عبيدة بما يتراوح بين ثلاثمائة وسبعمائة رجل : انظر نفس المصادر السابقة والصفحات •

(٤١٣) ابو زكريا : ورقة ٢٩ ، الشماخي : السير ص ١٨٧ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٣٤ •

(٤١٤) النفوسي : ص ١٧٥ •

(٤١٥) ابو زكريا : ورقة ٢٨ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٣٤ •

(٤١٦) الدرجيني ج ١ ورقة ٣٥ •

(٤١٧) النفوسي : ص ١٩٥ •

(٤١٨) تصور هذه المصادر خروج نفاث لتفضيل الامام افلح سعد بن أبي يونس عليه وتعيينه عاملا على قنطرارة • انظر : ابو زكريا : ورقة ٢٩ ، الشماخي : السير ص ١٩٥ ، الدرجيني : ج١

ورقة ٣٥ ، النفوسي : ص ١٩٧ ٠

(٤١٩) Lewcki: Melanges Berberes-Ibadites. p. 270.

(٤٢٠) ذكر الوسياني انه سمي بنفاث « لانه ينفث في الاسماع بدعته » ٠ انظر : سير ابي الربيع ورقة ١٠ ٠

(٤٢١) ابو زكريا : ورقة ٣٠ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٣٥ ٠

(٤٢٢) الدباغ : معالم الايمان ج ١ ص ٢٢٠ ٠

(٤٢٣) ابو زكريا : ورقة ٢٩ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٣٦ ٠

(٤٢٤) النفوسي : ص ١٩٥ ٠

(٤٢٥) انظر : نص رسالة افلح لعماله في هذا الصدد عند النفوسي ٠ الازهار الرياضية ج ٢ ص ٢١٤ – ٢١٨ ٠

(٤٢٦) جاء في رسالة افلح الى رعيته ما يلي « ٠٠٠ ومن عاب احدا من عمالنا بخصلة من الخصال ، او انكر عليه شيئا فليرفع ذلك الينا ،فنكون نحن الذين يغيرون » ٠٠النفوسي:ص ٢٠٣ ٠

(٤٢٧) النفوسي : ص ٢٠٤ ٠

(٤٢٨) ثمة مثل اورده الدرجيني يدلل به على دور نفوسة في مقاومة حركة نفاث ، جاء على لسان احد المشايخ ويدعى أبو مهاصر ، قال « تنبح جروة ابي مهاصر لئلا ياكل الذيب الغنم ٠ وقد كاد ياكلها ، حتى اتت سلاف ويغوا ٠٠ هرب الذيب فامنت الغنم ٠٠ يعني بالجروة نفسه ، وبالذيب نفاث بن نصر ، وبالغنم نفوسة ، وبالسلاف مهديا وعمروسا (من مشايخ الجبل) وهما من منزل يقال له ويغوا ، ويعني يأكل الذيب الغنم ، استحواذ نفاث على اهل الجبل ٠٠٠ » ٠ انظر : طبقات الاباضية ج ١ ورقة ١٣٤ ٠ وعلى الرغم من تشكيك البرادي في صحة هذا المثل – لان الشيخ مهدي النفوس قتل اثناء حصار الامام عبد الوهاب بطرابلس سنة ١٩٦هـ – فلا شك ان له دلالته على مدى نفوذ نفاث وامتداد دعوته ، فضلا عن دور نفوسة في مطاردته حتى هرب الى الشرق وانصرف عنه معظم اتباعه ٠ انظر : الجواهر المنتقاة ورقة ١٠٦ ٠

(٤٢٩) ابو زكريا : ورقة ٣١ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٣٧ ٠

(٤٣٠) النفوسي : ص ٢١٠ ٠

(٤٣١) انظر Lewcki: Melanges Berberes Ibadites. p. 270.

(٤٣٢) النفوسي : ص ١٨٣ ، Motylinski: Op. Cit. p. 6.

(٤٣٣) تفيض تواريخ الاباضية بقصص وبطولات نادرة قام بها افلح في حربه مع النكار وبربر هوارة في حياة والده ٠ انظر الدرجيني : ج ١ ورقة ٢٥ ٠

(٤٣٤) ابن الصغير : ص ٢٥ ٠

(٤٣٥) النفوسي : ص ١٨٨ .

(٤٣٦) نفس المصدر ص ٦٨ ، Motylinski: Op. Cit. p. 6.

(٤٣٧) انظر : ابن الصغير : ص ٢٧ ، النفوسي : ص ٦٨ .

(٤٣٨) مارسيه : مادة بني رستم ـ دائرة المعارف الاسلامية ص ٩٤
Faroughy: Op. Cit. p. 15.

(٤٣٩) ابن الصغير : ص ٢٧ .

(٤٤٠) النفوسي : ص ١٨٣ .

(٤٤١) ابن الصغير : ص ٢٧ .

(٤٤٢) نفس المصدر : ص ٢٥ .

(٤٤٣) ابو زكريا : ورقة ٢٩ ، الشماخي : السير ص ١٨٧ .

(٤٤٤) الدرجيني : ج ١ ورقة ٣٤ .

(٤٤٥) انظر : مادة بني رستم ـ دائرة المعارف الاسلامية ص ٩٤ .

(٤٤٦) ذكر ابو زكريا ان افلح ظل في الامامة ستين عاما ، بينما يقول ابن الصغير انه حكم خمسين عاما . ونحن نرجح رواية ابن الصغير ، ومن ثم تكون وفاته سنة ٢٥٨هـ على اساس توليه الامامة بسنة ٢٠٨هـ كما سبق القول . وعلى ذلك فقد اخطأ النفوسي حين ذهب الى ان افلح مات سنة ٢٤٠هـ . انظر : ابو زكريا : ورقة ٣١ ، ابن الصغير : ص ٢٥ ، النفوسي:ص ٢٢١ .

(٤٤٧) ابن الصغير : ص ٢٧ ، محمد بن تاويت : دولة الرستميين ص ١٢٢ .

(٤٤٨) ابن الصغير : ص ٢٧ .

(٤٤٩) نفس المصدر والصحيفة .

(٤٥٠) نفس المصدر ص ٢٦ ، ٢٧ . Lewcki : Melanges Berberes p. 273.

(٤٥١) انظر A Persian dunasty in North Africa. p. 15.

(٤٥٢) النفوسي : ص ٢٣١ .

(٤٥٣) ابن الصغير : ص ٢٧ .

(٤٥٤) نقل جورج مارسيه عن ابن الصغير تحريف كلمة « السمحية » الى « المسيحية » ، فقال بوجود عناصر مسيحية في تاهرت وقفت الى جانب بني رستم . انظر : ابن الصغير : ص ٣٦، مارسيه مادة بني رستم ـ دائرة المعارف الاسلامية ص ٩٤ .

(٤٥٥) احتج الشيخ عبد العزيز بن الاوز ـ المعروف بتعمقه في الفقه الاباضي ـ على ذلك مخاطبا نفوسة بقوله « الله سائلكم معاشر نفوسة ، اذا مات واحد جعلتم مكانه اخر ، ولم تجعلوا الامر للمسلمين وتردوه اليهم فيختارون من هو اتقى وارضى » . انظر : ابن الصغير :

ص ٣١ ، ٤٧ ·

(٤٥٦) الازهار الرياضية ج ٢ ص ٢٢٢ ·

(٤٥٧) ابن الصغير : ص ٣١ ·

(٤٥٨) نفس المصدر ص ٣٢ ·

(٤٥٩) نفس المصدر ص ٣١ ·

(٤٦٠) ابن الصغير : ص ٣٢ ، النفوسي : ص ٢٢٤ ·

(٤٦١) ابن الصغير : ص ٣٢ ·

(٤٦٢) كان ابو اليقظان ماسورا في بغداد ، اذ قبض عليه عمال العباسيين وهو في طريقه لاداء فريضة الحج ثم افرج عنه وعاد الى تاهرت · انظر : ابن الصغير : ص ٣١ ·

(٤٦٣) ابن الصغير : ص ٣٢ ·

(٤٦٤) ابن الصغير : ص ٣٢ ·

(٤٦٥) عن تفضيل اغتيال ابن عرفة ـ انظر : ابن الصغير ص ٣٤ ـ ٣٦ ·

(٤٦٦) السيرة ورقة ٣١ ·

(٤٦٧) طبقات الاباضية ج ١ ورقة ٣٧ ·

(٤٦٨) الازهار الرياضية ج ٢ ص ٦٢٦ ، ٢٢٧ ·

(٤٦٩) ابن الصغير : ص ٣٦ ، النفوسي : ص ٢٣٠ ·

(٤٧٠) ابن الصغير : ص ٣٦ ·

(٤٧١) نفس المصدر ص ٣٧ ·

(٤٧٢) نفس المصدر والصحيفة ، النفوسي : ص ٢٣١ ·

(٤٧٣) نفس المصدر والصحيفة ، نفس المصدر ص ٢٣٢ ·

(٤٧٤) نفس المصدر ص ٣٨ ، نفس المصدر والصحيفة ·

(٤٧٥) ابن الصغير : ص ٣٩ ، النفوسي : ص ٢٣٥ ·

(٤٧٦) الدرجيني : ج ١ ورقة ٣٧ · والمصادر الاباضية لا تذكر شيئا عن مصير أبي بكر بن أفلح بعد اعتزاله الامامة · بينما يذكر ابن عذارى ان اهل تاهرت اعادوه الى المدينة حيث ظل بها حتى وفاته · والراجح انه عاد الى تاهرت بعودة اخيه ابي اليقظان محمد الذي تولى الامامة من بعده · انظر ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ ص ٢٧٨ ·

(٤٧٧) ابن الصغير : ص ٣٩ ·

(٤٧٨) النفوسي : ص ٢٣٦ ·

(٤٧٩) يعتقد ماسكراي ان ابن مسالة كان اباضيا نكاريا • لكن المصادر لا تؤيد هذا الرأي، فالنفوسي يصفه بانه « اباضي المذهب » • ومن المعروف ان مؤرخي الاباضية يعتبرون فرقة النكار مارقة على جماعة المذهب من الوهبية • انظر : الازهار الرياضية ج ٢ ص ٢٣٦ ،
Chronique d'Abou Zakaria. p. 195.

(٤٨٠) النفوسي : ص ٢٣٦ •

(٤٨١) نفس المصدر والصحيفة •

(٤٨٢) ابن الصغير : ص ٣٩ ، النفوسي : ص ٢٣٦ •

(٤٨٣) نفس المصدرين والصفحات •

(٤٨٤) ابن الصغير : ص ٤٠ ، النفوسي : ص ٢٣٨ •

(٤٨٥) نفس المصدرين والصفحات •

(٤٨٦) ابن الصغير : ص ٤٤ •

(٤٨٧) ابو زكريا : ورقة ٣١ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٣٦ ، ٣٧ •

(٤٨٨) ابن الصغير : ص ٤١ • وبرغم ذلك افتتنت نفوسة بحكمه ، فكان شيوخها يلازمون مجالسه ويقفون بباب داره يهللون ويكبرون من اول الليل حتى الفجر • انظر : ابن الصغير : ص ٤٧ ، ابو زكريا : ورقة ٣١ ، البرادي : الجواهر المنتقاة ورقة ٣٣ ، النفوسي : ص ٢٤٥ •

(٤٨٩) ابن الصغير : ص ٤٤ ، البرادي : الجواهر المنتقاة ورقة ٩١ •

(٤٩٠) ابن الصغير : ص ٤٤ •

(٤٩١) نفس المصدر ص ٤٢ •

(٤٩٢) نفس المصدر ص ٤٤ ، ٤٥ ، البرادي : الجواهر المنتقاة ورقة ٩٢ •

(٤٩٣) انظر : ملحق رقم (٥) •

(٤٩٤) الازهار الرياضية ج ٢ ص ٢٤٠ •

(٤٩٥) يؤخر تاريخ ابن الصغير بعديد من القصص والروايات الدالة على عدل أبي اليقظان ونزاهته ، وحرصه على اموال الدولة ، اشبه ما تكون بتلك التي نسجت حول عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز •• انظر : سيرة الائمة الرستميين ص ٤٨ ، ٤٩ •

(٤٩٦) نفس المصدر ص ٤٨ •

وثمة من القصص التي وردت عن ابن الصغير تصور اقدام ابنائه وخدامه وحراسه على اغتصاب الاموال وهتك الاعراض • انظر : سيرة الائمة لرستميين ص ٤٢ ـ ٤٥ •

(٤٩٧) توفي أبو اليقظان محمد سنة ٢٨١هـ (ابن الصغير : ص ٤٩ ، ابن عذارى : ج١ ص ٢٧٨ ، البرادي : الجواهر المنتقاة ورقة ٩٣ ، مارسيه : مادة بني رستم ـ دائرة المعارف

الاسلامية ص ٩٣) .

ولما كان قد تولى الامامة سنة ٢٦١هـ حسبما ذكرنا سلفا ، فتكون مدة حكمه عشرين عاما، وليس سبعا وعشرين كما ذكر ابن عذارى ، او اربعين عاما حسبما ذهب ابو زكريا ومن اخذ عنه. انظر : البيان المغرب ج ١ ص ٢٧٨ ، ابو زكريا : ورقة ٣١ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٣٧، البرادي : الجواهر المنتقاة ورقة ٩١ .

(٤٩٨) ابن الصغير : ص ٥١ .

(٤٩٩) النفوسي : ص ٩٤ .

(٥٠٠) سيرة الائمة الرستميين ص ٥١ .

(٥٠١) السيرة واخبار الائمة ورقة ٣٦ .

(٥٠٢) ابن الصغير : ص ٤٢ .

(٥٠٣) نفس المصدر ص ٥٠ .

(٥٠٤) نفس المصدر والصحيفة ، النفوسي : ص ٢٦٥ Motylinski: Op. Cit. p. 7.

(٥٠٥) ابن الصغير : ص ٥٠ .

(٥٠٦) النفوسي : ص ٢٦٦ .

(٥٠٧) ابن الصغير : ص ٥١ .

(٥٠٨) ابن عذارى : ج ١ ص ٢٧٨ .

(٥٠٩) انظر : ابو زكريا : ورقة ٣٢ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٣٧ ، الشماخي : السير ص ٢٦٢ .

(٥١٠) ابن الصغير : ص ٥١ ، النفوسي : ص ٢٦٨ .

(٥١١) نفس المصدر ص ٥٢ ، نفس المصدر ص ٢٧٠ .

(٥١٢) ابن الصغير : ص ٥٣ .

(٥١٣) نفس المصدر والصحيفة ، النفوسي : ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .

(٥١٤) نفس المصدر والصحيفة ، نفس المصدر ص ٢٧٢ .

(٥١٥) من المعروف ان مزاته كانت تعتنق المذهب الاباضي ، وان كان اعتناقها اياه سطحيا انظر : اليعقوبي : البلدان ص ٣٤٤ .

(٥١٦) ابن الصغير : ص ٥٦ ، النفوسي : ص ٢٧٥ .

(٥١٧) ابن عذارى : ج ١ ص ٢٧٨ .

(٥١٨) ابن الصغير : ص ٥٦ .

(٥١٩) امتدح الشاعر بكر بن حماد التاهرتي أبا حاتم ، راجيا عفوه في قصيدة منها :

فقلت جفاني يوسف بن محمد — فطال علي الليل وهو قصير

ابا حاتم ما كان ما كان بغضه — ولكن اتت بعد الامور أمور

واكرم عفو يؤثر الناس امره — اذا ما عفى الانسان وهو قدير

انظر : النفوسي : ص ٢٧٦ .

(٥٢٠) ابن الصغير : ص ٥٦ ، البرادي : الجواهر المنتقاة ورقة ١٠٣ .

(٥٢١) نستشف ذلك من اسمي عبد الله بن محمد بن عبد الله بن ابي الشيخ الذي ولي القضاء وابراهيم بن مسكين الذي ولي الشرطة . ويخيل الينا انهما كانا من العرب المالكية أو الاحناف . انظر : ابن الصغير : ص ٥٦ ، الشماخي : السير ص ٢٦٣ .

(٥٢٢) ابن الصغير : ص ٥٦ ، الشماخي : السير ص ٢٦٣ ، البرادي : الجواهر المنتقاة ورقة ١٠٣ .

(٥٢٣) أبو زكريا : ورقة ٣٢ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٣٨ ، النفوسي : ص ٣٨ .

(٥٢٤) نفس المصادر والصفحات .

(٥٢٥) لا غرابة فيما حدث من تتبع النفوسيين لفلول زواغة والاجهاز عليهم ، علما بان تعاليم المذهب الاباضي تحرم تتبع المدبر والاجهاز على الجرحى .

انظر : الورجلاني : الدليل لاهل العقول ج ٣ ص ٥٤ . ذلك لان هذه التعاليم الاباضية تشترط في الفار المدبر ان يكون بدون ماوى يلوذ به ، فان كان له ماوى جاز تتبعه وقتل حريمه . انظر Motylinski: L'Aqida des Abadhites. p. 512. كان للهاربين من زواغة ماوى في جزيرة جربة ، استغل النفوسيون الاجهاز على فلولهم .

(٥٢٦) أبو زكريا : ورقة ٣٣ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٣٩ ، النفوسي : ص ٢٧٩ .

(٥٢٧) النفوسي : ص ٢٩١ .

(٥٢٨) ابن عذارى : ج ١ ص ٢٧٨ .

(٥٢٩) السوفي : شرح السؤالات ورقة ٩٩ .

(٥٣٠) السيرة ورقة ٣٦ .

(٥٣١) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٩٣ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ٢١ .

(٥٣٢) ابن خلدون : نفس المصدر ص ١٩٤ .

(٥٣٣) النفوسي : ص ٩٣ .

(٥٣٤) انظر : ابن الخطيب : اعمال الاعلام ج ٣ ص ١٠ .

(٥٣٥) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٩٤ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ٢٣ .

(٥٣٦) Les siecles obscurs. p. 294

(٥٣٧) Les Berbers. Vol. I. p. 288

(٥٣٨) ابو زكريا : ورقة ٢٣ ، النفوسي : ص ١٤٠ .

(٥٣٩) ابو زكريا : ورقة ٢٣ .

(٥٤٠) ابن الصغير : ص ٢٨ .

(٥٤١) عن حادثة القبض على أبي اليقظان محمد وسجنه ثم اطلاق سراحه . انظر : ابن الصغير ص ٢٧ ـ ٢٩ ، ابو زكريا : ورقة ٣١ ، ٣٢ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٣٧ ، ٣٨ ، النفوسي : ص ٢٥٩ ـ ٢٦٤ .

(٥٤٢) انظر : ابو زكريا : ورقة ٣٠ ، ٣١ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٣٦ ، ٣٧ ، النفوسي : ص ٢٠٦ ـ ٢٠٩ .

(٥٤٣) ابن الصغير : ص ٥١ ، النفوسي : ص ٢٦٨ .

(٥٤٤) المالكي : رياض النفوس ج ١ ص ٤٠٩ ، الدباغ : معالم الايمان ج ٢ ص ١٩٢ .

(٥٤٥) النفوسي : ص ٢٧٦ .

(٥٤٦) المقصود هنا تكفير الحكام فقط وليس الرعية . انظر : البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٠٦ .

(٥٤٧) النفوسي : ص ٩٣ Gautier: Op. Cit. p. 294, Vonderheyden: Op. Cit. p. 267.

(٥٤٨) انظر : الخريطة .

(٥٤٩) مجهول : الاستبصار ص ١٧٩ .

(٥٥٠) راجع : ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٨٧ .

(٥٥١) ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ٢٠٣ Masqueray: Op. Cit. p. 220.

(٥٥٢) ابن عذارى : ج ١ ص ١٦٧ ، Lewcki: Etudes Ibadites p. 73.

(٥٥٣) انظر : Largovolte d'Abou-Yazid. p. 105.

(٥٥٤) ابن خلدون : ج ٤ ص ٢٠٣ .

(٥٥٥) اليعقوبي : البلدان ص ٣٤٩ .

(٥٥٦) انظر :
Vonderheyden: Op. Cit. p. 268, Marcais, G. La Berberie Musulmane. p. 107, Huart: Histoire des Arabes Vol. I. p. 321.

(٥٥٧) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٨٨ .

(٥٥٨) المالكي : رياض النفوس ج ١ ص ٢١٦
Idris: Contribution à L'histoire p. 199.

(٥٥٩) ابو زكريا : ورقة ٢٣ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٣٠ ، النفوسي : ص ١٤٦ .

(٥٦٠) الانصاري : نفحات القنسرين ورقة ٧ ـ مخطوط ،
Brockelmann: Op. Cit. p. 150.

(٥٦١) النفوسي : ص ١٤٤ .

(٥٦٢) ابن الاثير : ج ٦ ص ٦٠ .

(٥٦٣) نفس المصدر والصحيفة ، ابو زكريا : ورقة ٢١ ،
Fournel: Op. Cit. Vol. 2. p. 79.

(٥٦٤) ابو زكريا : ورقة ٢٣ ، الشماخي : السير ص ١٦٠ .

(٥٦٥) النفوسي : ص ١٤٥ .

(٥٦٦) ابن الاثير : ج ٦ ص ٦٠ .

(٥٦٧) نفس المصدر والصحيفة ، الشماخي : السير ص ١٦١ .

(٥٦٨) اليعقوبي : البلدان ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ .

(٥٦٩) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٢٢ ، الشماخي : السير : ص ١٦١ ، النفوسي : ص ١٤٦، ١٤٧ .

(٥٧٠) الشماخي : السير ص ١٩٤ ، ويعني الشماخي بالمسودة بني الاغلب العمال العباسيين .

(٥٧١) العبر ج ٤ ص ٢٠٠ ٠

(٥٧٢) النفوسي : ص ١٨٩
Mercier: Histoire de l'Afrique septentrionnale) p. 285.

(٥٧٣) البلاذري : فتوح البلدان : ص ٢٢٧ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ ،
Fournel: Op. Cit. Vol. I. p. 513.

(٧٧٤) ابن خلدون : ج ٤ ص ٢٠١ ، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير : ص ٣٩٨ ٠

(٧٧٥) ابن الصغير : ص ٢٧ ٠

(٧٧٦) سيرة الائمة الرستميين ص ٣٧ ، النفوسي : ص ٢٣٢ ٠

(٥٧٧) انظر : الازهار الرياضية ج ٢ ص ٢٥٥ ٠

(٥٧٨) انظر : نزهة الانظار ص ١٢١ ٠

(٥٧٩) Basset: Les Sanctuaires... p. 93.

(٥٨٠) ابن عذارى : ج ١ ص ١٥٧ ٠

(٥٨١) ابن الداية : سيرة احمد بن طولون ص ٦١ ٠ وقد جاء في خطاب العباسي الى الياس ابن منصور « ٠٠ اقبل بسمعك وطاعتك والا وطيت بلدك بخيلي ورجلي وابحت رحمك ٠٠ » وجاء في رد الياس « ٠٠ لقد بلغني من قبيح افعالك ما لا يسعني التخلف معه عن جهادك ، وانا على اثر رسالتي اليك ٠٠ » ٠ راجع : البلوي : سيرة احمد بن طولون ص ٢٥٤ ، النفوسي : ص ٢٥٨ ٠

(٥٨٢) تصور بعض المصادر هذا الحادث باعتباره يخص كلا من الطرفين على حدة ، دون ادنى اشارة الى اشتراكهما في مواجهته ٠ انظر : الورجلاني : الدليل لاهل العقول ج ٣ ص ٥٤، الخزرجي : اخبار الدول المنقطعة ٠ ورقة ٢٩ Lewcki: Etudes Ibadites. p. 49.

(٥٨٣) البلوي : سيرة احمد بن طولون ص ٢٥٤ ٠

(٥٨٤) نفس المصدر ص ٢٥٥ ، النويري : ج ٢٦ ورقة ٧ ٠

(٥٨٥) البلوي : ص ٢٥٥ ، المقريزي : الخطط ج ١ ص ٣٢٠ ٠

(٥٨٩) البلوي : ص ٢٥٥ ، ابن عذارى : ج ١ ص ١٥٨ ، الشماخي : السير ص ٢٥٥، الورجلاني : ج ٣ ص ٥٤ ٠

(٥٨٧) النفوسي : ص ٢٥٧ ، الورجلاني : ج ٣ ص ٥٤ ٠ ومن المعروف ان المذهب الاباضي يقر الغنمية في حالة قتال مخالفيه في المذهب ٠ انظر : ابو غانم الصفري : المدونة ورقة ٤٣ ، السوفي : شرح السؤالات ورقة ١٧٣ ٠

(٥٨٨) ابن خلدون : ج ٤ ص ٢٠٣ ٠

(٥٨٩) ذكر الشماخي ان ابراهيم بن احمد أهدى نفوسة سيفا ، فاختلف شيوخهم حول كيفية التصرف فيه • فراى البعض رده اليه ، ورفض البعض الاخر « لانه عون له على باطله » بنما قال فريق ثالث بكسره ودفنه ، فاعترض الاخرون على ذلك « لان عطايا الملوك جائزة » •• فوقع بذلك خلاف افضى الى شقاق بينهم •• انظر •• السير ص ٢٦٤ •

(٥٩٠) النويري : ج ٢٢ ورقة ٣٧ ، Fournel: Op. Cit. Vol. 2. p. 8.

(٥٩١) أبو زكريا : ورقة ٣٣ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٣٩ ، النفوسي : ص ٢٨١ •

(٥٩٢) البيان المغرب ج ١ ص ١٧٣ ، ١٧٤ ،
Vonderheyden: Op. Cit. p. 272, Zaki Hassan, Les Tulunides. p. 161.

(٥٩٣) السير ص ٢٦٨ •

(٥٩٤) ابو زكريا : ورقة ٣٣ •

(٥٩٥) نفس المصدر ورقة ٣٤ ، الدرجيني ج ١ ورقة ٤٠ •

(٥٩٦) نفس المصدر والصحيفة •

(٥٩٧) الوسياني : سير أبي الربيع ورقة ٣ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ٣٧ •

(٥٩٨) ابن عذارى : ج ١ ص ١٧٤ ، Fournel: Op. Cit. Vol. I. p. 576.

(٥٩٩) النفوسي : ص ٢٨٦ •

(٦٠٠) الدرجيني : ج ١ ورقة ٤١ •

(٦٠١) انظر : محمد بن تاويت : دولة الرستميين ص ١١٧ ، محمد علي دبوز : المغرب الكبير ج ٢ ص ٣٨٧ ، حسن عبد العواد : دولة الادارسة ص ٢٤٥ •

(٦٠٢) انظر Masqueray: Op. Cit. p. LXXIV Gautier: Op. Cit. p. 295.

(٦٠٣) انظر : Chronique d'Abou Zakaria. p. 220.

(٦٠٤) ابن أبي زرع : القرطاس ص ١٦ – ١٨ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ١٢ ، الكتاني : المغرب ورقة ١٣ ـ مخطوط ، محمد علي السنوسي • الدرر السنية ص ٤٤ ،
Gautier: Op. Cit. p. 274.

(٦٠٥) تصور بعض المصادر ان الادارسة نجحوا في اقتطاع كافة الاجزاء الشمالية من الدولة الرستمية حتى لاصقت حدودها الشرقية دولة الاغالبة • انظر : عبد الرحمن بن زيدان اتحاف اعلام الناس ج ٢ ص ٥ ، حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسي ص ٢٢١ ،
Vonderheyden: Op. Cit. p. 263.

لكن الواقع ان بني رستم احتفظوا بنفوذهم على بعض الجهات ، حيث شكلت املاكهم حاجزا بين

الاغالبة والادارسة • انظر : اليعقوبي : البلدان ص ٣٥٢ ، .Gautier: Op. Cit. p. 295

(٦٠٦) نعلم ان عبد الرحمن بن رستم تزوج من يفرنية وانجب منها ابنه عبد الوهاب • انظر : ابو زكريا : ورقة ١٤ ، النفوسي : ص ١٠٠ ، .Masqueray: Op. Cit. p. 57

(٦٠٧) ابن ابي زرع : ص ٢٢ ، الكتاني : الازهار ص ٥ ، الجزنائي : زهرة الاسى ص ١٠ •

(٦٠٨) سعيد بن مقديش : ص ١٨ •

(٦٠٩) البكري : ص ٧٦ •

(٦١٠) اليعقوبي : البلدان ص ٨٠ •

(٦١١) ابن الصغير : ص ١٧ •

(٦١٢) ابن ابي زرع : ص ٦٩ ، الجزنائي : ص ٢٢ : محمد علي السنوسي : الدرر السنية ص ٤٥ ، سلفا توركوسا : تواريخ مدينة فاس ص ٤ ،

Mercier: Histoire de l'Afrique septentrionale. p. 89.

(٦١٣) انظر : مادة بني رستم ـ دائرة المعارف الاسلامية ص ٩٣ •

Lewcki: Etudes Ibadites. p. 36.

(٦١٤) الشماخي : السير ص ١٩٧ ـ ١٩٨ ،

(٦١٥) ابو زكريا : ورقة ١٩ ، محمد علي دبوز : ج ٣ ص ٤٨٥ ، حسني عبد العواد : دولة الادارسة ص ٢٤٦ •

(٦١٦) قدامة ابن جعفر : الخراج ص ٢٩٥ ، النفوسي : ص ١١٦ • ابو زكريا :ورقة١٩

(٦١٧) السيرة واخبار الائمة ورقة ١٩ •

(٦١٨) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٤ •

(٦١٩) les siecles obscurs. p.p. 290, 291

(٦٢٠) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٤ ، .Julien: Op. Cit. p. 344

(٦٢١) ينتسب آل سليمان الى سليمان بن عبد الله ـ اخو ادريس الاكبر ـ الذي نجا من معركة فخ ولحق باخيه في المغرب الاقصى بعد تاسيس دولة الادارسة سنة ١٧٢هـ • ولما فتح ادريس تلمسان جعل سليمان واليا عليها • ويخيل الينا انه غادر تلمسان بعد ثورة زناتة بزعامة محمد بن خزر واتجه الى نواحي تاهرت حيث لم يطب له المقام هناك طويلا • ويبدو ان خلافا وقع بينه وبين راشد ـ مولى الادارسة ـ بعد موت ادريس الاول جعله لا ينزل واليا على اثر ثورة ابن خزر ويتجه الى نواحي تاهرت • لكنه ما لبث ان لحق بادريس الثاني حين شب عن الطوق ، وصحبه في حملته على تلمسان لاستردادها • وقد مات ابان اقامة ادريس الثاني في تلمسان ، وخلفه ابنه محمد في ولايتها من قبل ادريس الثاني • انظر البكري : ص ٧٧ ، ابن

خلدون : ج ٤ ص ١٧ ، سلفا ئوركوسا : ص ١٤ ، مبارك الميلي : تاريخ الجزائر ج ٢ ص ٤٩،
Lavoix : Catlogue des monnaies. P. 398.

(٦٢٢) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٧ .

(٦٢٣) من مظاهر استقلال هذه الامارات حرص امرائها على صك عملة خاصة بهم خالية من اي اشارة الى تبعيتهم للادارسة . وهاك صورة لدينار ضرب في سوق ابراهيم في عهد احمد ابن عيسى : الوجه : لا اله الا الله وحده لا شريك له . الكتابة الدائرية : لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله . الوجه الاخر : محمد رسول الله ـ احمد بن عيسى . انظر : Lavoix: Op. Cit. p. 397.

(٦٢٤) Les Berberes. Vol. 2. p. 13.

(٦٢٥) المقدسي : ص ٢١٨ .

(٦٢٦) اليعقوبي : البلدان ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

(٦٢٧) النفوسي : ص ٧٠ .

(٦٢٨) يرى الاستاذ محمد علي دبوز ان بني رستم تنازلوا عن هذه البلاد طائعين مختارين لال سليمان العلويين . وهو راي بجانب الصواب بالقياس الى ما كان بين الطرفين من خصومة سياسية وعداء مذهبي : انظر : المغرب الكبير ج ٣ ص ٣٣٦ .

(٦٢٩) ساق بكر بن حماد ابياتا من الشعر امتدح بها أبا العيش تدلل على هذه الصلة ،منها:

سائل زواغة عن طعان سيوفه ورماحه في العارض المتهلل
وديار نفزة كيف داس حريمها والخيل تمرغ في الوشيج الذبل

انظر : النفوسي : ص ٧٠ .

(٦٣٠) النفوسي : ص ٧٤ .

(٦٣١) نفس المصدر ص ٧٧ .

(٦٣٢) ابن الاثير : ج ٥ ص ١٤٥ ، ١٦٩ ، احمد امين : ضحى الاسلام ج ٣ ص ٣٣٨، ولا صحة للرواية القائلة بمعاصرة الجلندي لامامة عبد الرحمن بن رستم . انظر : اطفيش : الامكان ص ١٠٧ .

(٦٣٣) المسعودي : مروج الذهب ج ٤ ص ٢٤٥ .

(٦٣٤) الوسياني : سير ابي الربيع ورقة ٣ ، Masqueray: Op. Cit. p. XLVI

(٦٣٥) الوسياني : نفس المصدر والصحيفة .

(٦٣٦) يذكر مارسيه انه عن طريق هؤلاء الحجاج انتقلت بعض الانماط الفنية من بلاد المغرب

الى مصر ، وخاصة تلك التقاليد الفنية المتعلقة بكنائس المغرب ، فقد وجدت طريقها الى الاديرة المصرية بعد تلونها بلون قبطي خاص • انظر : La Berberie Musulmane. p. 116.

(٦٣٧) الشماخي : ص ١١٤ •

(٦٣٨) انظر : ملحق (١) •

(٦٣٩) ابو زكريا : السيرة ورقة ١٨ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٢٥ •

(٦٤٠) انظر : دولة الرستميين ص ١٠٩ •

(٦٤١) ابن الصغير ص ١٠ •

(٦٤٢) نفس المصدر ص ١٤ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٢١ •

(٦٤٣) ابو زكريا : ورقة ١٥ ، الشماخي : السير ص ١٤٦ •

(٦٤٤) الشماخي : السير ص ١٨١ •

(٦٤٥) الشماخي : السير ص ١٤٧ •

(٦٤٦) انظر : ملحق رقم (٤) •

(٦٤٧) ابو زكريا : ورقة ٢٣ •

(٦٤٨) البرادي : رسالة في بعض كتب الاباضية ورقة ٢٠٧ ، الشماخي : السير ص ١٦٢، الدرجيني ج ١ ورقة ٢٦ •

(٦٤٩) الوسياني : سير ابي الربيع ورقة ٧٩ •

(٦٥٠) الشماخي : السير ص ١٦٥ •

(٦٥١) نفس المصدر ص ٢٧٩ •

(٦٥٢) نفس المصدر ص ٢٢٨ ، الوسياني : ورقة ٢ •

(٦٥٣) Marcais, : la Berberie Musulmane. p. 116.

(٦٥٤) السير ص ١٦١ •

(٦٥٥) انظر : الوسياني : ورقة ٧٠ ، البرادي : رسالة في بعض كتب الاباضية ورقة ٢٠٦ •

(٦٥٦) الدليل لاهل العقول ج ٢ ص ٧٦ •

(٦٥٧) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ج ١ ص ٣٢ Provencal: Op. Cit. p. 245.

(٦٥٨) انظر :
Les Berbers Vol. I. p. 514, Chronique d'Abou Zakaria. p. 220.

(٦٥٩) انظر : Loc. Cit, la Berberie Musulmane et l'orient. p. 104.

(٦٦٠) النفوسي : ص ٤ .

(٦٦١) ابن ابي زرع : ص ٦٩ ، سلفا توركوسا : تواريخ مدينة فاس ص ٤ .

(٦٦٢) انظر Dozy: Spanish Iclam. p. 166. مؤنس : فجر الاندلس ص ٦٦٤ .

(٦٦٣) انظر : Mercier: Histoire de l'etablissement des Arabes. p. 76.

(٦٦٤) كانت أم عبد الرحمن من سبايا نفزة . انظر : ابن عذارى : ج ٢ ص ٦٢ ، ابن الابار ، الحلة السيراء ج ١ ص ٣٥ . وقد ذكر ابن الخطيب انه نزل على مغيلة وليس على نفزة . انظر اعمال الاعلام ج ٢ ص ٨ .

(٦٦٥) ابن الابار : ص ٣٥ .

(٦٦٦) انظر : تاريخ الجزائر ج ٢ ص ١٦ .

(٦٦٧) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٢١ ، مارسيه : مادة بني رستم - دائرة المعارف الاسلامية ص ٩٢ .

(٦٦٨) ابن عذارى : ج ٢ ص ٦٠ .

(٦٦٩) البكري : ص ٦٦ ، القلقشندي : ج ٥ ص ١١١ .

(٦٧٠) انظر : Histoire de l'Epagne Musulmane. Vol. I. p. 241.

(٦٧١) ابن القوطية : ص ٧١ .

(٦٧٢) من هؤلاء محمد بن سعيد بن رستم الذي تقلد ولاية شذونة ، ومحمد بن عبد الرحمن ابن رستم ، وقد خدم في جند الحكم بن هشام .

(٦٧٣) حث الشاعر عباس بن ناصح الحكم على ذلك بقوله :

صل بالافيل الذي ربوا لفتنتهم   من قبل ان يرحلوه نحونا جذعا .

(٦٧٤) ابن القوطية ص ٧١ ، ٧٢ .

(٦٧٥) انظر : Provencal: Op. Cit. p.p. 152, 244.

(٦٧٦) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٤ ص ٤٩٣ .

(٦٧٧) انظر : Histoire de l'Espagne Musulmane. Vol. I. p. 245.

(٦٧٨) المغرب في حلى المغرب ج ١ ص ٤٨ .

(٦٧٩) ابن سعيد : نفس المصدر ص ٤٦ .

(٦٨٠) نفس المصدر ص ٥٠. Marcais, G: la Berberie Musulmane. p. 104.

(٦٨١) مارسيه : مادة بني رستم ـ دائرة المعارف الاسلامية ص ٩٣ ،
Faroughy: Op. Cit. p. 15.

(٦٨٢) نصوص من الاندلس ص ٩٩ ، ١٠٠

(٦٨٣) نفس المصدر والصحيفة ، Provencal: Op. Cit. p. 246.

(٦٨٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٤ ص ٤٩٣ •

(٦٨٥) نفس المصدر ص ٤٩٥ ، المقري : نفح الطيب ج ١ ص ٣٢٩ •

(٦٨٦) ابن عذارى : ج ٢ ص ١٦١ ، محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام في الاندلس ص ٣ ص ٢٣ •

(٦٨٧) انظر : Histoire de l'Espagne Musulmane. Vol. I. p.p. 245, 281

(٦٨٨) انظر : Conde: Op. Cit. p. 299

(٦٨٩) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٧٧ •

(٦٩٠) لا نوافق فورنل قوله بان هذا الحادث يكشف عن الخيوط الاولى للعلاقات بين تاهرت وقرطبة • انظر : les Berbers. Vol. I. p. 514

(٦٩١) البيان المغرب ج ٢ ص ١٦١ •

(٦٩٢) انظر : ابن الخطيب : اعمال الاعلام ج ٢ ص ٢٢ Dozy: Op. Cit. p. 317
Provencal: Op. Cit. p. 281.

(٦٩٣) انظر : المقري : ج ١ ص ٣٤٥ وما بعدها •

(٦٩٤) ابن القوطية : ص ١١٠ •

(٦٩٥) ابن عذارى : ج ١ ص ١٥٠ ، محمود مكي : التشيع في الاندلس ص ١١١ •

(٦٩٦) Brunschvig: Op. Cit. p. 17.

(٦٩٧) ابن خلدون : ج ٤ ص ٤١ •

(٦٩٨) ابن حيان : المقتبس في ذكر بلد الاندلس ص ١٩٢ •

هوامش الباب الرابع

(١) ابن الاثير : ج ٦ ص ١٢٧ •

(٢) ابن عذارى : ج ١ ص ١٧٢ •

(٣) ابن الابار : الحلة السيراء ج ١ ص ١٩١ •

(٤) اصطحب المهدي في رحلته ابنه أبا القاسم وفيروز داعي دعاته ، وطيب ، وأبا العباس محمد بن زكريا وابو يعقوب القهرماني ، ومحمد بن عزيز وابو جعفر الحاجب

(٥) انظر : افتتاح الدعوة ص ٤٢ ، ٤٣ ، بملاحق كتاب
Ivanovv: Ismaili tradition

(٦) انظر : شرح الاخبار ج ٥ ص ٣١ ، نفس المصدر السابق •

(٧) اليماني : سيرة جعفر ص ١١٦ •

(٨) افتتاح الدعوة ص ٤٣ •

(٩) النيسابوري : استتار الامام ورقة ١٤ ، اليماني : ص ١١٦ ، افتتاح الدعوة ص ٤٣ ، ابن الابار : ج ١ ص ١٩١ ، المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ٨٤ ، العيني : عقد الجمان ج ١٥ ، ورقة ١٥٣ •

(١٠) ابو زكريا : ورقة ٣٥ •

(١١) اليماني : ص ١١٩ •

(١٢) شرح الاخبار ص ٣١ ، ابن الاثير : ج ٨ ص ١٣ ، ابن خلدون : ج ٣ ص ٣٦٣ ، المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ٨٤ ، الخطط ج ١ ص ٣٥٠ •

(١٣) افتتاح الدعوة ص ٤٣ ، النويري : ج ٢ ورقة ٣٢ ، حسن ابراهيم : عبيـد اللـه المهدي ص ١٤ ، De Goeje: Memoires sur les Carmathes de Bahrin. p. 66.

(١٤) اليماني : ص ١٢٢ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٤٢ •

(١٥) ذكر اليماني قصة مؤداها ان القائم بن المهدي وضع رجله في عين ماء آسنة ، فجرى الماء فيها مدرارا • فلما رآه البستاني صاح « اني بالله وبالمهدي » ، فاستفسر منه المهدي عن قوله ، فاخبره بانه عرف الامر عن أجداده ، فامره المهدي بالكتمان : انظر سيرة جعفر ص ١٢٠ •

(١٦) أورد الدرجيني قصة اخرى مضمونها ان احد جيران المهدي بسجلماسة قص عليه حلما وطلب منه تفسيره ، فلما فسره ، قبل الرجل يده قائلا « يا أمير المؤمنين انت مولاي » • انظر طبقات الاباضية ج ١ ورقة ٤٢ •

(١٧) ابو زكريا : ورقة ٣٦ •

(١٨) نفس المصدر والصحيفة .

(١٩) انظر افتتاح الدعوة ص ٤٤ ، ابن الاثير : ج ٨ ص ١٣ ، ابو الفدا ج ٢ ص ٩٥ ، النويري : ج ٢٦ ورقة ٣٢ ، المقريزي اتعاظ الحنفا ص ٨٤ ، العيني : ج ١٥ ورقة ١٥٣ ، ابن ابي دينار ص ٤٩ ، De Goeije: p. 66

(٢٠) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣١ ، المقدمة ج ١ ص ٢٤٠ ، القلقشندي : ج ٥ ص ٢٦٦ .

(٢١) ابن خلدون : ج ٣ ص ٣٦٣ ، الباجي المسعودي : الخلاصة النقية ص ٣٧ .

(٢٢) انظر :ابن خلدون: ج ٦ ص ١٣١،المقدمة ج ١ ص ٢٤٠، القلقشندي ج ٥ ص ٢٦٦ ،

(٢٣) انظر : ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣١ ، المقدمة ج ١ ص ٢٤٠ ، القلقشندي ج٥ ص ٢٦٦، Bel: Op. Cit. p. 156.

(٢٤) مجهول : الاستبصار ص ٢٠٢ .

(٢٥) نفس المصدر والصحيفة .

(٢٦) نفس المصدر والصحيفة .

(٢٧) افتتاح الدعوة ص ٤٤ ، Mamour: Op. Cit. p. 107

(٢٨) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٢٧٢ .

(٢٩) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣١ .

(٣٠) افتتاح الدعوة ص ٤٤ ، شرح الاخبار ص ٣٢ .

(٣١) النويري : ج ٢٦ ورقة ٣٢ .

(٣٢) اليماني : ص ١٢٢ .

(٣٣) افتتاح الدعوة ص ٤٤ ، الاستبصار ص ٢٠٤ . وذكر ابن عذارى ان المهدي وابنه سجنا في غرفة واحدة بمنزل مريم بنت مدرار . انظر البيان المغرب ج ١ ص ٢١٠ .

(٣٤) النويري : ج ٢٦ ورقة ٣٢ .

(٣٥) اليماني : ص ١٢٢ .

(٣٦) النيسابوري : استتار الامام ورقة ١٤ ـ مخطوط .

(٣٧) ذكر ابن عذارى ان احد الهاشميين بسجلماسة ـ اهدى اليه المهدي بهدايا واموال كثيرة مما بعثها الشيعي اليه ، وامره « بالتستر وعدم الظهور في المعيشة واللبس » خشية العيون والرقباء . انظر : البيان المغرب ج ١ ص ١٨٧ ، ١٨٨ ، Vonderheyden: Op. Cit. p. 296.

(٣٨) ابن الاثير : ج ٨ ص ١٣ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ٣٥ ، النويري : ج ٢٦ ورقة ٣٢ .

(٣٩) سيرة جعفر ص ١٢٥ .

(٤٠) مجهول : ص ٢٠٤ .

(٤١) النويري : ج ٢٢ ورقة ٤٤ .

(٤٢) اليماني : ص ١٢٣ ، ابن الاثير : ج ٨ ص ١٦ ، ابو الفدا : ج ٢ ص ٦٥ .

(٤٣) اليماني : نفس المصدر والصحيفة ، ابن عذارى : ج ١ ص ٢٠٩ .

(٤٤) ابن الاثير : ج ٨ ص ١٦ ، ابن خلدون : ج ٣ ص ٣٦٤ .

(٤٥) ابن عذارى : ج ١ ص ٢١٠ .

(٤٦) اليماني : ص ١٢٣ ، شرح الاخبار ص ٣٣ .

(٤٧) افتتاح الدعوة ص ٤٥ ، ابن الاثير : ج ٨ ص ١٦ ، ابن خلدون : ج ٣ ص ٣٦٤ ، المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ٩٠ ، المنصوري : زبدة الفكرة ج ٥ ورقة ١٦١ ، الباجي المسعودي ص ٣٧ .

(٤٨) ابن خلدون : ج ٣ ص ٣٦٤ ، النويري : ج ٢٦ ورقة ٣٢ .

(٤٩) انظر Vonderheyden: Op. Cit. p. 305.

(٥٠) افتتاح الدعوة ص ٤٥ .

(٥١) افتتاح الدعوة ص ٤٥ ، ابن الاثير : ج ٨ ص ١٦ ، المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ٢٩٠ .

(٥٢) انظر : شرح الاخبار ص ٣٣ ، اليماني : ص ١٢٤ .

(٥٣) انظر : ابن خلكان : ج ١ ص ٢٧٢ ، سعيد بن بطريق : ص ٧٨ ، النويري : ج ٢٦ ورقة ٣٣ ، الخزرجي : ورقة ٤٢ .

(٥٤) مجهول : الاستبصار ص ١٦٧ .

(٥٥) هاك موجزا لهذه الادلة :

١ ـ ان عبيد الله المهدي لم يسجن في سجن المدينة ، وانما اودع في بيت مريم ابنـة الامير المدراري .

٢ ـ كان المهدي معروفا لدى اهل سجلماسة ، ولو كان قد قتل ونادى الشيعي بامامة غيره لكشفوا عن هذا الزيف .

٣ ـ لم يدخل الشيعي بنفسه لتحرير المهدي ، وانما قدم المهدي اليه على ظهر حصان .

٤ ـ من الصعب ان ينصب الشيعي بديلا عن المهدي وهو برفقة قواده واصحابه وسائر اتباعه.

٥ – لم يكن تنصيب بديل للمهدي امرا ممكنا في وجود ابنه ابي القاسم الذي كان على قيد الحياة •

٦ – لو حدث ذلك ، لما لاذ ابو القاسم بالصمت لان الدعاة في سائر الامصار والذين عرفوا المهدي ما كانوا ليسكتوا عن كشف تلك الخدعة •

٧ – ولو فرض وتغاضى ابو القاسم عن الامر ، وان الشيعي لم يكن يعرف شخص المهدي، فلا بد وان امرا غريبا كان سيحدث عند لقاء المهدي المزعوم بابي العباس – اخ الشيعي – وأم عبيد الله المهدي اللذين كانا برقاده •

٨ – لو ان اليسع قتل المهدي حقيقة لكان قد اشاع الخبر أثناء هربه بين قبائل الصحراء من قبيل التشفي والانتقام •

٩ – اذا كان هناك ثمة ما يشكك في أصله غير كونه ينتمي الى علي وفاطمة ، لاتخذه الشيعي واخوه سندا لهما خلال الشهور السبعة التي تآمرا خلالها على المهدي ، فكل ما فاها به آنئذ انه ليس الامام •

١٠ – اجماع المؤرخين على ان ابا القاسم ابنه خلفه بعد وفاته •

١١ – كان للمهدي أصدقاء ورفاق في سائر بلاد المشرق والمغرب • فضلا عن عدد من الرسل والدعاة بكافة ارجاء العالم الاسلامي ، فلو انه قتل حقا ، لاشاع هؤلاء واولئك الامر ، وأصبح معروفا عند المعاصرين • وعلى ذلك ، فان رواية ابن خلكان لا اساس لها من الصدق •

انظر : Mamour: polemics on the origin of the Fatimi Caliphs. p.p. 115, 16, 17.

(٥٦) اليماني : ص ١٢٦ ، افتتاح الدعوة ص ٤٥ •

(٥٧) اليماني : ص ١٢٥ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٤٢ •

(٥٨) انظر : افتتاح الدعوة ص ٤٥ ، ابن الاثير : ج ٨ ص ١٦ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٢١٠ : اخبار ملوك بني عبيد ص ٩ ، ابو الفدا : ج ٢ ص ٦٥ ، الاستبصار ص ٢٠٤ ، ابن خلدون ج ٣ ص ٣٦٤ ،النويري : ج٢٦ ورقة ٣٢، ابن ابي دينار : ص٤٩، العيني : ج ١٥ ورقة ١٥٤ •

(٥٩) البيان المغرب ج ١ ص ٢١١ ، ٢١٢ •

(٦٠) اليماني : ص ١٣١ ، شرح الاخبار ص ٣٣،ابن الاثير : ج ٨ ص ١٦،ابن خلدون : ج ٣ ص ٣٦٤ ،النويري : ج٢٦ ورقة ٣٣، المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ٩١ •

(٦١) اليماني : ص ١٢٩ ،١٣٠، الخزرجي : ورقة ٤٢ •

(٦٢) مجهول : الاستبصار ص ٢٠٤ •

(٦٣) اليماني : ص ١٣٠ •

(٦٤) الاستبصار ص ٢٠٢ •

(٦٥) ابن عذارى : ج ١ ص ٢١٠ ، Biquet; Op. Cit. p. 71.

(٦٦) ابن غلبون : التذكار ص ١٨ • وثمة رواية تقول بانه بويع في رقادة وليس في سجلماسة • انظر : ابن الابار : ج ١ ص ١٩١، النويري : ج٢٦ ورقة ٣١ ،
Hassan Ibrahim: Relations between the Fatimids.. p. 51.

ونعتقد انه بويع بسجلماسة اولا ، ثم بويع بعد ذلك بيعة عامة في رقادة • والواقع ان اقدم عملة وصلتنا عن المهدي مؤرخة بسنة ٢٩٧هـ •وخالية من ذكر المدينة التي ضربت بها • كما انها خلت ايضا من ذكر لقب «أمير المؤمنين» الذي نجده على عملة اخرى ضربت بالقيروان سنة ٣٠٠هـ • وهاك صورة للدينار الذي ضرب سنة ٢٩٧هـ :

الوجه : لا اله الا الله وحده لا شريك له (فراغ) •

الوجه الاخر : لله ـ محمد رسول الله ـ المهدي •

دائري : بسم الله ضرب هذا الدينار سنة سبع وتسعين ومئتين (فراغ) •

انظر : Lane-Poole: Catalogue of the collection of Arabic coins presented in the Khedivial library. p. 148.

اما الدينار الذي ضرب بالقيروان سنة ٣٠٠هـ فصورته على الوجه التالي :

الوجه : عبد الله ـ لا اله الا ـ الله وحده ـ لا شريك له ـ امير المؤمنين •

دائري : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله •

الوجه الاخر : الامام ـ محمد ـ رسول ـ الله ـ المهدي بالله •

دائري : بسم الله ضرب هذا الدينار بالقيروان سنة ثلث مية •

انظر : Lane — Poole: Catalogue of Oriental coins in the British museum. Vol. 4. p. 2.

(٦٧) المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ٩١ ، ابو الفدا : ج ٢ ص ٦٥ •

(٦٨) البكري : ص ١٥٠ •

(٦٩) ابن خلدون : ج ٤ ص ٧٨ •

(٧٠) ابن عذارى : ج ١ ص ٢٦٦ ، ٢٦٩ •

(٧١) ابن عذارى : ج ١ ص ٢٨٣ •

(٧٢) نفس المصدر : ص ١٩١ ، ١٩٢ •

(٧٣) سعيد بن مقديش : ص ١٢٣ •

(٧٤) ابن حيون : المجالس والمسايرات ج ١ ورقة ٢٨ ـ مخطوط ٠

(٧٥) الاستبصار ص ٢٠٤ ٠

(٧٦) البيان المغرب ج ١ ص ٢٢٠ ٠

(٧٧) نفس المصدر والصحيفة ٠

(٧٨) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣١ ٠

(٧٩) انظر : Dachraoui: la Captivite d'Ibn Wasul. p. 296.

(٨٠) ابن حيون : المجالس والمسايرات ج ١ ورقة ٣٥٨ ٠ ولعل السبب في ذلك يرجع الى ان الفاطميين ـ كما يذهب الدكتور محمد كامل حسين ـ « كانوا يميلون الى صبغ البلاد كلها بصبغة مذهبهم ، احيانا بالترغيب واحيانا بالترهيب ، فكان الدعاة يؤدون واجبهم في تشكيك المسلمين في مذاهبهم ، ويحببون اليهم المذهب الفاطمي » ٠٠٠ انظر : في ادب مصر الفاطمية ص ١٣٠ ٠

(٨١) ابن حيون : المرجع السابق ورقة ٣٦١ ٠

(٨٢) ابن حيون : المجالس والمسايرات ج ١ ورقة ١٢٧ Drague : Op. Cit. p. 25.

(٨٣) ابن عذارى : ج ١ ص ٢١٣ ٠

(٨٤) المراكشي : المعجب ص ٣٥٧ ٠

(٨٥) انظر : ابو الفدا : ج ١ ص ٦٦ ، ابن ابي دينار : ص ٥٠ ٠

(٨٦) ابن عذارى : ج ١ ص ٢١٣ ٠

(٨٧) البكري : ص ١٥٠ ٠

(٨٨) ابن عذارى : ج ١ ص ٢١٤ ، قتل ابراهيم بن غالب المزاتي سنة ٢٩٧هـ وليس سنة ٢٩٨هـ كما ذهب ابن خلدون وابن الخطيب ٠ انظر : العبر ج ٦ ص ١٣١ ، اعمال الاعلام ج ٣ ص ١٤٥ ٠

(٨٩) اخطأ ابن خلدون ـ ومن نقل عنه ـ حين زعم ان الفتح بن ميمون كان اباضيا ٠
انظر : العبر ج ٦ ص ١٣١ ، السلاوي ج ١ ص ١١٣ ٠

(٩٠) ابن الخطيب : المرجع السابق ص ١٤٦ ٠

(٩١) البكري : ص ١٥ ، ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣١ ، ابن الخطيب : اعمال الاعلام ج٣ ص ٤٦ ، القلقشندي : ج ٥ ص ١٦٦ ٠

(٩٢) ابن خلدون : المرجع السابق ص ١٣١ ٠

(٩٣) البكري : ص ١٥٠ ، ابن الخطيب : ج ٣ ص ١٤٦ ٠

(٩٤) ابن الخطيب : نفس المصدر والصحيفة ٠

(٩٥) نفس المصدر والصحيفة ٠

(٩٦) العبر ج ٦ ص ١٣١ ٠

(٩٧) اسقط البكري حكم هذا الامير ٠ انظر : المغرب ص ١٥١ ٠

(٩٨) ابن حيون : المجالس والمسايرات ج ١ ورقة ٢٩٦ ٠ وقد خالف ابن الخطيب سائر المؤرخين فذكر ان المنتصر سمكو اخ محمد بن المعتز وليس ابنه ٠ انظر اعمال الاعلام : ج٣ ص ١٤٦ ٠

(٩٩) البكري : ص ١٥١ ، ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣١ ، ابن الخطيب : ج ٣ ص ١٤٦ ، القلقشندي : ج ٥ ص ١٦٧ ، السلاوي : ج ١ ص ١١٣ ٠

(١٠٠) البكري : ص ١٥١ ، ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣١ ٠

(١٠١) اخطا ابن خلدون ومن نقل عنه في تلقيبه « بالشاكر بالله » ٠ انظر : العبر ج ٦ ص ١٣١ ، السلاوي : ج ١ ص ١١٣ ٠ فالصحيح ما ورد بعملته الذهبية والفضية حيث لقب « بالشاكر لله » وهاك صورة لدينار ضرب في عهده ٠

كتابة دائرية : بسم الله ضرب هذا الدينر سنة ست وثلثين وثلثماية ٠

الوجه الاول : الامام ـ محمد ـ رسول الله ـ الشاكر ـ لله ٠

الوجه الاخر : ويتشكك لافوا في اتخاذه لقب « امير المؤمنين » ويذكر انه اكتفى بلقب « امام » لان العملة خلت من ذلك ٠ انظر : Lavoix: Op. Cit. p.p. 401, 402

لكن شكوك لافوا لا سبيل لصحتها ٠ فنجد على دينار ضربه الشاكر لله سنة ٣٤٥هـ لقب أمير المؤمنين ٠ وهاك صورته ٠

الوجه : عبد الله ـ لا اله الا ـ الله وحده ـ لا شريك له ـ امير المؤمنين ٠

(فراغ غامض)

الوجه الاخر : الامام ـ محمد رسول ـ الله ـ الشاكر لله ٠

بسم الله ضرب هذا الدينر سنة خمس واربعين وثلثماية ٠

انظر :

Lane — Poole: Catalogue of the collection of the Arabic coins presented in the Khidivial Liberary. p. 328

(١٠٢) انظر : ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٢ ، السلاوي : ج ١ ص ١١٣ ، الخزرجي :ورقة ٤٧،
Bel: Op. Cit. p. 168

(١٠٣) انظر : البكري : ص ١٥١ .

(١٠٤) الدباغ : ج ٢ ص ١٨٥ .

(١٠٥) القلقشندي : ج ٥ ص ١٦٧ .

(١٠٦) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ج ٣ ص ١٤٨ .

(١٠٧) انظر : Lavoix: Op. Cit. p. 401.

(١٠٨) ابن الخطيب : المرجع السابق ص ١٤٨ .

(١٠٩) ابن حيون : المجالس والمسايرات ج ١ ورقة ٣٦٩ ، ج ٢ ورقة ٣٩٩ .

(١١٠) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ٥٧ .

(١١١) الاستقصا ج ١ ص ١١٩ . يؤكد ذلك ان العملة التي ضربها سنة ٣٣٦ وكان وزنها كالاتي D. 19 mm. p. 39 gr go والتي ضربها سنة ٣٤٠هـ كان وزنها D. 21, mm p. 4 gr 10 انظر : lavoix: Op. Cit. p.p. 401, 402

(١١٢) ابن حيون : المرجع السابق ج ١ ورقة ٣٦ .

(١١٣) ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ٩٦ .

(١١٤) ابن حيون : المرجع السابق ج ١ ورقة ٢٢ ، السلاوي / ج ١ ص ١٩٧ .

(١١٥) ابن حيون نفس المصدر ورقة ٢٥ ، lavoix: Op. Cit. p. 402

(١١٦) ابن حيون : نفس المصدر ورقة ٣١ .

(١١٧) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٢ .

(١١٨) هم اتباع أبي يزيد مخلد بن كيداد الذين اذعنوا بالطاعة للفاطميين واغلبهم من بني كملان . انظر : ابن حيون .. المرجع السابق ورقة ٣٢ .

(١١٩) الشطيبي : الجمان ورقة ١٩٧ .

(١٢٠) انظر : ملحق رقم (٦) .

(١٢١) ابن حيون : المرجع السابق ورقة ٢٩٦ .

(١٢٢) الشطيبي : المرجع السابق ورقة ١٩٧ .

(١٢٣) ابن الخطيب : ج ٣ ص ١٤٨ ٠

(١٢٤) نفس المصدر والصحيفة ٠ ويسميه ابن خلدون « حصن تاسكرات » ٠ انظر : العبر ج ٦ ص ١٣٢ ٠

(١٢٥) البكري : ١٥١ ٠

(١٢٦) ابن حيون : المجالس والمسايرات ج ١ ورقة ٢٩٦ ٠

(١٢٧) البكري : ص ١٥١ ، ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٢ ، ابن الخطيب : ج ٣ ص ١٤٩، القلقشندي ج ٥ ص ١٦٧ ، السلاوي : ج ١ ص ١١٤ ، الشطيبي : الجمان ورقة ١٩٧ ٠

(١٢٨) ابن حيون : المجالس والمسايرات ج ١ ورقة ٢٩٦ ٠

(١٢٩) نفس المصدر ورقة ٣٣٢ ٠

(١٣٠) نفس المصدر ورقة ٣٦٤ ، ٣٦٥ ٠

(١٣١) ابن حيون : نفس المصدر والصحيفة ، Dachraoui: Op. Cit. p. 299

(١٣٢) ابن الخطيب ج ٣ ص ١٤٩ ٠

(١٣٣) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٢،السلاوي : ج ١ ص ١١٤ ،القلقشندي:ج ٥ ص ١٦٧ ٠

(١٣٤) انظر : ملحق رقم (٧) ٠

(١٣٥) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٢،السلاوي:ج ١ ص ١١٤،القلقشندي : ج ٥ ص ١٦٧ ٠

(١٣٦) نفس المصادر والصفحات ، Bel : Op. Cit. p. 169

(١٣٧) ابن خلدون : المقدمة ص ١٦٨ ٠

(١٣٨) النفوسي : الازهار الرياضية ج ٢ ص ٢٧٨ ٠

(١٣٩) سيرة الائمة الرستميين ص ٥٥ ٠

(١٤٠) ابن الصغير : ص ٤٩ ٠

(١٤١) ابو زكريا : ورقة ٣٣ ٠

(١٤٢) نفس المصدر ورقة ٣٤ ٠

(١٤٣) نفس المصدر والصحيفة ٠

(١٤٤) انظر : ابو الفدا : ج ٢ ص ٦٥ ، ابن آبي دينار : ص ٤٨ ، العيني : ج ١٥ ورقة ١٥٣ ، اطفيش : الامكان ٠ ص ٥٨ ٠

(١٤٥) سيرة الائمة الرستميين ص ٥٩ ٠

(١٤٦) انظر : البكري : ص ٦٨ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٢٠٩ ، مارسيه : مادة بني رستم، دائرة المعارف الاسلامية ص ٩٣ ٠

(١٤٧) ابو زكريا : ورقة ٣٦ ٠

(١٤٨) ابن الصغير : ص ٥١ ٠

(١٤٩) ابو زكريا : ورقة ٣٦ ، النفوسي : ص ٢٩٢ ٠

(١٥٠) ذكرت المصادر الاباضية ان ابا عبد الله استجاب لطلب دوسر بعد ان وعدته بالزواج اذا ما اخذ بثار أبيها ٠ والراجح ان يكون السبب في ذلك فراغه من حروبه مع الاغالبة ، وعزمه على افتتاح المغربين الاوسط والاقصى ٠ انظر : الدرجيني : ج ١ ورقة ٤٢،النفوسي:ص ٢٩٢ ٠

(١٥١) ابو زكريا : ورقة ٣٦ ٠

(١٥٢) نفس المصدر والصحيفة ، ابن عذارى : ج ١ ص ٢١٠،الدرجيني ج ١ ورقة ٤٢ ٠

(١٥٣) ابو زكريا : ورقة ٣٧ ، Biquet: Op. Cit. p. 71

(١٥٤) الدرجيني : ج ١ ورقة ٤٢ ، Biquet Loc. Cit. وتصور الرواية الاباضية هرب دوسر ـ بطريقة روائية ـ خشية ان يتزوجها الشيعي كما وعدته ٠ انظر : ابو زكريا ٠٠ ورقة ٣٦ ، النفوسي : ص ٢٩٣ ٠

(١٥٥) النفوسي : ص ٢٩٢ ٠

(١٥٦) ابو زكريا : ورقة ٣٧ ٠

(١٥٧) الدرجيني : ج ١ ورقة ٤٢ ٠

(١٥٨) ابو زكريا : ورقة ٤٢ ٠

(١٥٩) نفس المصدر ورقة ٣٧ ٠ وقد اعتقد ماسكراي ان المصادر الاباضية تبالغ في هذا الصدد اظهارا لفظائع الشيعة ٠ انظر : Chronique d'Abou Zakaria p. 211

(١٦٠) البكري : ص ٦٨ ٠

(١٦١) ابو زكريا : ورقة ٣٧ ٠

(١٦٢) تنسج المصادر الاباضية روايات اسطورية حول شجاعة يعقوب بن افلح ومهارته في الافلات من اعدائه ٠ انظر : ابو زكريا : ورقة ٤١ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٤٧ ٠

(١٦٣) أبو زكريا : ورقة ٤٢ Masqueray: Op. Cit. p. LXXIV وروي انه قال في هذا الصدد «لا يستتر الجمل بالغنم»فصارت مثلا٠انظر:ابو زكريا:ورقة ٤٢،النفوسي:ص ٢٩٣ ٠

(١٦٤) ابو زكريا : ورقة ٤٢ ٠

(١٦٥) البكري : ص ٦٨ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٢٠٩ ٠

وقد اختلف المؤرخون في تحديد سني حكم الاسرة الرستمية ، نتيجة خلافهم حول بداية حكم عبد الرحمن بن رستم اول أئمتها ٠ وقد ورد باحدى القصائد في رثاء الدولة الرستمية انها ظلت قائمة مائة وخمسين عاما ، قال الشاعر :

لقد أسسوا تاهرت بالغرب وارتقوا — مدارج عز الملك فيها وابدعوا

وداموا بها خمسين عاما ومائة — يحفهم من كان بالقصب يقطع

انظر : النفوسي : ص ٣٠٠ ٠ والصحيح ان عبد الرحمن بن رستم تولى امامة الظهور سنة ١٦٢هـ ، وعلى ذلك فقد استمر حكم الاسرة الرستمية مائة وخمس وثلاثين عاما ، على اساس ان دولتهم سقطت سنة ٢٩٧هـ ٠

(١٦٦) الدرجيني : ج ١ ورقة ٤٢ ٠

(١٦٧) ابو زكريا : ورقة ٣٧ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٤٢ ٠

(١٦٨) الوسياني : سير أبي الربيع : ورقة ٢٧ ، علي يحيى معمر : الاباضية في موكب التاريخ ص ١٤٥ ٠

(١٦٩) ابو زكريا : ورقة ١١٥ ، Lowcki: Etudes Ibadites. p.p. 49, 50

(١٧٠) ابو زكريا : ورقة ١١٥ ، الطاهر الزاوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص ١٨٣ ٠

(١٧١) الجربي : مؤنس الاحبة ص ٥٩ ٠

(١٧٢) الوسياني : سير أبي الربيع ورقة ٥٩ ، Julien: Op. Cit. p. 339

(١٧٣) ابن عذارى : ج ١ ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ ٠

(١٧٤) الشماخي : السير ص ٣٢٠ Lewcki: Etudes Ibadites. p.p. 49, 50

(١٧٥) ابو زكريا : ورقة ١١٥ ، الطاهر الزاوي : ص ١٨٨،علي يحيى معمر:الاباضة ص ١٥٤ Lewcki: Etudes Ibadites. p.p. 50, 98, Masqueray: Op. Cit. p. LXXV.

(١٧٦) الشماخي : السير ص ٣١٨

(١٧٧) نفس المصدر ص ٣٢١،وتقع هذه القرية غربي جبل نفوسة٠انظر نفس المصدر والصحيفة
Lewcki: Op. Cit. p. 50

(١٧٨) ابو زكريا : ورقة ١١٧ ، علي يحيى معمر : ص ١٥٤ ، Lewcki: Loc. Cit.

(١٧٩) نفس المصادر والصفحات ٠

(١٨٠) السير ص ٣٢٠ ، ٣٢٣ ٠

(١٨١) نفس المصدر ص ٢٧٥ ٠

(١٨٢) اعتقد جوتييه ان الفاطميين عجزوا عن ايجاد حل « للمسالة الزناتية » على الرغم من اعتمادهم على قواد من زناتة كمصالة بن حبوس ٠ ذلك ان كتامة وصنهاجة ـ كانتا على هامش الحياة السياسية في المغرب ـ سادتا الموقف في العصر الفاطمي ولعبتا دورا بارزا في احداث المغرب في ذلك الحين ٠ ومن ثم اتجهت زناتة بولائها لاموي الاندلس اعداء الفاطميين نكاية في كتامة وصنهاجة اعداءها التقليديين ٠ ولما كانت صنهاجة وكتامة من البرانس ، وزناتة من البتر ، ولما كان ابو يزيد مخلد بن كيداد زناتيا ، فقد نظر جوتييه الى ثورته من خلال الصراع بين البتر والبرانس ٠ انظر Les siecles obscurs. p.p. 354, 570 وقد يؤخذ الاسراف على تصور جوتييه،فقد انضوى كثير من قبائل البرانس في حركة أبي يزيد كعجيسة واوربة وهوارة ٠ انظر : ابن خلدون : ج ٦ ص ١٤٥ ، المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ١١٤ ، التجاني : ص ٣٢٦،
Masqueray: Op. Cit. p. 232

(١٨٣) انظر : La Religion Musulmane. p. 150

(١٨٤) انظر : احمد مختار العبادي : سياسة الفاطميين ص ٢٠٢ ٠

(١٨٥) انظر : La Tunisie dans le haut moyen age. p. 17

(١٨٦) هكذا ذكر الدكتور مؤنس في مقدمته لكتاب رياض النفوس للمالكي ٠ انظر : ص ٢٣ ، ٢٤ ٠

(١٨٧) ابن حماد : اخبار ملوك بني عبيد ص ١٦ ، Masqueray: Op. Cit. p. 232

(١٨٨) انظر : الشماخي : السير ص ٢٧٩ ٠

(١٨٩) اطفيش : الامكان ص ٤٦ ٠

(١٩٠) ابو زكريا : ورقة ٣٨ ، ٤٣ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٢٣ ٠ وجاء في هجاء احد الشعراء لابي يزيد هذا البيت :

حل البلاء بمخلد وجميع شيعته النواكر

انظر :

Cherbonneau: Documents inedits sur l'heretique Abou Yezid p. 493.

(١٩١) ابن عذارى : ج ١ ص ١٦٦ ، محمد بن تاويت ، دولة الرستميين ص ١١٤ ٠

(١٩٢) ابو زكريا : ورقة ٤٨ ، ٤٩ ٠

(١٩٣) ابن ابي دينار : ص ٥٢ ، المقريزي : الخطط ج ١ ص ٣٥١ ، وقد ذكر الشماخي ان النكار اعتمدوا في عقائدهم على اقوال عبد الله بن زيد في الكلام ، وابي المورج وابن عبد العزيز وحاتم بن منصور في الفقه ٠ انظر : السير ص ٢٨٠ ٠

(١٩٤) انظر : Les siecles obscurs. p. 257.

(١٩٥) انظر : Les Berbers Vol. 2. p. 225

(١٩٦) انظر : العبر ج ٤ ص ٤٠ ، الاستبصار ص ٢٠٥ ٠

(١٩٧) المسالك والممالك ص ٤٨ ٠

(١٩٨) البيان المغرب ج ١ ص ٣٠٧ ٠

(١٩٩) الخزرجي : ورقة ٤٥ ، ابن الخطيب : رقم الحلل ص ٣٤ ٠

(٢٠٠) ابن النديم : الفهرست ص ٢٦٥ ٠

(٢٠١) ابن خلدون : ج ٧ ص ١٣ ٠

(٢٠٢) الدباغ : ج ٢ ص ١٨٥ ، القاضي عياض : ترتيب المدارك قسم «١» من جزء «٢» ص ٦٤ ، ٦٥ ٠ وقد نظر فقهاء القيروان الى ما قام به العبيديون من تغييرات في العبادات والطقوس على انه من قبيل الكفر ٠ فقد اسقط المروزي عامل المهدي على القيروان صلاة التراويح، كما احدث القائم تغييرات جوهرية في الشرائع والاحكام اثارت غضب فقهاء السنة الذين اخذوا بالشدة والبطش ٠ انظر : ابن عذارى : ج ١ ص ٢٠٥ – ٢٠٨ ، الاستبصار ص ٢٠٥ ، الدباغ : ج ٢ ص ٢٤٤ ٠

(٢٠٣) سعيد بن مقديش : ص ١٢٥ ٠

(٢٠٤) ابن عذارى : ج ١ ص ٣٠٨ ٠

(٢٠٥) قيل ان اصحاب ابي يزيد من النكار طالبوه بقتال الاباضية الوهبية اخذا بثار زعيمهم يزيد بن فندين ، فوافقهم الرأي على ان يكون ذلك بعد فراغه من قتال الشيعة ٠ انظر : أبو

زكريا : ورقة ٣٩ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٤٤ .

(٢٠٦) سعيد بن مقديش : ص ١٢٧ .

(٢٠٧) ابن النديم : الفهرست ص ٢٦٦ .

(٢٠٨) مما يؤكد الطابع الخارجي لحركة ابن يزيد عملته التي تضمنت عبارة « لا حكم الا لله » وهاك صورة لدينار ضرب في عهده : الوجه : ربنا الله - لا حكم الا لله - وحده لا شريك له - الحق المبين . الدائرة : بسم الله الرحمن الرحيم - ضرب هذا الدينر بالقيروان سنة ثلاث وثلاثين وثلاثماية . الوجه الاخر : العزة لله - محمد رسول الله - خاتم النبيين . الدائرة الاولى منه : الذين آمنوا به وعززوه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه أولئك هم المفلحون . الدائرة الثانية : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . انظر : حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات عن الحضارة العربية ج ١ ص ٤٤٠ .

(٢٠٩) انظر : ابو زكريا : ورقة ٣٨ ، الدرجيني ج ١ ورقة ٢٣ ،
Tourneau: Op. Cit. p. 104, Cherbonneau: Op. Cit. p. 472.

(٢١٠) ذكر ابن حماد انه من بني جعفر من بطون زناتة ، اما ابن خلدون فقال انه من بني واركو من بطون بني يفرن ، وذكر الدرجيني نقلا عن الرقيق انه من بني واسين ، في حين قال ابن حوقل بانه من سماطة . انظر : اخبار ملوك بني عبيد ص ١٨ ، العبر ج ٧ ص ١٣ ، طبقات الاباضية ج ١ ورقة ٢٣ ، المسالك والممالك ص ٤٨ .

(٢١١) ابن حماد : ص ١٧ ، Tourneau: Op. Cit. p. 104

(٢١٢) زهرة المعاني ص ٦٩ منملاحق كتاب Ivanovva : Ismaili tradition. ابن حماد : ص ١٨ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٣٠٧ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ٤٠ .

(٢١٣) ابن حماد : ص ١٨ . بينما ذكر ابن الاثير وابن خلدون ان امه كانت من هوارة. انظر : الكامل ج ٨ ص ١٣٨ ، العبر ج ٧ ص ١٣ .

(٢١٤) ابن الاثير : ج ٨ ص ١٣٨ ، ابن خلدون : ج ٧ ص ١٣ .

(٢١٥) الشماخي : السير ص ٢٧٩ .

(٢١٦) ابن الاثير : ج ٨ ص ١٣٨ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ٤١ .

(٢١٧) ابن حماد : ص ٢٠ ، Cherbonneau: Op. Cit. p. 473

(٢١٨) أبن خلدون : ج ٤ ص ٤١

(٢١٩) نفس المصدر ص ٤٠ ٠

(٢٢٠) الاستبصار ص ١٥٦ ٠

(٢٢١) ابن حماد : ص ١٩ ، ابن الاثير : ج ٨ ص ١٣٨ ٠

(٢٢٢) ابن حيان : المقتبس في اخبار بلد الاندلس ص ١٩٢ ، ابن النديم : ص ٢٦٥ ٠

(٢٢٣) اتعاظ الحنفا ص ١٠٩ ٠

(٢٢٤) ابن حماد : ص ١٩ ، ابن الاثير : ج ٨ ص ١٣٨ ٠

(٢٢٥) ابن الاثير : نفس المصدر والصحيفة ٠

(٢٢٦) ابن الخطيب : رقم الحلل ص ٣٤ ٠

(٢٢٧) الدرجيني : ج ١ ورقة ٢٣ ٠ وقد ذكر ابن خلدون ان القائم ٠ وليس المهدي ــ هو الذي بعث الى عامله بالقبض على ابي يزيد (انظر العبر ج ٧ ص ١٣) ٠ ونعتقد ان المهدي كان على علم بنشاط ابي يزيد منذ البداية ، فلم يكن انشاؤه المهدية الا لخوفه من خطر ثورات الاباضية ٠ وهذا يفهم ضمنا من الروايات الاسطورية التي نسجت حول انشائها ٠ وبديهي ان يبادر بمواجهة ذلك الخطر قبل ان يدهمه ، فكان كتابه الى عامله بتقيوس للقبض على أبي يزيد٠ انظر : زهرة المعاني : ص ٦٩ ، ابن الاثير : ج ٨ ص ٣٠ Bernard: Op. Cit. p. 131

(٢٢٨) وجه ابو يزيد الى اهل الجبل هذه الرسالة « ٠٠٠ قد فاتنا منكم كثير ، وفاتكم منا كثير ، وانه ليس لله علينا ان نشتري حجة » انظر : ابو زكريا : ورقة ٣٨ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٢٣ ٠

(٢٢٩) ابن حماد : ص ٢٠ ، ابن خلدون : ج ٧ ص ١٣ ٠

(٢٣٠) ابن خلدون : نفس المصدر والصحيفة ٠

(٢٣١) ابو زكريا : ورقة ٣٨ ، الدرجيني ج ١ ورقة ٤٤ ٠

(٢٣٢) تصور المصادر الاباضية ان اربعة من النكار اقتحموا السجن ، وقتلوا كل من تصدى لهم حتى تمكنوا من تحرير أبي يزيد ، وهي رواية يغلب عليها الطابع الاسطوري ٠ انظر : ابو زكريا : ورقة ٣٨ ، الدرجيني ج ١ ورقة ٤٤ ٠

(٢٣٣) ابن خلدون : ج ٧ ص ١٣ ٠

(٢٣٤) نفس المصدر والصحيفة ٠

(٢٣٥) نفس المصدر والصحيفة .

(٢٣٦) نفس المصدر والصحيفة .

(٢٣٧) عن حيل ابي يزيد في فك الحصار . انظر : ابو زكريا : ورقة ٣٩ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٤٤ .

(٢٣٨) نفس المصدرين والصفحات .

(٢٣٩) ابن حماد : ص ٢١ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ٤١ .

(٢٤٠) الاستبصار ص ١٦٣ .

(٢٤١) المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ١٠٩ .

(٢٤٢) ابو زكريا : ورقة ٣٩ .

(٢٤٣) ابن الاثير : ج ٨ ص ١٣٨ .

(٢٤٤) ابن حماد : ص ٢٠ . وذكر ابو زكريا ان ابا يزيد كان قد احضر معه حماره المشهور من مصر . انظر السيرة ورقة ٣٩ .

(٢٤٥) ابن الاثير : ج ٨ ص ١٣٨ ، المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ١١٠ .

(٢٤٦) المقريزي : نفس المصدر والصحيفة .

(٢٤٧) ابن حماد : ص ٢١ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ٤١ ، التجاني:رحلته ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٢٤٨) ابن خلدون : ج ٤ ص ٤١ .

(٢٤٩) منزل بين القيروان والمهدية . البكري : ص ٣١ .

(٢٥٠) ابن عذارى : ج ١ ص ٣١٠ ، ابن الاثير : ج ٨ ص ١٣٩ ، ابن خلدون:ج ٤ ص ٤١ .

(٢٥١) تعتبر علاقة أبي يزيد الودية مع أموي الاندلس امتدادا لعلاقات اباضية تاهرت مع امراء قرطبة وولاء زناتة لاموي الاندلس . غير ان ابن خلدون بالغ في تقدير طبيعة هذه العلاقة، فذهب الى ان أبا يزيد « كان يدعو للناصر صاحب الاندلس » « وكان ملتزما لطاعته والقيام بدعوته » . والواقع ان الامر لم يتجاوز « ترحيب أمويي الاندلس بثوار المغرب ضد الفاطميين ». كما لم يقصد ابو يزيد سوى مناشدة الناصر العون ضد عدوهما المشترك . وجدير بالتنويه ان الرسل الذين أنفذهم ابو يزيد لهذا الغرض لاقوا ترحيبا في قرطبة . وان لم تسفر اتصالاتهم عن نتائج ايجابية . انظر : ابن خلدون : ج ٤ ص ٤١ ،

Variedades: Al-Hakam II y losberbers. p. 316

Fournel: Op. Cit. Vol. 2. p. 338, Brunschvig: Op. Cit. p. 17.

(٢٥٢) كان احد بنودهم مكتوب عليه « نصر من الله وفتح قريب على يد أبي يزيد .

اللهم انصره على ساب نبيك » • انظر : ابن عذارى ج ١ ص ٣٠٩ ، سعيد بن مقديش:ص ١٢٦ •

(٢٥٣) ابن حماد : ص ٢٠ •

(٢٥٤) التجاني : رحلته ص ٢٧ ، محمد الاندلسي : الحلل السندسية ص ١١٥ •

(٢٥٥) ابن حماد : ص ٢٠ ، ابن الاثير ج ٨ ص ١٣٩ ، التجاني ص ٣٢٤ •

(٢٥٦) مكان بين المهدية وتماجر • انظر : البكري : ص ٢٩ •

(٢٥٧) نفس المصدر والصحيفة •

(٢٥٨) ابن حماد : ص ٢١ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ٤٢ ، المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ١١٤ •

(٢٥٩) البكري : ص ٣١ ، وقيل على بعد خمسة اميال من المهدية • انظر : التجاني : ص ٣٢٦ •

(٢٦٠) ابن الاثير : ج ٨ ص ١٤٠ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ٤١ ، المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ١١٤ •

(٢٦١) الاستبصار ص ١٦٥ •

(٢٦٢) ابن الاثير : نفس المصدر والصحيفة ـ التجاني : ص ٣٢٦ •

(٢٦٣) نفس المصادر والصفحات •

(٢٦٤) العبر ج ٤ ص ٤٢٧ •

(٢٦٥) سعيد بن مقديش : ص ١٢٧ •

(٢٦٦) الاستبصار ص ٢٠٦ •

(٢٦٧) ابن خلدون : ج ٤ ص ٤٢ •

(٢٦٨) ابن حماد : ص ٢٣ •

(٢٦٩) نفس المصدر والصحيفة ، المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ١١٦ •

(٢٧٠) ابن خلدون : ج ٤ ص ٤٢ •

(٢٧١) ابن خلدون : ج ٤ ص ٤٢ •

(٢٧٢) ابن الاثير : ج ٨ ص ١٤١ ، المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ١١٦ •

(٢٧٣) الاستبصار ص ١٧١ •

(٢٧٤) ابن حيان : المقتبس في اخبار بلد الاندلس ص ٣٥ •

(٢٧٥) مدينة تقع بين مجانة وقسنطينة • انظر : البكري : ص ٩٣ •

(٢٧٦) ابن خلدون : ج ٤ ص ٤٢ ، المقريزي : ص ١١٨ •

(٢٧٧) البكري : ص ٣٥ ، ابن حماد : ص ٢٣ •

(٢٧٨) تخطيء بعض الروايات حين تجعل وفاة القائم اثناء حصار المهدية وليس حصار سوسة • انظر : ابو زكريا : ورقة ٤٠ ، الدرجيني ج ١ ورقة ٤٥ •

(٢٧٩) ابن خلدون : ج ٤ ص ٤٣ • ويؤكد قول ابن خلدون ان العملة التي ضربها المنصور سنة ٣٣٦هـ هي اول عملة ضربها ، اذ ضربت بعد ظفره بابي يزيد في نفس العام • وهاك صورة لها : الوجه الاول ـ الامام ـ لا اله الا الله ـ المنصور بالله • دائرية : بسم الله ضرب هذا الدينر بالمهدية ـ شهر ذي القعدة من سنة ست وثلاثين وثلثماية • الوجه الاخر : اسماعيل ـ محمد رسول الله ـ امير المؤمنين • انظر :

Lane-Poole: Catalogue of oriental coins in the British museum. Vol. 4. p. 6

(٢٨٠) تغنى الشعراء بشجاعة اهل سوسة فقال احدهم :

ان الخوارج صدهـا عـن سوسـة	منـاطعـان السمـر والاقـدام
وجـلاد اسيـاف تطايـر بينهـا	فـي النقـع دون المحصنات رجـال

وقال اخر :

مدينـة سوسـة بالغـرب ثغر	تديـن لـه المدائـن والثغـور
اتـاهـا الخـارجـون ليملكوهـا	فكـان مـن الالـه لهـا نصير

انظر : التجاني : ص ٢٨ •

(٢٨١) ابن خلدون : ج ٤ ص ٤٣ •

(٢٨٢) ابن حماد : ص ٣٦ •

(٢٨٣) نفس المصدر:ص ٢٧،ابن خلدون: ج ٤ ص ٤٣،المقريزي:اتعاظ الحنفا ص ١٢١ •

(٢٨٤) ابن حماد : ص ٢٧ •

(٢٨٥) ابن خلدون : ج ٤ ص ٤٣ •

(٢٨٦) ابن حماد : ص ٢٧ ، Cherbonneau: Op. Cit. p. 485.

(٢٨٧) الخزرجي : ورقة ٤٥ •

(٢٨٨) ابن حماد : ص ٢٨ ، احمد مختار العبادي : سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس ص ٢٠٢ ·

(٢٨٩) ابن حماد : ص ٢٨ ، التجاني : ص ٣٢٧ ·

(٢٩٠) عرفت هذه القلعة « بقلعة شاكر » من عمل لهيصة · انظر : ابن الخطيب : اعمال الاعلام : ج ٣ ص ٥٤ ·

(٢٩١) ابن حماد : ص ٣٠ ، ابن الخطيب : ج ٣ ص ٥٤ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ٤٤ ، المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ١٢٥ ، التجاني ص ٣٢٨ ، الدرجيني ج ١ ورقة ٤٦ ·
Cherbonneau, Op. Cit. p. 439.

(٢٩٢) قال احد الشعراء بهذه المناسبة :

حـل البــلاء بمخلــد وجميـع شيعتـه النواكـر

وقال اخر :

امـا النفـاق فقد نسخ وابـو الكباير قـد سلـخ

انظر : ابن حماد : ص ٢٩ ، Cherbonneau: Op. Cit. p.p 493, 496.

(٢٩٣) ابن الاثير : ج ٨ ص ٤٥ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ٤٤ ·

(٢٩٤) ابو زكريا : ورقة ٤١ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٤٦ ·

(٢٩٥) ابن حماد : ص ٣٢ ، Cherbonneau: Op. Cit. p. 499

(٢٩٦) ابن خلدون : ج ٧ ص ١٧ ·

(٢٩٧) Fournel: Op. Cit. Vol. 2. p. 275

(٢٩٨) ابن الخطيب : رقم الحلل ص ٣٤ ، حسن محمود : قيام دولة المرابطين ص ٧٩ ·

(٢٩٩) ابن حماد : ص ٢٣ ، Gautier: Op. Cit. p. 361

(٣٠٠) الدليل لاهل العقول ج ٢ ص ٧٨ ·

(٣٠١) السيرة ورقة ٤٠ ·

(٣٠٢) طبقات الاباضية ج ١ ورقة ٤٥ ·

(٣٠٣) انظر : ابن الاثير : ج ٨ ص ١٤١ ، ابن الخطيب : اعمال الاعلام ج ٣ ص ٥٤ ، محمد بن محمد الاندلسي : الحلل السندسية ص ١١٥ ·

(٣٠٤) ابن الاثير : ج ٨ ص ١٤١ •

(٣٠٥) ابن النديم : الفهرست ص ٢٦٦ ، ابن حوقل : ص ٤٨ ، المقريزي : الخطط ج ١ ص ٣٥١ •

(٣٠٦) ابن حماد : ص ٢٠ •

(٣٠٧) نفس المصدر والصحيفة •

(٣٠٨) النويري : ج ٢٦ ورقة ٣٦ •

(٣٠٩) La revolte d'Abou-Yazid au xme siecle. p. 123

(٣١٠) De goeje: Op. Cit. p. 143

(٣١١) برنارد لويس : اصول الاسماعيلية ص ١٨٣ •

(٣١٢) كتاب تثبيت نبوة سيدنا محمد ـ مخطوط باسطنبول في مكتبة شهيد علي باشا برقم ١٥٧٥ • وقد اقتبسنا النص السابق نقلا عن برنارد لويس في كتابه : اصول الاسماعيلية ص ١٨٣ •

(٣١٣) انظر : ابو زكريا : ورقة ٤٩ وما بعدها •

(٣١٤) ابو زكريا : ورقة ١١٥ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٤٣ ، السلاوي : ج ١ ورقة ١١٦
Bel: p. 150, Faroughy: Op. Cit. p. 15, Basset: Recherches. p. 336.

(٣١٥) أطفيش : بعض تواريخ وادي ميزاب ص ١١٦ ،
Masqueray: Op. Cit. p. LXXV

(٣١٦) أبو زكريا : ورقة ٣٢ ،
Lewcki Melanges... p. 270, Basset. Op. Cit. p. 336.

(٣١٧) العبر ج ٧ ص ١٧ ،

(٣١٨) ابن حيان : المقتبس في ذكر بلد الاندلس ص ١٩٢
Variedades: Op. Cit. p.p. 216, 217.

(٣١٩) رحلة التجاني ص ١١٩ ، ١٢٠ •

(٣٢٠) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٢ ، Bel: Op. Cit. p. 169

هوامش الباب الخامس

(١) ابن حيون : شرح الاخبار ورقة ٨٧ ـ مخطوط ، اساس التاويل ورقة ١٨٨ ، ١٨٩، ١٩٤ ٠

(٢) النونجتي : فرق الشيعة ص ٣١ ، الاسفرائيني : التبصير في الدين ص ٤٦ ٠

(٣) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٦٧ ٠

(٤) انظر :
Biquet: Op. Cit. p. 35, Smith: Op. Cit. p. 279, Faroughy Op. Cit. p. 12.

(٥) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ٢ ص ٢٠٦ ، الدينوري : الاخبار الطوال ص ١٩١ ٠

(٦) الرازي : اعتقادات فرق المسلمين ص ٤٦ ٠

(٧) ابن الاثير : ج ٣ ص ١٣٥ ، احمد امين : ضحى الاسلام ج ٣ ص ٣٣٠ ٠

(٨) راجع آراء بارتولد وكاتياني وماسينيون في هذا الصدد بمجلة Studia Islamica عدد ١ سنة ١٩٥٣ في مقال لبرنارد لويس بعنوان
Some observations on the significance of herssy in the history of Islam. p.p. 47, 48.

عمر أبو النصر : الخوارج في الاسلام ص ١٨ ، عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية ج ٢ ص ٧٨ ٠

(٩) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٣٦٤ ، الدينوري : الاخبار الطوال ص ١٩٧ ٠

(١٠) انظر : المقدمة ج ٢ ص ٦٩ ٠

(١١) نفس المصدر ص ١٧٨ ، ١٧٩ ٠

(١٢) راجع : لويس : اصول الاسماعيلية ص ٥ ، فلهوزن : الخوارج والشيعة ص ٢٩ ، طه حسين : الفتنة الكبرى ج ٢ ص ١٤٠ ٠

(١٣) فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ص ٣٧٢ ٠

(١٤) قطعة من كتاب في الاديان والفرق ورقة ٩٧ ٠

(١٥) الرازي : اعتقادات فرق المسلمين ص ٥١ ٠

(١٦) ابو زكريا : ورقة ٦ ، الشماخي : السير ص ١٢٤ ٠

(١٧) الشهرستاني : ص ١٢٣ .

(١٨) البغدادي : ص ٢٧٣ ، Provencal: Op. Cit. p. 41.

(١٩) نصوص من كتاب من عقيدة التوحيد . انظر :
Motylinski: L'Aqida des Ibadites. p. 510

(٢٠) ابو زكريا : ورقة ٥ .

(٢١) مجهول : كشف الغمة ورقة ٣٠٧ مخطوط .

(٢٢) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٥٠ ، السلاوي : ج ١ ص ٩٧ .

(٢٣) الطبري : ج ٢ ص ٢٦٤ .

(٢٤) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٣ .

(٢٥) الرقيق : ص ١١٠ ، سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ص ٢٥٩ .

(٢٦) ابن عبد الحكم : ص ٣٠٢ .

(٢٧) انظر : الجواهر المنتقاة ورقة ٨٧ ، Masqueray: Op. Cit. p. 23

(٢٨) انظر : الشماخي : السير ص ١٢٥ .

(٢٩) الشماخي : السير ص ١٢٥ .

(٣٠) انظر : ملحق رقم : (١) .

(٣١) انظر : نصوص من موضوع عقيدة التوحيد
Motylinski: L'Aquida des Ibadites p. 510

(٣٢) ابو زكريا : ورقة ١١ .

(٣٣) نفس المصدر ورقة ١١٥ ، Lewcki: Etudes Ibadites. p.p. 50. 98.

(٣٤) مجهول : اخبار مجموعة ص ٣٢ .

(٣٥) الشهرستاني : ص ١٢١ .

(٣٦) Gautier: Op. Cit. p. 269

(٣٧) اخبار مجموعة ص ٢٩ .

(٣٨) الرقيق : ص ١١٧ ، ١٤١ .

(٣٩) السوفي : شرح السؤالات ورقة ٥٧ ، الشهرستاني : ص ١٢١ .

(٤٠) انظر : ابن عبد الحكم : ص ٣٠١ .

(٤١) ابو زكريا : ورقة ٨ ، الشماخي : السير ص ١٢٩ .

(٤٢) ابن الاثير : ج ٥ ص ٢٢٢ ، ابن خلدون : ج ٤ ص ١٩٣ .

(٤٣) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٣٠ .

(٤٤) المقدسي : احسن التقاسيم : ص ٢١٩ .

(٤٥) ابن خلدون : المقدمة ج ٢ ص ٥٢٢ .

(٤٦) البرادي : الجواهر المنتقاة ورقة ٨٨ .

(٤٧) اطفيش : الامكان ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٤٨) ابو زكريا : ورقة ١١٥ .

(٤٩) نفس المصدر ورقة ١١ .

(٥٠) الماوردي : الاحكام السلطانية ص ٦ .

(٥١) ابو زكريا : ورقة ١٣ .

(٥٢) انظر : Mercier: L'Etablissement des Arabes. p. 133.

(٥٣) ابن الصغير : ص ١٦ ، محمد بن تاويت : دولة الرستميين ص ١١٣

(٥٤) Smith: Op. Cit. p. 279.

(٥٥) ابن الصغير : سيرة الائمة الرستميين ص ١٥ ، ١٦ .

(٥٦) النفوسي : ص ٩١ .

(٥٧) الشماخي : السير ص ١٤١ .

(٥٨) ابن عذارى : ج ١ ص ٢١٥ ، Bel: Op. Cit. p. 167.

(٥٩) البكري : ص ١٤٩ .

(٦٠) راجع : البكري : ص ١٥٠ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٢١٦ .

(٦١) البكري : ص ١٥١ .

(٦٢) ابن عذارى : ج ١ ص ٢١٦ ، ابن الخطيب : اعمال الاعلام ج ٣ ص ١٤٣ .

(٦٣) ابن الصغير : ص ١٦ ، ٢٠ .

(٦٤) وزر لعبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم السمح بن أبي الخطاب ومزور بن عمران. انظر النفوسي : ص ١٦٥ . وهذا ينفي زعم هوبكنز ان بني رستم لم يعرفوا نظام الوزارة على اساس ان ابن الصغير ـ حسب قوله ـ لم يشرا الى ذلك . انظر

Hopkins: medieval Moslem government. p. 5

والواقع ان ابن الصغير يذكر .. وقد ابتدر اليه « يعني احد الذين رشحوا لتولي القضاء » اصحابه فاحاطوا به وقالوا له ان فلان بن فلان القاضي توفي ، وقد اجمع راي المسلمين ووزراء الامام عليك ... مما يدحض زعم هوبكنز . انظر : سيرة الائمة الرستميين ص ٤٧ .

(٦٥) انظر : ابو زكريا : ورقة ١٤ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٢١ ، النفوسي : ص ٩٩ .

(٦٦) وكان هؤلاء السبعة هم : مسعود الاندلسي وابو قدامة اليفرني ويزيد بن فندين وعمران بن وران الاندلسي وسعدوس بن عطية وشكر بن صالح الكتامي ومصعب بن سدمان . انظر : ابو زكريا : ورقة ١٤ ، الدرجيني ج ١ ورقة ٢١ .

(٦٧) الشماخي : السير ص ١٤٥ .

(٦٨) ابو زكريا : ورقة ١٤ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٢١ ، النفوسي : ٩٩ .

(٦٩) الشماخي : مقدمة أصول الفقه ورقة ٦٤ .

(٧٠) ابو زكريا : ورقة ١٤ ، الشماخي : السير ص ١٤٥ .

(٧١) ابن الصغير : ص ٢٢ ، النفوسي : ص ١١٤ .

(٧٢) ذكر ابو غانم الصفري في مدونته انه سال احد فقهاء المذهب الاباضي هذا السؤال : اي الرجلين احب ان يستعمل ، الرجل الصالح الذي لا قوة له بالعمل ، او الرجل الذي هو دونه في الصلاح وهو اقوى على العمل . فاجابه : القوي العالم بالعمل احب ان يستعمل . انظر : مدونة ابي غانم ورقة ١ . وهذا يفند دعاوى مؤرخي الاباضية الذين حالوا تبرير اختصاص عبد الوهاب ذويه واتباعه بوظائف الدولة « لانهم من اهل العلم والبصيرة في الدين » . انظر : ابو زكريا : ورقة ١٥ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٢٢ ، النفوسي : ص ١٠٢ .

(٧٣) انظر : ابو زكريا : ورقة ٣٦ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٣٢ ، الشماخي:السير ص ١٩٢ .

(٧٤) ابن الصغير : ص ٢٣ .

(٧٥) النفوسي : ص ١٩٥ .

(٧٦) ابو زكريا : ورقة ٣٠ .

(٧٧) ابن الصغير : ص ٢٣ ٠
(٧٨) النفوسي : ص ١٨٨ ٠
(٧٩) النفوسي : ص ١٨٨ ٠
(٨٠) ابن الصغير : ص ٢٤ ٠
(٨١) نفس المصدر ص ٢٥ ٠
(٨٢) ابن الصغير : ص ٣١ ، ٤٧ ٠
(٨٣) الازهار الرياضية ج ٢ ص ٢٢٢ ٠
(٨٤) ابن الصغير : ص ٥٠ ٠
(٨٥) نفس المصدر ص ٤٢ ، ٤٧ ٠
(٨٦) نفس المصدر ص ٤١ ، البرادي : الجواهر المنتقاة ورقة ٩١ ٠
(٨٧) ابن الصغير : ص ٤٤ ، البرادي : نفس المصدر والصحيفة ٠
(٨٨) ابن الصغير : ص ٥٦ ، النفوسي : ص ٢٧٥ ٠
(٨٩) البرادي : الجواهر المنتقاة ورقة ١٠٣ ٠
(٩٠) ابن الصغير : ص ٣٩ ، النفوسي : ص ٢٣٦ ٠
(٩١) ابن الصغير : ص ٣٧ ٠
(٩٢) نفس المصدر : ص ٥١
(٩٣) انظر : La religion Musulmane... p. 149.
(٩٤) الشماخي : السير ص ١٤٨ ٠
(٩٥) ابن الصغير : ص ٢٧ ٠
(٩٦) الشماخي : السير ص ١٥٥ ٠
(٩٧) ابن الصغير : ص ٢٧ ، ٣٦ ٠
(٩٨) انظر : ملحق رقم (٣) ٠
(٩٩) النفوسي : ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ ٠
(١٠٠) انظر : ملحق رقم (٥) ٠
(١٠١) يفهم ذلك من رواية للنفوسي تقول ان شخصا من انصار الامام عبد الوهاب كان

يندس بين اصحاب خلف ويكاتب الامام بكل ما يسمعه • انظر : الازهار الرياضية ج ٢ ص ١٥٥ •

(١٠٢) الوسياني : سير ابي الربيع ورقة ٣٠ •

(١٠٣) ابن الصغير : ص ٢٧ •

(١٠٤) النفوسي : ص ١٨٣ •

(١٠٥) نفس المصدر : ص ٢٧٨ •

(١٠٦) ابن الصغير : ص ٣٤ •

(١٠٧) ابن عذارى : ج ١ ص ٢٧٨ •

(١٠٨) ابن الصغير : ص ٥٦ •

(١٠٩) ابن عذارى : ج ١ ص ٨٣ •

(١١٠) نفس المصدر ص ٥٢ •

(١١١) نفس المصدر والصحيفة •

(١١٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٧٥ ، ابن تغري بردى : ج ٢ ص ٢٠ •

(١١٣) الدرجيني : ج ١ ورقة ١٤ •

(١١٤) مجهول : اخبار مجموعة ص ٣٥ •

(١١٥) الرقيق : ص ١١٩ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٥٩ •

(١١٦) الرقيق : ص ١٢٥ •

(١١٧) الرقيق : ص ١١٨ •

(١١٨) اخبار مجموعة : ص ٣٧ ، ٣٨ •

(١١٩) ابن عذارى : ج ١ ص ٧٦ •

(١٢٠) ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص ٦٣ •

(١٢١) الرقيق : ٢٤ ، البكري : ص ٢٤ ، ٢٥ •

(١٢٢) ابن عذارى : ج ١ ص ٨٤ •

(١٢٣) ابن عذارى : ج ١ ص ٩٣ •

(١٢٤) نفس المصدر والصحيفة •

(١٢٥) الرقيق : ص ١٤٩ ، النويري : ج ٢٢ ورقة ٢٣ •

(١٢٦) ابن عذارى : ج ١ ص ١١١ •

(١٢٧) البكري : ص ١٤٨ •

(١٢٨) نفس المصدر ص ١٤٩ •

(١٢٩) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ج ٣ ص ١٣٩ •

(١٣٠) مجهول : الاستبصار ص ٢٠١ •

(١٣١) نفس المصدر والصحيفة •

(١٣٢) ابن حوقل : ص ٦٥ •

(١٣٣) الاستبصار ص ٢٠١ ، Julien: Op. Cit. p. 339.

(١٣٤) ابن حوقل : ص ٩٠ •

(١٣٥) الادريسي : صفة المغرب ص ٦٠ ، ابن مقديش : ص ١١ ، القلقشندي ج ٥ ص ١٦٤ •

(١٣٦) الادريسي : نفس المصدر والصحيفة •

(١٣٧) البكري : ص ١٤٨ •

(١٣٨) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٢٠ •

(١٣٩) النفوسي : ص ٩ •

(١٤٠) البكري : ص ٦٧ ، ابن خلدون : ج ٦ ص ١٢١ •

(١٤١) ابن عذارى : ج ١ ص ٢٨٠ •

(١٤٢) ابن الصغير : ص ١٠ •

(١٤٣) اليعقوبي : البلدان ص ٣٥٨ ، البكري : ص ٦٧ •

(١٤٤) الاصطخري : المسالك والممالك ص ٣٤ ، المقدسي : احسن التقاسيم ص ٢٢٨ •

(١٤٥) الادريسي : ص ١٢١ •

(١٤٦) ابو زكريا : ورقة ٢٦ •

(١٤٧) الادريسي : ص ٨٧ ، Bernard: Op. Cit. p. 134

(١٤٨) المسالك والممالك ص ٨٦ •

(١٤٩) ابن الفقيه : مختصر البلدان ص ٨٠ •

(١٥٠) مجهول : الاستبصار ص ٢٠٢ •

(١٥١) السلاوي : ج ١ ص ١١٢ .

(١٥٢) البكري : ص ١٤٩ . Fournel: Op. Cit. Vol. I. p. 553

(١٥٣) مجهول : الاستبصار ص ٢٠٢ .

(١٥٤) المغرب ص ١٤٨ .

(١٥٥) القلقشندي : ج ٥ ص ١٦٤ .

(١٥٦) الشماخي : ص ٢٤٨ .

(١٥٧) النفوسي : ص ١٣٧ .

(١٥٨) نفس المصدر ص ٨٩ .

(١٥٩) البكري : ص ٨١ .

(١٦٠) انظر : قدامة بن جعفر : الخراج : ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(١٦١) الحميري : ص ٢١ ، ابن الدلائي : ص ١٨ ، ١٩ ،
Provencal: Op. Cit. Vol. I. p. 248

(١٦٢) البكري : ص ٨١ ، الادريسي : ص ١٠٠ .

(١٦٣) اليعقوبي : البلدان ص ٣٥٤ ، البكري : ١٨ ، ابن الدلائي : ص ١٨ .

(١٦٤) ابن حوقل : ص ٤٣ .

(١٦٥) ابن الصغير : ص ١٣ .

(١٦٦) نفس المصدر ص ٥٠ .

(١٦٧) البكري : ص ١٤٣ ـ ١٤٦ .

(١٦٨) الاصطخري : ص ٣٧ ، ٣٨ .

(١٦٩) البكري : ص ٤١ .

(١٧٠) الادريسي : ص ٦١ .

(١٧١) ابن الصغير : ص ١٣ .

(١٧٢) الشماخي : السير ص ١٥٨ .

(١٧٣) ابن حوقل : ص ٧٢ ، الادريسي : ص ٧٦ ، ابن أبي زرع : ص ٥٣ .

(١٧٤) ابن أبي زرع : ص ٥٣ .

(١٧٥) الأدريسي : ص ٩٠ .

(١٧٦) الجزنائي : زهرة الاس ص ٢٩ .

(١٧٧) جغرافية المامون ورقة ١٩٧ ، Conde: Op. Cit. p. 291

(١٧٨) جغرافية المامون ورقة ١٩٩ .

(١٧٩) الحميدي : صفة جزيرة الاندلس ص ٢١ .

(١٨٠) ابن الدلائي : ص ١٨ ، ١٩ .

(١٨١) ابن القوطية : ص ١١٠ ، ابن الفرضي : ج ١ ص ١٧٩ ، ابن بشكوال : الصلة ج ١ ص ٨٦ .

(١٨٢) ابن الدلائي : ص ١٩ ، Provencal: Op. Cit. p. 245

(١٨٣) البكري : ص ١٤٩ .

(١٨٤) حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية في افريقية ج ١ ص ٢١٨ .

(١٨٥) اليعقوبي : تاريخه ج ١ ص ١٥٦ ، المقدسي : ص ٢٤١ ،ابن خلدون ج ٦ ص ١٩٩ .

(١٨٦) انظر : حسن محمود : المرجع السابق ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(١٨٧) طبقات الامم ص ١٢ .

(١٨٨) حسن محمود : المرجع السابق ص ٢٢٥ .

(١٨٩) مجهول : الاستبصار ص ٢١٧ .

(١٩٠) الاصطخري : ص ٣٥ ، حامد عمار : علاقات الدولة المملوكية بالدول الافريقية ص ٧ .

(١٩١) المامون :جغرافيته ورقة ١٩٨،سر الختم عثمان : العلاقات بين مصر والسودان ص ٢٥ .

(١٩٢) المقدسي : ص ٢١٩ .

(١٩٣) الاصطخري :ص ٣٥،حسن ابراهيم حسن:انتشار الاسلام في القارة الافريقية ص ٧٥ .

(١٩٤) البكري : ص ١٤٩ ، الاستبصار ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .

(١٩٥) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ٨٧ .

(١٩٦) ابن بطوطة : تحفة النظار ج ١ ص ٢٩٥ ، حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية في افريقية ج ١ ص ٢٢٢ .

(١٩٧) اليعقوبي : البلدان ص ٣٦٠ .

(١٩٨) البكري : ١٤٩ ٠

(١٩٩) ابن بطوطة : ص ٢٩٨ ، وجدير بالذكر ان طريقا اخر كان يصل بين مصر وغانة ، لكنه اهمل بسبب تعرض القوافل فيه لسوافي الرياح وقطاع الطرق واصبح طريق سجلماسة لذلك اشهر الطرق واكثرها ارتيادا ٠ انظر : ابن حوقل : ص ٤٢ ٠

(٢٠٠) ابن الصغير : ص ١٣ ، النفوسي : ص ٨٨ ٠

(٢٠١) الادريسي : ص ١٣٢ ٠

(٢٠٢) بوفيل : الممالك الاسلامية في غرب افريقية ص ١٦٠ ٠

(٢٠٣) الادريسي : ص ١٣٢ ٠

(٢٠٤) اليعقوبي : البلدان ص ٣٤٥ ٠

(٢٠٥) الادريسي : ص ١٣٢ ٠

(٢٠٦) الاستبصار ص ٢٢٥ ٠

(٢٠٧) جغرافية المامون ورقة ٢٠١ ، ابن بطوطة : ص ٣١٨ ٠

(٢٠٨) الشماخي : السير ص ٢٧٣ ٠

(٢٠٩) الادريسي : ص ١٢١ ٠

(٢١٠) الاستبصار ص ١٤٥ ٠

(٢١١) اليعقوبي : البلدان : ص ٣٤٥ ٠

(٢١٢) القلقشندي : ج ٥ ص ١٦٤ ٠

(٢١٣) ابن الفقيه : ٨٧ ، جغرافية المامون ورقة ١٩٨ ، الاصطخري : ص ٣٥ ٠

(٢١٤) Bernard: Op. Cit. p. 134

(٢١٥) الشماخي : السير ص ١٥٨ ٠

(٢١٦) أورد الوسياني رواية ذكر فيها ان افلح بن عبد الوهاب اراد مرافقة قوافل والده الى بلاد كوكو فاخذ الامام عبد الوهاب يختبره في الفقه وخاصة في مسألة الربى ، فاجاب عن كافة الاسئلة فيما عدا سؤالا واحدا ٠ فامره أبوه بعدم السفر حتى تزداد خبرته بأمور التجارة ٠ انظر : سير أبي الربيع ورقة ٢٥ ٠

(٢١٧) انظر : الدرجيني : ج ٢ ورقة ١٣٦ ٠

(٢١٨) انظر : ابن الصغير : ص ٥٥ .

(٢١٩) الشماخي : السير ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ .

(٢٢٠) سيرة الائمة الرستميين ص ٣١ .

(٢٢١) الوسياني : ورقة ٤ .

(٢٢٢) انظر : Etude Ibadites. p. 96

(٢٢٣) الاستبصار ص ٢٠٢ .

(٢٢٤) ابن الصغير : ٤٦ ، ٥٧ .

(٢٢٥) سيرة الائمة الرستميين ص ١٦ ، Faroughy: Op. Cit. p. 14

(٢٢٦) المسالك والممالك ص ٤٢ ، ياقوت : ج ٣ ص ٤٦ .

(٢٢٧) نقل القلقشندي عن ابن سعيد نصا يقول فيه (رايت صكا لاحدهم على اخر مبلغه اربعون الف دينار) . وذكر ابن حوقل انه راى صكا كتب بدين على احد التجار موقع عليه بشهادة العدول ، قيمته اثنين واربعين الف دينار : انظر : صبح الاعشى : ج ٥ ص ١٦٤ ، المسالك والممالك ص ٤٢ .

(٢٢٨) سيرة الائمة الرستميين ص ١٣ .

(٢٢٩) السلاوي : ج ١ ص ١١٩ ، Lavoix: Op. Cit. p. 402

(٢٣٠) ابو زكريا : ورقة ٣٧ .

(٢٣١) اليماني : سيرة جعفر ص ١٣٠ .

(٢٣٢) ابن عذارى : ج ١ ص ٢١٠ ، Biquet: Op. Cit. p. 71

(٢٣٣) سعيد بن مقديش : نزهة الانظار ص ١٢٣ .

(٢٣٤) ابن حيون : المجالس والمسايرات ج ١ ورقة ٢٨ .

(٢٣٥) الشماخي : السير ص ٣٢٠ ، ٣٢٣ .

(٢٣٦) لويس : اصول الاسماعيلية ص ١٨٣ . نقلا عن كتاب تثبيت نبوة سيدنا محمد ـ مخطوط باسطنبول في مكتبة شهيد علي باشا برقم ١٥٧٥ .

(٢٣٧) راجع الفصل الثاني من الباب الاول .

(٢٣٨) انظر : البكري : المغرب ص ٦ ، مؤنس : ثورات البربر ص ١٥٣ .

(٢٣٩) انظر : اليعقوبي : البلدان ص ٣٤٥ ،

(٢٤٠) Julien: Op. Cit. p. 203

(٢٤١) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ١١١ ٠

(٢٤٢) ابن عذارى : ج ١ ص ٧٠ ، ابن خلدون : المرجع السابق ص ١١٢ ٠

(٢٤٣) الرقيق : ص ١٥٩ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٨٣ ٠

(٢٤٤) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٤ ، الرقيق : ص ١١١ ٠

(٢٤٥) مجهول : اخبار مجموعة ص ٣٤ ٠

(٢٤٦) المالكي : رياض النفوس ص ١٠٧ ٠

(٢٤٧) الرقيق : ص ١٥٩ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٨٣ ٠

(٢٤٨) راجع : ابن عبد الحكم : ص ٢٩٤ ، ابن الاثير : ج ٥ ص ٧٠ ٠

(٢٤٩) اليعقوبي : البلدان ص ٣٥٩ ، ابن خلدون : ج ٦ ص ١٢٩ ٠

(٢٥٠) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٢١ ٠

(٢٥١) ابن عبد الحكم : ص ٢٩٣ ، ابن عذارى : ج ١ ص ٥٢ ٠

(٢٥٢) البكري : ص ١٤٩ ، Fournel: Op. Cit. Vol. I. p. 352

(٢٥٣) ابن خلدون : المقدمة ص ١١٢ ٠

(٢٥٤) البكري : ص ١٤٨ ٠

(٢٥٥) الادريسي : ص ١٦٠ ٠

(٢٥٦) اليعقوبي : البلدان ص ٣٥٩ ٠

(٢٥٧) ابن خلدون : ج ٦ ص ١٢٩ ، Fournel: Op. Cit. Vol. I. p. 351

(٢٥٨) مجهول : الاستبصار : ص ٢٠١ ، حسن محمود : قيام دولة المرابطين ص ٢٧١ ٠

(٢٥٩) المقدسي : ص ٢٣١ ٠

(٢٦٠) ابو العرب تميم : ص ٨٠ ٠

(٢٦١) الاستبصار ص ٢٠٢ ٠

(٢٦٢) البكري : ص ١٤٨ ٠

(٢٦٣) ابو زكريا : ورقة ١٣ ، الدرجيني : ج ١ ورقة ٩٩ •

(٢٦٤) انظر : الادريسي : ص ١٣٢ ، اليعقوبي : البلدان ص ٣٤٥ •

(٢٦٥) ابن الصغير : ص ٢٧ •

(٢٦٦) انظر : النفوسي : ص ٣٣٦ •

(٢٦٧) ابن الصغير : ص ٥٧ •

(٢٦٨) النفوسي : ج ٢ ص ١٨٢ •

(٢٦٩) نفس المصدر ص ١١ •

(٢٧٠) نفس المصدر ص ٤٨ •

(٢٧١) نفس المصدر ص ٢٥ •

(٢٧٢) ابن الصغير : ص ٣٤ ، النفوسي : ص ٢٦٦ •

(٢٧٣) ابن الصغير : ص ٥٢ •

(٢٧٤) نفس المصدر ص ٣١ •

(٢٧٥) نفس المصدر ص ٤٩ •

(٢٧٦) ابن الصغير : ص ٢٦ •

(٢٧٧) نفس المصدر ص ٤٧ •

(٢٧٨) ابن الصغير : ص ٥٦ ، النفوسي : ص ٨٥ •

(٢٧٩) الشماخي : السير ص ٢٦٣ •

(٢٨٠) سيرة الائمة الرستميين ص ٥٥ •

(٢٨١) نفس المصدر ص ٤٩ •

(٢٨٢) تافف احد هؤلاء الفقهاء من تبرج نساء قسطالية قائلا « ما اكثر اماء هذا البلد »• انظر : الشماخي : السير ص ٢٨١ •

(٢٨٣) الطبري : ج ٦ ص ٢٧٥ •

(٢٨٤) الشماخي : السير ص ١٠٨ ، ١٠٩ •

(٢٨٥) البكري : ص ١٥١ •

(٢٨٦) الشماخي : السير ص ١٩٣ •

(٢٨٧) النفوسي : ص ٢٦٤ •

(٢٨٨) ابن الصغير : ص ٥٠ .

(٢٨٩) ابو زكريا : ورقة ٣٦ .

(٢٩٠) الدرجيني : جـ ١ ورقة ٣ ، البرادي : الجواهر المنتقاة ورقة ١٠٦ ،
Masqueray: Op. Cit. p. IXI

(٢٩١) ذكر مؤرخو الاباضية ان اباضية البصرة نسخوا لعبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم آلاف الكتب لتزويد المكتبة المعصومة بتاهرت .

واورد بعضهم ان ديوان نفوسة كان يحوي ثلاثمائة وثلاثين الف جزء من مؤلفات المشارقة . انظر : الشماخي : السير ص ١٦٢ ، الدرجيني : جـ ١ ورقة ٢٦ ، البرادي : رسالة في بعض كتب الاباضية ورقة ٢٠٧ .

(٢٩٢) الوسياني : سير آبي الربيع ورقة ٢ .

(٢٩٣) نفس المصدر ورقة ١٣ .

كانت مواسم الحج فرصة مواتية لالتقاء الاباضية من كافة الامصار الاسلامية ، وقد حرص المغاربة على الاستفادة من لقائهم بأعلام المذهب فيما يعن لهم من مسائل علمية وفقهية كان يفتى فيها مشاهير الفقهاء كشعيب بن المعرف في مصر ومحبوب بن الرحيل بمكة والربيع بن حبيب وغيره من العراق .

(٢٩٤) ابو زكريا : ورقة ٢٠ .

(٢٩٥) الشماخي : السير ص ١٥٥ .

(٢٩٦) النفوسي : ص ٧٠ .

(٢٩٧) نفس المصدر ص ٤٨ .

(٢٩٨) النفوسي : ص ٦٨ .

(٢٩٩) ابو العرب تميم : ص ١٢٠ ، الدباغ : جـ ٢ ص ٥٥ .

(٣٠٠) المالكي : جـ ١ ص ٤٠٩ ، الدباغ : جـ ٢ ص ١٩٢ .

(٣٠١) الشماخي : السير ص ٢٦٣ ، البرادي : الجواهر المنتقاة ورقة ١٠٣ .

(٣٠٢) سيرة الائمة الرستميين ص ٥٧ .

(٣٠٣) وهناك مثال لمناظرة بين ابن الصغير مع ابي الربيع سليمان الهواري الاباضي . يقول

ابن الصغير : « قال الاباضي : من اين زعمت وزعم اصحابك وغيرهم من الحجازيين والعراق ان الرجل اذا زوج ابنة البكر وهي صغيرة وادركت ان لا خيار لها في نفسها ، وانتم تقولون ان الرجل اذا زوج امته وعتقت ان لها الخيار ، ولا فرق بين الامة والصغيرة لان الامة لم يكن لها حكم في نفسها وانما كان الحكم لسيدها ، فلما عتقت وصار الحكم اليها جعلتم لها الخيار ، والصغيرة لم يكن لها حكم في نفسها وان الحكم لابيها ، فلما أدركت صار الامر اليها ، فلـم منعتموها ما اجزتم للامة والمعنى واحد » ؟.

فقلت له : انما أجزنا نكاح الصغار لان النبي (ص) تزوج عائشة بنت ابي بكر بنت سبع وبنى بها وهي بنت تسع .

فقال لي : دعني من هذا ، فاني لا اجامعك عليها ، ولكن كلمني من القرآن او من باب النظر مع اني لو بينت لك الخبر ما كان لك فيه حجة لانك تعلم ان الله أحل لرسوله من النساء ومن عددهن اكثر مما احل لامته ، فان كان عندك حجة غير هذه فاذكرها ، والا فلا تقم لك حجة .

قلت له : فان أوجدتك صحة عقدها من القرآن أترجع .

فقال : فاذكر لي ذلك .

فقلت له : قال الله تبارك وتعالى : واللائي يئسن من المحيض من نسائكم الى واللائي لم يحضن .

فقال لي : عجبا منك ، انا اسالك عن عقد النكاح وفسخه وانت تخبرني عن عدد المويسات وعدة اللائي لم يحضن .

فقلت : هيهات أبا الربيع غاب عنك المراد .

قال : وما غاب عني من ذلك .

فقلت : اخبرني عن هذه العدد المرضعات من طلاق أم من غيره .

قال : من طلاق .

قلت : فهل يقع طلاق من غير ان يكون عقد نكاح ؟

قال : لا .

قلت : في المويسات فمنهن اللائي قد بلغن من السنين ما لا يحيضن مثلهن ؟

قال : نعم .

قلت : واللائي لم يحضن من الصغر ؟

قال : نعم •

قلت : ما وجب الله عليهن عددا ؟

قال : نعم •

قلت : أمن طلاق ام من غير طلاق •

قال : من طلاق •

قلت : فيكون طلاق من غير عقد نكاح ؟ فسكت ولم يرد جوابا •

انظر : سيرة الائمة الرستميين ص ٥٠ ، ٥١ •

(٣٠٤) سعيد بن مقديش : ص ١٢٥ •

(٣٠٥) البغدادي : ص ١٠٣ •

(٣٠٦) البرادي : الجواهر ورقة ٩٣ •

(٣٠٧) البكري : ص ٦٧ ، ابن خلدون : ج ٦ ص ١٢١ •

(٣٠٨) الدرجيني : ج ١ ورقة ١٠٥ •

(٣٠٩) الشماخي : السير ص ١٥٥ •

(٣١٠) ابو زكريا : ورقة ٢٠ •

(٣١١) في احدى هذه المساجلات سال شيخ المعتزلة عبد الله بن اللمطي : هل تستطيع الانتقال من مكان لست فيه الى مكان لست فيه ؟

فقال ابن اللمطي : لا •

فقال : هل تستطيع الانتقال من مكان لست فيه الى مكان انت فيه ؟

قال : لا •

فقال : هل تستطيع الانتقال من مكان انت فيه الى مكان لست فيه ؟

قال : اذا شئت •

فقال : خرجت منها ••• انظر : ابن الصغير : ص ٤٥ ، الشماخي : السير ص ٢٢٣ •

(٣١٢) اليماني : سيرة جعفر ص ١٢٠ ، الدرجيني ج ١ ورقة ٤٢ •

(٣١٣) ابو زكريا : ورقة ٣٦ •

(٣١٤) نفس المصدر والصحيفة ٠

(٣١٥) لما قبض على ابي نوح وجيء به الى المعز مكبلا بالاصفاد ، قال المعز : ان القيود دخلت في رجلك بالعلم ولا تخرج الا بالعلم ٠

قال ابو نوح : عسى الله ان يجعل ذلك كفارة لذنوبي ٠ فغضب المعز وقال : افنحن مسيئون فيك ؟ قال ابو نوح : قلت ليس في ذلك ما يدل على اساءتك ، الا ترى ان الله يبتلي عباده فيصبروا فيؤجروا ، وليس في ذلك ما يثبت الاساءة لله ٠ فزال غضبه فطلبته العفو ، فعفى ٠٠ وقربه ٠٠

وفي احدى مجالس المعز مع العلماء والفقهاء ومن بينهم ابي نوح ، سال المعز : ما الدليل ان لهذه الصنعة صانعا ؟ واجاب جلساؤه باجوبة غير مرضية ٠ فقال ابو نوح : فرايت ابا تميم كانه يريد الجواب ٠ وتادب أبو نوح وقال : جوابك مفهوم من سؤالك ، لان الصنعة بنفسها دليل الصانع ، ولا صنعة بغير صانع٠فاعجب المعز بلباقته٠انظر:الشماخي:السير ص ٣٥٢ وما بعدها٠

(٣١٦) انظر : الازهار الرياضية ج ٢ ص ١١٥ ٠

(٣١٧) وليس أدل على مكانة فرج بن نصر العلمية من رحلته الى بغداد ومواقفه ومحاوراته في بلاط العباسيين مع فقهائهم وعلمائهم ومحدثيهم ، وظفره لذلك برضى الخليفة - ورعايته عن هذه الرحلة : انظر : ابو زكريا : ورقة ٢٩ ، ٣٠ ٠

وجدير بالذكر ان نفاثا نسخ ابان وجوده ببغداد ديوان جابر بن زيد في الفقه وعاد به الى المغرب ٠ انظر : ابو زكريا : ورقة ٣٠

(٣١٨) راجع النفوسي : الازهار الرياضية ج ١ ص ١٩٥ ٠

(٣١٩) اسماعيل حامد : نبذة في تاريخ الصحراء القصوى ص ٧ ٠

(٣٢٠) الدرجيني : ج ١ ورقة ٢٥ ٠

(٣٢١) النفوسي : ص ١٩٧ ٠

(٣٢٢) ابن الصغير : ص ٣١ ٠

(٣٢٣) الدرجيني : ج ١ ورقة ١٣٦ ٠

(٣٢٤) ابو زكريا : ورقة ٤٢ ٠

(٣٢٥) الشماخي : السير ص ٢٦٣ ٠

(٣٢٦) من هؤلاء بكر بن حماد التاهرتي الذي سمع بالمشرق وساجل شعراء العراق كدعبل

الخزاعي وعلي بن الجهم ، ثم نزل القيروان وفاس وناظر علماءها وترك اشعارا تنم عن علو مكانته العلمية والادبية • انظر : النفوسي : ص ٧١ وما بعدها •

(٣٢٧) الصنبي : بغية الملتمس : ص ٣٦٤ ، ابن بشكوال : الصلة ج ١ ص ٨٦ •

(٣٢٨) عبيد الله بن صالح : نص جديد ص ٢١٨

(٣٢٩) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٨٩ •

(٣٣٠) الاستبصار ص ٢٠١ ، حسن محمود : قيام دولة المرابطين ص ٧١ •

(٣٣١) المغرب ص ١٤٨ •

(٣٣٢) الاشعري مقالات الاسلاميين ص ١٢٨ ، حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية ص ٢٢١ والواقع ان انتشار الاسلام لم يتم بصورة واسعة في هذه الجهات الا في عهد المرابطين •

انظر : الاستبصار ص ٢١٧ ، حسن محمود : المرجع السابق ص ٢٣٤ •

(٣٣٣) المأمون : جغرافية ص ٢٠٤ •

(٣٣٤) حامد عمار : علاقات الدولة المملوكية بالدول الافريقية ص ١٢ •

(٣٣٥) اطفيش : بعض تواريخ اهل وادي ميزاب ص ١١٦ •

(٣٣٦) الوسياني : سير أبي الربيع ورقة ٤ •

(٣٣٧) تنص هذه الرواية على ان « أبا يحيى النفوسي سافر الى بلاد السودان ، فالفى ملكهم ناحل الجسم ضعيف القوى » • فقال له : ما بك ؟ قال : خوف الموت • قال فاخبرته عن الله وصفاته سبحانه والجنة والنار والحساب وما أعد الله للمطيع والعاصي فكذبني وقال : لو صح عندك ما تقول لما بلغت الينا تطلب الدنيا • فما زلت أذكر نعم الله وآلائه حتى اسلم وحسن اسلامه » • انظر : الشماخي : السير ص ٣١٢ •

(٣٣٨) Etudes Ibadites. p. 71.

(٣٣٩) التقى ماسكراي باحد كبار مشايخ وادي ميزاب الاباضية واسمه الشيخ عبد الله • وقد اكد له الشيخ الاباضي تلك الحقيقة ، واخبره ان جماعات من الاباضية لا تزال موجودة في غانة حتى الوقت الحاضر : انظر : Chronique d'Abou Zakaria. p. 279

(٣٤٠) ابو زكريا : ورقة ٤٢ •

(٣٤١) Marcaig G: Berberie Musulmane. p. 116.

(٣٤٢) ابو العرب تميم : ص ٨٠ ٠

(٣٤٣) المسالك والممالك ص ٦٥ ٠

(٣٤٤) انظر : المقدسي : احسن التقاسيم ص ٢١٩،سعيد بن مقديش:نزهة الانظار ص ١١ ٠

(٣٤٥) Faroughy: Op. Cit. p. 14

(٣٤٦) أبو زكريا : ورقة ١٣ ٠

(٣٤٧) ابن الصغير : ص ٢٦ ٠

وقد كشفت آثار بناء يعتقد انه مسجد في سدراته بصحراء الجزائر في عصر متاخر تدل على تاثر الرستميين بالفن الفارسي ٠ انظر : السيد عبد العزيز سالم:المغرب الكبير ص ٥٨٢ ٠

(٣٤٨) ابن الصغير : ص ٣٨ ، ٣٩ ٠

(٣٤٩) انظر : La Berberie Musulmane. p. 166.

الملاحق

رسالة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة الى شيوخ الاباضية بالمغرب

بسم الله الرحمن الرحيم (١) . صلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

أتاني كتابكم تذكرون فيه ما من الله به عليكم من جمع كلمتكم وائتلاف أمركم في كثرة من بحضرتكم من أهل الخلاف . ولعمري ما أكثرتهم وان كثروا بأكثر مما كان قبلهم على من كان قبلكم من سلفكم ، فاقتدوا بهم يهون عليكم كثرتهم على اخلافكم . نسأل الله العون والتوفيق في جميع أموركم ، وأن يكفنا واياكم بأسهم ، وان يجعل لنا ولكم ولجميع المسلمين الدائرة عليهم ويشفي صدور قوم مؤمنين ، ويذهب غيظ قلوبهم . فلعمري لقد أسرني ما انتهيتم اليه من أمركم ، وان كان ذلك لم يخف عنا ، غير أنا لم نظن الذي كتبتم

---

(١) ابو عبيدة مسلم بن ابي كريمة : رسالة في احكام الزكاة ـ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢١٥٨٢ب . ورقة ١١٤ .

به الي • والله يستتم لكم الخير كله بعونه وتوفيقه •

أتانا كتابكم بمسائل ، فمنها ما رأيت أن أجيبكم فيها ، ومنها ما رأيت الا نجيبكم فيها من غير هوان ولا تقصير الا الذي رأيته أصلح لجماعتكم وأقوم لشأنكم وأرفق لضعيفكم وأعطف لقلوبكم وأجمع لاموركم ، وما توفيقي الا بالله وفقنا الله واياكم لما يحبه ويرضاه ، فقد أجيبكم في الذي اجيبكم فيه ، فما كان من صواب فمن الله ، وما كان من خطأ في رواية أو خبر او غير ذلك فمن نفسي • استغفر الله من جميع ما ليس هو له رضى •••

ذكرتم في كتابكم العشر وكيف جمعه ، واعلموا رحمكم الله انه (٢) •• الخ

رسالة حنظلة بن صفوان الى الخوارج الصفرية بطنجة

بسم الله الرحمن الرحيم

من حنظلة بن صفوان الى جميع أهل طنجة •

أما بعد – فأن أهل العلم بالله وبكتابه وسنة نبيه محمد صلى اللهعليه وسلم قالوا انه يرجع جميع ما أنزل الله عز وجل الى عشر آيات : آمره ،وزاجرة ومبشرة ، ومنذرة ، ومخبرة ومحكمة ، ومشتبهة ، وحلال ، وحرام ، وأمثال •

فآمره بالمعروف ، زاجرة عن المنكر ، ومبشرة بالجنة ، ومنذرة بالنار ، ومخبرة بخبر الاولين والاخرين ، ومحكمة يعمل بها ، ومتشابهة يؤمن بها ، وحلال أمر أن يؤتي ، وحرام أمران يجتنب ، وأمثال واعظة •

فمن يطع الآمرة وتزجره الزاجرة ، فقد استبشر بالمبشر ، وانذرته المنذرة • ومن يحلل الحلال ويحرم الحرام ويرو العلم فيما اختلف فيه الناس الى الله ، مع طاعة واضحة ونية صالحة فقد أفلح وأنجح وحيا حياة الدنيا

---

(٢) يستطرد في الاجابة على تساؤلاتهم وفقا لتعاليم المذهب الاباضي •

والاخرة ٠

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (٣) ٠

رسالة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الى أباضية طرابلس

بسم الله الرحمن الرحيم

من أمير المؤمنين عبد الوهاب الى جماعة المسلمين بحيز طرابلس ٠

أما بعد ـ فاني آمركم بتقوى الله تعالى والاتباع لما أمركم به والانتهاء عما نهاكم عنه ٠ وقد بلغني ما كتبتم الي به من وفاة السمح ، واستخلاف بعض الناس خلفا ، ورد أهل الخير ذلك ٠ فان من ولي خلفا من غير رضى امامه فقد أخطأ سيرة المسلمين ، ومن أبى توليته فقد أصاب ٠

فاذا أتاكم كتابي هذا ، فليرجع كل عامل استعمله السمح الى عمله الذي ولي عليه ، الا خلف بن السمح حتى يأتيه أمري ٠ وتوبوا الى ربكم لعلكم تفلحون (٤) ٠

رسالة الربيع بن حبيب الى عبد الوهاب بن عبد الرحمن ابن رستم ويزيد بن فندين

بسم الله الرحمن الرحيم ـ وصلى الله على نبينا محمد وآله الطاهرين ٠

اما بعد ـ فقد بلغنا يا اخواننا ما كان قبلكم ، وفهمنا ما كاتبتمونا به ٠

---

(٣) المالكي : رياض النفوس ج ١ ص ٦٧ ٠

(٤) انظر : ابو زكريا : السيرة واخبار الائمة ورقة ٢٥ ـ مخطوط بدار الكتب المصرية ـ رقم ٩٠٣٠ح ، الشماخي : السير : ص ١٨٠ ، ١٨١ ، الدرجيني : طبقات الاباضية ج ١ ورقة ٣١ وجه ٠ مخطوط بدار الكتب المصرية ـ رقم ١٢٥٦١ح ٠

أما ما كتبتم به من أمر الشرط ، فليس من سيرة المسلمين ان يجعلوا الشرط في الامامة ان لا يقضي أمرا دون جماعة ·

ولو صح في الامامة شرط لما أقيم لله حق ولا حد ، ولعطلت الحدود وبطلت الاحكام وضاع الحق · على ان الامام اذا قدم اليه سارق فلا يصيب ان يقيم عليه حدا فيقطع يده حتى تحضر الجماعة التي ذكرناها ، أو زنى أحد فلا يرجم ولا يجلد حتى تحضر ايضا ــ ولا يجاهد الامام عدوا ولا ينهى عن فساد الا بحضرة الجماعة المعلومة ، والجماعة يتعذر اتفاقها · فالامامة صحيحة والشرط باطل ·

واما ما ذكرتم من تولية رجل من المسلمين اذا كان فيهم من هو أعلم منه، فذلك جائز اذا كان الثاني من القناعة والفضل · فقد ولى ابو بكر وزيد بن ثابت أفرض منه ، وعلي بن أبي طالب أقضى منه ومعاذ بن جبل أعلم منه · وهذا ليس فيه اختلاف ، لقول الرسول (ص) أفرضكم زيد وأقضاكم علي وأقرأكم أبي · وأعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل · وقوله (ص) معاذ بن جبل سيد العلماء سيحشر غدا يوم القيامة امام العلماء · وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته (٥) ·

رسالة محمد بن أفلح الى رعاياه

من محمد بن أفلح الى جميع من بلغه كتابنا هذا من المسلمين ·

سلام الله عليكم ــ فاني أحمد الله اليكم الذي لا اله الا هو ، وأسأله الصلاة على نبي الرحمة وهادي الامة صلى الله عليه وسلم ·

اما بعد ــ فان افضل ما يتواصى به العباد وتحاضوا عليه ، تقوى الله

---

(٥) ابو زكريا : السيرة واخبار الائمة ورقة ١٦ ·

ولزوم طاعته والزجر عن معصيته والترغيب فيما يورث الثواب من القــول الطيب والعمل الصالح ، وعليكم معاشر المسلمين بالتهيء للقدوم على اللــه والتأهب والاعداد ليوم تشخص فيه الابصار ، وتتغير فيه الالوان ، ويشيب فيه الولدان ، وتذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد ٠ واعلمــوا رحكم الله ان اهل العلم بالله القائمين بهذه الدعوة قد انقرضوا وقلت الخلوف منهم ، فرحم الله امرىء مسلم احتسب نفسه وأرصد لله في طلــب العلم ، والنقض على من حاد الله وعدل عن منهاج رسوله (ص) وطريق المحقين مــن عباده حتى تكون كلمة الله هي العليا والباطل زهوقا ٠

وعليكم معاشر المسلمين باتباع الماضين من أسلافكم والمتقدمين من أئمتكم الصالحين من أهل دعوتكم ، فاقتفوا آثارهم ، واهتدوا بهداهم ، واحذروا الزيغ عن طريقهم والميل عن منهاجهم ، وخالفوا اهل البدع المضلة والاهواء المزلة ٠ فمن اراد ان يبدل دينكم ويلبسكم شيعا ، ويلبس عليكم امركم ممن إتبع هواه واستحوذ عليه الشيطان ونبذ ما جاء به القرآن ، فألبس على الضعفاء أمرهم وزين بدعته في قلوبهم فأخدع من لا بصيرة له ولا علم له بما مضى عليــه الائمة الراشدون رحمة الله عليهم ، والسلف الصالحون من اهل دعوتكــم ، فأضل كثيرا ، وضل عن سواء السبيل ٠ ونحن ذاكرون لكم ما فيه الكفاية ان شاء الله ٠ وبه نستعين وعليه نتوكل ، وما توفيقنا الا بالله (٦) ٠

---

(٦) البرادي : الجواهر المنتقاة في اتمام ما اخل به كتاب الطبقات لابي العباس الدرجيني ورقة ٩٣ ، ٩٤ ــ مخطوط بدار الكتب المصرية ــ رقم ٢١٧٩١ ب ٠

خطبة المعز لدين الله الفاطمي في مشايخ كتامة يحضهم على قتال الشاكر لله المدراري

« ••• وهذا الذي كنت ذكرته لكم في غير مجلس ومقام اني لو ندبت من عسيت ان اندبه منكم ، لوجدت فيه ما أريده •••

بارك الله فيكم وأحسن صحابتكم والخلافة عليكم ، فقد صدقتم ظني فيكم وأملي عندكم وأنتم من معدن البركة وعنصر الخير • بكم بدأ الله اظهار أمرنا ، وبكم يتم ويصلحه بحوله وقوته • وقد علمت مشارعتكم الى ما ندبتم اليه ، واجابتكم لما اردتم له ، وارجو ان تبلغوا من ذلك بحسب الامل فيكم ، ويرفع الله عز وجل بذلك درجاتكم ويعلي به ذكركم • انتم البنون والاخوة والاقربون ، ما يعد لكم عندي أحد ولا يبلغ مبلغكم من قلبي بشر ، وما ذلك الا لما لي في قلوبكم ما نصر الله وليا من أوليائه قبلنا بمثل نصرتكم لنا ، على ذلك مضى أمركم ، وعليه انتم على محبتنا ونصرتنا وموالاتنا تتناسلون وتنشئون ، وبها غذيتم وعليها فطرتم ، فأبشروا بما قسم الله عز وجل من الفضل لكم ، فأنتم حزب الله ، وأنصاره وجنده وأحباءه •

والله ما اردت بهذا البعث الذي بعثتكم فيه شرا أستدفعه ، ولادفع مكروه أخافه ، ولا استكثارا من دنيا أصيبها • اما المكروه ، فقد علم الخاص والعام والقريب والبعيد ان غاية اماني من حولنا من اهل الارض من المتغلبين ممن دان بملة الاسلام والمشركين ان يسلموا منا ، ويعافوا أمر بأسنا ، وما احد منهم امسى واصبح اليوم ـ بحمد الله ـ يطمع في شيء مما عندنا • واما اكتساب حطام الدنيا ، فهذا نحن ننفق من اموالنا على هذا البعث ما لا نرى انا نرتجع مثله ، وان مكننا الله وأيدنا ونصرنا • ولكنا أردنا بذلك وجوها منها ، ما افترضه الله عز وجل علينا من جهاد من خالف أمرنا وتسمى بأسمائنا،

وادعى ما جعل الله عز وجل لنا • ومنها ان الله عز وجل قد امتحن عبـاده بالجهاد في سبيله معنا ، فنحن نبذلهم اليه لنعلم المجاهدين منهم والصابرين، وليرفع الله عز وجل به درجاتهم ويجزل مثوباتهم وينقل حالاتهم • فكم منكم اليوم من ينفذ في هذا الجيش تابعا يعود متبوعا ، ومرؤسا يصير رئيسـا • انما ترفعكم عندنا وعند ربكم نياتكم واعمالكم ، وبهـا تتوسلون الينـا والى بارئكم • لولا السنة التي أمر الله عز وجل باتباعها ـ التي لا يصلح العباد الا بها ـ ما قدمت عليكم احدا منكم ولا من غيركم ، اذ كل واحد منكم عندي يستحق ان يكون المقدم • ولكن لا يصلح الناس الا برئيس ، وقد قدمت عليكم من علمتموه • أقمته فيكم مقام نفسي ، وجعلته معكم كأذني وعيني ، وكـل امرىء منكم على نفسه بصير • وقد أمرت لكم بأجزل العطاء ، أعطيته مـن قبلكم الى ابعد من مسافتكم ، وقد علمتم انه لم يعط من قبلكم احد قبلـي مثل ما أعطيتكم ، ولا استكثرت لكم ذلك ، بل استقله أقلكم • والذي لكم عنـد الله وعندي من الذي تستقبلونه اجل واكبر •

فسيروا على بركات الله وفيه وسعادته ونصره وتأييده • كونوا عندما رجوتكم له من العناء والكفاية وصلاح الحال بينكم • احسنوا عشرة بعضكـم لبعض ، وعشرة من تصحبونه من غيركم • وانزلوا من ينفذ معكم من عبيدي منازل اخوانكم • وأجمعوا معهم كلمتكم ، فهم لكم عضد ولحمة وموالاتي تجمعكم واياهم ، فلا تجعلوا بينكم وبينهم فرقا •

أحسن الله لكم الصحابة وعليكم الخلافة (٧) •

---

(٧) ابن حيون : المجالس والمسايرات ج ١ ورقة ٢٧ ـ ٣١ • مخطوط بجامعة القاهرة رقم ٢٠٦٠ •

حديث المعز لدين الله الفاطمي الى المنتصر لله المدراري
وشيوخ الصفرية بسجلماسة

« ••• يا أهل سجلماسة ، فعلتم ما فعلتم في ايام المهدي بالله واقتدر عليكم مرة بعد اخرى ، فعفا عنكم ، وأحسن اليكم لحلوله فيكم ومجاورته اياكم مدة اقامته فيكم ، كما يرعاه من اجله الله محله من كرم الطباع وحسن صنيع من غير يد كانت له عنده ، ولا فعل من الجميل تقدم لكم لديه • فصفح وأحسن ، وعفا واجمل ، فما رعيتم ذلك حق رعايته ، ولا فهتم بشكره •

ثم نعق فيكم ناعق من الشيطان فلبيتموه ، ودعاكم اليه داع فأجبتموه • قام فيكم دعى فيما ادعاه يتوثب على ما تولاه ، وقد عرفتم ، نسبه ودريتم سببه، فتغلب على ظاهر امركم ، وتحلى بالرياسة والتصنع لكم ، وتسمى بأمير المؤمنين وامام المسلمين لكم • وانتم على علم لا تشكون ويقين لا تمترون ان ذلك لا يجوز له ولا يحل تسليمه • فسلمتموه لمثله له وأطعتموه وتوليتموه واتبعتموه ، ففارقتم جماعة المسلمين ، وخرجتم من حزب المؤمنين ، وأحدثتم حدثا عظيما في الدين • وانتهى الينا من امركم وامره ما لم يسعنا تركه والغفلة عنه ، لما افترضه الله علينا عز اسمه من القيام بحقه في أرضه ، وجهاد من صرف عن دينه وعن سنة رسوله • وحل محلكم ومحل هذا الفاسق فيكم • فانهضنا اليكم جيشا من أوليائنا وانصار دولتنا وعبيدنا مع عبد أمرناه عليهم، وتقدمنا اليه في الاعذار والانذار اليكم في الانابة والتوبة قبل الوقوع بكم فلم يزل مع طي المراحل نحوكم بتتابع الكتب مع رسوله تأكيدا في الحجة عليكم ، مرة بالوعد ومرة بالعيد وتارة باللين وتارة بالتشديد ، يدعوكم الى الطاعة والنزوع عما أنتم عليه من المعصية والضلال ، والقبض على عدو الله فيكم ان تمادى على ما هو عليه من الغي والضلال ان استطعتموه والبراءة منه وتركه بجانب ان لم تقدروا عليه • ووصلت كتبه اليكم ، وأدى اليكم من اختار به منكم وكل ذلك وأنتم على باطلكم مصرون ، وبالفاسق المضل لكم متمسكون •

الى ان وصلت جيوشنا بقربكم ، وانتشرت عساكرنا ببلدكم ، وعاين من عاينكم من عيون عدو الله من جمعها وعتادها وقوتها ما انهاه اليه ، وقد علم انه لا طاقة لكم ولا له بعسكر من عسكرها ٠ فلما نزلت بداركم وانتم مع الفاسق على ما انتم عليه ، نهض موليا عنكم وهاربا متسللا بين أظهركم ، وقد كنتم تقدرون على أخذه لو أردتموه ، ويمكنكم منعه من ذلك ومن حصاره في داره متى أحببتموه لو اخذتم بحظكم في ذلك ففعلتموه ٠ لكنكم أقمتم مصرين على طاعته وتوليه الى ان نزعتنكم وأقدرنا الله بفضله واحسانه عليه كعادته الجميلة بلا صنع لكم ولا لغيركم في ذلك ، وأقدرنا عليكم وأمكننا منكم ، وانتم على ما انتم عليه من غيبكم وضلالكم وما تستوجبون به اجتياحكم ودماركم ٠ فسار عبدنا فيكم بما أمرناه من العفو والصفح والرحمة ، وانصرف عنكم فأحدثتم بعده ما أحدثتم فماذا تستحقون ان يفعل بكم ؟؟٠٠٠ فقال قائلهم : ان يعاقب أمير المؤمنين فنحن أهل العقوبة ، وان يعفى فهو أهل العفو والفضل والرحمة٠٠ فدعا منتصر بن احمد بن المعتز فقربه اليه وأمره بالجلوس ٠ فقبل الارض مرارا شكرا لامير المؤمنين ٠ ثم عطف على الوفد فقال : قد كنتم تستحقون أليم العذاب والنكال ، ولكنا للذي جبلنا عليه من الصفح والعفو والرحمة قد عفونا ما سلف من ذنوبكم ما استقمتم وأصلحتم ، وقد استعملنا عليكم عبدنا هذا ــ وامسى الى منتصر ــ فقبل وقبلوا الارض مرارا ٠٠٠ وأمر بصرفهم الى موضع أنزلهم فيه وخلع على منتصر وفعل كذلك بجماعة من وجوههم (٨) » ٠

---

(٨) ابن حيون : المجالس والمسايرات ج ١ ورقة ٢٩٨ ــ ٣٠٤ ٠

المصادر

أ ـ المراجع العربية المخطوطة

١) ابن ابـي كريمـة : ابو عبيـدة مسلم بن ابـي كريمة (اواخر القرن الثاني الهجري) : رسالة في احكام الزكاة • مخطوط بدار الكتـب ـ رقـم ٢١٥٨٢ ب •

٢) ابن حيون المغربي : القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن حيون (ت ٣٦٣هـ) : شرح الاخبار في فضائـل النبي المختـار وآلـه المصطفين الاخيار من الائمة الاطهار عليهم السلام • مخطوط بدار الكتب رقم ٧٠٦٢ ح •

٣) اساس التأويل الباطني ـ مخطوط بدار الكتب رقم ٢٤٣٤٦ ح •

٤) المجالس والمسايرات ج ١ ، ٢ ـ مخطوط بجامعة القاهرة ـ رقم ٢٦٠٦٠ •

٥) ابن العربي : ابو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري (ت ٥٤٣هـ) • القواصم والعواصم ـ مخطوط بدار الكتب ـ رقم ٢٢٠٣١ ب •

٦) ابن فضل الله العمري : شهـاب الديـن ابو العبـاس احمـد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ) • مسالك الابصار ج ٥ ـ مخطوط بدار الكتـب ـ رقم ٤٣٧٦ ج •

٧) ابن وردان : تاريخ الاغالبة في مملكة تونس ـ مخطوط بدار الكتـب ـ رقم ٢١٩٩ بتاريخ ـ تيمورية •

٨) أبو زكريا : يحي بن أبي بكر (ت النصف الثانـي من القرن الرابـع الهجري) ·· السيرة وأخبار الائمة ــ مخطوط بدار الكتب ــ رقم٩٠٣٠ح ·

٩) الانصاري : أحمد بن الحسين النائب الانصاري : نفحـات النسريـن والريحان فيمن كان بطرابلس من الاعيان ــ مخطوط بدار الكتب ــ رقم ١٠٦٧١ح ·

١٠) البرادي : أبو القاسم بن ابراهيم البرادي (ت٦٩٧هـ) : الجواهرالمتنقاة في أتمام ما أخل به كتاب الطبقات لابي العباس الدرجيني : مخطـوط بدار الكتب ــ رقم ٨٤٥٦ ح ·

١١) رسالة في ذكر كتب الاباضية · مخطوط بدار الكتب ــ رقم ٢١٧٩١ ب·

١٢) البياسي : يوسف بن محمد بن ابراهيم الانصاري (ت٦٥٣هـ) ·· الاعلام بالحروب الواقعة في صدر الاسلام · مخطوط بدا رالكتب ــ رقم ٨٧٣٩ح·

١٣) جعفر بن أحمد بن عبد السلام : (ت أواخر القرن الحادي عشر الهجري): ابانة المناهج في نصيحة الخوارج ــ مخطوط بدار الكتب ــ رقم ٢٥٤٩٩ب

١٤) الخزرجي : جمال الدين ابو الحسن علي بن ظافر (ت ٦٢٣هـ) ·· اخبار الدول المنقطعة ــ مخطوط بدور الكتب ــ رقم ٨٩٠ ·

١٥) الدرجيني : ابو العباس احمد (ت منتصف القرن السابع الهجري) : طبقات الاباضية ج ١ ، ٢ ــ مخطوط بدار الكتب ــ رقم ١٢٥٦١ ح ·

١٦) الشماخي : ابو العباس احمد بن سعيد بن عبد الواحد (ت ٩٢٨هـ) ·· شرح مقدمة أصول العفة ــ مخطوط بدار الكتب ــ رقم ٢١٥٨٧ ب ·

١٧) السوفي : ابو عمر عثمان بن خليفة المرغني (ت اواخر القرن السادس الهجري) : شرح السؤالات ــ مخطوط بدار الكتب ــ رقم ٢١٧٨٩ ب ·

١٨) الصفري : ابو غانم : مدونة ابي غانم الصفري ــ مخطوط بدار الكتب ــ رقم ٢١٥٨٢ ب ·

١٩) العيني : بدر الدين ابي محمد محمود بن احمد (ت ٨٥٥هـ) : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان • جـ ١١ ، ١٣ ، ١٥ ـ مخطوط بدار الكتب ـ رقم ١٥٨٤ •

٢٠) القاضي عياض : عياض بن موسى اليحصبي (٥٤٤هـ) : ترتيب المدارك وتعريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك • قسم ١ من جـ ٢ ـ مخطوط بدار الكتب ـ رقم ٩٦٧٣٠ ح •

٢١) المأمون : الخليفة عبد الله المأمون بن هرون الرشيد : جغرافية المأمون • مخطوط بدار الكتب رقم ١٩٤٩ ط •

٢٢) مجهول : تاريخ مدينة فاس وبناء جامع القرويين والاندلسيين ـ مخطوط بدار الكتب ـ رقم ٤٤١٩ ح •

٢٣) قطعة من كتاب في الاديان والفرق ـ مخطوط بدار الكتب ـ رقم ٢٢٢٩٨ ب •

٢٤) كشف الغمة لاخبار الامة ـ مخطوط بدار الكتب ـ رقم ١٢٩٦٨ ح •

٢٥) محاورة بين شيعي وخارجي في شأن الشيخين ابي بكر وعمر وشأن الحكمين وما قيل في ذلك ـ مخطوط بدار الكتب ـ رقم ١٩٨٨٢ ب •

٢٦) محمد الشطيبي المغربي : الجمان في اخبار الزمان ـ مخطوط بدار الكتب ـ رقم ١٤١٦ •

٢٧) المنصوري : ركن الدين بيبرس الدوادار (ت ٧٢٩هـ) : زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة • جـ ٤ ، ٥ ـ مخطوط بجامعة القاهرة ـ رقم ٢٤٠٢٧ •

٢٨) الناصري : عثمان بن عبد العزيز بن منصور (ت ١٢٥٩هـ) : منهج المعارج لاخبار الخوارج ـ مخطوط بدار الكتب ـ رقم ٢١٤٤ تاريخ ـ تيمورية •

٢٩) النويري : شهاب الدين احمد (ت ٧٣٢هـ) : نهاية الارب في فنون الادب • جـ ٢٢ ، ٢٦ ـ مخطوط بدار الكتب ـ رقم ٥٤٩ معارف عامة •

٣٠) النيسابوري : احمد ابراهيم (ت اواخر القرن الرابع الهجري) : استتار الامام ـ مخطوط بدار الكتب ـ رقم ١١٤٩٧ ح ٠

٣١) الوسياني : ابو الربيع عبد السلام (ت ٤٧١هـ) : سيرة ابي الربيع بن عبد السلام الوسياني ـ مخطوط بدار الكتب ـ رقم ٩١١٣ ح ٠

ب ـ المراجع العربية المطبوعة

٣٢) ابن الآبار : ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي (ت ٦٥٨هـ) : الحلة السيراء ج ١ ، ٢ القاهرة ١٩٦٣ م ٠

٣٣) ابن ابي دينار : ابو عبد الله محمد بن أبي القاسم القيرواني (ت١٠٩٢هـ): المؤنس في اخبار افريقية وتونس : تونس سنة ١٣٥٠هـ ٠

٣٤) ابن ابي زرع : ابو الحسن بن عبد الله بن ابي زرع الفاسي (ت ٧٢٠هـ) : الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ج ١ ٠ الرباط سنة ١٩٣٦م ٠

٣٥) ابن الاثير : محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ) : الكامل ج ٣ ،٤،٥،٦،٧،٨ ٠ القاهرة سنة ١٣٠٣هـ ٠

٣٦) ابن بشكوال : ابو القاسم خلف بن مالك (ت ٥٧٨هـ) : الصلة في تاريخ أئمة الاندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم ـ ج ١ ، ٢ القاهرة سنة ١٩٥٥م ٠

٣٧) ابن بطوطة : محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي (ت١٣٧٧م): تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ج ٢ ٠

٣٨) ابن تغري بردى : جمال الدين ابو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ) :

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ ج ١ ، ٢ ، ٣ ٠ القاهرة سنة ١٩٦٣م ٠

٣٩) ابن حزم : علي بن احمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ) : جمهرة انساب العرب ٠ القاهرة سنة ١٩٦٢م ٠

٤٠) الفصل في الملل والنحل ٠ القاهرة سنة ١٣١٧هـ ٠

٤١) نقط العروس في تاريخ الخلفاء ٠ القاهرة سنة ١٩٥١م ٠

٤٢) ابن حماد : محمد بن علي (ت ٦٢٨هـ) : اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم الجزائر سنة ١٣٤٦هـ ٠

٤٣) ابن حوقل : ابو القاسم بن حوقل (ت النصف الثاني من القرن الرابع الهجري) : المسالك والممالك ٠ ليدن سنة ١٨٧٣م ٠

٤٤) ابن حيان : حيان بن خلف بن حسين (ت ٤٦٩هـ) المقتبس في تاريخ رجال الاندلس نشر ماشور انطونيا ٠ باريس سنة ١٩٣٧م ٠

٤٥) المقتبس في اخبار بلد الاندلس ٠ تحقيق الحجي التونسي ٠ بيروت سنة ١٩٦٥م ٠

٤٦) ابن خرداذبة : ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت حول سنة ٣٠٠هـ) : المسالك والممالك ٠ ليدن سنة ١٨٨٩م ٠

٤٧) ابن الخطيب : لسان الدين محمد بن الخطيب السليماني (ت ٩٤٠هـ) : اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ـ ج ٢ ٠ بيروت سنة ١٩٥٦م ٠

٤٨) تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط ٠ وهو الجزء الثالث من كتاب اعمال الاعلام ٠ الدار البيضاء سنة ١٩٦٤م ٠

٤٩) رقم الحلل في نظم الدول ٠ تونس سنة ١٣١٦هـ ٠

٥٠) ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ) : العبر وديوان المبتدأ

والخبر . المقدمة ، ج ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٧ . بولاق سنة ١٢٨٤هـ ، القاهرة سنة ١٩٥٧م .

٥١) ابن خلكان : شمس الدين ابو العباس احمد (ت ٦٨١هـ) : وفيات الاعيان ج ١ القاهرة سنة ١٩١٠م .

٥٢) ابن الداية : سيرة احمد بن طولون . برلين سنة ١٨٩٤م .

٥٣) ابن الدلائي : احمد بن عمر بن أنس العذرى (ت ٤٧٨هـ) : نصوص من الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتفريع الاثار ، والمسالك الى جميع الممالك . مدريد سنة ١٩٦٥م .

٥٤) ابن رستم : ابو علي احمد بن عمر : الاعلاف النفيسة ج ٧ . ليدن سنة ١٨٩١م .

٥٥) ابن سعيد : علي بن موسى بن محمد (ت ٦٧٣هـ) : المغرب في حلى المغرب ج ١ . القاهرة سنة ١٩٦٤م .

٥٦) ابن الصغير المالكي : انظر

٥٧) ابن طباطبا : محمد بن علي . الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية القاهرة سنة ١٩٣٨م .

٥٨) ابن عبد الحكم : عبد الرحمن بن عبد الحكم بن أعين (ت ٢٥٧هـ) : فتوح مصر والمغرب . القاهرة سنة ١٩٦١م .

٥٩) ابن عبد ربه : احمد بن محمد (ت ٣٢٧هـ) : العقد الفريد ج ١،٢،٣،٤ القاهرة سنة ١٩٤٠م .

٦٠) ابن عذارى : محمد بن عذارى المراكشي (نهاية القرن السابع الهجري) : البيان المغرب في اخبار المغرب ج ١ ، ٢ ، بيروت سنة ١٩٥٠ .

٦١) ابن غلبون : محمد بن خليل : التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الاخيار القاهرة سنة ١٣٤٩هـ .

٦٢) ابن فرحون : برهان الدين ابراهيم علي (ت ٧٩٩هـ) : الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ٠ ١٣٥١هـ ٠

٦٣) ابن الفرضي : عبد الله بن محمد بن يوسف (ت ٣٠٤هـ) : تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس جـ ١ ، ٢ ٠ القاهرة سنة ١٩٥٤م ٠

٦٤) ابن الفقيه : ابو بكر احمد بن محمد : مختصر كتاب البلدان ٠ ليدن سنة ١٣٠٢هـ ٠

٦٥) ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ) : الامامة والسياسة جـ ٢،١ القاهرة ٠

٦٦) : المعارف ٠ القاهرة سنة ١٩٦٠م ٠

٦٧) ابن القوطية : محمد بن عمر بن عبد العزيز (ت ٢٦٧هـ) : تاريخ افتتاح الاندلس ٠ بيروت سنة ١٩٥٧م ٠

٦٨) ابن كثير : عماد الدين ابي الفدا اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ) : البداية والنهاية جـ ٩ ٠

٦٩) ابن النديم : محمد بن اسحق (ت ٣٨٥هـ) : الفهرست ٠ القاهرة سنة ١٣٤٨هـ ٠

٧٠) ابو العرب : محمد بن احمد بن تميم (ت ٣٣٣هـ) : طبقات علماء افريقية باريس سنة ١٩١٥م ٠

٧١) ابو الفدا : عماد الدين اسماعيل (ت ٧٣٢هـ) : المختصر في اخبار البشر جـ ١ ، ٢ ٠ القاهرة ٠

٧٢) ابو الفرج الاصفهاني : علي بن الحسين بن محمد بن احمد (ت ٣٥٦هـ) : مقاتل الطالبيين ٠ النجف الاشرف سنة ١٣٥٣هـ ٠

٧٣) احمد امين : ضحى الاسلام جـ ٣ ٠ القاهرة سنة ١٩٣٦م ٠

٧٤٠) احمد مختار العبادي : سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس ــ صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ــ مجلد ٥ ــ عدد ١ ، ٢ ، سنة ١٩٥٧م ٠

٧٥) الادريسي : الشريف محمد الادريسي (ت ٥٥٨هـ) : صفة المغرب وارض السودان ومصر ٠ ليدن سنة ١٨٩٤م ٠

٧٦) أرشيبا لدلويس : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر الابيض المتوسط ٠ القاهرة سنة ١٩٦٠م ٠

٧٧) أرنولد : سير توماس : الدعوة الى الاسلام ٠ القاهرة سنة ١٩٥٧م ٠

٧٨) الازدي : محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله (ت ٤٨٨هـ) : جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس ٠ القاهرة سنة ١٩٦٦م ٠

٧٩) الاسفرائيني : ابو المظفر الاسفرائيني (ت ٤٧١هـ) : التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ٠ القاهرة سنة ١٩٥٥م٠

٨٠) اسماعيل حامد : « ناشر » : نبذة في تاريخ الصحراء القصوى ٠ باريس سنة ١٩١١م ٠

٨١) الاشعري : ابو الحسن الاشعري : مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين٠ يفنساون سنة ١٩٦٣م ٠

٨٢) أطفيش : محمد بن يوسف (ت ١٣٠٤هـ) : الامكان فيما جاز ان يكون او كان ٠ الجزائر سنة ١٣٠٤هـ ٠

٨٣) بعض تواريخ اهل وادي ميزاب ٠ الجزائر سنة ١٣٢٦هـ ٠

٨٤) الاندلسي : محمد بن محمد الاندلسي : الحلل السندسية في الاخبار التونسية ٠ تونس سنة ١٢٨٧هـ ٠

٨٥) الانصاري : احمد النائب : المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ج ١ ٠

بيروت ٠

٨٦) الباجي المسعودي : محمد الباجي المسعودي (ت ١٢٥٣هـ) ٠ الخلاصة النقية في أمراء افريقية ٠ تونس سنة ١٢٨٣هـ ٠

٨٧) باسيه : رينيه R. Basset : مادة ادريس بدائرة المعارف الاسلامية مجلد ١ ٠

٨٨) برنارد لويس : اصول الاسماعيلية ٠ القاهرة سنة ١٩٤٧م ٠

٨٩) البغدادي : عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت ٤٢٩هـ) : الفرق بين الفرق ٠ القاهرة ٠

٩٠) البكري : ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٦٠هـ) : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ٠ باريس سنة ١٩١١م ٠

٩١) البلاذري : احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٤٨هـ) : انســاب الاشراف ج ١١ ٠ جريفز فالد سنة ١٨٨٣م ٠

٩٢) أنساب الاشراف ج ١ ٠ القاهرة سنة ١٩٥٩م ٠

٩٣) : فتوح البلدان ج ١ ٠ القاهرة سنة ١٩٥٦م ٠

٩٤) البلوي : ابو عبد الله بن محمد المديني (ت حول منتصف القرن الرابع الهجري) : سيرة احمد بن طولون ٠ دمشق سنة ١٣٥٨هـ ٠

٩٥) البوعياشي : احمد بن عبد السلام ٠ الريف بعد الفتح الاسلامـي ٠ تطوان سنة ١٩٥٤م ٠

٩٦) بوفيل : الممالك الاسلامية في غرب افريقية وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء ٠ القاهرة سنة ١٩٦٨م ٠

٩٧) التجاني : عبد الله بن محمد بن احمد (ت ٧١٧هـ) : رحلته ٠ تونس سنة ١٩٥٨م ٠

٩٨) الجربي : محمد ابو راس (ت ١٢٢٢هـ) : مؤنس الاحبة في اخبار جربة • تونس ١٩٥٨م •

٩٩) الجزنائي : علي الجزنائي (ت أواخر القرن الثامن الهجري) : زهرة الاس في بناء مدينة فاس • الجزائر سنة ١٩٢٣م •

١٠٠) حامد عمار (دكتور) : علاقات الدولة المملوكية بالدولة الافريقية ــ رسالة ماجستير •

١٠١) حسن ابراهيم حسن (دكتور) : انتشار الاسلام في القارة الافريقية• القاهرة سنة ١٩٦٤م •

١٠٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية • القاهرة سنة ١٩٥٨م•

١٠٣) تاريخ الاسلام السياسي : جـ ١ ، ٢ ، ٣ القاهرة سنة ١٩٥٨م •

١٠٤) عبيد الله المهدي سنة ١٩٤٧م •

١٠٥) حسن احمد محمود (دكتور) : انتشار الاسلام والثقافة العربية في افريقية • القاهرة سنة ١٩٦٣م •

١٠٦) : قيام دولة المرابطين • القاهرة سنة ١٩٥٧م •

١٠٧) حسن الباشا (دكتور) : الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والاثار • القاهرة سنة ١٩٥٧م •

١٠٨) حسن حسني عبد الوهاب : ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية • جـ ١ ، ٢ •

١٠٩) حسن علي حسن عبد العواد : دولة الادارسة بالمغرب ــ رسالة ماجستير •

١١٠) حسين مؤنس (دكتور) : فجر الاندلس •

١١١) : ثورات البربر في افريقية والاندلس ـ مجلة كلية الاداب جامعة فؤاد الاول مجلد ١٠ ج ١ ـ مايو سنة ١٩٤٨م ٠

١١٢) الحميري : محمد عبد الله بن عبد المنعم (ت القرن التاسع الهجري) : صفة جزيرة الاندلس ٠ القاهرة ١٩٣٧م ٠

١١٣) الخشني : محمد بن الحارث بن أسد (٣٦٦هـ) : طبقات علماء افريقية ٠ باريس سنة ١٩١٥م ٠

١١٤) الدباغ : عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الانصاري (ت ٦٩٦هـ) : معالم الايمان في معرفة أهل القيروان ـ ج ١ ، ٢ ، ٣ ٠ تونس سنة ١٣٢٠هـ ٠

١١٥) ديمومبين : G. Dymombynes : مادة بني الاغلب بدائرة المعارف الاسلامية ـ مجلد ٢ ٠

١١٦) الدينوري : احمد بن داود (ت ٢٨٢هـ) : الاخبار الطوال ٠

١١٧) الرازي : فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين القاهرة ١٩٣٨م ٠

١١٨) الرفاعي : عبد الله محمد سراج الدين (ت ٨٨٥هـ) : صحاح الاخبار في نسب السادة الفاطمية الاخيار ٠ بمباي سنة ١٣٠٦هـ ٠

١١٩) الرقيق : ابراهيم بن القاسم القيرواني (ت النصف الاول من القرن الخامس الهجري) تاريخ افريقية والمغرب ٠ تونس سنة ١٩٦٨م ٠

١٢٠) سر الختم عثمان : العلاقات بين مصر والسودان في العصور الوسطى ٠ رسالة ماجستير ٠

١٢١) سعد زغلول عبد الحميد (دكتور) : تاريخ المغرب العربي ٠ القاهرة سنة ١٩٦٥م ٠

١٢٢) سعيد بن بطريق : البطريرك أفيتشيوس (ت ٣٢٨هـ) : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق • بيروت سنة ١٩٠٥م •

١٢٣) سعيد بن مقديش : نزهة الانظار •

١٢٤) السلاوي : احمد بن خالد الناصري (ت ١٣١٩هـ) : الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ج ١ • الدار البيضاء سنة ١٩٥٤م •

١٢٥) سلفا توركوسا (ناشر) : تواريخ مدينة فاس •

١٢٦) سهير القلماوي (دكتور) : ادب الخوارج في العصر الاموي ـ رسالة ماجستير ـ القاهرة ١٩٤٥م •

١٢٧) السيد عبد العزيز سالم (دكتور) : المغرب الكبير • القاهرة سنة ١٩٦٦م •

١٢٨) : تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس • القاهرة سنة ١٩٦٢م •

١٢٩) السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ) : تاريخ الخلفاء • القاهرة سنة ١٩٦٤م •

١٣٠) الشماخي : احمد بن سعيد بن عبد الواحد (ت ٩٢٨هـ) • السير • القاهرة • طبع حجر •

١٣١) الشهرستاني : محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ) •• الملل والنحل ج ١ • القاهرة سنة ١٩٥٦م •

١٣٢) صاعد الاندلسي : صاعد بن احمد (ت ٤٦٢هـ) : طبقات الامم • القاهرة سنة ١٩١٥م •

١٣٣) الضبي : احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة (ت ٥٩٩هـ) : بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس • مدريد سنة ١٨٨٤م •

١٣٤) الطاهر احمد الزاوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ٠ القاهرة سنة ١٩٦٣م ٠

١٣٥) الطبري : محمد بن جرير (ت ٣١٠) : تاريخ الرسل والملوك ٠ جـ ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ٠ القاهرة سنة ١٩٦٣م ٠

١٣٦) طه حسين (دكتور) : الفتنة الكبرى جـ ١ ، ٢ ٠ القاهرة سنة ١٩٥٩ ، سنة ١٩٦١م ٠

١٣٧) عبد الرحمن بن زيدان : اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس جـ ١ ، ٢ ٠ الرباط سنة ١٩٢٩ ، ١٩٣٠م ٠

١٣٨) عبد العزيز بن عبد الله : تاريخ المغرب جـ ١ ٠ الدار البيضاء سنة ١٩٦٥م ٠

١٣٩) عبد المنعم ماجد (دكتور) : التاريخ السياسي للدولة العربية جـ ٢ ٠ القاهرة سنة ١٩٥٧م ٠

١٤٠) عبيد الله بن صالح : نص جديد عن فتح العرب للمغرب ٠ صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية بمدريد ـ مجد ٢ سنة ١٩٥٤م ٠

١٤١) عريب بن سعد القرطبي (ت ٣٦٦هـ) : صلة تاريخ الطبري ٠ القاهرة سنة ١٩٣٩م ٠

١٤٢) علي يحيى معمر : الاباضية في موكب التاريخ جـ ١ ٠ القاهرة سنة ١٩٦٤م ٠

١٤٣) عمر ابو النصر : الخوارج في الاسلام ٠ بيروت سنة ١٩٥٦م ٠

١٤٤) فلهوزن : يوليوس ، تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية ٠ القاهرة سنة ١٩٥٨م ٠

١٤٥) : احزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الاسلام

(الخوارج والشيعة) ٠ القاهرة سنة ١٩٥٨م ٠

١٤٦) القلقشندي : ابو العباس احمد (ت ٨٢١هـ) : صبح الاعشى في صناعة الانشا ٠ ج ٣ ، ٥ ، ١٣ ٠ القاهرة سنة ١٩٢٢م ٠

١٤٧) الكتاني : محمد بن ادريس الحسني (ت ١٣٤٥هـ) : الازهار العاطرة الانفاس بذكر بعض محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس ٠

١٤٨) الكرخي : ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري (ت النصف الاول من القرن الرابع الهجري) : المسالك والممالك ٠ القاهرة سنة ١٩٦١م ٠

١٤٩) الكندي : محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ) : الولاة والقضاة ٠ بيروت سنة ١٩٠٨م ٠

١٥٠) كولين G.S. Colin : مادة سجلماسة بدائرة المعارف الاسلامية ٠

١٥١) ليفي ديللافيدا : Della Vida : مادة الصفرية بدائرة المعارف الاسلامية ٠

١٥٢) مارسيه : G. Marcais مادة بني رستم بدائرة المعارف الاسلامية ٠

١٥٣) المالكي : عبد الله بن ابي عبد الله (نهاية القرن الرابع الهجري) : رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية ج ١ ٠ القاهرة سنة ١٩٥١م ٠

١٥٤) الماوردي : علي بن ممحد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ) : الاحكام السلطانية والولايات الدينية ٠ القاهرة سنة ١٩٦٠م ٠

١٥٥) مبارك الميلي ٠٠ تاريخ الجزائر في القديم والحديث ج ١ ، ٢ ٠ الجزائر سنة ١٣٥٠هـ ٠

١٥٦) المبرد : ابو العباس محمد بن يزيد (ت القرن الثالث الهجري) : الكامل في اللغة والادب والنحو والتصريف ٠ ج ١ ، ٢ ، ٣ ٠ القاهرة سنة

١٩٣٩م ٠

١٥٧) مجهول : اخبار مجموعة في فتح الاندلس ٠ مدريد سنة ١٨٦٧م ٠

١٥٨) : العيون والحدائق في اخبار الحقائق ٠ ليدن ٠

١٥٩) مجهول : (ت القرن السادس الهجري) : الاستبصار في عجائب الامصار ٠ الاسكندرية سنة ١٩٥٨م ٠

١٦٠) : (ت القرن الثامن الهجري) : نبذ تاريخية في اخبار البربر في القرون الوسطى ٠ الرباط سنة ١٩٣٤م ٠

١٦١) محمد أبو زهرة : المذاهب الاسلامية ٠ القاهرة سنة ١٩٥٩م ٠

١٦٢) محمد بن تاويت التطواني : دولة الرستميين اصحاب تاهرت ـ صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد مجلد ٥ ـ عدد ١، ٢ سنة ١٩٥٧م؛

١٦٣) محمد جمال الدين سرور (دكتور) : الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية ٠ القاهرة سنة ١٩٦٠م ٠

١٦٤) : الدولة الفاطمية في مصر ٠ القاهرة سنة ١٩٦٥م ٠

١٦٥) محمد ضياء الدين الريس (دكتور) : النظريات السياسية الاسلامية٠ القاهرة سنة.١٩٦٧م ٠

١٦٦) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام في الاندلس ج ١ ٠ القاهرة سنة ١٩٤٣م ٠

١٦٧) محمد علي دبوز : تاريخ المغرب الكبير ج ٢ ، ٣ ٠ القاهرة سنة ١٩٦٣م ٠

١٦٨) محمد علي السنوسي (ت ١٢٧٢هـ) : الدرر السندسية في اخبار السلالة الادريسية ٠ ليبيا سنة ١٣٤٩هـ ٠

١٦٩) محمد كامل حسين (دكتور) : في أدب مصر الفاطمية • القاهرة سنة ١٩٦٣م •

١٧٠) محمود اسماعيل عبد الرازق ـ سياسة الاغالبة الخارجية ـ رسالة ماجستير •

١٧١) محمود علي مكي (دكتور) : التشيع في الاندلس الى نهاية ملوك الطوائف ـ صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد ـ مجلد ٢ ـ سنة ١٩٥٤م •

١٧٢) المراكشي : عبد الواحد بن علي التميمي (ت ٦٤٧هـ) : المعجب في تلخيص اخبار المغرب • القاهرة سنة ١٩٤٩م •

١٧٣) المسعودي : علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ) : مروج الذهب ومعادن الجوهر • جـ ٢،٣،٤ • القاهرة سنة ١٩٦٤م •

١٧٤) المقدسي : شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد (ت ٣٨٨هـ) : أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم • ليدن سنة ١٩٠٩م •

١٧٥) المقري : احمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ) : نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب جـ ١ ، ٤ • القاهرة سنة ١٩٤٦م •

١٧٦) المقريزي : تقي الدين احمد بن علي (٨٤٥هـ) : اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا • القاهرة سنة ١٩٤٨م •

١٧٧) : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار • جـ ١ ، ٢ • بولاق سنة ١٢٧٠هـ •

١٧٨) نصر بن مزاحم المنقري : أخبار صفين •

١٧٩) النفوسي : سليمان بن عبد الله الباروني (ت ١٣٥٩هـ) : الازهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية جـ ٢ •

١٨٠) النويختي : الحسن بن موسى (ت ٢٨٨هـ) : فرق الشيعة · النجف سنة ١٩٥١م ·

١٨١) النيسابوري : احمد بن ابراهيم (ت أواخر القرن الرابع الهجري) : استتار الامام مجلة كلية الاداب بالجامعة المصرية مجلد ٤ جـ ٢ ـ ديسمبر سنة ١٩٣٦م ·

١٨٢) الورجلاني : يوسف بن ابراهيم : الدليل لاهل العقول · جـ ١،٢،٣ · القاهرة سنة ١٣٠٦هـ ·

١٨٣) ياقوت الحموي : شهاب الدين ابو عبد الله الحموي الرومي (ت ٦٣٦هـ): معجم البلدان ـ مجلد ١ ، ٣ · طهران سنة ١٩٦٥م ·

١٨٤) اليعقوبي : احمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت ٢٨٤هـ) : البلدان · ليدن سنة ١٨٩١م ·

١٨٥) : تاريخه جـ ٢ ، ٣ · النجف الاشرف سنة ١٣٥٨هـ ·

١٨٦) اليماني : محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي (ت حول أواسط القرن الخامس الهجري) : كشف اسرار الباطنية وأخبار القرامطة · القاهرة سنة ١٩٥٥م ·

١٨٧) اليماني : محمد بن محمد : سيرة جعفر الحاجب · نشر ايفانوفا تحت عنوان مذكرات في حركة المهدي الفاطمي · مجلة كلية الاداب بالجامعة المصرية ـ مجلد ٤ ـ جـ ٢ ـ سنة ١٩٣٦م ·

جـ ـ المراجع الاوروبية

189. Basset, Rene: Les sanctuairs du Djebel Nefousa. Journal Asiatique, Tome 13, 14, Paris, 1899.

190. ————: Recherches sur la religion des Berberes. Revue de l'histoire des religion. Tome 61, Paris, 1910.

191. Bel, Alfred: La religion musulmane en Berberie. Vol. I, Paris, 1938.

192. Bernard, Augustin: Les capitales de la Berberie. Recueil de memoires et de textes public en l'honneur du 14e congres des orientalistes. Alger, 1905.

192. Biquet, Faure: Histoire de L'Afrique septentrionale sous la dominition musulmane. Paris.

194. Bonet, Maury: L'Islamisme et le Christianisme en Afrique. Paris, 1906.

195. Brockelmann, Karl: History of the Islamic people. London, 1949.

196. Brumschvig, R: La Tunisie dans le hautmoyen age. Le Caire, 1949.

197. Cambridge Medieval history, Vol. 2.

198. Cherbonneau, M: oDcumente inedits sur l'heretique Abou-Yezid Mokhalled Ibn Kaidad de Tademket. Traduits de la chronique d'Ibn Hammad. Journal Asiatique, Tome 20 Paris, 1852.

199. Conde, History of the dominion of the Arabs in Spain. Vol. I, London.

200. Dachraoui, Farhat: La captivite d'Ibnwasul; le rebelle de Sidjilmassa d'après Le cadi An-Numan. Les Cahiers du Tunisie, 1956.

201. De goeje, M.J: Memoires sur les Carmathes de Bahrin et les fatimids, Leiden, 1886.

202. Despois, Jean: Le Djebel Nefousa. Paris, 1935.

203. Bozy, E; Spanish Islam. London, 1913.

204. Drague, G: Esquisse d'histoire religeuse du Maroc. Paris, 1951.

205. Faroughy, Dr. A: A Persian dunasty in North Africa, The Rustamides. The Islamic review, April, 1952, England.

206. Fournel; Les Berbers. Vols. 1, 2, Paris, 1875.

207. Gibb: Mohammedanism. London, 1945.

208. Hassan Ibrahim; Relations between the fatimids in North Africa and Egypt and the Omayyads in Spain during the 4th century A.H. Bulletin of the Faculty of Arts, Cairo University. Vol. 10, Part, 2. Cairo, 1948.

209. Hitti, P.K: History of the Arabs, London, 1964.

210. Hopkins: Medieval Moslem government in Barbary until the 6th

century of Hijra, London, 1958.

211. Houdas, O. Essai sur l'ecriture Maghrebine. Noveau melanges vivantes. 2 series, Vol. 19.

212. Huart, C: Histoires des Arabes. Vol. 1; Paris, 1912.

213. Idris, H.R: Contribution a l'histoire de l'Ifrikiya. Revue des etudes Islamiques, Annee, 1935, Cahier 2. Paris, 1935.

214. Ivanovv, W:

214. Ismaili tradition concerning the rise of the fatimids. Bombey, 1942.

المراجع المنقولة

215. Julien, Andre: histoire de l'Afrique du Nord. Paris, 1931.

216. Lammens, H: Etudes sur le siecle des Omayyades. Beyrouth, 1930.

217. Lane-Poole, S: Catalogue of the collection of Arabic Coins in the British museum, Vol. 4. London, 1879.

218. Catalogue of the collection of Arabic coins presented in the Khedivial liberary of Cairo. London, 1897.

219. Lavoix, M.H: Cataloque des monnaies muslumane de la Bibloitheque Nationale. «L'Espagne et Afrique». Paris, 1891.

220. Le Tourneau, R: La revolte d'Abou-Yazid aux me siecle. Les chaiers de tunisie, 1953. Tunis, 1953.

221. Lewicki, T: Etudes Ibadites Nord Africaine. Warszaw, 1955.

222. ———— De quelques textes inedits en vieux Berbere provenant d'une chronique Ibadites anonyme. Revue des etudes Islami-

ques, Annee 1934, Cahier 3. Paris, 1934.

223. ———— Melanges Berberes Ibadites. Revue des etudes Islamiques Annee 1936, Cahier 3, Paris, 1936.

224. ———— Une chronique Ibadites «Kitab-as-syar» D'As-Samachi Revue des etudes Islamiques, Annee 1934, Tome 8, Paris, 1937.

225. Mamour, P.H.: Polemics on the origin of the fatimi Caliphs, London, 1934.

226. Marcis, G: L'Afrique du Nord Francaise dans l'histoire, Paris, 1937.

227. ————: La Berberie Musulmane et l'orient au moyenage, Paris, 1946.

228. Marcais, W: Comment L'Afrique du Nord a ete arabise. Annales de L'institut d'etudes orientales, Annee, 1938, Tome 4.

229. Masqueray, E: Chronique D'Abou Zakaria, Alger, 1878.

230. Mercier, E: Histoire de constantine, 1903.

231. ————: Histoire de l'Afrique septentrionale. Vol. I Paris, 1888.

232.—Histoire de l'establessement des Arabes dans L'Afrique. Const. 1875.

Septentrionale. Constantine, 1875.

233. Motylinski, A. De. C: Chronique d'Ibn Saghir sur les Imams Rostimides de tahert. Actes du 14 congres internationale des orientalistes. Algiers, 1905, Vol. 3, Part. 2.

234. L'Aqida des Abadhites Actes du congres international des orientalistes, Algiers, 1905.

235. Muir, W: The caliphate its rise, decline and fall Beirut, 1963.

236. O'leary, de lacy: A short history of the fatimid khalifate. London, 1923.

237. Provencal, E.L: Histoire de l'Espagne musulmane. Vol. 1, Algier, 1950.

238. Scott, S.P: History of the Moorish Empire in Europe. Vol. 2, London, 1904.

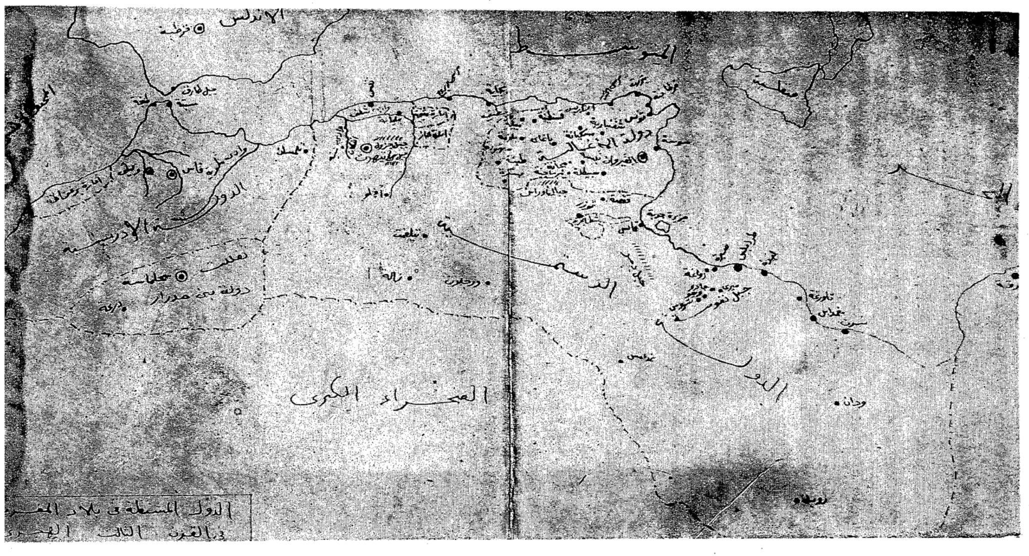
239. Smith, P: The Ibadites. The Moslem world, Vol. 12, July, 1922.

240. Van Berchem, M. Max: Titres Califiens d'Occident. Journal Asiatique, Tome, 9, Paris, 1907.

241. Variedades: Al-Hakam 11 y los berbers regum un texto inedito de Ibn Hayyan. Al-Andalus, Vol. 13, Madrid, 1948.

242. Vonderheyden, M: La Berberie orientale sous la dynastie de Bennu'L' Arlab. Paris, 1927.

243. Zaki, M. Hassan: Les Tulunides. Paris, 1933.



الدول المستقلة في بلاد المغرب في القرن الثالث الهجري

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة

الباب الثاني

الباب الثالث

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

